

معهد البحوث والدراسات الافريقية



أعمال
الندوة الدولية للقرن الافريقي
١ - ٧ - يناير ١٩٨٥

الجزء الأول

مطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعي
١٩٨٧

تقـديم

عقدت الندوة الدولية للقرن الافريقى بعون الله وحمده فى الفترة من ٥ الى ١٠ يناير ١٩٨٥ بالمركز المصرى الدولى للزراعة بشارع نادى الصيد بالدقى وقد تفضل السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بوضع الندوة تحت رعايته الكريمة .

وقد ركز ضيوف الندوة فى كلماتهم الافتتاحية على اهتمام مصر بأفريقيا عامة وبدول القرن الافريقى (اثيوبيا ــ الصومال ــ جيبوتى) بوجه خاص لما لهذه الدول من صلات تاريخية وحضارية مع مصر ولما لها من ارتباط حيوى مع مصر فى مواجهة القوى الطامعة فى أفريقيا وتستطيع مصر بامكاناتها وثقلها أن تقوم بدور هام للحفاظ على الاستقرار فى هذه المنطقة الحساسة من أفريقيا وأن تحافظ على مواردها لخير شعوبها .

ولم يكن الهدف من الندوة بالطبع التوصل الى الحلول المثلى للمشاكل المتعددة لهذه المنطقة ، فهذا أمر بعيد التحقيق فى الظروف الحالية ، ولكنه كان محاولة لالقاء الاضواء على هذه المشاكل من مختلف الجوانب الجغرافية والتاريخية والبيئية والسياسية والاقتصادية ... الخ ، بهدف التعرف عليها وتلمس السبيل لايجاد الحلول المناسبة لها . ولهذا حرصنا على ابراز الدور العلمى لهذه الندوة وابعادها عن أى تأثير سياسى حتى تحتفظ بدورها الحيادى الرصين ، وحتى يتقبل كل المشاركين ما قد يثار فيها من آراء ، أو ما قد يعرض من وجهات نظر ، دون انفعال ، بل بكل تؤدة وأناة .

وقد شارك فى الندوة أكثر من مائتى باحث وباحثة من مختلف الجهات. وقد بلغ عدد المشاركين من غير المصريين أكثر من ستين باحثا وباحثة ينتمون الى دول القرن الافريقى الثلاث بالاضافة الى دول افريقية أخرى مثـل

السودان وكينيا وأوغندا • كما شـارك باحثون من الأردن والكويت وكذلك من الولايات المتحدة وكندا وانجلترا وفرنسا والمانيا الغربيـة وايطاليا ، ومن الاتحاد السوفيتى أيضا •

وتقدم الباحثون بما يزيد على ٩٠ بحثا نصفها تقريبا من المصريين والنصف الآخر من غير المصريين • وقسمت جلسات الندوة الى جلسـات صباحية عامة قدمت فيها البحوث الرئيسية ، موضوعات الصبغة الشمولية، وجلسات أخرى متخصصة مسائية قدمت فيهـا البحوث التى تتنـاول موضوعات تعالج مشاكل دقيقة وبأسلوب تخصصى دقيق • وكانت هذه الجلسات المتخصصة المتزامنة من أربع مجموعات هى :

(أ) السياسة والاقتصاد : وقد قدم فيها ٢٠ بحثا •

(ب) الجغرافيا والموارد الطبيعية : وقد قدم فيها : ٢٠ بحثا •

(جـ) التاريخ : وقد قدم فيها حوالى ١٥ بحثا •

(د) الانثروبولوجيا واللغات والثقافة : وقد قدم فيها حوالى ١٥ بحثـا •

أما الجلسات العامة فقد قدم فيها حوالى عشرين بحثا •

وقد نجحت الندوة فى الجمع بين مشاركين اثيوبين وصوماليين عرض كل منهم وجهات نظره فى المشاكل القائمة بين البلدين وهو الأمر الذى لم تنجح فيه بعض المنظمات الدولية التى يشارك فيها الأعضاء ممثلين عـن حكوماتهم • ولعل هذا كان سببا مباشرا لنجـاح النـدوة ، حيث عبر المشاركون من هذه الدول المختلفة معا ، عن وجهات نظرهم بصفتهم الفردية كعلماء وباحثين وليس كممثلين لدولهم • ويعتبر هذا بلا شك انجازا كبيرا للندوة تمخضت عنه تقارير اللجان المتخصصة وتوصـيات حظيت برضـا جميع المشاركين وموافقتهم • فلعل هذا يكون فاتحة خير لهذه المنطقة من

القارة الافريقية المنكوبة بالصراعات وبالكوارث الطبيعية من جفاف وتصحر والتى تؤثر مشاكلها على مصر تأثيرا سلبيا مباشرا .

وقد اشاد المشاركون فى الندوة بجهد المعهد فى تنظيمها وطالبوا بتكرار عقد هذه الندوة كل عامين تحت اشراف المعهد لتدارس مشاكل القارة الأفريقية عامة والقرن الأفريقى خاصة ، حيث انهم شعروا بأن الندوة ــ خلال تلك الأيام الستة ــ بدأت بالكاد تسهم فى تفهم هذه المشاكل التى تحتاج الى المزيد من الدراسة والبحث . ولذلك أوصت الندوة بأن تكون تلك هى الأولى فى سلسلة الندوات المقترحة وان تعقد الثانية خلال مارس عام ١٩٨٧ باذن الله . وحرص المشاركون على ارسال برقية شكر للرئيس محمد حسنى مبارك لرعايته للندوة ، وشكروا كذلك الهيئات التى قامت بتأييدها وبالأخص جامعة القاهرة التى عقدت الندوة فى ظلها ، جامعة الأزهر الشريف . ومؤسسة فورد وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة وغيرها .

وكان نتاج هذه الندوة ثلاثة أجزاء ، جزء باللغات الأجنبية ، وجزئين باللغة العربية .

أ.د. محمد عبد الغنى سعودى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور/محمد عبد الغنى سعودى

يشرفنى ان أرحب بكم بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن أعضاء هيئة التدريس بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، ويسعدنى أيها السادة أن أرى أمامى ذلك الجمع من المفكرين والعلماء المهتمين بالشئون الأفريقية من داخل القارة وخارجها ، الذين لبوا دعوتنا ، واستجابوا لندائنا لبحث قضايا ركن من أركان القارة عسى أن نسهم وتسهموا فى وضوح الرؤية .

ويعتبر معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة المؤسسة العلمية الأولى فى مصر ، والتى تعنى بالقارة الأم . وكانت ولادة هذا المعهد ولادة طبيعية . اذ بدأ عام ١٩٤٧ كمعهد يهتم بدراسات حوض النيل ، أى بامتداد النيل جنوبا . وكان الفضل كل الفضل الى رائد الدراسات الجغرافية النيلية فى مصر المرحوم الدكتور محمد عوض محمد صاحب الفكرة ومنفذها مع لفيف من العلماء المصريين أطال الله عمر الباقين منهم على قيد الحياة ، ورحم الله الذين أنتقلوا الى خير جوار ، وكان لابد للمعهد أن يتطور ولا يتجمد ، وهذه سنة الحياة ، فحين بدأ العملاق الأفريقى يتحسس الطريق فيما بعد . وعرف طريق الحياة الحرة ، وآمن بضرورة وضع حد لقبضة الاستعمار الأوربى واشتعلت حركات التحرير بعد الحرب العالمية الثانية قامت الزعامات الوطنية وكأنها على ميعاد فى مختلف جهات القارة ، عبد الناصر فى مصروجومو كينياتا فى كينيا ، ونكروما فى غانا ، كما ازاداد التمرد على التميز العنصرى والاستبعاد فى وسط القارة ، كان لابد أن تتسع دائرة الاهتمام من حوض النيل الى القارة ككل فأصبح معهدا للدراسات الأفريقية منذ عام ١٩٥٥ وان كانت دراسات حوض النيل تستأثر منه باهتمام كبير .

أيها السادة جئنا هنا لنعرض قضايا ركن من أركان القارة وهو القرن الأفريقى ، مجموعة من المفكرين والباحثين نعرض وجهات النظر ، وجهات نظر العلم ، ولا شىء غير العلم ، فى مختلف قضايا ذلك الركن من أفريقية وهى فى الحق قضايا متعددة ، ومتنوعة ، منها ماهو اقتصادى واجتماعى ويرتبط بالتنمية بأبعادها المختلفة ، بل منها ماهو طارىء هب كريح عاتية

تعصف بمظاهر الحياة نباتية وحيوانية وبشرية وتشل فى جفاف شـديد نرجو له الزوال ومنها ما هو سياسى واستراتيجى ، وذلك أن القـرن الأفريقى بدوله يقع عند التقاء بحرين الهندى والبحر الأحمر ، وعنـد اقتراب قارتين آسيا وأفريقيا ، من ثم كان دوره بارزا فى الاستراتيجيـة العالمية • ويعتبر عمقا فاصلا بين صراع القوى الكبرى فى البحر المتوسط والمحيط الهندى وشرق أفريقيا والشرق الأوسط . كما تعتبر مياهه ذات أهمية بالغة بالنسبة للقوى الكبرى ، وأهمية القرن الأفريقى الاستراتيجية لم تقتصر على وقتنا الحاضر ، عرفتها بريطانيا حين كانت تتحسس المواقع الاستراتيجية فكما احتلت عدن والجنوب العربى عام ١٨٣٩ . اتجهت الى الصومال عام ١٨٨٦ ، ولكن القوى الأخرى كانت لها بالمرصاد ، فقـد سارعت فرنسا الى الاقليم ورفع العلم الفرنسى على أوبوك عام ١٨٦٢ . وتقدمت بدورها لتلعب دورا وهكذا •

أيها السادة ، ندوتنا علمية ، نناقش فيها بالأسلوب الهادىء الذى يعتمد على المنهج العلمى ، وليست معبرا أعلاميا ولا دعائيا • ومنها ما هو سياسى فى داخل الاقليم نتج عن تقسيم استعمارى ، وحدود سياسـية مصطنعة قسمت الأهل وفتت العشيرة ، لا فى القرن فحسب ولكن فى القارة بوجه عام ، ولنتذكر أننا اليوم فى هذا العام يكون قد مر قرن من الزمان على أول تقطيع لخريطة أفريقية السياسية بين القوى العظمى فى أواخر القرن الماضى ، ذلك انه فى عام ١٨٨٤/١٨٨٥ عقد مؤتمر برلين بين تلك القوى لتقسيم الكعكة الأفريقية بينهم ، وحصلت كل دولة استعمارية منها على نصيب يتفق وثقلها الاستعمارى •

أيهـا السـيدات والسـادة :

اتفق مطلع الخمسينات وأوائل الستينيات مع مطلع شبابنا ومع ظهور أعلام الحرية الخفاقة على المستعمرات الأفريقية الواحدة تلو الأخرى . فكان يزداد انفعالنا مع تدفق تيار الحرية ، وكانت الوحدة الأفريقية هى املنا أو مستقبلنا كما كنا نعتقد ، ولكن ماذا حدث ويحدث الآن وقـد تجاوزنا الشباب ، وتجاوزنا العاطفة الى مرحلة الرشاد وتحكم العقل . وقعنا فى هذه الخلافات والحروب فاضفنا الى الكوارث الطبيعية كوارث بشرية ، نحن الذين نسجناها بأنفسنا ، لنقع فيها وتلتف حول أعناقنا وكأننا نقوم بعمليات انتحارية فهل هذا يتفق ومرحلة العقلانية ؟

الديناميات السياسية فى أثيوبيا

(من نظام الحكم الامبراطورى الى ممارسات الدرج)

د. ابراهيم احمد نصر الدين
مدرس العلوم السياسية
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

مقدمة

يمكن تعريف الديناميات السياسية بأنها : النشاط السياسى لكافة الفاعلين المحليين من قوى طبقية ، وشرائح اجتماعية ، وتنظيمات عمالية ونقابية ، وتنظيمات سياسية ، والذى يأخذ فى تفاعله أشكال العناق أو الصدام أو السلب ، مستهدفا تعزيز الوضع القائم ، أو تعديله اصلاحيا أو تغييره راديكاليا .

ومن هنا فان دراستنا للديناميات السياسية فى أثيوبيا خلال العهد الامبراطورى ، وما تلاه ستنصب على دراسة النشاط السياسى لكافة الفاعلين المحليين فى أثيوبيا أثناء الحكم الامبراطورى وخلال فترة حكم الدرج سواء اتجه هذا النشاط الى تعزيز البنية الاقتصادية الاجتماعية القائمة أو تعديلها أو تغييرها من جانب القوى الطبقية أو الشرائح الاجتماعية أو التنظيمات العمالية والنقابية الاثيوبية ، وسواء اتجه هذا النشاط الى السعى للحصول على الحكم الذاتى والاستقلال من جانب كافة الجماعات المقهورة فى المجتمع الاثيوبى والتى تمثلها حركات التحرير التى تقود نضال هذه الجماعات .

وتهدف هذه الدراسة الى محاولة الاجابة على التساؤلات الآتية :

ما هى العوامل التى مكنت نظام حكم هيلاسلاسى من الاستمرار فترة طويلة من الزمن رغم العديد من المتغيرات الداخلية والدولية التى أحاطت

به ؟ وما هى العوامل التى تفسر توقيت ونمط التحول فى الامبراطورية ؟ وما هى القوى التى قادت عملية التحول هذه ؟ ولماذا تم اختيار البديل الراديكالى دون البديل الاصلاحى فى احداث عملية التغيير ؟ ثم كيف تمكنت أثيوبيا من مواجهة الاضطرابات الداخلية ، والقومية عشية خلع الامبراطور ؟

بطبيعة الحال فان الاجابة على التساؤلات السابقة ليست بالأمر اليسير ، ومن هنا فسنحاول دراسة عملية التغيير فى اثيوبيا فى اطار تحليلى متكامل يأخذ فى اعتباره الظرف التاريخى ، والواقع الاقتصادى / الاجتماعى وتطوره فى اثيوبيا ، كيما يتسنى لنا تحديد هوية ، وطبيعة ومسار التغيير فى اثيوبيا •

وقد يكون المناسب دراسة هذا الموضوع على النحو التالى :

الفصل الأول : الميراث الامبراطورى •

المبحث الاول : البنية الاقتصادية / الاجتماعية للمجتمع الاثيوبى •

المبحث الثانى : نشأة المسألة القومية •

الفصل الثانى : التغيير ، وممارسات الدرج •

المبحث الاول : مسار التغيير : فبراير — سبتمبر ١٩٧٤ •

المبحث الثانى : سياسات الدرج تجاه الواقع الاقتصادى/الاجتماعى •

المبحث الثالث : الدرج والمشكلة القومية •

الفصل الأول
الميراث الامبراطورى

ترجع نشأة دولة اثيوبيا الحالية الى مملكة أكسوم القديمة التى تأسست فى القرن السادس قبل الميلاد فى مرتفعات تجراى ، وقد انتشرت المسيحية فى هذه المملكة ابتداء من عام ٤٥١ ميلادية ، لكن المملكة تقوضت مع حلول القرن السابع الميلادى ، حين سادت الفوضى والاضطرابات أراضى المملكة ، وقد ظل الحال على هذا المنوال حتى عام ١٢٧٠ ميلادية

عندما نهضت الأسرة السليمانية من بين شعب الشوا / الأمهرا ، واعتلت العرش الاثيوبى ، وبدأت منذ ذلك التاريخ مرحلة النهضة الوسطى فى التاريخ الاثيوبى ، حيث لعبت الكنيســة دورا هاما فى انعاش ثقــافة الحبشة ، وفى اضفاء الشرعية على المؤسسات السياسية القائمة ، وأصبحت الامهرية لغة ملوك الحبشة (١) .

على أنه طوال هذه المرحلة من التاريخ الاثيوبى لم يكن هناك أداة بيروقراطية منظمة ، كما أن نظام الحكم كان لا مركزيا ، ولم تكن هناك عاصمة محددة للامبراطورية حتى القرن السابع عشر الميلادى عندما أسس فاسيليدس عاصمة للبلاد فى جندار — على بعد أميال من النيل الأزرق — ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتكون نواة الامبراطورية التى راحت تتوسع فى كافة المناطق المجاورة طوال الفترة التى عرفت بعصر الأمراء (١٧٦٩ — ١٨٥٥) (٢) .

وبانتهاء هذه الفترة دخلت اثيوبيا المرحلة الحديثة فى تاريخهــا منذ عام ١٨٥٥ حيث بعثت الحياة من جديد فى العرش الملكى فى ظل الأباطره ثيودور (١٨٥٥ — ١٨٦٨) ، ويوحنا الرابع (١٨٧٢ — ١٨٨٩) ومنليك (١٨٨٩ — ١٩٠٩) ، ثم هيلاسلاسى . وقد تميزت هذه الفترة باقامة اداة بيروقراطية منظمة ، وتشكيل جيش محترف ، وتقسيم المقاطعات بشكل محدد مع تعيين حكام لها ، ونقل العاصمة جنوبا الى أديس أبابا . وخلال هذه الفترة توسعت اثيوبيا بالغزو جنوبا ، وأكدت احتلالها باتفاقات مع الدول الاستعمارية الأوروبية . وهكذا بذرت بذور التفاوت الاقتصادى / الاجتماعى فى المجتمع الاثيوبى ، كما بذرت بذور التفاوت العرقى داخل المجتمع الاثيوبى خاصة مع السيطرة الكاملة لجماعة الأمهرا على السلطة السياسية ، والثروة الاقتصادية فى البلاد (٣) .

---

(١) — Edmond J. Keller «The Revolutionary Transformation of Ethiopia's Twentieth - Century Bureaucratic Empire» in **The Journal of Modern African Studies**, Vol. 19, No. 2, 1981, PP. 310-311.

(٢) — Dexter Burley & Tom Burns, «The System of Ambara Domination, Variation and Stability» Paper presented at the 15th Annual Meeting of the **African Studies Association**, Philadelphia, Nov. 8-11 1972, P. 4

(٣) — **Ibid** ; P. 5.

المبحث الأول

البنية الاقتصادية / الاجتماعية للمجتمع الاثيوبى

نهضت أثيوبيا فى القرن العشرين كدولة ، لا كأمة ، فهى مجتمع تعددى يتميز بسيطرة أقلية ثقافية ــ الأمهرا التى لا تزيد عن ٣٠٪ من السكان ، والتى يرتبط بها مسيحيوا تجراى الذين تبلغ نسبتهم ٨٪ من السكان ، فى حين أن الجالا (أورومو) يشكلون ما يزيد على ٤٠٪ من السكان [1] ــ وبالتفاوت فى توزيع الثروة والسلطة والامتياز ، وبالاختلافات الحادة بين مختلف الجماعات والتى يطغى عليها الطابع الدينى ، والعرقى ، واللغوى ، والثقافى .

المطلب الأول

الركائز الاجتماعية للنظام الامبراطورى

ارتكز النظام الامبراطورى على دعائم اجتماعية مكنته من الاستمرار تمثلت فى قوة الامبراطور ، والكنيسة والنبلاء ، ومساندة كل طرف منهم للآخر فى استغلال واستنزاف الفلاحين الاثيوبيين ، والذين استغل ناتج جهدهم لمزيد من تقوية النظام الامبراطورى ، ومزيد من استغلال الفلاحين بالتــالى .

اولا : الامبراطور :

تقدم اثيوبيا الأنموذج التاريخى الافريقى للانقلابات العســكرية ، فلا يوجد على طول التاريخ الاثيوبى نظام لاسناد السلطة فى اثيوبيا ، اذ كانت المسألة فى النهاية تعتمد على مدى قوة شخص معين ، وقدرته على السيطرة على الامبراطورية من خلال جيشه الخاص ، ومن خلال تحالفاته ،

---

(1) — Ibid., P. 3.

ثم لن أباطرة اثيوبيا لم تكن بين أى منهم والآخر صلة قرابة ، الا زعم كل منهم بالانتماء للأسرة السليمانية (١) .

وما ان يتمكن شخص معين من الوصول الى السلطة حتى يضاف الى رصيده مزيد من القوة ذلك أن كل أراضى الجنوب المستعمرة كانت تعامل باعتبارها ممتلكات شخصية للامبراطور ثم ان الكنيسة الاثيوبية كانت تقوم باضفاء الشرعية على الامبراطور ، وفضلا عما تقدم فان الامبراطور كان يمنح شرعية خارجية نظرا لأن مطران الكنيسة الاثيوبية كان مصريا حتى عام ١٩٤٨ ، ولقد أصبح الامبراطور شخصا مقدسا بموجب الدستور الاثيوبى لعام ١٩٣١ ، ثم أصبح رأس الكنيسة بموجب دستور عام ١٩٥٥ (٢) .

ثانيا : الكنيسة (رجال الدين) :

لا يجب التهويل من شأن الكنيسة الاثيوبية ، كما لا يجب التهوين والتقليل من دورها ، فأهمية الكنيسة كانت تنبع من أضفائها للشرعية على نظام الحكم الامبراطورى ، ومن دورها فى تحقيق الوحدة القومية للأمهرا ، صحيح كان للكنيسة دور فى خلع بعض الأباطرة ، لكن ذلك

(١) تجدر الاشارة الى ان الاباطرة ثيودور ، ويوحنا ، ومنليك ، وهيلاسلاسى ، لم يصبحوا كذلك الا بعد ان برهنوا على انهم اقوى الرجال فى الامبراطورية ، على نحو مكنهم من السيطرة على السلطة من خلال جيوشهم الخاصة ، وقاعدتهم المحلية ، كذلك فان الامبراطور ليج اياسو (١٩١٣ — ١٩١٦) قد فقد سلطته ، ومن ثم شرعيته نتيجة عجزه عن فرض سلطته على الامبراطورية من جانب وعدم تأمينه لقاعدة محلية قوية تسانده من جانب آخر ، وفى المقابل فان الزعيم البدوى ثيودور ١٨٥٥ — ١٨٦٨) استطاع ان يصل الى السلطة بالقوة نظرا لكفاءته كقائد عسكرى .

انظر :

— Christopher Clapham, «Imperial Leadership in Ethiopia», in **African Affairs**, Vol. 68, No. 271, April 1969, PP. 111-113.

(٢) — **Ibid.**, P. 111.

لم يكن يحدث الا فى حالة ضعف هؤلاء ، وظهور منافسين أقوياء لهم ، أو فى حالة خروج بعض الأناطرة صراحة على المذهب الأرثوذكسى (١) •

ولم تكن قوة الكنيسة ترتكن الى العامل الدينى فحسب بقدر ما كانت ترتكن الى السيطرة على عملية التعليم ، وهى بذلك لم تكن فحسب الاداة الوحيدة لاضفاء الشرعية على الحكم الامبراطورى ولكنها كانت ايضا الاداة الرئيسية للتعبئة السياسية ، وقد كانت الكنيسة واعية تماما بدورها وبمكمن قوتهـا (٢) •

وهكذا فان العلاقة بين التاج والكنيسة كانت علاقة مصلحة ، فالاول يمنحها الأرض (والتى بلغت نحو ثلث أراضى البلاد) وهى تضفى الشرعية على ممارساته وعلى نظام حكمه •

ثالثا : الارستقراطية :

كانت الطبقة الارستقراطية قوية على طول التاريخ الاثيوبى سواء فى مواجهة التاج وسواء فى مواجهة المواطنين الاثيوبيين ، فقد تمكن نبلاء الاقطاع من الاحتفاظ لأنفسهم بقدر يعتد به من السلطة تحت زعم انتمائهم

---

(١) فى عام ١٦٠٣ حرم الامبراطور زى دنجل من عطف الكنيســة ، وفقد عرشه وحياته ايضا لأنه اعتنق المذهب الكاثوليكى ، وفى عام ١٦٣٢ فقد الامبراطور سوسينوس العرش لأنه اعتنق الكاثوليكية ، كذلك فان هزيمة ثيودور على يد القوات البريطانية فى عام ١٨٦٨ جاءت نتيجة معارضة الكنيسة له ، نتيجة خروجه على المسيحية ، وتوجيهه الاهانات الى رجال الكنيسة وسعيه الى مصادرة أملاكهم ، وكذلك الحال بالنسبة للامبراطور ليج اياسو (١٩١٣ — ١٩١٦) الذى قيل عنه بأنه اعتنق الاسلام ، أو كان متعاطفا مع الاسلام فحرم من عطف الكنيسة ، وفقد عرشـه بالتبعية ، انظر :

— Paulos Mikias, «Traditional Institutions and Traditional Elites : The Role of Education in the Ethiopian Body-Politic, » in **The African Studies Review,** Vol XIX, No. 3, Dec. 1976, PP. 85-86.

(٢) عندما حاول الامبراطور منليك اقامة نظام تعليمى حديث ، وتعيين وزير مدنى للتعليم لأول مرة فى التاريخ الاثيوبى ، فان الكنيسة استطاعت ان تجهض هـذه المحاولة بحيث ظل للكنيســة الاشراف التـام على كافة المدارس ، فيما عدا المدارس الاجنبية التى وضعت تحت اشراف وزير الصحة ، وحينما قام الامبراطور ليج اياسو — وضد رغبة الكنيسة — بتعيين وزير للتعليم ، فان ذلك شكل أحد الاسباب فى حرمانه من عطف الكنيسة وفقده للعرش ، ولم يتمكن الامبراطور هيلاسلاسى من تعيين وزير مدنى للتعليم الا بعد أن تمكن من القضاء التدريجى على السلطات التقليدية للكنيســة . انظر :

— **Ibid.**, 86.

للأسرة السليمانية ، أو نتيجة لكفاءتهم القتالية واحتفاظهم بجيوش محلية قوية موالية لهم ، واستنادا الى ذلك فقد تمكن هؤلاء ــ كل فى مقاطعته ــ من الاستحواذ على قدر كبير من الحكم الذاتى ، بحيث وصلت الامبراطورية الى حافة البلقنة الكاملة فى الفترة التى عرفت بعصر الأمراء (١٧٦٩ ــ ١٨٥٥) الا أنه بنهاية هذه المرحلة فقد تمكن الأباطرة ابتداء من ثيودور من تقويض سلطات الحكم الذاتى للنبلاء وهى تلك العملية التى توجت بقيام هيلاسلاسى بتقويض سلطات النبلاء الى حد كبير ، واخضاعهم وممارساتهم لسلطة الحكم الامبراطورى المركزى (١) •

وتنقسم الارستقراطية الاثيوبية الى فئتين (٢) :

الأولى ــ وتضم أولئك الذين ينحدرون من دماء ملكية ، وهم من يسمون بـ « زعماء اسرائيل » الذين أدعوا بأنهم ينتسبون برباط الدم الى النبى سليمان •

الثانية ــ وتضم فى صفوفها أولئك الذين أدوا خدمات للعرش الامبراطورى ، أو للفئة الارستقراطية العليا الاقليمية ــ الفئة الأولى ــ ونتيجة لهذه الخدمات فانهم منحوا الألقاب والنياشين ، كما منحوا اقطاعيات من الأرض تتناسب وحجم خدماتهم •

وتجدر الاشارة أيضا الى أن كل النبلاء كانوا يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضى ، فى اطار ما يعرف بالملكية الغائبة ، حيث يقوم الفلاحون الاثيوبيون بزراعة هذه الأراضى لحسابهم فى اطار ظروف جعلتهم أشبه « بأقنان الأرض » ، ثم أن كل النبلاء كانوا يتولون مناصب قيادية فى الجهاز البيروقراطى للامبراطورية كمدراء للأقاليم أو كجامعى ضرائب ، وبهذا فان سلطتهم كانت مزيجا يجمع بين السلطة والثروة (٣) •

---

(١) — Dexter Burley & Tom Burns, **op. cit.**, P. 4.

(٢) — Edmond J. Keller, **op. cit.**, p. 316.

(٣) فى عام ١٩٧٥ قدر أن نحو ٨٠٪ من اراضى اديس أبابا كان مملوكا للنبلاء ، والارستقراطية وعلى المستوى الوطنى تبين أن هناك ١٠ أفراد فقط من الاسرة الملكية كانوا يمتلكون ٨٫٨٥٢٫٤٧٦ م٢ من الارض ، فى حين أن النبلاء كانوا يمتلكون ٥٫٣٣٤٫٨٦٠ م٢ ، كما كانت ٢٠ كنيسة تمتلك ١٩٫٨٩٤٫٥٠٩ م٢ • وفى مقاطعة اللوبابور فى أقصى غربى البلاد وجد أن ٤٢٪ من ملاك الأرض من النبلاء كانوا ملاكا غائبين ، اما فى مقاطعة هرارجى فقد تبين أن أحد النبلاء كان يمتلك بمفرده ٩٠٠ الف هكتار من الأرض. =

رابعا : الفلاحون :

وقد كانوا أكثر الطبقات الاجتماعية الاثيوبية عددا (٨٥٪ من عدد السكان) ، وأكثرها عرضة للاضطهاد والاستغلال فقد انصب عليها هذا الاستغلال سواء من جانب الامبراطور ، وسواء من جانب رجال الكنيسة ، وسواء من جانب الطبقة الارستقراطية ، وقد كان الاستيلاء على ناتج جهد هذه الطبقة ، هو العامل الاساسى فى تدعيم مركز ورفاهية الطبقات السابقة، وهو الذى أدى بالتبعية الى مزيد من تدعيم أدوات القهر والاستغلال ، وان تفاوتت درجة وكثافة القهر والاستغلال الواقع على الفلاحين الاثيوبيين من منطقة الى أخرى داخل الامبراطورية ، اذ كان الفلاحون الاثيوبيون فى المناطق المستعمرة فى الجنوب أكثر عرضة للقهر والاستغلال من أقرانهم فى الشمال الذين ينتمون الى جماعة الأمهرا / تجراى •

لقد كانت كل الأراضى الاثيوبية مملوكة من الناحية النظرية للامبراطور ، ولكن من الناحية الفعلية فان ملكية الأرض كانت على ثلاثة أنواع [١] :

١ ــ الملكية الجماعية ــ فى السهول العليا فى الشمال حيث تعيش جماعة الأمهرا / تجراى ، وهى المنطقة التى قامت فيها مملكة الحبشة تقليديا قبل أن تتوسع بالغزو •

٢ ــ الملكية الخاصة ــ فى المناطق السابقة ، بالاضافة الى المناطق التى استولى عليها منليك فى الجنوب •

٣ ــ الأراضى الحكومية ــ وتوجد على أطراف الامبراطورية فى الجنوب ، وقد منح بعضها من جانب التاج كهبات لقواد الجيش ، فى حين استغل البعض الآخر فى مشروعات زراعية حكومية •

وكان هناك نظامين للحقوق على الأرض [٢] :

= لمزيد من التفصيل حول نظام ملكية الارض ، واشكالها انظر :

— Michael Warr «The Process of Class Conflict in Ethiopia» , in **UFAHAMU,** Vol. X, Nos. I & 2, Fall & Winter, 1980-81, P. 122.

— John M. Cohen, «Ethiopia After Haile Selassie, The Government Land Factor», in **African Affairs,** Vol. 72, No. 289, Oct. 1973, P. 370. P. 370.

(١) ، (٢) — **Ibid.,** PP. 366-379.

وانظر ايضا : — Edmond J. Keller, **op. cit.,** PP. 317-319.

١ ــ نظام Rist ــ وهو يعنى حق الانتفاع بالأرض وفق نظـام المشاركة ، وكان سائدا فى الشمال .

٢ ــ نظام Gult وكان يسرى على الأراضى التى تجمع عنهـا الضرائب ،وتدفع عليها الجزية للطبقة الارستقراطية ، وكان هذا النظام سائدا فى الجنوب ، وبموجبه كان يمكن نزع الأراضى من أصحابها .

وقد استخدمت العـديد من الادوات والاسـاليب لتعزيز النظـام الامبراطورى ، وتأمين الهيكل الاجتماعى الاقطاعى وضمان استمراره ، فقد استخدمت القوة المسلحة كأداة لفرض السيطرة على المناطق الجنوبية المستعمرة ، وتلك ظاهرة عامة فى التاريخ الاثيوبى ، كما كان الاستيلاء على الأرض وانتزاعها من يد أصحابها وسيلة لدعم السلطة السياسية والاقتصادية فى الامبراطورية والتى كانت ترتكن الى السيطرة على الأرض ، وعـلى الفلاحين الذين يعيشون عليها ، ومنذ عهد منليك تم اقامة نظام ادارى تولى زمام السلطة فيه كبار النبلاء ، على نحو مكن الحكومة المركزية من فرض سلطانها على الملوك والزعماء المحليين وتابعيهم ، كما مكن الأمهرا من فرض سيادتهم على كافة أنحاء الامبراطورية ؛ وفضـلا عما تقدم فقـد استخدمت أساليب أخرى لاقرار هذا الشكل من أشكال السيطرة نذكر منها : فرض اسـتخدام اللغة الأمهرية على كافة الجمـاعات الأخرى ، واعتبارها لغة رسمية للبلاد ، ثم أن الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية قد قامت بدور هام فى تعزيز الهيكل الاجتماعى القائم فهى لم تسهم فقط فى تعزيز سلطة الأمهرا وأضفاء الشرعية عليها ، ولكنها كانت أيضا مصـدرا لتماسك ووحدة شعب الأمهرا خاصة عندما ركزت فى دعايتها على أنه شعب الله المختار (١) .

المطلب الثانى

عوامل التغيير (اصلاحات هيلاسلاسى)

اتجه هيلاسلاسى ــ منذ أن أصبح وليا للعهد عام ١٩١٦ ، وبعد أن أصبح امبراطورا للحبشة عام ١٩٣٠ ــ الى القضاء التدريجى على نفوذ القوى التقليدية فى المجتمع الحبشى من جانب ، كما سعى الى تحديث

---

(١) — Dexter Burley & Tom Burns, op. Cit., PP. 5-23.

المجتمع الحبشى من جانب آخر ، رغبة منه فى احكام قبضته على السلطة ، وزيادة موارد الدولة ، لكن هذه السياسة قد انتهت الى ظهور قوى اجتماعية جديدة معارضة راحت تعمل على تقويض النظام الامبراطورى •

أولا : تقويض سلطات القوى التقليدية (الكنيسة ـ الطبقة الارستقراطية) :

١ ـ ففى مواجهة الكنيسة ـ أعلن هيلاسلاسى فى عام ١٩٢٩ استقلال الكنيسة الاثيوبية عن الكنيسة المصرية ، محطما بذلك تقليدا استمر نحو ستة عشر قرنا من الزمان ، وقد جاء دستور عام ١٩٣١ ليؤكد سيطرة هيلاسلاسى على الكنيسة حين قرر أنه « استنادا الى دمائه الامبراطورية والى المكانة التى يتمتع بها ، فان شخص الامبراطور يعد مقدسا ، وكرامته مصانة ، وسلطته لا تنازع » • وفضلا عما تقدم فان تعاون بعض القساوسة مع الفاشست أثناء الاحتلال الايطالى للحبشة قد أدى الى تحطيم هيبتهم ، وهو الأمر الذى سهل على الامبراطور اتخاذ اجراءات بحرمان الكنيسة من حقها فى جباية الضرائب ، وحرمانها من سلطاتها المدنية وبخاصة فى مجال التعليم منذ عام ١٩٤٢ •

وقد جاء دستور عام ١٩٥٥ ليكمل هذه العملية حين قرر صراحة أن الامبراطور وباعتباره رئيسا للدولة هو أيضا « المدافع عن العقيدة » وهو كذلك « رئيس الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية » [1] •

وهكذا تمكن هيلاسلاسى من القضاء على الأساس الأدبى والمادى لسلطات الكنيسة على نحو مكنه من تقليص سلطاتها وتحويلها الى مؤسسة غير سياسية خاصة عندما انتزع عملية التعليم من يد الكنيسة وحولها الى وزارة التعليم • والأمر الجدير بالملاحظة هنا أن احتكاك الارستقراطية الحبشية بالتقاليد الأوربية ـ أثناء فترة الاحتلال الايطالى للحبشة ـ قد أسهم هو الآخر فى تقويض سلطات الكنيسة ، ذلك أن هذه الارستقراطية قد تولدت لديها قناعة بأن التعليم الغربى أكثر فائدة لأبنائها من التعليم التقليدى الكنسى ، وراحت تبعا لذلك ترسل أبناءها للتعليم

(1) — Paulos Mukias, op. Cit., P. 86-87.

فى المدارس الأجنبية على نحو أدى الى ظهور نخبة ارستقراطية جديدة ترى فى السياسة عملا مدنيا لا كنسيا (١) .

وهكذا فقدت الكنيسة دورها السياسى على نحو ما يوضح ذلك انقلاب عام ١٩٦٠ ضد الامبراطور هيلاسلاسى ؛ ذلك أن فشل هذا الانقلاب لم يكن مرجعه معارضة الكنيسة له ، ولكنه كان يرجع الى فشل القائمين على الانقلاب فى الحصول على تأييد القوات الجوية والجيش لا أدل على ذلك من أن الكنيسة لم تقرر حرمان هؤلاء من عطفها الا بعد فشل الانقلاب (٢) .

٢ ــ وفى مواجهة الطبقة الارستقراطية ــ فان هيلاسلاسى قد عمد الى تقويض سلطاتها باتخاذ الاجراءات التالية ، وبخاصة عقب عودته من المنفى عام ١٩٤١ (٣) .

(أ) قام بتسريح جيوش الأقاليم ، واقالة قوادها ، وبدأ فى انشاء جيش حديث موحد تحت امرته المباشرة ، وقد عهد بمهمة تدريب هذا الجيش الى بريطانيا أولا ، ثم الى الولايات المتحدة الامريكنة منذ عام ١٩٥٣ عندما أقام معها حلفا دفاعيا مشتركا .

(ب) قام هيلاسلاسى بانشاء نظام مالى موحد للامبراطورية ، وبانشاء وزارة للمالية أخذت على عاتقها مهمة جمع الضرائب ، وبذلك حرم مدراء الأقاليم من حقوقهم السابقة فى جباية الضرائب ومن حقوقهم فى حجز جزء من هذه الضرائب لصالحهم ، وأصبحوا بالتالى يعتمدون على مرتباتهم الشهرية التى يتحصلون عليها من الحكومة المركزية .

---

(١) — Ibid., PP. 87-88.

(٢) لمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع انظر :

— Christopher Clapham, «The Ethiopian Coup d'Etat of December 1960», in **The Journal of Modern African Studies,** Vol. 6, No. 4, 1968, PP. 504-506.

(٣) — Marina Ottaway, «Social Classes and Croporate Interests in the Ethiopian Revolution», in **The Journal of Modern African Studies,** Vol. 14, No. 3, 1976, P. 471.

وانظر كذلك : — Edmond. J. Keller, op. Cit., PP. 320-321.

(جـ) قام هيلاسلاسى باعادة تنظيم الاقاليم تحت اشراف وزارة للداخلية ، أوكلت لها مهمة اعادة رسم حدود الأقاليم على النحو الذى يقلل من سلطات الطبقة الارستقراطية فى بعض المقاطعات التقليدية القديمة، وبذا أصبح كل المدراء موظفون لدى الدولة •

ثانيا : التحديث :

سعى هيلاسلاسى الى تحسين الكفاءة الانتاجية للقطاع الزراعى باعتباره النشاط الاقتصادى الرئيسى فى البلاد ، كما عمل على تشجيع الزراعة التجارية ، وانماء قاعدة صناعية ناشئة • الا أنه يلاحظ أن اهتمام هيلاسلاسى فى هذا المقام كان ينصب على زيادة حصيلة الدولة أكثر من الاهتمام بتحقيق التنمية وتحسين مستويات الانتاج ، فقد أصدر هيلاسلاسى العديد من قوانين الضرائب الزراعية فى الفترة من ٤٤/١٩٧٠ لم يحقق أيا منها نتيجة فعالة ، وفى الفترة من ١٩٦٠/١٩٧٤ دعى المستثمرون الأجانب للمشاركة فى الاستثمار فى القطاع الصناعى (1) •

غير أن سياسات هيلاسلاسى فى هذا المجال قد أنتهت الى نتائج سلبية ، ذلك أن عمليات الاستثمار فى القطاعين الزراعى والصناعى قد تركزت فى يد طبقة صغيرة الحجم من رجال الأعمال الاثيوبيين نهضت من بين صفوف الطبقة الارستقراطية والأسرة المالكة ، ولقد حقق هؤلاء أقصى استفادة من الثورة الزراعية التى دشنها هيلاسلاسى ، فى حين ازداد الفلاحون فقرا خاصة عندما طرد العديد منهم من الاراضى التى كانوا يفلحونها لافساح المجال أمام الزراعة التجارية ، واستخدام الميكنة فيها ، وصحيح أن تطور الصناعية التحويلية فى أثيوبيا منذ الخمسينيات قد أدى الى ظهور طبقة عاملة حضرية صغيرة سمح لها بحق التجمع النقابى منذ عام ١٩٦٢ لكن هذه الطبقة لم يسمح لها بممارسة حق الاضراب لمواجهة الضغوط المتزايدة عليها من انتشار البطالة بين صفوفها ، وتدنى مستويات أجورها ، واذا كان هيلاسلاسى قد تمكن من اقامة التعليم المدنى الحديث فى أثيوبيا ، واقامة جامعة هيلاسلاسى لتزويد الجهاز الادارى فى الدولة بحاجته من الاداريين المتخصصين ، الا أنه يلاحظ فى أواخر الستينات أن الجهاز الادارى قد بات عاجزا عن استيعاب كافة خريجى المدارس والجامعة من جهة ، هذا فضلا عن التمييز العرقى فى شغل المناصب العليا فى الجهاز الادارى للدولة من

(1) — Ibid., P. 321-325

جهة ثانية ، يضاف الى ذلك تدهور القيمة الحقيقية لرواتب الموظفين من جهة ثالثة نتيجة للتضخم • وهو الأمر الذى أدى الى اثارة موجة الاستياء والتذمر لدى أوساط المثقفين الاثيوبيين (١) • ثم ان اتجاه هيلاسلاسى الى اقامة جيش حديث كبير العدد تحت امرته المباشرة ــ لتقوية قبضته على السلطة فى مواجهة الكنيسة والطبقة الارستقراطية ، ولمواجهة الانتفاضات الداخلية ، وحركات التحرير الارتيرية بالذات ــ قد دفعه الى ادخال أبناء العمال والفلاحين كجنود فى جيشه ، كما دفعه الى قبول أبناء الطبقة البرجوازية الصغيرة فى الكليات العسكرية للتخرج كضباط وقد أدى ذلك الى أن أصبح الجيش الاثيوبى بوتقة للتناحر الطبقى والعرقى ، خاصة وأن المناصب القيادية العليا للجيش ظلت حكرا على كبار الضباط من أبناء الطبقة الارستقراطية الامهرية (٢) •

وهكذا نشأت ، فى غمار عملية التحديث ، قوى اجتماعية جديدة داخل النظام الاجتماعى القائم ، لم يسمح لها بالحصول على نصيب فى السلطة أو الثروة الاقتصادية للبلاد ، فباتت تشكل قوى معادية للنظام ، وسعت الى تقويضه •

المبحث الثانى
نشأة المسالة القومية

عقب عمليات الغزو الاستعمارية التى دشنها أباطرة الحبشة لاحتلال المناطق الواقعة جنوب الهضبة الحبشية فى النصف الاخير من القرن الماضى ، فان منليك (١٨٨٩ ــ ١٩٠٩) استطاع أن يؤمن الحدود الجديدة لامبراطوريته من خلال ابرامه للعديد من الاتفاقيات مع الدول

(١) — Idem.

وانظر أيضا : — Marina Ottaway, op. cit., PP. 472-476.

وانظر كذلك : — Michael Chege «The Revolution Betrayed : Ethiopia 1974-9», in The Journal of Modern African Studies, Vol. 17, No. 3, Sept. 1979, PP. 362-367.

(٢) — Michael Warr, op. cit., PP. 117-118.

الاســتعمارية الاوربية « لتحديد » الحــدود بين امبراطوريته ، وبين المستعمرات الاوروبية فى المنطقة (١) •

فقد وقع منليك معاهدة مع فرنســا فى ٢٠ مارس ١٨٩٧ لتحــديد الحدود بين بلاده وبين مستعمرة الصومال الفرنسى ، وقامت فرنســا بتخطيط الحدود فى المنطقة عقب ابرام هذه المعاهدة مباشرة ، كما وقع منليك معاهدة مع بريطانيا فى ١٤ مايو ١٨٩٧ لتحديد الحدود بين بلاده وبين مستعمرة الصــومال البريطانى ، لكن خط الحــدود المتفق عليه بين البلدين قد فصل بين القبائل الخاضعة للحماية البريطانية وبين مناطق رعيهم فى هود ، ولذا اعترفت المعاهدة بالطبيعة الرعوية لسكان منطقة الحدود ومنحتهم حق التنقل وراء العشب والمرعى عبر الحدود ، وقد تم تخطيط الحدود فى المنطقة من جانب لجنة انجلو / اثيوبية فى الفترة من ٣٢ ــ ١٩٣٥ ، وعقب هزيمة القوات الايطالية على يد القوات الحبشية فى عدوا عام ١٨٩٦ فان ايطاليا أذعنت ــ بموجب اتفاق يونيو ١٨٩٧ مع منليك ــ لما حدده منليك من خط حدود لامبراطوريته مع الصــومال الايطالى ، وجاءت المعاهدة الايطالية / الحبشــية فى ١٦ مايو ١٩٠٨ لتعدل الحدود فى المنطقة لصالح ايطاليا الى حد ما •

الا أنه يلاحظ ان كافة خطوط الحدود الســابقة قد تلاشت عقب الاحتلال الايطالى للحبشة خاصة وان ايطاليا قد رفضت الاعتراف بها ، وعقب طرد القوات الايطالية من الحبشة ، وبانتهاء الحرب العالمية الثانية فان هيلاســلاسى قام بابرام اتفاقيات جــديده مع الدول الاســتعمارية الاوروبية فى المنطقة مستهدفا تأكيد حدود امبراطوريته ، وتخطيطها (٢) فعقد اتفاقا مع فرنسا فى ٥ سبتمبر ١٩٤٥ لاعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، وتخطيط الحدود بين بلاده وبين الصومال الفرنسى ، وقد

---

(١) -- David Hamilton, «Some New Perspectives on the Agreement By Which Ethiopia's Boundries Are Determined.» Apaper Submitted to the **International Congress of Africanists,** 3 rd Session, Dec. 9-19, 1973 Addis Ababa, Ethiopia, PP. 2-7.

— E. Hertslet, **Map of Africa by Treaty,** (London : 1909), PP. 423-433 PP. 628-633, PP. 1108-1118, PP. 1223-1225.

(٢) — David Hamilton **OP. Cit.,** PP. 3-7.

تم هذا التخطيط فى عام ١٩٥٤ وفق معاهدة ١٨٩٧ لكن فرنسا تنازلت عن نحو ١٥٠٠ كم٢ من الصومال الفرنسى لصالح اثيوبيا فى منطقة خط الحدود الغربى بين بحيرة أبى وجبل موسى على . كذلك قامت كل من بريطانيا وايطاليا بابرام اتفاقيات مع أثيوبيا فى ٣١ يناير ١٩٤٢ ، ١٩ ديسمبر ١٩٤٤ على التوالى اعترفتا بحقوق أثيوبيا السيادية على أوجادين ، وان ظلت القوات البريطانية تشرف اداريا على أوجادين ، هود ، والمنطقة المحجوزة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية على أمل اقناع اثيوبيا بتعديل الحدود ليضم الصومال البريطانى مناطق جادا بورسى ، واشاك ، دولبا هاتتا هود حيث مناطق رعى القبائل الصومالية ، ولم يتحقق لبريطانيا ما أرادت لانها لم تكن قادرة على تقديم تعويض مناسب لاثيوبيا فى مقابل ذلك ، وبموجب الاتفاق الانجلو / اثيوبى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٥٤ انسحبت الادارة العسكرية البريطانية من أوجادين ، وان أكد الاتفاق حق ضابط الاتصال البريطانى فى الصومال البريطانى فى حماية القبائل « البريطانية » وتأمين حقهم فى العبور بحرية الى داخل الأراضى الاثيوبية حيث مناطق رعيهم فى هود . أما فيما يتعلق بالحدود مع الصومال الايطالى ، فان بريطانيا قد أحتلت هذا الاقليم عقب طرد القوات الايطالية منه ، وفى عام ١٩٤٩ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة وضع الاقليم تحت وصاية ايطاليا لمدة عشر سنوات يحصل بعدها على الاستقلال ، وقد قامت الادارة العسكرية البريطانية فى الاقليم قبل تسليمه لايطاليا بتحديد وتخطيط حدود الاقليم وأسمتها الخط الادارى المؤقت . وقد اندمج الاقليم مع الصومال البريطانى عام ١٩٦٠ ليشكلا جمهورية الصومال .

وهكذا تمكن هيلاسلاسى ، بالوسائل الدبلوماسية ، من اضافة المزيد من الاراضى الى حدود امبراطورية منليك ، فقد حصل على أجزاء من الصومال الفرنسى عام ١٩٥٤ ، وأعاد تأكيد سيطرة بلاده على منطقة أوجادين فى عام ١٩٥٤ ، ثم قام بضم اريتريا الى امبراطوريته فى عام ١٩٦٢ .

وهذا الضم الحديث لمعظم مناطق الامبراطورية ، فضلا عن كون السيطرة الاثيوبية على هذه المناطق غير فعالة ، وغير مستمرة ، ثم المعاملة الجائرة من جانب الامهرا وقهرها لبقية القوميات الاخرى قد حال دون تحقيق الاندماج الوطنى فى اثيوبيا من جانب ، كما أدى تفجر المشكلة

القومية داخل اثيوبيا من جانب آخر ، حيث راحت كافة الجماعات المضطهدة تطالب بالانفصال والاستقلال ، وترفع السلاح فى وجه الحكومة الاثيوبية لتحقيق مطالبها تحت قيادة العديد من حركات التحرير فى اريتريا ، وتجراى ، وأورومو ، والعفر ، الصومال الغربى [1] • وقد كان لنشاطات هذه الحركات دور هام فى انهاك النظام الامبراطورى ، وفى تقويض دعائمه •

الفصل الثانى

التغيير ، وممارسات الدرج

رأينا كيف تمكن هيلاسلاسى من تقويض الاساس المادى للقوى الاجتماعية التقليدية (الكنيسة ــ الطبقة الارستقراطية) رغبة منه فى تحقيق المركزية من جانب ، ورغبة أيضا فى تجنب منازعته السلطة من جانب آخر ، كذلك فأن اصلاحاته الداخلية ــ والتى استهدفت زيادة موارد الدولة ، ورفع كفاءة الجهاز الادارى ــ قد أسفرت عن تنامى قوى اجتماعية جديدة لم تعط الفرصة للحصول على نصيب وافر من الثروة والسلطة فى البلاد ، فباتت تشكل قوى معادية للنظام ، وفضلا عما تقدم فان المشكلة القومية قد تعمقت لعدم تبنى هيلاسلاسى لسياسة الاندماج الوطنى ترتكن الى المساواة بين القوميات ، وانما ظلت سيطرة الأمهرا قائمة ، كما ظل الاضطهاد القومى مستمرا •

على أنه يمكن القول بأن سقوط النظام الامبراطورى فى سبتمبر ١٩٧٤ ، لم يكن مرجعه بالاساس نشاط تلك القوى الاجتماعية الجديدة التى نهضت فى غمار عملية التحديث (فهى ضعيفة كما وكيفا) بقدر ما كان يرجع الى ضعف القوى التقليدية التى باتت عاجزة عن مساندة النظام الامبراطورى ، وبقدر ما كان يرجع أيضا الى الضربات التى راحت توجهها حركات التحرير للقوميات المقهورة ضد النظام الامبراطورى •

---

(١) من هذه الحركات : جبهة التحرير الاريترية ، القوات الشعبية ، الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا ، وجبهة تحرير أورومو ، والجبهة الشعبية لتحرير تجراى ، وجبهة تحرير الصومال الغربى ، وجبهة تحرير صومالى أبو ، وجبهة تحرير عفار ، وحركة التحرر الوطنى للعفر .

وهناك عاملين اضافيين أسهما فى الاسراع بتوقيت عملية التغيير ، وكانا بمثابة المفجر الأساسى لها وهما القحط وما استتبعه من مجاعات فى الريف الاثيوبى ، والتضـخم وما واكبه من انخفـاض متوسط الدخل الفردى الحقيقى فى المدن ، وبالتالى مستوى المعيشة .

المبحث الأول

مسار التغيير : فبراير - سبتمبر ١٩٧٤

أن المتتبع للاحـداث التى سـبقت وواكبت حركة فبراير ١٩٧٤ فى اثيوبيا ، وكذا المحلل لطبيعة القوى المشاركة فيها ، يستطيع أن يستنتج أن هذه الحركة كانت « انتفاضة نخبوية بورجوازية ، فئوية ، حضرية » ولعل دراسة موجزه لطبيعة هـذه القوى ومطالبها ، وطموحاتها تؤكد هـذا الاستنتاج .

١ - البورجوازية الصغيرة (١) :

وهى تنقسم الى شريحتين :

(أ) القديمة - وهى تضم اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة ، الذين يعتمدون على عملهم الشخصى مثل أصحاب المحلات التجارية الصـغيرة ، وأصحاب محلات البقالة ، والحرفيين .. .. الخ .

(ب) الجديدة - وقد نشأت هذه فى ثنايا العمل الادارى ، وتضـم المديرين ، وموظفى الخدمة المدنية . وقد اتخذت الشريحتان موقفا مشتركا فى مواجهة الطبقة الارستقراطية ، وايدتا مقترحات الاصلاح الزراعى التى تنطوى على ضرورة نزع الملكية الزراعية من الطبقة الارستقراطية ، وكان مرجع ذلك ابعاد البورجوازية الصغيرة عن المشاركة فى مشروعات الزراعة التجارية ، وقصرها على ابناء الطبقة الارستقراطية . وقد عزز التضـخم النابع من أوضاع دولية وداخلية من وحدة هذه الطبقة ، فهو قد أدى الى تآكل القيمة الحقيقية لمدخرات البورجوازية الصغيرة القديمة ، كما أدى الى انخفاض القيمة الحقيقيـة لرواتب وعـوائد البورجوازية الصـغيرة الجديدة ، وعلى أية حال فأن البعض يقدر أن عدد البورجوازية الصغيرة

(١) — Michael Chege, op. Cit., PP. 365-368.

فى أثيوبيا لم يتجاوز فى عام ١٩٧٠ عده مئات محدودة من الالوف فى مجتمع وصل تعداده آنذاك نحو ٢٥ مليون نسمة •

٢ ــ الطبقة العاملة (١) :

رأينا أن هذه الطبقة الناشئة قد منحت حق التجمع العمالى فى عام ١٩٦٢ ، وان لم تمنح حق الاضراب ، واستنادا الى ذلك تكون الاتحاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبية عام ١٩٦٣ الذى استطاع خلال السنوات السبع الاولى من قيامه ابرام ١٣ اتفاقية جماعية فى مختلف انحاء البلاد ، على أنه فى الشهور القليلة التى سبقت أحداث فبراير تدهورت الاوضاع المعيشية للعمال ، وأنتشرت البطالة فى صفوفهم نتيجة للتضخم الذى أدى الى انخفاض القيمة الحقيقية لاجورهم ، فقد أرتفعت أسعار سلع التجزئة (الغذاء ــ الملابس ــ الادوات المنزلية) فى أديس أبابا فى الفترة من ديسمبر ١٩٧٢ الى يوليو ١٩٧٣ بنسبة ٣٠٪ ، وفى الشهور الثلاث الاولى لعام ١٩٧٤ ارتفعت الاسعار بنسبة ٨٠٪ وهو الامر الذى أدى الى اثارة موجة الاستياء والتذمر لدى العمال • على أنه تجب ملاحظة أن عدد الطبقة العاملة الاثيوبية فى عام ١٩٧٤ كان صغيرا فهو لم يتجاوز ١٥٠ ألف عامل ، وكان من بينهم ٨٠ ألف عامل فقط أعضاء فى الاتحاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبية ، بل أن هذا العدد الاخير كان معظمه ينتمى الى من يطلق عليهم « أرستقراطية العمل » من أصحاب الياقات البيضاء والفنيين ، ذلك أن غالبية أعضاء الاتحاد الكونفدرالى كانوا من العاملين فى البنوك ، وشركات التأمين ، وشركات الطيران ، وهم بالتالى أقرب فى توجهاتهم الى البورجوازية الصغيرة •

٣ ــ المثقفون (٢) :

رأينا كيف أن سياسة التحديث التى تبناها هيلاسلاسى قد اقتضت

---

(١) -- Ibid., P. 366.
وانظر أيضا : -- Edmond J. Keller, Op. Cit. PP. 324-325.
وانظر كذلك : -- Marina Ottaway, op. Cit., PP. 473-474.
(٢) -- Ibid , PP. 474-476.
وانظر أيضا : -- Christopher Clapham, Op. Cit., PP. 118-119
وانظر كذلك : -- Michael Chege, op. Cit., P. 363.

ضرورة اقامة جهاز ادارى حديث ، وهو الامر الذى فرض ضرورة الاهتمام بتطوير التعليم وتوسيع قاعدته ، وقد أدى ذلك الى انماء شرائح اجتماعية جديدة متعلمة ومثقفة (طلبة ــ مدرسين ــ اداريين) ، وهكذا أصبح التعليم والعمل الحكومى يشكلان مصدرا للدخل والنفوذ لهؤلاء ، وهو مصـــدر مســـتقل عن ملكية الارض ، ورغم أنه يصعب تصنيف هؤلاء المثقفين باعتبارهم طبقة ، الا أن المرء لا يستطيع تجاهل أهميتهم كجماعة واعية بذاتها ، وكقوة سياسية محتملة ، وحيث أن جميع الاثيوبيين الذين تلقوا تعليما عاليا قد التحقوا بالخدمة الحكومية فان ذلك قد أدى الى قـــدر من الارتباط فى المصـــالح والتوجهات بين الطلبة والمدرســـين وبين البيروقراطيين .

وصحيح أنه لم يعرف الا القليل عن الخلفية الاقتصادية ــ الاجتماعية لطلبة جامعة هيلاسلاسى ، الا أنه بات واضحا منذ منتصف الستينات أن معظم هؤلاء الطلبة ينحـــدرون من أسر تقيم فى الحضر ، وأنهم من أبناء التجار ، والكتبة ، ورجال البوليس ، وصغار الموظفين ، وبعبارة أخرى فأنهم من أبناء البورجوازية الصغيرة ، ولذا فقد كان المنطقى أن يتخذوا موقفا معاديا للاقطاع الذى يعطل من نمو البورجوازية الصغيرة ، الا أنه تجدر الاشارة الى أن نحو ٨٠٪ من طلبة الجامعة كانوا ينتمون الى جماعة الامهرا / تجراى ، وبالتالى فان مظاهراتهم فى الستينيات ، وشعاراتهم التى كانت تنادى بأن « الارض لمن يفلحها » انما كانت تســـتهدف بالاســـاس توجيه ضربة الى الاقطاع ، واجتذاب الفلاحين فى الجنوب فى اطار تحالف سياسى ضد لوردات الارض ، أكثر مما كانت تســـتهدف تحقيق مصـــالح الفلاحين .

وبحكم أوضاعهم فان الطلبة ليسوا أعضاء فى نخبة ، ولكنهم يصبحون جزءا منها ، عقب التخرج ، فحتى أوائل الســـتينيات كان خريج الجامعة يضمن مركزا مرموقا فى الجهاز الادارى ، ويحصل على مرتب مغر ، فضلا عن رضى من جانب الامبراطور الذى كان يرغب فى وجود رجال أكفاء شريطة الا تكون لهم مطالب فى السلطة ، الا أنه مع نهاية عقد الستينيات فان الوضع بات مختلفا فخريج الجامعة لم يعد يأمل فى هذه الامتيازات ، ولا فى الحصول على عمل سريع نتيجة ازدحام الجهاز الادارى بالعاملين ، هذا فى حين أن خريجى المدارس الثانوية باتوا يواجهون مشكلة البطالة ، ونتيجة لذلك تغيرت اتجاهات الطلبة خلال الستينيات وأوائل السبعينيات

فأصبحوا أكثر وعيا من الناحية السياسية ، خاصة مع قمع مظاهراتهم واضراباتهم بالقوة ، والتى توجت بأغلاق الجامعة فى عام ١٩٦٩ وراح الطلبة ينظرون الى أنفسهم كوكلاء للتغيير ، لا كخدم أوفياء للامبراطور ، وأخذوا يصدرون المنشورات التى تبشر بالاشتراكية والاصلاح الزراعى ، الا أن هذه المنشورات ظلت نخبوية فى نهجتها فهى لم تتجه الى مخاطبة الجماهير الاثيوبية المسحوقة ، وبالتالى لم تؤدى الى خلق حركة سياسية عريضة فى البلاد وانحصرت فى نطاق الجامعة والى حد ما فى العاصمة أديس أبابا .

وقد اشترك المدرسون فى حركات الاحتجاج العلنى ضد سياسات النظام الامبراطورى باعتبارها غير تقدمية بالدرجة الكافية ، وان انصب نقدهم على الاصلاحات التعليمية التى اقترحها النظام ، والتى كانت تتجه الى تركيز الاهتمام على التعليم الفنى ، دون التعليم النظرى ، واعتبروا ذلك ابتعادا عن عملية التحديث .

وقد كان هذا الاحتجاج وتلك المعارضة العلنية لسياسات النظام الامبراطورى من جانب الطلبة والمدرسين والموظفين على درجة كبيرة من الاهمية ، اذ كانت تعنى تخلى هؤلاء عن تأييد الامبراطور وهم الذين كان يعدهم الامبراطور مصدرا هاما لسلطته وتدعيم مركزه .

٤ ـ الجيش (١) :

رأينا كيف أن هيلاسلاسى قد عمد الى تحديث الجيش عددا وعدة ، لكنه حرص على أن يكون الهيكل التنظيمى للجيش محققا لاهدافه الرامية الى تعزيز الوضع القائم ، وتقوية قبضته على الحكم ، فقد نظم الجيش على أسس طبقية ، ووطنية ، وقبلية حتى لا يكون مصدر تهديد للنظام بل ذهب الامبراطور الى أبعد من ذلك حين أقام علاقة مصاهرة بين كبار ضباط الجيش وبين الاسرة المالكة ، وهكذا أصبح الجيش بوتقة للصراع الطبقى ، فقيادته العليا كانت تتشكل من كبار الضباط المرتبطين بالاسرة المالكة بروابط المصاهرة ، وقيادته الوسطى كانت تتشكل من صغار الضباط من ابناء البورجوازية الصغيرة الذين تخرجوا من المدارس العسكرية التى أقامها هيلاسلاسى فى سعيه لتحديث الجيش ، وقاعدته باتت

(١) — Michael Warr, op. cit., PP. 117-118.

تتشكل من قطاع عريض من ضباط الصف والجنود من ابناء الفلاحين المضطهدين وبالاضافة الى هذا التناقض الطبقى داخل الجيش فقد كان هناك أيضا تناقض وطنى فأبناء جماعة الامهرا يشكلون القيادة العليا للجيش ، ومعظم القياده الوسطى له ، فى حين أن قاعدة الجيش كانت تتشكل من أبناء كافة الجماعات الوطنية المقهورة ، وقد كان هذا التناقض الطبقى والوطنى داخل الجيش هو العامل الاساسى فى انقسام الجيش على نفسه ، وسيادة روح التذمر والتمرد داخله خاصة مع تدهور الاحوال المعيشية لصغار الضباط نتيجة لتدهور القيمة الحقيقية لرواتبهم ، فضلا عن عدم افساح المجال أمامهم للترقى للمناصب العليا فى الجيش .

.. وهكذا فان سياسة هيلاسلاسى الرامية الى تحديث المجتمع الاثيوبى قد أدت الى نشوء قوى اجتماعية جديدة ، والى بروز العديد من المتناقضات داخل المجتمع ، فضلا عن العديد من المطالب التى عجز النظام عن احتوائها ، أو مواجهتها ، أو تلبيتها سلميا ، وراح يستخدم أسلوب الخداع والارهاب ، وهو الامر الذى أدى الى انفجار الوضع داخل اثيوبيا مع مطلع عام ١٩٧٤ .

وقد بدأت الاحداث فى فبراير ١٩٧٤ بتمرد اللواء الرابع الذى يضم ٦٠٪ من مدفعية الجيش نتيجة لسوء الاوضاع المعيشية لصغار الضباط والجنود ، حيث قام المتمردون باعتقال قائد القوات البرية ، الذى ذهب اليهم للاستماع الى مطالبهم وأنتشر التمرد فى صفوف القوات الجوية (١) . وفى فبراير ١٩٧٤ تظاهر سائقوا سيارات التاكسى نتيجة لارتفاع أسعار البنزين دون زيادة تعريفة الركوب ، وفى مارس ١٩٧٤ دعا الاتحاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبية الى اضراب عام ، وفى أبريل من نفس العام تظاهر نحو مائة الف من المسلمين فى الحضر داعين الى الحقوق الديمقراطية ، وانهاء التفرقة ضد المسلمين ، ومنح المسلمين الحق فى ملكية الارض شأنهم شأن غيرهم من الاثيوبيين ، وقد شارك الطلبة ، والمدرسون ، وعمال الصناعة فى هذه الاضرابات والمظاهرات (٢) وهكذا ففى الفترة

(١) — Ibid., PP. 118-119.

(٢) — Michael Chege, Op. cit., p. 367.

وانظر ايضا : — Marina Ottaway, op. cit., PP. 476-477.

ما بين أواخر فبراير ــ مايو ١٩٧٤ شهدت أديس أبابا اضرابات لم تشهدها من قبل ، ورغم ذلك فانه لم تكن هناك أى حركة سياسية منظمة وراء هذه الاضرابات ، وانما كان لكل جماعة مطالبها الخاصة التى هى بالاساس ذات طابع اقتصادى لا سياسى .

.. ووسط هذا الجو استقال رئيس الوزراء الاثيوبى أكليلو هابتى ــ وولد فى فبراير ١٩٧٤ ، وحل محله أحد النبلاء وهو أند لكاشيوماكونين الذى عجز عن مواجهة هذه الاوضاع المضطربة ، وكل ما فعله هو زيادة مرتبات الجيش ، وخفض أسعار البنزين ، وقد أدى ذلك الى انتهاء التمرد داخل الجيش مؤقتا فى حين استمرت مختلف الجماعات المدنية فى التظاهر والاضراب ، وهو الأمر الذى أسفر عن تزايد وعيها على نحو دفعها للمطالبة بتغييرات جذرية فى النظام القائم ، لكنها كانت عاجزة عن التقدم للامساك بزمام السلطة لافتقادها الى تنظيم وتوجه سياسى مشترك ، ونتيجة لذلك تقدم الجيش ليحتل مكان الصدارة فى الاحداث فقام فى يونيو ١٩٧٤ بتشكيل « لجنة التنسيق للقوات المسلحة ، والبوليس ، والقوات البرية ، التى أطلق عليها اختصار اسم « الدرج »(*) ، وقامت اللجنة بتدشين حملة اعتقالات واسعة للمسئولين السابقين ، ومن هم فى السلطة بما فى ذلك أعضاء مجلس التاج الامبراطورى وكبار رجال الجيش والحكومة ، ثم قامت باجبار ماكونين على الاستقالة واعتقاله بعد ذلك ، حيث حل محله ميشيل امرو فى نهاية يوليو ١٩٧٤ ، ووضعت الامبراطور نفسه تحت التحفظ ، وان ظلت تعبر عن ولائها له حتى تم خلعه فى ١٢ سبتمبر ١٩٧٤ ، واعلان تولى الجيش السلطة فى البلاد (١) .

.. لعل التحليل السابق يؤكد ما ذكرناه فى البداية من أن ما حدث كان انتفاضة نخبوية بورجوازية فئوية حضرية ، فمعظم المشاركين فى هذه الاحداث كانوا ينتمون الى عناصر البورجوازية الصغيرة ، خاصة وأن عمال الصناعة كان عددهم محدودا ثم أنهم كانوا يفتقرون الى التنظيم ، كذلك لم يشارك الفلاحون فى هذه الاحداث رغم كونهم أكثر الطبقات الاجتماعية فى اثيوبيا تعرضا للاستغلال والاضطهاد ، اذ رغم حالة القحط

(*) كلمة درج Derg كلمة امهرية تعنى « لجنة »

(١) — Ibid., PP. 477-479.

التى راح ضحيتها نحو ما بين ١٠٠ ـــ ٢٠٠ الف فلاح أثيوبى فان هؤلاء لم يقوموا بالهجوم على مخازن غلال لوردات الارض ، فمات منهم من مات ، واتجه البعض الآخر الى الشحاذة فى المدن(١) ثم ان هذه الانتفاضة كانت فئوية فقد انصبت مطالب الجماعات المشاركة فيها على مطالب تخص كل جماعة ، دون أن يكون هناك تجميع لهذه المطالب ، أو أساس مشترك يربط بينها الا كونها مطالب اقتصادية ، وهى بذلك تفتقر الى المضمون السياسى ، خاصة مع عدم وجود تنظيم سياسى ، وتوجه سياسى مشترك •

وأيضا فان هذه الانتفاضة قد تركزت فى الحضر ، وعلى وجه التحديد فى العاصمة أديس أبابا ، وهى بالتالى لم تكن حركة شعبية عريضة تغطى مطالب كافة الجماعات ، وتمتد الى كافة أرجاء البلاد لذلك لم يكن غريبا أن يتقدم الجيش ويستولى على السلطة « بأنقلاب عسكرى » ، صحيح أن قادة الانقلاب قد أتجهوا الى تبنى سياسة راديكالية بدأت بالقضاء الشامل على الاساس المادى للطبقات الاجتماعية التقليدية ، لكنهم راحوا بعد ذلك يوجهون ضرباتهم الى القوى الاجتماعية الجديدة الناشئة ، والى حركات التحرير التى تقود نضال الجماعات الوطنية المقهورة فى أثيوبيا •

المبحث الثانى

سياسات الدرج تجاه الواقع الاقتصادى / الاجتماعى

رأينا كيف تمكنت الدرج من الاستيلاء على السلطة فى أثيوبيا عقب خلع الامبراطور ، ثم قامت بتشكيل المجلس العسكرى الادارى المؤقت ــ برئاسة الجنرال أمان عندوم ليحكم البلاد غير أنه منذ تشكيل الدرج فى يونيو ١٩٧٤ وحتى مقتل أمـــان عندوم فى نوفمبر من نفس العـــام فان سياسات الدرج وتوجهاتها ظلت غير واضحة ، وان كان يمكن القول بانها كانت تستند الى منظور بورجوازى وطنى عبر عن نفسه فى الشعار الذى طرحته الدرج وهو « اثيوبيا أولا » ففى يونيو ١٩٧٤ أصـــدرت الدرج اعلانا من ثلاث عشرة نقطة يؤكد على أن : « الدرج التى ترفع شعار أثيوبيا أولا « تكرر ولاءها لجلالة الامبراطور القائد الاعلى للقوات المسلحة » ، وما أن استولت الدرج على السلطة عقب خلع الامبراطور فى ١٢ سبتمبر ١٩٧٤ ، فان الكولونيل منجستوهيلى ماريام قام بتحديد معنى

(١) — Michael chege, op. cit., PP. 364-365.

هذا الشعار المرفوع حين صرح بأنه يعنى القضاء على الانانية ، والتركيز على العمل الجاد ، والوحدة ، والبطولة ، وحب البلاد ، وفى سبتمبر ١٩٧٤ أعادت الدرج مرة أخرى تأكيدها على السياسة المعادية لكل من الرأسمالية والاشتراكية ، وهو موقف لا يختلف عن موقف أى نظام حكم بورجوازى فى أفريقيا ويتماثل الى حد كبير مع مواقف كل من جوموكينياتا ، وموبوتو ، وسنجور (١) .

وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤ — وهو نفس اليوم الذى تولى فيه الجنرال تفرى باتنى مقاليد السلطة فى اثيوبيا — صدرت عن المجلس العسكرى الادارى المؤقت أول وثيقة تحدد بوضوح توجهات النظام الحاكم فى أثيوبيا .

وتضع الخطوط العامة لمفهوم « أثيوبيا أولا » (٢) ، اذ تبدأ الوثيقة بالحديث عن أسباب حركة الجيش فى أثيوبيا والتى تتمثل فى أن القادة كانوا يحتقرون المواطنين وأن هؤلاء قد روجوا لعبادة الفرد ، وركزوا السلطة فى أيديهم ، وأنتشر الفساد الادارى فى عهدهم ، كما أن رجال الدين قد تخلوا عن دورهم وأصبحوا تابعين للسياسيين على نحو جعل النظام عاجزا عن تلبية مطالب الشعب ، ثم تذهب الوثيقة الى تحديد التحدى الاساسى الذى يواجه النظام الجديد بأشارتها الى أنه يتمثل فى صيانة الوحدة الوطنية عن طريق اقامة مجتمع تعددى تحترم فيه لغات كافة الجماعات وثقافاتها ، كما تحترم حقوق الانسان فى اطاره ، وأيضا عن طريق السعى لاقامة اتحاد كونفورالى لشرق افريقيا يضم كلا من أثيوبيا والصومال ، والسودان ، وكينيا ، ثم تحدد الوثيقة الفلسفة السياسية لنظام الحكم الجديد فى أنها تقوم على الاشتراكية الاثيوبية ، « أثيوبيا أولا » والتى ترتكن الى مبادىء : المساواه والعدالة والحرية لكل الاثيوبيين ، واعلاء مصلحة الجماعة على مصالح الافراد ، واقامة الادارة

---

(١) — Ibid., P. 369.

وانظر ايضا : — Michael Warr, op. cit., P. 120.

(٢) انظر نص ترجمة الوثيقة فى :

الجمعية الافريقية « الاعلان السياسي للحكومة العسكرية المؤقتة — اثيوبيا تقديم — ووثائق اخرى » — نشرة خاصة (القاهرة : الجمعية الافريقية) السنة الثالثة — العدد الخامس — فبراير ١٩٧٥ — ص ص ١ — ١٠ .

الذاتية ، واحترام العمل البشرى وتقديره ، وتنطلق الوثيقة بعد ذلك لتحدد السياسات الواجب اتباعها من ضرورة حكم الشعب لنفسه ، وضرورة اقامة حزب سياسى اشتراكى وطنى شعبى يضم كل القوى التقدمية فى جبهه متحدة ، وضرورة القضاء على الاستقلال من خلال ملكية الدولة أو الملكية العامة لوسائل الانتاج والموارد الطبيعية ، وتغيير نظام ملكية الارض ، وضرورة التحرر من الفقر والجهل والمرض •

ولعل هذه الوثيقة تبرز بوضوح التوجه البورجوازى الوطنى لنظام الحكم الجديد ، وهو توجه لا يختلف بحال عن توجهات معظم الانظمة الافريقية الحاكمة واذا كان المجلس العسكرى الادارى المؤقت قد اتخذ فى فبراير ١٩٧٥ أول اجراء اشتراكى عندما أصدر اعلانا حول « السياسة الاقتصادية لاثيوبيا الاشتراكية » ، قرر بموجبه تأميم البنوك والمؤسسات المالية ، وأعلن ملكية الدولة للصناعات الأساسية ومصادر الثروة الطبيعية، اذا كان ذلك كذلك فان هذا الاجراء لا يختلف عما فعلته العديد من أنظمة الحكم الافريقية حين اتخذ معظمها قرارات بملكية الدولة لبعض المشروعات، وبمشاركة الدولة جزئيا فى ملكية وادارة معظم المشروعات الأخرى (١) •

وهكذا فحتى آواخر فبراير ١٩٧٥ فان نظام الحكم الجديد لم يتخذ اجراء من شأنه احداث تغييرات جذرية فى الهيكل الاقتصادى / الاجتماعى الاثيوبى ، وظل يؤكد على احترام الملكية الخاصة ، وعلى احترام اقطاعيات الكنيسة •

المطلب الأول

تقويض الأساس المادى للقوى التقليدية

أصدرت الدرج فى ٤ مارس ١٩٧٥ أعلان تأميم الاراضى الريفية (٢) ، وبموجب هذا الاعلان ألغيت الملكية الخاصة للأراضى الزراعية دون

---

(١) — Michael Chege, op. cit., P. 340.

وانظر كذلك — Edmond J. Keller op. cit., P. 329.

(٢) لمزيد من التفصيلات حول هذا الاعلان انظر :

— Paul Brietzke, «Land Reform in Revolutionary Ethiopia», in **The Journal of Modern African Studies,** Vol. 14, No. 4, 1976, PP. 645-652

تعويض ، وحظر التصرف فى الارض بأى شكل من الاشكال ، كما حظر استخدام العمل الاجير فى الزراعة ، وأكد الاعلان على أن الارض ستصبح ملكية جماعية للشعب الأثيوبى ، وانها ستوضع تحت تصرف الفلاحين لادارتها من خلال روابط تنشأ لهذا الغرض ، وقد سمح الاعلان للاسر بملكية خاصة لا تتجاوز ٢٥ أكر ، وأعطى للبدو وللفلاحين الذين يعيشون فى قرى ، أو فى مناطق قبلية حقوق ملكية على الاراضى التى يستخدمونها للرعى أو للزراعة المعيشية .

على أنه يلاحظ أن اجراء « التأميم » السابق قد خدم مصالح الاسر المالكة للأرض وفق نظام rist فى الشمال حيث أكد ملكيتهم للأرض ، ورغم أن الاجراء قد أعاد حقوق حيازة الارض للفلاحين فى المناطق المقهورة فى الجنوب ، الا أن تزايد الضغوط على الأراضى الزراعية فى الشمال قد دفع بالدرج الى توطين العديد من الفلاحين الشماليين فى الأراضى الزراعية بالجنوب خدمة لفلاحى الامهرا من جانب ، وترتيبا للاوضاع الامنية فى الجنوب من جانب أخر (١) .

وفضلا عما تقدم فان العديد من المشكلات قد ظهرت فى مجال التطبيق من بينها عدم وجود كوادر ادارية وفنية مؤهلة لتولى مسئولية تنفيذ الاعلان ، ثم ان روابط الفلاحين التى أنشئت للاشراف على ادارة الاراضى الزراعية لم يكن لديها قواعد ثابتة تنظم عملها ، وأيضا فان عدم وجود خرائط مساحية للأراضى الزراعية قد أدى الى حدوث فوضى فى التطبيق ، ورغم قيام الدرج بالاستعانة بالطلبة وارسالهم الى الاراضى الزراعية لتوعية الفلاحين والمساعدة فى تنفيذ سياسة الدرج وذلك فى اطار الحملة المعروفة باسم Zemacha (٢) ، رغم ذلك فان هذه الحملة قد فشلت فشلا ذريعا نتيجة لعدم فهم الطلبة لقيم وتقاليد ولهجات الفلاحين ، ونتيجة لتبنى بعض الطلبة لأفكار معارضة لسياسات الدرج راحوا يروجونها بين الفلاحين ، ونتيجة أيضا لعدم استجابة الدرج لنداءات الطلبة بمساندتهم عسكريا لمواجهة المقاومة المنظمة من جانب الاقطاعيين لسياسة الدرج المتعلقة

(١) -- Michael Chege, op. cit., P. 340.

(٢) كلمة Zemacha كلمة امهرية تعنى « التقدم من خلال التعاون ، والمعرفة ، والعمل » .

بالاصلاح الزراعى (١) ، فقد شكل هؤلاء الاتحاد الديمقراطى الاثيوبى كتنظيم معارض للدرج ودخلوا فى مواجهات وصدامات عسكرية مع الفلاحين ومع قوات الجيش وبخاصة فى مقاطعة بجميميدير موطن الاقطاع واستطاعوا أن يحققوا بعض الانتصارات الجزئية المؤقتة ، الا أن قوات الحكومة قد تمكنت بعد فترة من تقويض نشاطات الاتحاد على نحو دفع بعض قياداته الى اللجوء الى المنفى ، وتنظيم حركة مقاومة سرية للدرج (٢)٠

وخلال نفس الفترة عزل الابن الاكبر للامبراطور هيلاسلاسى — الامير أصفاوصن من منصبه كولى للعهد ، وتم الغاء كافة الالقاب الملكية (٣) ٠

وفى أغسطس ١٩٧٥ صدر اعلان تأميم كل الاراضى فى الحضر دون تعويض ، ومصادرة كافة المنازل الاضافية ، وان سمح للافراد بملكية منزل أسرى واحد (٤) ، وقد أكمل هذا الاعلان عملية تقويض القاعدة المادية للقوى التقليدية القديمة (نبلاء / اقطاع / رجال كنيسة / كبار رجال الجيش) على نحو غير علاقات الانتاج ، والتركيب الطبقى للمجتمع الاثيوبى ، وفتح الباب امام اتخاذ اجراءات أخرى ٠

من هنا فان صدور برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية فى ابريل ١٩٧٦ (٥) قد جاء تتويجا للاجراءات التى اتخذتها الدرج فى المرحلة السابقة ، ومنعطفا لمرحلة جديدة وتوجه جديد فى سياسات الدرج وممارستها ، ولعل عرضا مختصرا للبرنامج قد يفيد فى توضيح الاتجاه الجديد للدرج ٠

يبدأ البرنامج بتحديد طبيعة الصراع داخل المجتمع الاثيوبى فى أنه يتمثل فى وجود تناقض طبقى « رئيسى » بين الفلاحين وبين الاقطاع ، بين العمال وبين البورجوازية بين الجماهير الاثيوبية وبين الامبريالية ، كما

(١) — Edmond J. Keller, op. cit., PP. 329-330.

(٢) ، (٣) — Michael Warr, op. cit., PP. 121-122.

(٤) — Ibid., P. 122.

(٥) — PMAC, «Programme of the National Democratic Revolution of Ethiopia», (Addis Ababa : Aristic Printers LTD, 1976), PP. 3-27.

أنه يتمثل في وجود تناقض « ثانوى » بين القوميات ، وبين الاديان ، وبين الرجال والنساء •

ويذهب البرنامج الى أن حل هذه التناقضات لن يكون الا من خلال البدء بثورة وطنية ديمقراطية تفتح الطريق امام الثورة الاشتراكية ، وذلك بهدف تحرير أثيوبيا من الاقطاع و لامبريالية ووضع الأساس للتحول الاشتراكى ، من خلال التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة على نحو يمكن من اقامة جمهورية ديمقراطية تسودها الحرية والمساواه والوحدة والرفاهية والحكم الذاتى على كافة المستويات ، ثم بناء اثيوبيا الاشتراكية الجديدة ، وينتقل البرنامج بعد ذلك للحديث عن تأميم الارض ، وتدعيم الصناعات والبنوك وشركات التأمين ، وتشجيع رجال الاعمال المحليين تحت اشراف الحكومة ، ويؤكد البرنامج على ضرورة تحقيق الرفاهية للشعب الاثيوبى من خلال برامج محو الامية ، ورفع المستوى الصحى ، وتحسين ظروف العمل ، والتأمين الاجتماعى •

اذا كانت هذه هى الاجراءات والتوجهات التى اتخذتها وتبنتها الدرج خلال هذه المرحلة ، فما هو موقف القوى الاجتماعية الجديدة الناهضة وتنظيماتها من هذه الاجراءات والتوجهات وماذا كان رد فعل الدرج تجاه هذا الموقف ؟؟ هذا ما سنجيب عليه حالا •

المطلب الثانى

علاقات الدرج بالقوى الاجتماعية الجديدة

رأينا كيف تمكنت الدرج من احداث تغيير راديكالى فى البنية الاقتصادية / لاجتماعية للمجتمع الاثيوبى حين حطمت الاساس المادى لدعائم النظام القديم لكن الدرج وقفت عاجزة امام مشكلة بناء نظام سياسى جديد يتلاءم مع معطيات الواقع الجديد ، فروابط الفلاحين الجديدة ظلت ضعيفة ، ولم يتخذ أى قرار بشأن ما اذا كانت هذه الروابط ستتحول الى ادارات لمزارع جماعية ، أم أنه سيسمح بالزراعة الفردية ، ثم ان معظم المنازل المؤممة فى الحضر قد استولى عليها العاطلون ، وظلت الدرج منعزلة عن المجتمع على نحو ما كان عليه الحال فى عهد الامبراطور ، صحيح أن محتوى القرارات فضلا عن التوجهات السياسية العامة للدرج قد تغيرت جذريا ، ولكن علاقات الدرج بالمجتمع لم تتغير كثيرا ، اذ ظل الحكم

مركزيا وسلطويا ويستجيب فقط لضغوط مجموعة صغيرة من العسكريين المنتمين للبورجوازية الصغيرة ، ورغم أنه يصعب وصف سلطة الدرج بأنها كانت سلطة مطلقة الا أن ذلك لا يرجع بحال الى سماح الدرج بتمثيل كافة مجموعات المصالح فى السلطة ، ولكنه كان يرجع الى عجز الدرج عن تنفيذ قراراتها فى أطراف البلاد (1) .

ان مشكلة خلق نظام سياسى يواكب المجتمع الاشتراكى الجديد قد وجدت تعبيراتها فى العلاقات المتأزمة والصرعية بين الدرج من جانب وبين القلة القليلة من المجموعات المدنية المنظمة فى الحضر من جانب آخر ، وبخاصة الاتحاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبية ، وطلبة الجامعة ، ورابطة المدرسين الاثيوبيين ، غير أن ما تجب الاشارة اليه فى هذا المقام هو أن هذا الصراع كان صراعا بين مختلف شرائح البورجوازية الصغيرة بالاساس فى سعى كل منها للوصول الى السلطة .

فقد وقف الاتحـاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبيـة موقف المعارض من الدرج عقب خلع الامبراطور مباشرة ، حيث طالب بالتعجيل بتشكيل حكومة مدنية تضـم فى صـفوفها ممثلين عن بعض التنظيمات الحضرية (نقابات العمال الاثيوبية ــ القوات المسلحة ــ رابطة المدرسين الأثيوبيين ــ اتحاد هيئة التدريس بالجامعة ــ اتحاد الطلبة الأثيوبيين ــ رابطة موظفى الخدمة المدنية ــ رابطة رجال الاعمال الاثيوبيين ــ رابطة المرأة الاثيوبية) وجاءت استجابة الدرج لهذا المطلب فورية وتمثلت فى القاء القبض على زعماء الاتحاد ، لكن الاتحاد عاد فى يونيو ١٩٧٥ فأصدر بيانا يطالب بحق العمال فى التنظيم ، والمساومة الجماعية فى المشروعات المؤممة على أن البيان لم يطالب بمشاركة العمال فى الادارة ، وهو ما يعبر عن عدم قناعة الاتحاد بالمفهوم الاشتراكى للتجمع النقابى ، ونتيجة لعدم استجابة الدرج لهذا المطلب أيضـا قام الاتحاد بتدشـين عدة مظاهرات واضرابات عن العمل فى سبتمبر ١٩٧٥ ، كما أصدر ــ ولاول مرة منذ انشائه ــ وثيقة سياسية تحدد استراتيجية الطبقة العاملة فى الوصول الى الهدف النهائى وهو « الاشتراكية العلمية » وأكدت الوثيقة أن هـذا الهدف لن يمكن تحقيقه الا بمنح الحقوق الديمقراطية أولا على نحو يرفع وعى الجمـاهير ، ويدفعها لمشـاركة عريضـة كيما يتسـنى دفع الثورة

(1) — Marina Ottaway, op. cit., P. 481.

الديمقراطية الى طريق الثورة الاشتراكية ، وقد انتهى الاتحاد فى وثيقته الى اعلان تحد علنى للدرج حين أكد على أنه اذا لم يسمح بتوزيع هذه الوثيقة بحرية ، واذا ما اتخذت اجراءات ضد النقابات فان الاتحاد سيدعو الى اضراب عام مفتوح حتى تتحقق كافة مطالبه (١) .

وعلى أية حال فان الاتحاد لم يكن يملك التنظيم الضرورى لتنفيذ تهديده ، فقد حظرت الدرج توزيع الوثيقة ودخل الجيش فى صدام مسلح مع العمال المتظاهرين فى مطار أديس أبابا ، ولم ينفذ الاضراب العام ، وخرج الاتحاد من المواجهة ضعيفا وان لم يكن محطما ، حيث اغتيل بعض قياداته ، واعتقل البعض الآخر ، ثم قامت الدرج بانشاء بديل للاتحاد الكونفدرالى وهو اتحاد كل عمال اثيوبيا A.E.T.U.

لكن بعضا من قيادات الاتحاد الجديد المعينون من قبل الدرج قد أغتيلوا على يد العمال المعارضين لسياسات الدرج ، وهو الامر الذى أدى الى تداعى الاحداث واتساع دائرة العنف وبخاصة عندما اندلعت المظاهرات فى أول مايو ١٩٧٧ والتى واجهها الجيش باطلاق الرصاص على المتظاهرين فى مذبحة قدر عدد ضحاياها بما بين ٦٠٠ ــ ١٠٠ عامل وطالب (٢) .

كذلك فان علاقات طلبة الجامعة بالدرج قد شهدت نفس التطور ، فقد أغلقت جامعة أديس أبابا لمدة عامين (٧٥ ــ ١٩٧٧) ، وأمر الطلبة بالمشاركة فى حملة Zemacha لتوعية الفلاحين بأهداف الاصلاح الزراعى ، لكن الاحداث التى سبقت وواكبت الحملة أدت الى تردى العلاقات بين الطلبة وبين الدرج حيث اتهم الطلبة الدرج بخيانة الثورة ، ووقفوا موقفا معاديا منها ومن سياساتها ووصل الامر الى ذروته فى مظاهرات أول مايو ١٩٧٧ ، وما أسفرت عنه من مذبحة للعمال والطلبة المتظاهرين (٣) ثم أن علاقات رابطة المدرسين الاثيوبيين بالدرج قد أخذت نفس المسار ، اذ راحت الرابطة تطالب برفع مرتبات أعضائها ، وتنادى بأن يكون لها دورا أساسيا فى أى قرار يتعلق باصلاح النظام التعليمى ، بل انها رفضت سياسة الدرج

---

(١) — Ibid., PP. 481-482.
وانظر ايضا : — Michael Warr, op. cit., P. 123.
(٢) — Michael Chege, op. cit., PP. 370-3 71.
(٣) — Marina Ottaway, op. cit., PP. 482-483.

فى توجيه الاهتمام نحو التعليم الفنى عن قناعة بالمفهوم النخبوى للتعليم ، وقد وجهت لها الدرج نفس الضربات التى وجهتها للعمال والطلبة (١) .

ولعلة يتضح مما تقدم أن مطالب التنظيمات السابقة لا ترتبط من قريب أو من بعيد بالتوجه الاشتراكى ، فقد انصب معظمها على الحقوق المدنية ، والديمقراطية السياسية ، وهى كلها مطالب تعزز من مصالح البورجوازية الصغيرة فى الحضر ، وبالتالى فانه لم يكن بمقدور هذه التنظيملت ايجاد الاتساق السياسى اللازم لدفع وتبنى سياسة اشتراكية ، وقد أدى ضعف هذه التنظيمات ، وعدم ارتكانها الى قاعدة شعبية الى تمكين الدرج من القضاء عليها وتصفيتها .

وازاء هذا الوضع تحركت بعض قوى اليسار من المثقفين لتقود قوى المعارضة ضد ممارسات الدرج ، فأنشأوا تنظيمات سياسية سرية لمواجهة الدرج ، انتهت هى الاخرى الى فتح الطريق امام مزيد من الاضطهاد العسكرى لهم بصورة أكبر مما تعرض له العمال والطلبة ... الخ .

ففى أواخر عام ١٩٧٥ ، وبعد أن بات واضحا أن الدرج ليست مستعدة لتسليم السلطة الى المدنيين فان المثقفين الاثيوبيين انقسموا الى معسكرين (٢) .

الأول : الحزب الثورى للشعب الأثيوبى E.P.R.P. — ويزعم هذا الحزب أن نشأته تعود الى عام ١٩٧٢ ، وتتكون قيادات هذه الحزب من بعض الكوادر التى تلقت تعليمها فى الولايات المتحدة الامريكية ، والتى تتبنى المنظور الماوى للماركسية ، هذا فى حين أن قاعدة الحزب تضم فى

---

(١) — Idem.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن اسباب هذا الانقسام وتطوره انظر كلا من :

— Michael Warr, op. cit., PP. 122-126.

— Michael Chege, op. cit., PP. 371-372.

— Edmond J. Keller, op. cit., P. 331.

— Marina Ottaway, «Democracy and New Democracy : The Ideolgical Debate in the Ethiopian Revolution», in **The African Studies Review,** (Massachusetts : A.S. A), Vol. xxI, No. I, April 1978, PP. 20-22.

صفوفها بالاساس بعض مثقفى الحضر والعمال من ذوى الياقات البيضاء ، ولذا كان من الطبيعى أن يكون لهـذا الحزب علاقة وثيقـة بالاتحـاد الكونفدرالى لنقابات العمال الاثيوبية ، وبطلبة جامعة أديس أبابا ، وقد أصدر الحزب منذ أوائل عام ١٩٧٤ نشرة سرية تحمل أسم « ديمقراسيا » تعبر عن مواقفة المعارضة للدرج ، وتوزع هذه النشرة فى دوائر حركة الطلبة فى أثيوبيا وأمريكا الشمالية .

الثانى : الحركة الاشتراكية لكل الاثيوبيين Meison — وترجع نشأة هذا الحزب الى عام ١٩٧٥ وتتكون قيادات هـذا الحزب من بين كوادر الحركة الطلابية الاثيوبية فى أوربا وبالذات من « ابناء وبنـات الاسر الارستقراطية السـابقة الذين قضـوا سنوات فى المنفى ، والذين أصيبوا بالاغتراب نتيجة لتفسخ النظام الاقطاعى ، ويتبنى هؤلاء المنظور الستالينى للماركسية ، ولذا كان من الطبيعى أن تكون لهم صلة وثيقة بالاتحاد السوفيتى ، وقد عادت هذه الكوادر من المنفى الى اثيوبيا عقب نداء الدرج بضرورة عودة كافة المثقفين الاثيوبيين الى بلادهم ، وكان على رأسهم هيلى فيدا الذى ترأس التنظيم الجديد ، ورغم معارضـة هؤلاء لسياسات الدرج ، ورفضهم للدكتاتورية العسـكرية التى حسب زعمهم قضت على كل الحقوق الديمقراطية ، وقمعت الطبقة العاملة ، الا أنهم قد رأوا فى التحالف مع الدرج فرصـة مناسـبة لهم للعودة الى بلادهم والى الحياة السياسية من جانب ، كما زعموا أن مثل هذا التحالف من شأنه أن يمكنهم من احتواء الدرج فى النهاية من جانب آخر ، وقد أصدر هـذا الحزب فى عام ١٩٧٥ صحيفة علنية تحمل اسـم « صـوت الجماهير » بموافقة الدرج ، راحت تروج لسياسات الدرج وممارساتها ثم سـعت بعد ذلك للترويج لمفاهيم الحزب فى محاولة استقلالية من جانبها .

•• ومنذ عام ١٩٧٩ بدأ الخلاف الفكرى يدب بين التنظيمين ووصل ذروته فى صـدامات مسلحة بينهما ، وقد سعت الدرج من جـانبها الى تعميق الخلافات بين الحزبين رغبة فى تقويض الحزب الثورى المعارض ، هذا فى حين أن تحالف الحركة الاشتراكية مع الدرج قد عزز من موقعها ومن نفوذها فقد خولت لها الدرج مسئولية اقامة تنظيم سـياسى موال للحكم العسكرى ، واقامة اتحاد عمالى كونفدرالى جديد ، وبالفعل تم تشكيل المكتب السياسى لشئون التنظيمات الجماهيرية فى عـام ١٩٧٩

ليكون نواه لتشكيل الحزب الجديد . وقد تولى هيلى فيدا رئاسته ، كما أن الحركة الاشتراكية ــ ونتيجة لتحالفها مع الدرج ــ قد تولت مسئولية التدريب السياسى من خلال ٦٦ مدرسة ايديولوجية Yekatit على نحو عزز من موقفها فى مواجهة الحزب الثورى ، بل وفى مواجهة الدرج ذاته .

وخلال عام ١٩٧٦ بدأت أبعاد الخلافات بين الحزبين فى الظهور على السطح ، ويمكن اجمالها فيما يلى [1] :

أولا : أن محور الخلاف بين الحزبين لا ينصب حول ما اذا كان تطبيق الاشتراكية فى أثيوبيا أمرا ممكنا ومرغوبا فيه ، ولكنه ينصب على كيفية تطبيقها ــ فالحزب الثورى يرى فى حكم الدرج دكتاتورية عسكرية فاشستية ، ليس بمقدورها قيادة مرحلة التحول نحو الاشتراكية ، وهو يرفض فكرة تحقيق الاشتراكية من القمة ، عن قناعة بأن الدرج قد تمكنت من اسقاط الثورة الشعبية الحقيقية ، وصحيح أن الحزب الثورى قد رأى فى الاصلاحات الاقتصادية التى اتخذتها الدرج خطوة على الطريق السليم ، الا أنه يرى أن هذه الاصلاحات كان يمكن أن تكون أكثر ثورية لو كان الشعب هو الذى قررها وتحمل مسئولية تنفيذها .

من هنا فان الحزب الثورى يرى ضرورة عقد جمعية وطنية تتولى وضع مشروع للدستور ، وتشكيل « حكومة مدنية شعبية مؤقتة » تتولى قيادة البلاد فى مرحلة التحول نحو الاشتراكية على أن تشكل هذه الحكومة من ممثلين عن العمال والفلاحين والطلبة ، وكافة العناصر التقدمية من المثقفين ، والتجار والجنود ، وفى المقابل فان الحركة الاشتراكية ترى أن الدرج قد أظهرت قدرا من التقدمية فى سياساتها وممارستها .

وبالتالى فان التحالف معها يعتبر أمرا ضروريا لمواجهة مصاعب التحول من الاقطاع الى الاشتراكية ، خاصة وأن الاشتراكية ــ وفى أطار ظروف المجتمع الاثيوبى ــ لا يمكن أن تكون نتاجا لحركة جماهيرية وانما نتاجا لثورة من القمة ، ومن هنا تذهب الحركة الى ضرورة تشكيل « حكومة ثورية مؤقتة » تمثل الثوار الحقيقيين من البروليتاريا والفلاحين

---

(١) — Ibid., PP. 23-24 & PP. 27-28.
— Bereket Habte Selassie, «Political Leadership in Crisis, The Ethiopian Case.», inHorn of Africa, Vol. 3, No. I, 1980, PP. 8-10

والبورجوازين التقدميين ــ ولا تمثل جماعات المصالح المنظمة فى الحضر والتى كان لها وجود فى أواخر عهد هيلاسلاسى ــ سعيا لتشكيل جمهورية ديمقراطية وطنيـــة تفرض دكتاتورية وطنية طوال مرحلة التحول نحـــو الاشتراكية •

ثانيا : وبالاضافة الى الخلاف المحورى السابق بين الحزبين ، فقد كان هناك خلاف آخر يجد أساســه فى العامل العرقى ــ ذلك أن معظم قيادات الحركة الاشتراكية من ابناء الجالا (أو رومو) بما فيهم هيلى فيداء بل ان العديد من انصار الحركة قد عينوا فى مناصب هامة ، وعلى سبيل المثال فأن أكثر من ستة أعضاء من الخمســة عشر عضوا أعضـــاء المكتب السياسى لشئون التنظيمات الجماهيرية كانوا من أبناء الجالا ، وهو الامر الذى أعطى انطباعا بأن الحركة الاشتراكية تمثل الجالا ، خاصـــة وانها تحصل على أكبر تأييد ومســاندة منهم ، وفى المقابل فان معظم قيـــادات الحزب الثورى كانت تنتمى الى جماعة الامهرا وتجراى ، وهو الامر الذى اعطى انطباعا بأن الخلاف، بين الحزبين هو خلاف عرقى •

ثالثا : كذلك فأن وصف الحزب الثورى للدرج بأنها تمثل دكتاتورية عسكرية فاشستية ، واستمرار معارضته لها قد أدى الى اتســاع قاعدة مؤيديه حتى بين العناصر المحافظة ، والمعارضة للاصلاح الزراعى وغيره من الاجراءات الاقتصـــادية ، عن اعتقاد بأن الحزب يدافـــع عن الحقـــوق الديمقراطية والحريات • وأصبح الحزب على هذا النحو يعنى لدى العامة تحريرهم من دكتاتورية الدرج • وقـــد دفع ذلك بالحزب الى مزيد من التشدد فى المواجهـــة الســلبية مع الدرج فأخـــذ يدعو الى الاضرابات والمظاهرات ، وهو الامر الذى أثار حفيظة الحركة الاشتراكية التى راحت تؤلب الدرج على الحزب سعيا للتخلص منه ومن نفوذه ، وقد أسفر تداعى الاحداث عن حرب علنية بين الدرج ، والحركة الاشتراكية من جانب وبين الحزب الثورى من جانب آخر •

•• فبنهاية عام ١٩٧٦ تحولت الحرب الكلامية بين الحزبين الى حرب علنية حقيقية بينهما ، فعلى حين تمكنت الحركة الاشتراكية من دفع الدرج الى اعتقال زعـــامات الحزب الثورى ومؤيديه واغتيالهم ، فان الحزب الثورى لجأ الى المقاومة المسلحة التى أودت بحياة المئات فى أديس أبابا وغيرها من المراكز الحضرية ، وهو الامر الذى اتاح للدرج فرصة عدم

تطبيق أى من مفهومى « الحكومة المدنية الشعبية » أو مفهوم « الحكومة الثورية المؤقتة » على أنه تجدر الاشارة الى أن الدرج كانت منقسمة على نفسها فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الحزب الثورى ، فقد رفض البعض من أعضاء الدرج اللجوء الى سياسة تحطيم الحزب ، وهو الامر الذى أدى الى انشقاق داخل الدرج وصل الى ذروته فى ٣ فبراير ١٩٧٧ بالتخلص من الجناح المعارض لتحطيم الحزب الثورى . وتولى منجستو السلطة فى البلاد (١) .

وقد كان ذلك بمثابة انتصار للتحالف بين منجستو والحركة الاشتراكية ، لكنه كان انتصارا مؤقتا ، فما ان تمكنت الحركة الاشتراكية من التخلص من منافسيها الاساسيين داخل الدرج ، وما أن أصبح الحزب الثورى ضعيفا نتيجة لاعتقال واغتيال قياداته وتشويه صورته امام الشعب الاثيوبى نتيجة لاعماله الارهابية ، فان الحركة الاشتراكية اعتقدت بأن الوقت قد بات مناسبا للقيام بمحاولتها للاستيلاء على السلطة ، فبدأ المكتب السياسى لشئون التنظيمات الجماهيرية يتصرف كجهاز مستقل عن الدرج ، وسعت الحركة فى منتصف مارس ١٩٧٧ الى استقدام نحو ستمائة عضو من ميليشات الفلاحين الى أديس أبابا لاسقاط نظام حكم الدرج — فى وقت كانت الدرج قد القت بكل قواتها فى حربها مع أرتيريا — الا أن هذه المحاولة لم تتم ، وانتهت بوضع نهاية للتحالف بين الدرج وبين الحركة الاشتراكية فبحلول يوليو ١٩٧٧ كان هيلى فيدا فى المعتقل مع بعض اعوانه ، فى حين لاذ البعض الاخر بالاختباء أو الهرب من البلاد وقامت قوات الامن بتعقب أعضاء الحركة الاشتراكية كما فعلت من قبل مع أعضاء الحزب الثورى (٢) .

ومرة أخرى فان الدرج تمكنت من الخروج منتصرة ، وأكثر قدرة على المواجهة بعد تحطيم قوى اليسار من المثقفين ، ذلك أن كلا من الحزب الثورى ، والحركة الاشتراكية قد ارتكبا اخطاء قاتلة لعل أهمها التقدير المغالى فيه من جانب كل منهما لقوته ، والتهوين من قوة الدرج ، ورغم ذلك فان كلا الحزبين قد قدما خدمة مشتركة للدرج ، فقد دفعاها الى محاولة احتواء مطالبهما على نحو ما وضح فى برنامج الثورة الوطنية

---

(١) — Marina Ottaway, Democracy . . . op. cit. PP. 28-29.

(٢) Ibid., P. 29.

الديمقراطية الصادر فى ابريل ١٩٧٦ والذى يؤكد على الطبيعة الطبقية للصراع ، ويؤكد على المنظور الاشتراكى فى بناء اثيوبيا الجديدة ثم أن لجوء الحزبين الى استخدام الارهاب فى مواجهة بعضهما البعض قد أعطى للدرج مبررا لتحويل الاتجاه من المنظور الديمقراطى . وقمع أية مطالب ديمقراطية من جانب المعارضين لحكم الدرج (١) .

وعلى الرغم مما تقدم فأن كلا من الدرج واليسار المدنى كان فى حاجة الى الآخر فالدرج كانت فى حاجة الى التأييد المدنى وبخاصة فى مجال انشاء حزب سياسى ، ثم أن اليسار المدنى لم يكن بمقدوره رفض الاصلاحات التى قامت بها الدرج لاسباب أيديولوجية من جانب ، ولان هذه الاصلاحات قد قوبلت بترحاب قطاع عريض من جماهير الشعب الاثيوبى من جانب آخر ، ولذلك كان من الطبيعى أن تجرى محاولة ثانية للمصالحة بين الطرفين ، وهى المحاولة التى بدأت فى منتصف عام ١٩٧٧ حينما سمحت الدرج بتشكيل احزاب مدنية ماركسية / لينينية ، فظهرت فى تلك الآونة أربعة احزاب هى :

الشعلة الثورية Abiotawi Seded وعصبة العمل Woz Ader
والمنظمة الثورية الماركسية / اللينينية Ma. Le. Ri. De. والنضال الثورى
للاثيوبيين المضطهدين E. Ch. A. T.

وقد كانت الشعلة الثورية هى الحزب المتميز بين الاحزاب السابقة ، فأعضاؤها فى معظمهم من كبار رجال الجيش ، وكبار رجال الخدمة المدنية ، فى حين أن عضوية الاحزاب الاخرى كانت تضم فى صفوفها زعماء الطلبة ، ولا تعدو أن تكون تجمعات صغيرة تدور حول شخصية مسيطرة ، وقد دخلت هذه الاحزاب فى ائتلاف فيما بينها فى يونيو ١٩٧٧ تحت اسم « اتحاد المنظمات الاثيوبية الماركسية / اللينينية EMALEDH هذا رغم أن

(١) — Bereket Habte Selassie, op. cit., PP. 10-11.

أيا منها لم يكن له وجود رسمى أو قانونى حتى هذه الفترة (١) .

وقد أصدر الاتحاد فى سبتمبر ١٩٧٧ « برنامجا للعمل » أعلن فيه قبول برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية كما أعترف فيه بشرعية كافة التنظيمات الجماهيرية التى اقامتها الدرج ، وهو ما يعبر عن رغبة واضحة فى تعاون الاحزاب الداخلة فى الاتحاد مع الدرج ، لكن يلاحظ أن البرنامج قد تجاهل كافة المسائل التى سببت خلافا وأنشقاقا بين صفوف اليسار المدنى مثل « الحكومة الشعبية » أو « الحكومة الثورية » (٢) .

ورغم ما أبداه الاتحاد من رغبة فى التعاون مع الدرج الا أن الاتحاد لم يتمكن من الحصول على اعتراف رسمى به ، بل أن الدرج راحت تتشكك فى نوايا الاتحاد خشية أن يكون بديلا للحركة الاشتراكية التى سعت لاحتواء الدرج وتقويض حكمها ومن هنا كان من الطبيعى أن تلجأ الدرج الى تفتيت الاتحاد من خلال اتهام الاحزاب الداخلة فيه بأنها تسعى لاحداث انقسام بين صفوف الجماهير ، فمن جانب وجهت الدرج اتهاما الى حزب النضال الثورى بأنه يسعى الى احداث انشقاق داخل صفوف الحركة العمالية على أسس عرقية ، وزعمت أن بعض قيادات الحزب يؤيدون النظام الرجعى فى الصومال ، ويتخذون موقفا عدائيا من الثورة الاثيوبية وكان نتيجة ذلك طرد الحزب من اتحاد المنظمات الاثيوبية، ومن جانب آخر وجهت الدرج اتهاما الى كل من عصبة العمل ، والمنظمة الثورية بأنهما يعملان على اعاقة تشكيل حزب للشعب العامل ، وكانت نتيجة ذلك طرد الحزبين من اتحاد المنظمات ، واعلان حلهما رسميا فى يوليو ١٩٧٩ ، فضلا عن طرد قيادات الحزبين من المناصب الحكومية التى كانوا يشغلونها ، وهكذا لم يبق فى الميدان سوى حزب الشعلة الثورية ، وبعد أن تمكنت الدرج من القضاء على اتحاد المنظمات الأثيوبية ، فانها أعلنت أنه قد ثبت استحالة تشكيل حزب للشعب العامل من خلال دمج التنظيمات السياسية التى كانت قائمة معا ، وبالتالى فلا مندوحه من السعى

— Marina Ottaway, Democracy ... op. cit., PP. 29-30. (٢) ، (١)

لانشاء حزب جديد يتجمع حول قيادة مركزية ، وينضم فى صفوفه الافراد المناضلين على أساس مواقفهم الثورية ، وقدراتهم ، ومدى مساهماتهم (١) .

وبالفعل بدأ منجستو فى التمهيد لتشكيل لجنة تنظيم حزب الشعب العامل لاثيوبيا C.O.P.W.E. فعقد اجتماعا فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٩ مع كبار ضباط الجيش للحصول على تأييدهم للفكرة ، ثم أصدر قرارا بتشكيل اللجنة فى ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ حيث قام بتعيين اعضائها ، وتولى رئاستها ، والشىء الملفت للنظر فى تشكيل اللجنة أن معظم اعضائها من العسكريين من صفوف حزب السعاة الثورية ، فى حين أن بقية أعضائها يمثلون المنظمات الجماهيرية التى انشأتها الدرج ، وقد حرص منجستو على تحقيق قدر من التوازن بين العسكريين وبين المدنيين فى اللجنة خاصة وأن المجموعة الأولى يمكن وصفها بالوطنية ، فى حين أن المجموعة الثانية ذات توجه يسارى وقد أرسل معظم أعضائها الى الاتحاد السوفيتى ليدربوا ايديولوجيا (٢) ورغم ما تقدم فان الطابع الغالب على أعضاء اللجنة هو انتماؤهم الى البورجوازية الصغيرة ففى عام ١٩٨١ كانت نسبة ممثلى العمال فى عضوية اللجنة التنظيمية للحزب هى ٩ر٣٪ ، والفلاحين ٢ر١٪ ، والمثقفين والموظفين والجيش الثورى وفئات المجتمع الاخرى ٩ر٩٥٪ ، ثم تغيرت هذه النسب فى أواخر عام ١٩٨٢ لتصبح ٧ر٢١٪ ، ٣ر٣٠٪ ، ١٠٪ على التوالى (٣) .

ولعل ما سبق يوضح أن منجستو سعى لانشاء حزب موال له ، وللقوات المسلحة وهو الامر الذى يعكس توارثا فى الثقافة السياسية الاثيوبية ، ذلك أن قيام هيلاسلاسى بأنشاء جيش حديث كان يهدف أن يكون هذا الجيش على ولاء له ، فى حين أن الشكل الجديد ـــ الذى استخدمه الحكام العسكريون يتمثل فى انشاء حزب موال للعسكريين

---

(١)

— First Congress of COPWE Report delivered to the First congress of COPWE by Comrade Mengistn Haile - Mariam, Chairman of PMAC and COPWE and Commander - in - Chief of the Revolutionary Army. June 16, 1980, Addis Ababa, PP. 46-49.

— Bereket Habte Selassie, op. cit., PP. 11-12. (٢)

(٣) **وثائق وقرارات المؤتمر الثانى للجنة التنظيمية لحزب الشعب العامل الاثيوبى** ، ٦ يناير ١٩٨٣ ـــ أديس ابابا ـــ ص ١٢ .

على غرار التجربة الناصرية ، وهكذا فأن حركة الجيش في اثيوبيا مازالت حركة فوقية لم تستطع حتى أواخر عام ١٩٨٤ أن تقيم نظاما سياسيا يتواءم ومعطيات الواقع الاقتصادى الاجتماعى الجديد فى اثيوبيا ، فمازال أسلوب الحكم أوتوقراطيا ، وما زال الولاء للحاكم يشكل المعيار الاساسى للحصول على الامتياز والثروة .

المبحث الثالث

الدرج والمشكلة القومية

رأينا فيما تقدم كيف تشكلت الامبراطورية الاثيوبية من خلال سيطرة الأمهرا بالغزو على أراضى الجماعات المجاورة ، وأن معظم هذه الأراضى قد ضم حديثا الى الامبراطورية ، وبالتالى فانه لم تتح أمام هذه الجماعات فرصة للاحتكاك والتفاعل السلمى فيما بينها على نحو يؤدى الى بروز هوية وطنية تعلو هذه الولاءات العرقية ، بل ان سياسات هيلاسلاسى القائمة على اعلاء شأن جماعة الأمهرا على ما عداها ، وقهر كافة الجماعات الأخرى قد حالت دون تحقيق الاندماج الوطنى فى اثيوبيا ، الامر الذى دفع بكافة الجماعات المقهورة الى العمل على تقويض النظام الامبراطورى ، وقد كان لحركات التحرير التى نشأت بين صفوف هذه الجماعات دورا فاعلا فى اسقاط نظام حكم هيلاسلاسى .

وهكذا ورثت الدرج دولة متعددة القوميات ، يسودها الصراع بين كافة الجماعات المشكلة لها ، ولقد توقعت كافة الجماعات المقهورة أن تكون ممارسات الدرج أفضل بكثير من ممارسات الامبراطور حيالها ، فهى قد ساهمت فى اسقاط النظام الامبراطورى ، كما وأن الدرج قد أعلنت عن توجهها الاشتراكى ، وراحت ترفع العديد من الشعارات التى تنطوى على ضرورة تحقيق المساواة بين كافة القوميات فى اثيوبيا ، لكن الدرج تلكأت من جانبها فى تنفيذ ما وعدت به ، وعندما اتجهت الى التنفيذ فقد أتضح أن ممارساتها تجاه المسألة القومية أكثر قمعا من ممارسات الامبراطور ، وان هناك بونا شاسعا بين الشعارات المطروحة ، وبين الممارسات وقد دفع ذلك بكافة الجماعات المقهورة فى اثيوبيا الى تكثيف نضالها المسلح ضد نظام حكم الدرج مستهدفة اما اسقاط هذا النظام ، واقامة مجتمع تسوده المساواة بين كافة القوميات واما الحصول على حق تقرير المصير والاستقلال.

فلقد حاولت الدرج منذ البداية اختبار قدراتها العسكرية فى ارتيريا على اعتبار أن تمكنها من القضاء على حركات التحرير الارتيرية من شأنه أن يحبط آمال كافة الجماعات الأخرى المتهورة فى اثيوبيا ، ففى أواخر عام ١٩٧٤ قامت الدرج بارسال عدة آلاف من قواتها الى ارتيريا للقضاء مرة واحدة والى الأبد على حركات التحرير الارتيرية . الا أن هذه الحملة أصيبت بانتكاسة على يد الارتيريين ، الامر الذى دفع بالدرج الى رفع شعارات التسوية السلمية للمشكلة الارتيرية لجوءا منها الى التسويه والخداع فى وقت كانت تجهز فيه لمسيرة فلاحية منذ أوائل عام ١٩٧٦ لاكتساح الأراضى الارتيرية ، وأثناء التجهيز لهذه المسيرة رفعت الدرج شعار الصليب كشعار للمسيرة بغية اثارة فلاحى الأمهرا فى المرتفعات ضد الوطنيين الارتيريين ثم أعلنت أن المسيرة هى مسيرة مسيحية لمواجهة المسلمين الغزاة (الارتيريين) وراحت تغرى فلاحى الأمهرا للمشاركة فى المسيرة عندما لوحت بأنها ستوزع عليهم أراضى ارتيريا . وقد بدأت المسيرة فى منتصف مايو ١٩٧٦ وشارك فيها ما بين ١٠ ـ ٤٠ ألف فلاح من الأمهرا وتيجراى الا أن هذه المسيرة قد انتهت هى الأخرى بهزيمة كاسحة على يد حركات التحرير الارتيرية التى استطاعت أن توجه لها ضربات قاصمة ، لكن الدرج رفضت الاعتراف بالهزيمة ، وأعلنت فى يونيو عام ١٩٧٦ أنها تمكنت من تجنيد ميليشيا شعبية مسلحة تضم نصف مليون فلاح لمقاومة الامبريالية وطرد الرجعيين المحليين والدوليين ، وكافة العناصر المعادية للوحدة الوطنية وللسلامة الاقليمية لاثيوبيا . ورغم ذلك فان حركات التحرير الارتيرارية (حركة التحرير الارتيرية ـ الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا) قد تمكنت من مواجهة هذه العمليات [1] ، بل واستطاعت مع نهاية عام ١٩٧٧ أن تحكم سيطرتها على نحو ٩٠٪ من الأراضى

---

(1) — Marina and David Ottaway, **Ethiopia : Empire in Revolution**, (London : Holmes & Meier Publishers Ltd., 1978), PP. 155-156 & PP. 159-160.

الارتيرية ، وما زالت الدرج عاجزة عن القضاء على هذه الحركات رغم المساندة السوفيتية لها فى هجومها على ارتيريا فى عـام ١٩٧٨ ، وعـام ١٩٧٩ ، اذ استطاعت هذه الحركات أن تقوم بانسحاب استراتيجى منظم من المناطق الحضرية الى الجبال بأقل قدر من الخسائر ، واستطاعت كذلك أن تدشن هجوما مضادا ضد الجيش الاثيوبى فى عام ١٩٨٠ (١) •

وقد تمكنت الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا من اقامة تحالف مـع الجبهة الشعبية لتحرير تجراى منذ عام ١٩٧٥ (٢) عقب قيام مجموعة من الطلبة الراديكاليين من أبناء تجراى بالانشقاق على جبهة تحرير تجراى وتشكيلهم للجبهة الشعبية ذات التوجه الماركسى ، وقد أسفر هذا التحالف عن تبنى لدعوة من شأنها السعى لاقامة دولة مستقلة لتجراى وارتيريا من جانب ، كما أسفر عن قيام الجبهة الشعبية لتحرير تجراى بعمليات عسكرية عام ١٩٧٦ ضد القوات الاثيوبية فى شـمال تجراى على طول الحـدود الارتيرية على نحو أدى الى تقليل نسبى لكثافة الضـغوط العسـكرية الاثيوبية على حركات التحرير الارتيرية •

وفى شرق أثيوبيا فان صدور قانون الاصلاح الزراعى قد أدى الى اثارة الصراع بين الدرج وبين السلطان على ميراح سلطان العفر فى منطقة دلتا نهر أواش فى أقصى شرق أثيوبيا على الحدود مع جيبوتى ، ولم تسفر المفاوضـات التى جرت بين الطرفين فى ابريل ١٩٧٥ عن أى اتفـاق بين

---

(١) — Michael and Trish Johnson, «Eritrea : The National Question and the logic of protracted struggle», in **African Affairs**, Vol. 80, No. 319, April 1981, p. 192.

(٢) لمزيد من التفصيل حول الأسباب التى دفعت الى قيام الجبهة ، ولجوئها الى استخدام اسلوب الكفاح المسلح أنظر :

— Dr. Solomon Inquai, «The Hidden Revolution Triumphs in Tigray», in**Horn of Africa**, Vol. 4, No. 3, 1981, PP. 27-31.

ويذهب المؤلف الى ان الجبهة ترى ان حق تقرير المصـير لا يعنى الانفصال ، كما أنه لا يعنى الوحدة لمجرد الوحدة ، فاذا ما توافر منـاخ سياسى ديمقراطى فى اثيوبيا فان الجبهة ترى أنه ليس ما يمنع من انشاء اتحاد اختيارى من الأمم والقوميات على اساس المسـاواة ، والديمقراطية والتقدم المشترك ، أما اذا استمر الاضطهاد قائما أو تزايد فانه لا مفر من انشاء الدولة الديمقراطية المستقلة لتجراى .

الجانبيين حول تطبيق قانون الاصلاح الزراعى على أراضى السلطان — والذى كان يعد من أغنى ملاك الأرض فى اثيوبيا — وازاء ذلك قامت الدرج بشن هجوم عسكرى شامل على المنطقة فى يونيو ١٩٧٥ بغية القبض على السلطان الذى تمكن من الهرب الى السعودية عبر جيبوتى ، وقام بتنظيم جبهة تحرير العفر التى تعمل من جيبوتى والصومال ، وتشن نضالا مسلحا من أجل الاستقلال عن أثيوبيا ، وقد تمكنت الجبهة من قطع الطريق الحيوى الذى يربط ميناء عصب بأديس أبابا أكثر من مرة ، وهو الأمر الذى سبب مشكلات اقتصادية عديدة للدرج (١) .

وفى الجنوب الشرقى — فى منطقة الصومال الغربى فان جبهة تحرير الصومال الغربى — والتى تشكلت منذ عام ١٩٦٣ — قد قامت بتكثيف نضالها المسلح ضد نظام حكم الدرج منذ عام ١٩٧٦ ، نتيجة لممارساته القمعية من جانب ، ورفضه منح شعب الصومال الغربى حقه فى تقرير مصيره ، وقد تمكنت الجبهة فى عام ١٩٧٧ من تحرير ٩٥٪ من أراضى الصومال الغربى الا أن العون السوفيتى / الكوبى للدرج قد مكنها من توجيه ضربات قاصمة الى الجبهة ، ورغم ذلك فان الجبهة ما زالت تناضل من أجل « الحصول على حق تقرير المصير وبناء دولة الصومال الغربى المستقلة » (٢) .

وفى جنوب أثيوبيا — فان جبهة تحرير أورومو — والتى تشكلت منذ عام ١٩٦٩ — قد قامت هى الأخرى بتكثيف نضالها المسلح ضد نظام حكم الدرج بسبب « تجاهله لأهداف الحركات الشعبية المتمثلة فى الحرية وحق تقرير المصير » ، وبسبب استمرار « سيطرة العنصر الأمهرى » وبسبب « مقاومته للعناصر الوطنية والقضاء عليها وعلى من يساندها بطرق مختلفة»

---

(١) أنظر فى هذا المجال كلا من :

— Marina and Daved Ottaway, **op. cit.**, P. 96.

— Kassim Shehim and James Searing, «Djibouti and the question of AFAR Nationalism», in **African Affairs**, Vol. 79, No. 315 ; April 1980, PP. 223-224.

(٢) جبهة تحرير الصومال الغربى ، **البرنامج السياسى العام** — الصادر عن المؤتمر الثالث للجبهة فيما بين ٢٣ يناير الى الأول من فبراير ١٩٨١ — ص ٣ ، ص ٧ .

وقد اعلنت الجبهة فى برنامجها أن « الهدف الاساسى للنضال هو الحصول على حق تقرير المصير القومى لشعب أورومو بتحريره من الاضطهاد والاستغلال فى جميع أشكاله .. واقامة جمهورية « أوروميا » الديمقراطية الشعبية المستقلة » [1] .

ورغم ادراك الدرج لخطورة تفاقم المشكلة القومية ، وما قد يسفر عنه ذلك من تفتيت للدولة الاثيوبية الا أنها آثرت الاستمرار فى مجال الحل العسكرى لقمع كافة المطالب القومية فى أثيوبيا ، وشجعها على انتهاج هذا المسلك ماباتت تحصل عليه من دعم عسكرى سوفيتى كوبى منذ عام ١٩٧٧ (يلاحظ أن الامبراطور هيلاسلاسى كان ينتهج نفس المسلك بدعم أمريكى) ، وحتى عندما راحت الدرج تصدر بيانات وتعلن عن سياسات ، وترفع شعارات للحل السلمى للمشكلة فان ذلك لم يكن الا نوعا من التمويه والخداع لحركات التحرير فى اثيوبيا ، لا أدل على ذلك من أنه فى كل مرة كانت تعلن فيها الدرج عن سعيها لحل سلمى للمشكلة القومية فانها كانت تجهز فى نفس الوقت حشودا عسكرية لقمع حركات التحرير ثم ان السياسات المعلنة للدرج فى هذا المجال قد حددت منح حق تقرير المصير للقوميات داخل أثيوبيا فى خيار واحد لا يتعدى الحصول على نوع من الحكم الذاتى . ولعل متابعة موجزة للبيانات الصادرة عن الدرج فى هذا المجال تلقى مزيدا من الضوء على مسلك الدرج تجاه المشكلة القومية :

١ ــ ففى ابريل عام ١٩٧٦ أصدرت الدرج برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية [2] ، وقد نصت الفقرة الخامسة منه على « الاحترام الكامل لحق كل القوميات فى تقرير مصيرها وعدم سيطرة قومية على الأخرى .. ان وحدة القوميات الاثيوبية ستقوم على النضال المشترك ضد الاقطاع

---

(١) انظر فى هذا الصدد :

ــ جبهة تحرير اورومو (العلاقات الخارجية) : **لمحة تاريخية عن شعب (أورومو) وبلادهم (أوروميا)** ــ ص ١٤ ، ١٥ .

ــ جبهة تحرير اورومو : **البرنامج السياسى لجبهة تحرير اورومو** بدون تاريخ ــ ص ٧ .

(٢) — PMAC. Programme of the National ... op cit., PP. 16-18.

والامبريالية ، والرأسمالية البيروقراطية ، وكل القوى الرجعية .. وبالنظر الى الوضع القائم فان مشكلة القوميات يمكن حلها اذا منحت كل قومية حقها الكامل فى الحكم الذاتى ، وهو ما يعنى أن يكون لكل قومية استقلال اقليمى regional autonomy لتصريف المسائل المتعلقة بشئونها الداخلية » ، وقد ركز البرنامج على ضرورة وضع أولوية لحل المشكلة الارتيرية فى الاطار السابق ، ادراكا من الدرج بمدى حدة هذه المشكلة ، وبمدى قوة حركات التحرير الارتيرية .

٢ — وفى ١٦ مايو ١٩٧٦ صدر البيان السياسى المتعلق بايجاد تسوية سلمية لمشكلة محافظة ارتيريا (١) . وقد نص البيان على « أن الحكومة العسكرية المؤقتة ادراكا منها للصعوبات القائمة فى محافظة ارتيريا وضرورة التغلب عليها فى الحال ، وبغية تطبيق حق تقرير المصير للقوميات عمليا على أساس هذه الأولوية ، على استعداد للتباحث ولتبادل وجهات النظر مع التجمعات التقدمية والمنظمات فى ارتيريا التى ليست متواطئة مع الاقطاعيين والقوى الرجعية المجاورة والامبريالية » ، ويتحدث البيان عن أن الهدف من هذه المباحثات هو « تعزيز وحدة الطبقات المضطهدة فى اثيوبيا » ويشير الى « ان حق تقرير المصير للقوميات يمكن ضمانه عن طريق الحكم المحلى الذى يأخذ بعين الاعتبار الحقائق السائدة فى اثيوبيا والمناطق المحيطة بها وفى العالم أجمع » .

ان هذا البيان قد أثار الشكوك فى نوايا الدرج خاصة عندما يعلن أن « الحكومة ستقوم بدراسة جميع مناطق البلاد وتاريخ القوميات التى تعيش فيها . وعلاقاتها فيما بينها ، وأوضاعها الجغرافية ، وأبنيتها الاقتصادية ، وصلاحيتها للتنمية والادارة » . وهذه الشكوك تتعلق بما اذا كانت الدرج ستعامل ارتيريا كاقليم واحد فى اطار حدوده الحالية أم أنها ستتجه الى اعادة تخطيط الاقليم وتقسيمه استنادا الى معايير عرقية ولغوية ، ثم ان تركيز البيان على استعداد الدرج للتباحث مع « التجمعات التقدمية والمنظمات فى ارتيريا » يفهم منه أن الدرج على استعداد للتفاوض فقط مع الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا بغية اثارة الانقسام بين صفوف

---

(١) الحكومة العسكرية المؤقتة : **البيان السياسى الذى اصدرته الحكومة العسكرية المؤقتة لايجاد تسوية سلمية لمشكلة محافظة ارتيريا** .. اديس ابابا : مطابع برهاننا سلام بدون تاريخ) ص ص ٩ — ١٠ .

الارتيريين ، وبالفعل فقد سعت الدرج للاتصال بالجبهة . وظلت طوال العام التالى لاصدار البيان متوقفة عن التعرض بالنقد للجبهة الشعبية . غير أن هــذه السياســة لم تؤت ثمارها نظرا لتغلب الجانب الوطنى على التوجه الماركسى للجبهة الشعبية من جانب ، ثم ان الدرج قــد اختارت وقتا غير مناسب للحديث عن السلام ، فقد كانت فى هذه الآونة تعد العدة لتدشين « المسيرة الفلاحية » ضد شعب ارتيريا (١) .

٣ ــ وقد أشار منجستو فى خطاب له فى ٧ يونيو ١٩٧٨ (٢) الى أهمية ايجاد حل لمشكلة ارتيريا حيث قال « ان الجيل الاثيوبى الجديد اذا لم يوجد الحل لمشكلة ارتيريا التى تدمى جسد أثيوبيا الثورة فانه لا يمكن ايجاد ضمان حقيقى لا للثورة ولا لوحــدة أثيوبيا التاريخية » لكن منجســتو اتجه الى الصــاق التهم بحركات التحرير الارتيرية حين قال « الا أن أولئك الذين ارتبطت مصالحهم بمصــالح المستعمرين من عملاء الرجعية العربية قد عارضــوا هــذه الوحــدة التاريخية وبدأوا حركة انفصالية » ، بل انه اتهم الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا بالرجعية ، وبالولاء للرجعية العربية ، وأكد منجستو أنه « توجد فى محافظة ارتيريا مالا يقل عن ثمانى قوميات مما يؤكد على أن ارتيريا ليست أمة » فى حين ذهب الى القول بأن « اثيوبيا هى امة واحدة تضــم قوميات كثيرة تمر بمراحل مختلفة من درجات النمو » ، وقد كرر منجستو نفس المقولة التى وردت فى البيانات السابقة حين أشار الى أننا « قد عرضنا مشروع حق الادارة المحلية الذى يدرا عن القوميات الاثيوبية المسحوقة جميع أنواع الظلم والاضطهاد ، ويؤكد المساواة بين بعضها البعض باعتباره طريقا لتحقيق تسوية سلمية » ، وانتهى الى القول بأن « هدف الحرب الشعبية الثورية هو ضمان الوحدة التاريخية لاثيوبيا والدفاع عن منافذها البحرية وعن كيانها » .

---

(١) Marina and David Ottaway, op. cit., PP. 158-159.

(٢) وزارة الاعلام والارشاد القومى (الاثيوبية) : **الخطاب الذى وجهه الرفيق المقدم منجستو هيل ماريام رئيس المجلس العسكرى الادارى المؤقت ، ورئيس مجلس الوزراء الى الأمة عن طريق الاذاعة والتلفزيون بشأن الموقف فى الاقليم الادارى الارتيرى** (اديس ابابا ــ ٧ يونيو ١٩٧٨) ص ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ .

والذى لا شك فيه أن خطاب منجستو ينطوى على مغالطة كبيرة خاصة عندما يتحدث عن أثيوبيا كأمة ، وينفى هذه الصفة عن ارتيريا . فالوضع فى الحالتين لا يختلف كثيرا عن كافة الدول الأفريقية ، بل أن الوضع فى ارتيريا أفضل بكثير من الوضع فى أثيوبيا اذ رغم التعدد اللغوى ، والدينى والثقافى فى ارتيريا الا أنه يمكن القول بأن ارتيريا قد شهدت تناميا فى الوعى الوطنى نتيجة للنضال ضد ايطاليا ، بريطانيا ، واثيوبيا — على عكس اثيوبيا — تمثل فى المطالبة بالانفصال والاستقلال عن اثيوبيا والنضال من أجل هذا المطلب قبل الحديث عن أية امكانية للتعاون مع النظام الاثيوبى الحاكم (١) .

٤ — ثم جاء منفستو أسمرا الصادر فى ٣١ يناير ١٩٨٢ (٢) — عن مؤتمر حملة النجم الاحمر الثورية المتعددة الأغراض والمتعلقة باقليم ارتيريا — ليؤكد اصرار الدرج على موقفها اذ يشير المنفستو الى معارضة المؤتمرين للنظام الفيدرالى الذى اقامته الامم المتحدة لأنه يتعارض مع مصالح الشعب ، ومع مصالح جماهير ارتيريا التى حاربت من أجل الوحدة ويتهم المنفستو جبهة تحرير ارتيريا بأنها حركة انفصالية تسعى لتخريب اثيوبيا وتفتيت وحدتها ، كما يتهم الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا بأنها حركة انفصالية أيضا ، وبأنها عميل للمخابرات المركزية ، ويوضح ان أثيوبيا دولة متعددة القوميات . وليست دولة القومية الواحدة . واذا كان المنفستو يؤكد — ولأول مرة — على أن « حق تقرير المصير يعنى أن لكل القوميات فى دولة معينة حقوقا متساوية فى تشكيل مصيرها . مع ما يعنيه ذلك من حق القوميات فى تقرير مصيرها على أساس المساواة بما فى ذلك حق الانفصال أيضا » الا أن المنفستو يعود ليشير تحفظا على حق الانفصال حين يؤكد على أن « الاعتراف بحق القوميات فى الانفصال لا يعنى أنه يمكن لأى قومية أن تنفصل فى أى وقت ، ان اضطهاد القوميات يظهر فى مرحلة تاريخية معينة ، ويمكن ازالة أسباب الاضطهاد الاجتماعى والاقتصادى وعليه فأن مسألة حق القوميات فى الانفصال يجب أن ينظر

---

(١) — Michael and Trish Jhonson, op. cit., PP. 184-185

(٢) — PMAC,The ASMARA MANIFESTO (Asmara: Berhanena Selam Printing Press) January 1982. PP. 14-21.

اليها وأن تحل مثلها مثل كافة المشكلات الاجتماعية للشعب على ضـوء المحتوى التاريخى ، والحقائق الموضوعية فى وقت معين ، وطالما أن الاوضاع فى تغير مستمر ، فان هـذا الحق لا يجب أن ينظر اليه بمعزل عن عمليـة التغير » ويتساءل المنفستو : هل منح هذا الحق ــ فى المنظور الماركسى ــ يمكن أن يعزز الصراع الطبقى ؟ أم يؤجله ويعطل مساره ؟ وتأتى الاجابة بأن « اثارة حق الانفصال فى وقت تناضل فيه الطبقة العاملة لالغاء كافة اشكال الاستغلال والاضطهاد وتناضل فيه من أجل اقامة نظام اشتراكى يعد عملا ضد مصالح الشعب » .

.. وهكذا ورغم العديد من الشعارات التى طرحتها الدرج . ورغم اعلانها عن تبنى التوجه الاشتراكى ، فان الاعتراف بحق تقرير المصـير للقوميات ظل جثة هامدة ، ومازالت الدرج مصرة على اعطاء كافة حركات التحرير ــ سواء وصفت بأنها تقدمية أو رجعية ــ فرصة للخيار فقط بين أحد أمرين اما قبول الاذعان لسلطتها ، أو الاذعان عنوة بالقوة وبالاكراه ، وهو الامر الذى رفضته حركات التحرير حين راحت تكثف من نضـالها المسلح ضد حكم الدرج الامر الذى أدى الى تفاقم المشـكلة القومية فى اثيوبيا .

ولعله يبين مما تقدم أن الدرج لم تتوقف عند حد قمع القوى الجديدة التى شاركت فى احداث فبراير ١٩٧٤ ، بل انها لجأت أيضـا الى قمع حركات التحرير التى تمثل كافة الجماعات المقهورة فى اثيوبيا ، وهو ما جعل مصـير نظام حكم الدرج معلقـا فى الهواء لولا العون السـوفيتى / الكوبى له .

خاتمـــة :

رأينا فيما تقدم كيف أن هناك عـوامل بنيانية ــ من تفاوت طبقى . وأضطهاد قومى ــ قد حددت مآل الامبراطورية الاثيوبية الى الزوال ، ثم أضيفت عوامل مساعدة ــ القحط ، والتضخم ــ سارعت بانهيار هـذه الامبراطورية ، وانتهينا من التحليل السابق الى أن حركة فبراير ١٩٧٤ وما سبقها وواكبها لا تخرج عن كونها انتفاضة نخبوية ، فئوية . حضرية ، بورجوازية سرعان ما انتهت مهمتها ، فى احداث حالة من الفوضى والفراغ السـياسى فى البلاد على نحو مكن العسـكريين ــ وبحكم تنظيمهم من

الاستيلاء على السلطة بانقلاب عسكرى ، وقد أثبتت الدرج -- بحكم خلفية أعضائها الاجتماعية / الاقتصادية ، وبحكم توجهاتهم وممارساتهم -- انها أكثر أنتماء للبورجوازية الصغيرة منها الى الطبقة العاملة ، ومن هنا فلا غرابة -- ورغم اعلانها عن التوجه الماركسى -- ان تتجه الى القضاء على الماركسيين ، وعلى قيادات الطبقة العاملة ، ولا غرابة أيضا فى احتكامها الى السلاح للقضاء على حركات التحرير التى تناضل من أجل حقوق كافة الجماعات القومية المضطهدة فى أثيوبيا فى تقرير المصير والاستقلال .

صحيح ان الدرج قامت باتخاذ اجراءات راديكالية استهدفت القضاء على الاساس المادى للمؤسسات والقوى التقليدية ، الا انها لم تتمكن حتى عام ١٩٨٤ من أن تقيم أساسا ماديا لنظام سياسى جديد ، بل ان المتمعن فى سياسات الدرج وفى مسار تنفيذها يدرك أنها تتجه الى اقامة رأسمالية الدولة من خلال استخلاص أقصى ربح من القطاع الصناعى الذى تسيطر عليه الدولة ، ومن خلال السعى لزيادة انتاجية القطاع الزراعى ، وتحقيق أقصى ربح منه حتى ولو كان على حساب العمال والفلاحين .

وازاء هذه الاوضاع التى خلقتها الدرج من صراعات داخلية ، واضطهاد قومى وازاء تدهور الاوضاع الاقتصادية فى اثيوبيا باتت الدرج فى حاجة ماسة الى العون الخارجى لانقاذها من جانب ، وانقاذ الحدود الامبراطورية من جانب آخر ، فراحت مرة تلو الاخرى تغازل الغرب والولايات المتحدة بحثا عن العون الاقتصادى ، ثم راحت توثق علاقاتها بالاتحاد السوفيتى الذى أصبح يشكل السند الرئيسى للدرج فى استمرارها فى السلطة ، وفى تمكينها من مواجهة كافة قوى المعارضة محلية كانت أم قومية ، ومن هنا يمكن فهم اعلان الدرج عن توجهها الماركسى ، فهو اعلان اقتضته ظروف الدرج وما تواجهه من مشكلات وبالتالى فهو لا يعدو أكثر من كونه عملا من أعمال السياسة الخارجية . خاصة وأنه كما ذكرنا فان مضمون سياسات الدرج لما يزل مضمونا بورجوازيا .

مشكلات الأطراف العربية فى منطقة القرن الأفريقى

دكتور ابراهيم أحمد نصر الدين
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القـاهرة

مقـــدمة :

ينصرف اهتمام هذه الدراسة الى تحليل مشكلات الأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى باعتبارها منطقة تشكل الحد الغربى للجنـاح الشرقى للعالم العربى ، كما تشكل فى نفس الوقت الحد الجنوبى لقلب العالم العربى ، وليس الهدف من هذه الدراسة محاولة التتبع التاريخى لهذه المشكلات ، وانما يكفى أن نشير فى هذا المقام الى أن معظم مشكلات هذه المنطقة تشكل جزءا لا يتجزأ من ظاهرة المـد والجـزر العربى فى أفريقيا . فحتى منتصف القرن الماضى كان المد العربى قد وصل الى مداه فى هذه المنطقة سواء عن طريق الفتوحات المصرية القادمة من الشمال ، وسواء عن طريق امتداد النفوذ العمانى القادم من الشرق ، لكن التنافس بين الجانبين على السيادة فى المنطقة ، وبخاصة على الساحل الصومالى ، قد أدى الى تسهيل مهمة القوى الأوربية الطامعة فى السيطرة على المنطقة كلية ، ومع بدء مرحلة التكالب الاستعمارى على افريقيا عام ١٨٨٥/٨٤ وحتى أوائل ستينيات القرن الحالى فان الجزر العربى (وان لم يكن الاسلامى) قد وصل الى مداه فى المنطقة ، فقد استولت أثيوبيـا على اقليم الأوجادين الصومالى فى منتصف الخمسينات ، وضمت اريتريا اليها عام ١٩٦٢ ، وانتزعت بريطانيا كل السـاحل (الـسكينى) والذى كان خاضعا لسيادة دولة زنزبار العربية لتضمه الى كينيا عشية استقلالها فى أواخر عام ١٩٦٣ ، وفعلت نفس الشىء فى اقليم نفد الصـومالى حين ضمته الى كينيا ضد ارادة سكانه ، كما قامت تنجانيقـا بضم السلطنة

العربيــة فى زنزبار اليهــا عام ١٩٦٤ [١] ثم تفجرت مشــكلة الجنوب السودانى منذ منتصف الستينيات خاصة عندما رفعت تنظيمات الجنوب شعار الانفصال عن السودان . لكن ظاهرة المد العربى فى منطقة القرن الافريقى قد عادت الى الظهور مرة أخرى فى سبعينيات القرن الحالى ، فمن جانب تم تسوية مشكلة الجنوب بالسودانى بموجب اتفاق أديس أبابا عام ١٩٧٢ ، ومن جانب ثان انضمت كل من الصومال وجيبوتى الى جامعة الدول العربية فى عام ١٩٧٤ ، ١٩٧٧ على التــوالى ، كما سعت جــزر الكومور هى الأخرى الى الانضمام ، واشتدت من جانب ثالث نضالات حركات التحرير فى كل من اريتريا وأوجادين ، وراحت تنظيماتها تعلن عن هويتها العربية .

ومن هنا بدأ حديث نفر من المثقفين الافريقيين عما أســموه بظاهرة التوسع العربى فى افريقيا ، وكان ذلك عاملا أساسيا فى وقوف كافة الدول الافريقية الى جانب السلامة الاقليمية لأثيوبيا . والذى لا شك فيه أن حالة التمزق التى سادت العالم العربى عقب توقيع اتفاقات كامب ديفيد كانت أحد الأسباب التى حالت دون تقديم دعم كاف لكل من ثوار اريتريا وأوجادين لتحرير أقاليمهم وتأكيد انتماءاتهم العربية .

ولعله يتضح مما تقدم أن الصراع فى منطقة القرن الأفريقى هو فى جانب كبير منه جزء من ظاهرة الصراع العربى الافريقى على المنــاطق الحدية بين الدول العربية والدول الافريقيــة . وبالتــالى فان دراســة مشكلات الأطراف العربية فى هذه المنطقة تعد على جانب كبير من الأهمية لأنها تتعلق بالمصلحة القومية العربية العليا ، ذلك أن استفحال هــذه المشكلات واستمرارها من شأنه أن يشكل تهديدا محتملا ــ بل حالا ــ للأمن القومى العربى (أهمية البحر الأحمر والمحيط الهندى) ، كما أنه

---

(١) أنظر فى هذا المجال :

ــ دكتور ابراهيم أحمد نصر الدين : محاضرات فى : مشكلات سياسية فى العالم الاسلامى (القاهرة : معهد الدراسات الاسـلامية) ١٩٨١ ــ ص ٤٢ ــ ٥٥ .

ــ دكتور جلال يحيى : التنافس الدولى فى شرق افريقيا (القاهرة : دار المعرفة) ١٩٥٩ ــ صفحات متفرقة .

— Norman R. Bennett, A History of the Arab State of Zanzibar (Cambridge : Methuen & Co. Ltd), 1978. PP. 239-168.

يشكل تهديدا للوضع الاقتصادى للدول العربية (حيث الممرات البحرية التى ينقل عبرها بترول الدول العربية) خاصة مع تورط القوى الكبرى فى مشكلات هذه المنطقة ٠

ونظرا لتعدد الأطراف العربية فى هذه المنطقة ، وتعدد مشكلاتها ومصالحها فضلا عن التفاوت فى درجة كثافة هذه المصالح ، فاننا سنحاول أن نستخدم فى هذه الدراسة منهج المصلحة الوطنية على النحو الذى طوره دونالد نوشترلين مؤخرا ٠

المبحث الأول
الاطار النظرى للدراسة :
التعريف بمنهج المصلحة الوطنية

ان الهدف من استخدام هذا المنهج فى هذه الدراسة لا يتمثل فى السعى لعقد مقارنة بينه وبين منهج الأمن القــومى ــ الذى استخدم كثيرا فى الدراسات العربية ــ كما أنه ليس فى نيتنا التعرض لكتابات الرواد الأول لمنهج المصلحة الوطنية فهى متعددة وكثيرة (١) . وانما ينصب اهتمامنا فى هذا الجزء على عرض لمنهج المصلحة الوطنية بالمفهوم الجديد الذى طوره نوشترلين ، وهو المفهــوم الذى جعل فى الامكان تطبيق هــذا المنهج بعد سنوات من الاهمال اثر النقد اللاذع الذى وجه اليه ، والذى انصب على أن مفهوم المصلحة الوطنية مفهوم غامض ، وأن ربطه بمفهوم القوة كان مسئولا عن اشعال نار الحرب الباردة فى الخمسينيات ، ثم ان المفهوم فى اطاره التقليدى كان يتجاهل كل المبــادىء والاعتبــارات الأخلاقية فى صياغة السياسة الخارجية .

لقد حاول نوشترلين أن يطور مفهوم المصــلحة الوطنية كيما يكون قابلا للتطبيق ، وعلى نحو يتفادى به ما أمكن كافة جوانب القصور فيه ، فجاءت محاولته على النحو التالى :

---

(١) لمزيد من التفصيلات حول منهج المصلحة الوطنية انظر :

— Hans J. Morganthau, **Politics among Nations.** 4 th ed. (Alfred A. Knopf), 1967, PP. 4-5.

— Hans J. «Another Great Debate : The National Interest of the U.S.», **in American Political Science Review,** LXVI, Dec. 1952, PP. 961-998.

— James E. Dougherty & Robert L. Pfaltzgraff. Jr, **Contending Theories of International Relations,** (Philadelphia : J.B. Lippincott Company), 1970, PP. 68-99.

— Donal E. Nuechterlein, «The Concept of National Interest : A time for New Approaches», in **ORBIS** Vol. 23, No. 1, Spring 1979. PP. 73-92.

اولا : التعريف المصلحة الوطنية :

يقصد بها « الحاجات والرغبات المتصورة لدولة مستقلة فى علاقاتها بالدول الأخرى المستقلة والتى تشكل بيئتها الدولية » على أن هـذا التعريف فى حاجة الى مزيد من الايضاح :

١ ــ يشير التعريف الى حاجات ورغبات متصورة لدولة ما باعتبارها تشكل مصلحة وطنية ، الا أن هذه الحاجات والرغبات انما هى نتـاج للعملية السياسية التى توصلت قيادة الدولة من خلالها الى قرار حول أهمية الحدث الخارجى لبقاء الدولة •

٢ ــ ان التعريف يسرى على الدول المستقلة فقـط ، ولا يسرى على المنظمات الدولية أو الاقاليم التابعة ، باعتبار أن حكومات الدول المستقلة هى وحدها القادرة فى عالم اليوم على اتخاذ قرارات باستخدام القوة المسلحة ، وبفرض المقاطعة الاقتصادية ، والدخول فى تحالفات ••• الخ •

٣ ــ انه يجب التمييز بين البيئة الداخلية ، وبين البيئة الخارجية للدول ، فالحكومة فى تعاملها مع البيئة الداخلية توصف بأنهـا تمثـل « المصلحة العامة » ، لكنها فى تعاملها مع البيئة الخارجية توصف بأنها تمثل « المصلحة الوطنية » •

٤ ــ ان التعريف يركز الاهتمام على مصالح الدولة ككل وليس على مصالح مجموعات خاصة ، أو وحدات بيروقراطية ، أو تنظيمات سياسة داخل الدولة •

ثانيا : المصالح الوطنية الأساسية :

وبعد أن حدد نوشترلين المفهوم العام للمصلحة الوطنية ، فانه يذهب الى أن هناك أربع مصالح وطنية أساسية هى :

١ ــ المصلحة الدفاعية : وهى تعنى حماية الدولة ومواطنيها من أى تهديد بدنى عنيف من جانب دولة أخرى ، و (أو) تمكينها من مواجهة أى تهديد خارجى للنظام السياسى الوطنى •

٢ ــ المصلحة الاقتصادية : وهى تعنى تعزيز الرفاهة الاقتصـادية للدولة فى علاقتها بالدول الأخرى •

٣ — مصلحة النظام العالمى : وهى تعنى تعزيز نظام سياسى اقتصادى عالمى تشعر فيه الدولة بالأمن ويتمكن مواطنوها وتجارتها من العمل سلميا فى اطاره عبر الحدود .

٤ — المصلحة الأيديولوجية : وهى تعنى حماية منظومة القيم التى يعتنقها مواطنوا الدولة ، ويعتقدون بصلاحيتها عالميا .

... على أنه تفسير العلاقة بين المصالح الأربع السابقة يعد أمرا ضروريا ، ويتضح ذلك مما يلى :

(أ) فالترتيب السابق للمصالح لا يعنى أولوية لاحداها على غيرها ، الا أنه يمكن القول أنه اذا لم يكن فى مقدور الدولة الدفاع عن اقليمها ومواطنيها — سواء من خلال التحالف مع دولة كبرى ، أو بالاثنين معا — فان الحديث عن المصالح الأخرى يفقد قيمته .

(ب) ان المصالح الأربع ليست منفصلة كلية عن بعضها ، وبالتالى يتعين على صانع السياسة الخارجية أن يختار بينها : وعلى سبيل المثال — فان المصلحة الاقتصادية لبعض الصناعات داخل دولة ما يمكن التضحية بها فى وقت ما بهدف تعزيز مصلحة النظام العالمى الذى يضم دولة أخرى تعد صداقتها وتعاونها أمرا ضروريا لتدعيم الاستقرار فى جزء هام من العالم .

(ج) تشكل أيديولوجية الدولة جزءا هاما من مصلحتها الوطنية ، ولكن ربما ليس بنفس أهمية المصالح الثلاث الأخرى ، ولكنها هامة فى تقرير كيف ستتصرف الدولة تجاه المشكلات الدولية .

(د) وفيما يتعلق بالمصلحة الدفاعية فاننا نعنى بها فقط حماية الوطن المحلى — المواطنين ، والنظام السياسى للدولة فهى لا تشمل التحالفات مع الدول الأخرى ، وان كان يمكن أن تشمل القوعد الاستراتيجية التى تتمثل وظيفتها الأولى فى حماية الوطن المحلى .

... وعلى أية حال فان المصالح الأربع السابقة هى عوامل ديناميكية تؤثر على سلوك الدولة وتتفاوت أهمية كل منها فى تأثيرها على سلوك الدولة من وقت الى آخر .

ثالثا : تحديد درجة كثافة المصلحة :

أما المنقطة الثالثة التى ساقها نوشترلين فتتمثل فى تحديد كثافة وأولوية كل مصلحة من جانب القيادة السياسية للدولة • وعلى سبيل المثال فان حكومة ما ربما تهتم بوقوع انقلاب عسكرى فى دولة صديقة ، ولكن درجة كثافة اهتمامها تعتمد على عدد من العوامل من بينها : مدى قرب هذه الدولة من حدودها ، وشكل نظام الحكم الجديد وتوجهاته ، ومدى امكانية استمرار العلاقة التاريخية ، والتجارية مع هذه الدولة • وهنا يتعين على صانعى السياسة أن يدرسوا التكاليف المحتملة لأفعالهم التى يمكن أن يقرروها لمواجهة الأحداث غير المواتية فى تلك الدولة بما فى ذلك مخاطر الحرب • ان درجة الاهتمام التى توليها دولة ما لمسائل دولية بعينها تتحدد بعد دراسة متأنية لحساب العائد / الخسارة على نحو ما يتصورها صانع القرار ، وفى النهاية يتم التوصل الى السياسة التى يجب تبنيها ، ولكن عملية تقرير درجة أو كثافة الاهتمام تنطوى على ضرورة الفهم لعملية التداخل بين المصالح الأربع الأساسية التى سبق ذكرها • وعليه فان تغيير نظام حكم من خلال انقلاب عسكرى فى دولة صديقة يمكن أن يشكل كارثة لدولة أخرى لأسباب أيديولوجية ، أو لأسباب تتعلق بالنظام الدولى ، ولكن اذا كانت هناك روابط اقتصادية هامة مع الدولة محل الاهتمام ووضح امكانية استمرارها ، واذا لم يكن هناك أى تهديد لأراضى الدولة الأخرى فان الاهتمام الايديولوجى والأمنى يتراجع ليمثل مرتبة تالية بعد المصلحة الاقتصادية •

ولكى تتمكن من تحليل درجات الاهتمام التى تتصورها الحكومات المتورطة فى مشكلات دولية بعينها ، فقد يكون من المفيد ــ على حد رأى نوشترلين ــ تحليل درجات الاهتمام على النحو التالى :

١ ــ مسائل مصيرية Survival Issues

وتكون المسألة كذلك اذا تعرض وجود الدولة ذاته للخطر اما نتيجة لهجوم عسكرى على اقليمها ، أو نتيجة لتهديد حال بالهجوم عليها ان هى لم تنفذ مطالب الخصم •

ان المعيار فى تحديد ما اذا كانت مسألة ما تعد مصيرية أو حيوية على منحنى الأولويات يتمثل فيما اذا كانت هذه المسألة حالة من عدمه ،

ومما لا شك فيه ان المصلحة الدفاعية ــ على نحو ما عرفناها آنفا ــ هى وحدها التى يمكن أن تصل الى هذه الدرجة من الكثافة .

٢ ــ مسائل حيوية : Vital Issues

وتكون المسألة كذلك اذا وضح أن ضررا بالغا يمكن ان يلحق بالدولة ان هى لم تقم بأتخاذ اجراءات فعالة بما فى ذلك الاستخدام الشامل لقواتها المسلحة لمواجهة عمل عدوانى من جانب دولة أخرى أو لاجهاضه حتى لا يؤدى الى نتائج خطيرة عليها .

وهكذا فان المصلحة الحيوية ــ فى المدى الطويل ــ تظهر فى وجود تهديد خطير للرفاهية السياسية والاقتصادية ، ولوجـود الدولة ذاته . وعنصر الزمن وحده هو الذى يفرق بين كون المسألة مصيرية وبين كونها مسألة حيوية . فالمسألة تكون حيوية اذا كان يوجد أمام الدولة وقت كاف للبحث عن المساعدة من الحلفاء ، وللمساومة مع الخصم ، ولاتخاذ اجراءات هجومية لتحذير الخصم بأنه سيدفع الثمن اذا لم ينه ضغوطه السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وعليه فان المصلحة الحيوية ــ وعلى خلاف المصلحة المصيرية ــ تتضمن بالاضافة الى المصلحة الدفاعية كافة المصالح الأخرى الاقتصادية ، والنظام العالمى ، والمصلحة الأيديولوجية .

٣ ــ مسائل كبرى : Major Issues

قد تتأثر الرفاهية الاقتصادية والسياسية والايديولوجية للدولة بشكل أو بآخر باتجاهات وأحداث البيئة الدولية ، والتى تتطلب اتخاذ فعل صحيح لمنعها من ان تشكل تهديدا خطيرا للدولة (مسألة حيوية) ، ومعظم مسائل العلاقات الدولية تقع فى اطار هذه الفئة ، وتحل عادة من خلال المفاوضات الدبلوماسية ، على أنه اذا ما فشلت الاداة الدبلوماسية

، حل مثل هذه المسائل ، فانه يتعين على صانع القرار أن يعيــد تقييم موقفه ومدى تأثر مصالحه بمسار الأحداث الدولية ، فان تأكيد أنه غير راغب ، أو غير قادر على المساومة فيما يعتبره مسألة جوهرية ، فانه يرفع المسألة الى مستوى « المسألة الحيوية » ، وان قرر أن المفاوضات لا تزال هى أفضل أسلوب لحل النزاع فان المسألة تظل مسألة كبرى .

ويلاحظ أن معظم المشكلات الاقتصادية الدولية هى مسائل كبرى وليست حيوية ، وينطبق نفس القول على المصلحة الايديولوجية رغم أن بعض الدول أحيانا ما تعطى اهتماما أكبر للجانب الايديولوجى فى محاولة لتعبئة الرأى العام المحلى والدولى الى جانبها ، لكن مصالح النظام العالمى يصعب أن تكون محلا للمساومة على اعتبار أن ذلك يؤثر على شعور الدول بالأمن .

٤ ـ مسائل فرعيـــة Peripheral Issues

لا تتأثر رفاهية الدولة وحدها بأحداث واتجاهات البيئة الدوليـــة ، وانما تتأثر بها أيضا المصالح الخاصة لمواطنيها وشركاتها العاملة فى الخارج، ومن الواضح أن الشركات متعددة الجنسيات تعطى أولوية كبرى من جانب دولة المقر طالما أن عوائد هذه الشركات والضرائب التى تدفعهـــا تؤثر بدرجة كبيرة على رفاهية دولة المقر فى الداخل ، وكل دولة تقرر كيفية ومدى تقديرها لمصالح شركاتها التجارية العاملة فى الخارج ، لأن نشاطات هذه الشركات تشكل مسائل كبرى للمصلحة الوطنية ، وان كان بعضها لا يشكل الا أهمية فرعية .

... بعد هذا العرض الموجز لمنهج المصلحة الوطنية على نحو ما طوره نوشترلين ، فقد يكون من المفيد أن نورد الجدول الذى أسماه مصفوفة المصلحة الوطنية ، والذى ضمنه تصور لكيفية استخدام المنهج .

جدول رقم (١)
مصفوفة المصلحة الوطنيـــة

المصلحة الوطنيـــة	كثـافة المصلحة			
	مصيرية	حيــوية	كبرى	فرعيــة
الدفاع عن ارض الوطن الرفاهية الاقتصـــادية نظـام دولي ملائم تعــزيز القيـــم				

المبحث الثانى
طبيعة وكثافة المصالح الوطنية للأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى

نود أن نشير منذ البداية الى أن موقع الأطراف العربيـــة فى منطقة القرن الافريقى ، وامتداد ســواحلها على طول البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فضلا عن وقوع باب المندب قبالة سواحلها . كل ذلك يجعل لهذه الأطراف بل للدول العربية المجاورة مصلحة وطنية دفاعية تنصب على ضرورة تطهير هذه المنطقة من أى وجود أجنبى معاد تأمينا لشعوبها وأرضها وثرواتها وقيمها من أى تهديد ، وهو أمر يصعب تحقيقه ما لم تتضافر الجهود العربية لتحويل البحر الأحمر الى بحيرة عربية ، أضف الى ما تقدم فان للأطراف العربية فى المنطقة ، فضلا عن الدول العربية المجاورة مصلحة وطنية اقتصادية فى تأمين طريق باب المندب الذى يمر عبره معظم صادرات الدول العربية فى شبه الجزيرة العربية من البترول ، وذلك حفاظا على الرفاهية الاقتصادية لشعوبها .

واذا كنـا لم نستخدم مصطلح دول حتى الآن ، وآثرنا استخدام مصطلح « الأطراف » العربية فى منطقة القرن الافريقى ، فان ذلك يعد أمرا متعمدا ويعبر عن عدم القبول الكامل للتعريف الذى أورده نوشترلين لمفهوم المصلحة الوطنية حين يقول انها « الحاجات والرغبات المتصورة لدول مستقلة فى علاقاتهـا بالدول الأخرى المستقلة ، والتى تشـكل بيئتهـا الدوليــة » .

ان التعريف السابق يقصر مفهوم المصلحة الوطنية على الدول المستقلة فقط ، فى حين أن الاتجاه الحديث فى دراسة العلاقات السياسية الدولية ــ وهو الذى نأخذ به ــ لم يعد يرى فى الدول الفاعل الوحيد فى النظام السياسى الدولى ، اشارة الى وجود فاعلين آخرين مؤثرين غير الدول ، بل وربما بدرجة أكبر بكثير من بعض الدول ، ومن أهم هؤلاء الفاعلين المنظمات الدولية ، وحركات التحرر الوطنى وبعض الشركات متعـددة الجنسية وهكذا لم يعد الشرط المطلوب توفره فى الفاعل لكى يكون دوليا هو الاستقلال أو السيادة ، وانما القدرة على التأثير على المستوى الدولى . من هنا فقد يكون من المناسب أن نعرف مفهوم المصلحة الوطنية بأنه « الحاجات والرغبات المتصـورة لفاعل دولى فى علاقته بالفـاعلين الدوليين الآخرين الذين يشكلون بيئته الدولية »

والتعريف السابق يسمح لنا بمعالجة مشكلات كافة الأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى سواء كانت هذه الأطراف دولا (السودان — جيبوتى — الصومال) وسواء كانت حركات تحرير وطنى (حركات التحرير الارترية — جبهة تحرير الصومال الغربى) .

بعد هذا التحديد بأهمية المنطقة وبالمصطلحات التى سنستخدمها سنتناول بالتحليل مشكلات الأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى .

أولا : السـودان :

ان معظم مشكلات السودان تنبثق من ثنايا علاقاتها الخارجية مع أثيوبيا فمنذ استقلال السودان لم تشهد العلاقات السودانية الأثيوبية الافترات هدنة مؤقتة سرعان ما تنهار ليعود التأم مرة أخرى فى العلاقات . ويرجع السبب فى ذلك الى المطامع الأثيوبية التقليدية فى السـودان من جهة ، كما يرجع الى مساندة أثيوبيا للانفصاليين فى جنـوب السـودان وإيوائها للاجئين السياسيين السودانيين من جهـة أخرى ، وهو الأمر الذى دفع بالسودان الى مزيد من التقارب مع مصر من جهة ، وتقديم العون لثوار اريتريا ، وايواء اللاجئين السياسيين الاثيوبيين المعارضين لنظام الحكم الاثيوبى من جهة أخرى .

وقد كشف النظام الاثيوبى غـير مرة ، عن أطماعه التوسـعية فى السودان ، ففى مايو عام ١٨٩٨ ، أرسل الامبراطور الأثيوبى منليك مذكرة الى الدول الأوربية أكد فيها عزمه على « استرجاع الحدود القديمـة لأثيوبيا ، والتى تمتد من الخرطوم حتى بحيرة نيانزا (فيكتوريا) »[١] .

وفى مايو عام ١٩٦٣ كرر رئيس الوزراء الأثيوبى نفس المزاعم أمام الجلسة التأسيسية لمنظمة الوحـدة الافريقيـة حين أعلن أن « الدول الاستعمارية قد حرمت بلاده من سواحلها على المحيط الاطلنطى حيث لم تكن هناك دول أو أمم تسمى السودان ، أو تشاد ، أو أفريقيا الوسطى

— Circula letter addressed to Britian, France, Germany, Italy (١) and Russia. Public Record Office, London, Foreign Office, 1/32 Rodd to Salisbury, No. 15, 4th. May 1898.

أو نيجيريا وانما كان هناك فقط أثيوبيا التى تمتد بطول وعرض القارة الافريقية (٢) .

وعلى هذا النحو يصبح للسودان مصلحة دفاعية « حيوية » تفرض عليها ضرورة اتخاذ اجراءات فعالة بما فى ذلك الاستخدام الشامل لقواتها المسلحة لمواجهة أى عمل عدوانى من جانب أثيوبيا ــ عند الاقتضاء ــ أو لاجهاضه حتى لا يؤدى الى نتائج خطيرة عليها .

واذا كانت مشكلة الاندماج الوطنى وبناء الأمة تعرض أكثر المسائل الحاحا فى السودان والتى تقتضى ضرورة ايجاد حل لها يحفظ على الدولة السودانية وحدتها ، خاصة مع اتجاه فريق من أبناء جنوب السودان الى حمل السلاح مرة أخرى فى وجه الحكومة المركزية منذ أوائل الثمانينيات (٣) . اذا كان ذلك كذلك وهو ما يذكر البعد الداخلى للأزمة ، فانه لا يمكن بحال اغفال دور العامل الأجنبى فى تفاقم الأزمة ووصولها الى حد الصدام المسلح ، فقد كان لأثيوبيا ــ ولا يزال ــ الدور الرئيسى فى تدريب وتسليح المتمردين فى جنوب السودان ، صحيح أن الامبراطور هيلاسلاسى كان له الدور الأساسى فى عقد اتفاق أديس أبابا عام ١٩٧٢ والذى أنهى المرحلة الأولى من الحرب الأهلية فى السودان ، الا أن هيلاسلاسى قد دفع الى ذلك دفعا تحت تأثير تدهور الأوضاع الاقتصادية فى أثيوبيا بسبب القحط وتحت تأثير اشتداد ضربات حركات التحرير الارترية ، وهكذا جاء اتفاق أديس أبابا ليحقق مكسبا لأثيوبيا حتى أعلنت السودان فى المقابل عن وقف مساعداتها الرسمية لثوار ارتريا ، وعن عزمها على القيام بدور الوسيط بين أثيوبيا وبين ثوار ارتريا . الا أن وقوع الانقلاب العسكرى فى أثيوبيا عام ١٩٧٤ وتبنى القادة الجدد منطق الحل العسكرى لمشكلة ارتريا ، قد أدى الى تدفق آلاف اللاجئين الارتريين الى السودان ، ثم رفض ثوار ارتريا تبعا لذلك منطق

---

(١) — Abdi Sheikh-Abdi, «Somalia : Litmus paper for U.S. Foreign policy in the 1980 s ? in **Horn of Africa,** (New Jersey : Horn of Africa Journal) Vol. 3, No. 2, 1980, PP. 36-37.

(٢) دكتور ابراهيم أحمد نصر الدين : « الاندماج الوطنى فى افريقيا والخيار السودانى » ــ مجلة المستقبل العربى (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية) السنة السابعة ــ العدد ٦٣ ــ مايو ١٩٨٤ ــ ص ٤٨ ــ ص ٥٣ .

الحوار مع الحكومة الاثيوبية وانتهى ذلك الى افشال جهود الوساطة السودانية ، وقد تدهورت العلاقات السودانية الأثيوبية عقب التوجهات الماركسية لنظام الحكم الجديد فى أثيوبيا ، ولجوء القادة الجدد الى تقوية علاقاتهم بالاتحاد السوفييتى ، وهو الأمر الذى جدد مخاوف السودان من نشاطات الاتحاد السوفييتى المعادية ، وهى مخاوف كان لها ما يبررها منذ قمع محاولة الانقلاب الشيوعى فى السودان عام ١٩٧٠ ، وازاء ذلك اتجهت السودان الى ابرام معاهدة الدفاع المشترك مع مصر فى يوليو ١٩٧٦ ، والى التأييد العلنى لثوار اريتريا ، وغيرهم من المعارضين لنظام الحكم فى أثيوبيا (١) ، وقد أدى التردى فى العلاقات السودانية الاثيوبية الى اتجاه أثيوبيا مرة أخرى ومعهـا ليبيا الى تدريب وتسليح الانفصاليين الجنوبيين الذين رجعوا يحملون السلاح مرة أخرى فى وجه الحكومة المركزية منذ أوائل الثمانينيات وقد أعطتهم الحكومة المركزية فى الخرطوم هذه المرة ذريعة لأعمالهم حين خرجت على نصوص ومبادىء اتفاق أديس أبابا ، وقسمت الاقليم الجنوبى الى ثلاثة أقاليم (٢) •

على أنه تجدر الاشارة الى أن طبيعة عمليات الانفصاليين الجنوبيين هذه المرة سواء من حيث التدريب والتسليح ، وامتداد نشاطاتهم العسكرية فى الجنوب قد بات يشكل خطورة حقيقية على كيان الدولة السودانية ، ويهدد باحتمالات انفصال الجنوب ، مع ما يعنيه ذلك — ان تم — من تمكين أثيوبيا من تشديد قبضتها على المناطق التـابعة لهـا من جانب (اريتريا — الصومال الغربى) ، ومع ما يعنيه ذلك أيضاً من الحد من ظاهرة المد العربى فى أفريقيا •

ومن هنا يصبح للسودان مصلحة دفاعية « مصيرية » ، خاصة وأن وجود الدولة ذاته قد أصبح معرضا للخطر • وان كان يتعين على الحكومة السودانية فى نفس الوقت أن تسعى الى التعامل مع بيئتها الداخلية بمـا يحقق المصلحة العامة التى تفرض ضرورة ايجـاد حل سلمى لمشـكلة الجنوب •

---

(١) — Dr. Olusola Ojo, «Ethiopia's Foreign Policy Since the 1974 Revolution», in **Horn of Afrnca**, Vol. 3 No. 4, 1980/1981, PP. 4-6.

(٢) دكتور ابراهيم احمد نصر الدين : « الاندماج الوطنى فى افريقيا » م.س.ذ. ص ٤٩ — ٥١ •

العسكرى فى أثيوبيا ــ تحولت توجهات النظام الحاكم فى أثيوبيا نحو اليسار ، فى حين تحولت توجهات النظام الحاكم فى السودان تدريجيا الى أقصى اليمين ، الأمر الذى أدى الى تزايد العداء بين النظامين وهو العداء الذى راحت تغذيه كل من الدولتين العظميين حيث تقف الولايات المتحدة الى جانب السودان ، ويقف الاتحاد السوفيتى الى جانب اثيوبيا ، ثم ان للسودان مصلحة « حيوية » فى النظام العالمى تتطلب منها ان تقف الى جانب مبدأ عدم التوسع على حساب أراضى الغير .

جـــدول (٢)

السودان : مصفوفة المصلحة الوطنية

المصلحة الوطنية	كثـافة المصلحة			
	مصيرية	حيـوية	كبرى	فرعيـة
الدفاع عن أرض الوطن	√	—	—	—
نظام دولى ملائم	—	√	—	—
الرفاهيــة الاقتصادية	—	√	—	—
تعـزيز القيــم	—	√	—	—

ثانيا : اريتريا :

لم تكن اريتريا فى أى فترة من فترات تاريخها جزءا من الامبراطورية الاثيوبية ، حتى أجبرت على الدخول فى اتحاد فيدرالى مع اثيوبيا عـام ١٩٥٢ بموجب قرار صادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٠[1] وهو الاتحاد الذى تقوض كلية عندما قام الامبراطور هيلاسيلاسى بالغاء الاتحاد ودمج اريتريا فى أثيوبيا عام ١٩٦٢ ، وقد أدى ذلك الى اندلاع الكفاح المسلح على يد حركة التحرر الاريترية سعيا للحصول على حق تقرير المصير والاستقلال .

---

(١) دكتور عبد الملك عودة : الامم المتحدة وقضايا افريقيـا ـ (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٧) ص ٤١ ـ ٤٥ . ولمزيد من التفصيل انظر :

ــ دكتور السيد رجب حراز : الأصول التاريخية للمشكلة الاريترية (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ـ الدراسات الخاصة رقم ١٠ ـ ١٩٧٧) صفحات متفرقة .

كذلك فان للسودان مصلحة اقتصادية « حيوية » تفرض عليها ضرورة انهاء الحرب فى الجنوب بشكل أو بآخر ، ذلك أن استمرار هذه الحرب يؤثر على الرفاهية الاقتصادية للشعب السوداني فهى تلقى بمزيد من الأعباء على كاهل الاقتصاد السودانى المتردى ، وهى قد حالت دون ضخ البترول السودانى نتيجة للعمليات العسكرية فى الجنوب ، وهى قد عرقلت اتمام قناة جونجلى التى كانت ستضيف مزيدا من الرقعة الزراعية للسودان ، وهى ستؤدى الى تدمير البنية الأساسية فى الجنوب . أضف الى ما تقدم فان الصراع السياسى حول مياه نهر النيل والذى اشتد أواره فى أواخر السبعينيات حين صدرت تلميحات عن القاهرة تشير الى امكانية نقل مياه النيل الى اسرائيل ، أو نقله من خلال أنابيب الى العربية السعودية عبر البحر الأحمر ، وحين صرح منجستو أن مياه النيل الأزرق وحصة أثيوبيا منه يجب أن تستغل فى الزراعة الكثيفة ، وتوليد الكهرباء على اعتبار أن الماركسية لا يمكن أن تستقر فى بلاده ما لم تتحرر اثيوبيا من شبح المجاعة وحين طلب من السوفييت اقامة العديد من السدود على النيل الأزرق ، نقول أن هذا الصراع السياسى حول مياه النيل قد جعل لأثيوبيا موقفا تفاوضيا أقوى فى مواجهة كل من السودان ومصر باعتبار كونها تتحكم فى أهم منابع نهر النيل (٥٩٪ من مياه النيل) ، ودفع بمنجستو الى أن يطالب الرئيس نميرى — أثناء اجتماع قمة بينهما فى فريتاون عاصمة سيراليون فى فبراير ١٩٧٩ — بأن تتنازل السودان لأثيوبيا عن جزء من مديرية النيل الأزرق ذات التربة الصالحة للزراعة فى مقابل تأمين احتياجات السودان من مياه النيل الأزرق ، وأن تقوم السودان كذلك بوقف مساعداتها لثوار اريتريا ، وقد أدى المطلب الأول الى فشل مؤتمر القمة للمصالحة بين البلدين[1] .

أضف الى ما تقدم فان للسودان مصلحة أيديولوجية « حيوية » تفرض عليها ضرورة المواجهة مع أثيوبيا ، فعلى حين كانت توجهات النظام الحاكم فى السودان فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات أقرب الى اليسار كانت توجهات النظام الامبراطورى فى أثيوبيا توجهات يمينية ، ومنذ منتصف السبعينيات على وجه الخصوص — وعقب الانقلاب

---

(1) APD, «Water becomes Political Weapon», in The South **Africa Journal of African Affairs,** (Pretoria : Africa Institute), Vol. 9, No. 2, 1979, P. 63.

ان هذه الحقيقة التاريخية ــ التى لا يستطيع أى مؤرخ محايد أن ينكرها لم تستطع الحكومة الاثيوبية ذاتها أن تخفيها رغم سيل المزاعم التاريخية التى راحت تسوقها لتبرير ضمها لأريتريا ، ويؤكد ذلك تلك المذكرة السرية الصادرة عن الحكومة الاثيوبية فى ٧ يونيو ١٩٧٥ والتى تحمل عنوان « السياسة الخارجية الأثيوبية ومشــكلة اريتريا » وهى المذكرة التى استطاعت جبهــة التحرير الاريترية أن تحصــل على النص الرسمى الأمهــرى لهــا حيث قامت بترجمتهــا الى اللغــة الانجليزية ونشرهــا (١)

ان هذه المذكرة على قدر كبير من الأهمية ، فهى من جانب تكشف عن مدى ضعف الأساس القانونى الذى تستند اليه أثيوبيا فى استمرار احتلالها لاريتريا ، وهى من جانب آخر تبرز الطبيعة العدوانية والتوسعية للنظام الأثيــوبى ، ثم من جانب ثالث توضح مدى زيف الشــعارات والتوجهات الايديولوجية التى راح نظام الحكم الأثيوبى الجديد يطرحها منذ انقلاب نوفمبر عام ١٩٧٤ ، ولعل عرضا موجزا لأهم ما ورد فى هذه المذكرة يوضح ما تقدم .

١ ــ تذهب المذكرة الى ضرورة التأكيد على أن المشكلة الاريترية « مسألة داخلية » الأمر الذى يفرض ضرورة تكثيف الجهود للحيلولة دون تدويلها بعرضها على الأمم المتحدة أو أية منظمة دولية .

٢ ــ تركز المذكرة على ضرورة تجاهل الجانب القانونى للمشكلة الاريترية ، وخاصة ما يتعلق منه بمدى مشروعية الغاء الاتحاد الفيدرالى ، على اعتبار أن التعرض لهذا الجانب يمكن أن يحول المشكلة لتصبح مشكلة دولية ، ثم انه يخلق مشكلات أمام السياســة العــامة للدولة الاثيوبية ، ويؤدى الى ظهور العديد من النقاط القانونية التى تقوض الموقف الاثيوبى من أساسه ، ومن هنا تذهب المذكرة الى ضرورة التعرض للجانب السياسى من المشكلة فقط .

---

(١) تتكون هذه المذكرة بعد ترجمتها الى الانجليزية من ٢٢ صفحة ، وقد اكتفت جهة التحرير الاريترية بنشرها دون أن تضع تاريخا محددا للترجمة أو النشر .

٣ ــ تتجه المذكرة بعد ذلك الى تحديد الخطوات والأساليب التى يتعين على منفذى السياسة الخارجية الاثيوبية اتباعها فى التخاطب مع مختلف دول العالم على النحو التالى :

(أ) فيما يتعلق بدول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يجب عرض المشكلة على النحو التالى :

(١) أن المشكلة الاريترية لها جذور استعمارية ، وأن اسم اريتريا لم يظهر الى الوجود ويطلق على الاقليم الشمالى لاثيوبيا الا بعد الاستعمار الايطالى ، ثم ان اريتريا تضم العديد من القبائل واللغات والثقافات التى ترتبط ارتباطا وثيقا بمثيلاتها فى أثيوبيا .

(٢) ان نجاح الحركة الانفصالية الاريترية فى تحقيق أهدافها من شأنه أن يشكل تهديدا خطيرا لكل الدول التى تعانى من نفس هذه الأوضاع فى أفريقيا وآسيا .

(٣) ان المساعدات المادية والعسكرية التى تقدمها الدول العربية الى الحركة الانفصالية فى اريتريا هى العامل الأساسى فى تفجر الأوضاع فلقد قدمت الدول العربية مساعداتها لهذه الحركة فى البداية بغية الضغط على أثيوبيا لقطع علاقاتها مع اسرائيل ، الا أنه رغم قيام أثيوبيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، فان المساعدات العربية للحركة الانفصالية قد تزايدت بهدف تحقيق الاستراتيجية العربية المتمثلة فى جعل البحر الأحمر بحيرة عربية عن طريق انتزاع اريتريا من أثيوبيا وتحويلها الى دولة عربية .

(ب) فيما يتعلق بدول غرب أوربا فانه يجب مخاطبتها على النحو التالى :

(١) الترويج بأن سياسة نظام الحكم الأثيوبى الجديد فى اللامركزية والادارة الذاتية من شأنها استعادة روح وأهداف الاتحاد الفيدرالى المنحل ، نظرا لعدم قناعة هذه الدول بمشروعية الغاء الاتحاد .

(٢) ان انفصال اريتريا سيضعها تحت رحمة القوى الأجنبية الطامعة ، نظرا لضعف الاقتصاد الاريترى واعتماده على الدعم الاثيوبى .

(٣) ان اريتريا تضم العديد من القبائل واللغات والثقافات ، من ثم فان الانفصال لن يشكل حلا سياسيا للمشكلة ، بل انه قد يؤدى الى اندلاع الصراع الدينى بين المسلمين والمسيحيين فى اريتريا .

(ج) فيما يتعلق بدول الكتلة الشرقية فانه يجب مخاطبتها على النحو التالى : اذا كانت الفلسفة الماركسية تذهب الى ضرورة منح الحرية الكاملة لكل جماعة وطنية فى التعبير عن ثقافتها ولغتها حتى تشكل دولة مستقلة ، فان هذا الحق الأخير لم يطبق واتخذ شكل الفيدرالية ، ثم ان الحزب الشيوعى هو الذى يسيطر على عملية صنع السياسة الخارجية الأمر الذى يعنى أن شعار منح الحرية للشعوب قد أخذ شكلا مختلفا عند التطبيق . ومن هنا يجب مخاطبة هذه الدول بالتركيز على أن اريتريا تضم أكثر من ثقافة ، وأكثر من جماعة وطنيـة ، الأمر الذى يعنى أن المشكلة الاريترية ليست مشكلة وطنية ، وبالتالى فان سياسة نظام الحكم الجديد فى الادارة الذاتية من شأنها المحافظة على مختلف الثقافات واللغات لكافة الجماعات الوطنية فى اريتريا .

(د) فيما يتعلق بالدول العربية :

(١) ان الدول العربية الافريقية بالذات تخشى أن يؤدى تصاعد دعمها للحركة الانفصالية فى اريتريا الى تأزم العلاقات العربية ــ الافريقية ، ومن هنا يجب استغلال هذا الموضوع عن طريق توثيق علاقات أثيوبيا بالدول الافريقية لتساند الموقف الاثيوبى .

(٢) ان بعض الدول العربية الأخرى تفتقـر الى الفهـم الصحيح للمشكلة الاريترية ، وبالتالى يجب استخدام كافة وسـائل الاتصـال لتصحيح موقفها ويجب التركيز هنا على أن مشكلة اريتريا ليست عربية وليست اسلامية .

(٣) يجب التركيز على الطبيعة الاشتراكية للنظام الاثيوبى واستعداده للتعاون والتنسيق مع الدول العربية والتأكيد بالذات على أن أثيوبيا لن تعيد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وأنها ستظل مساندة للموقف العربى ، فاذا ما أصر العرب على موقفهم المعـادى لأثيوبيـا فان ذلك

ذلك سيحرجهم أمام أصدقائهم ويضعهم فى موقف الناكر للجميل ، ومن شأن ذلك حدوث رد فعل معاكس من جانب الدول الافريقية التى تساند العرب •

••• لعل العرض السابق لتلك المذكرة يكشف كافة الجوانب التى ذكرناها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالطبيعة التوسعية العدوانية للنظام الاثيوبى ، وهو الأمر الذى اكتشفه قادة الحركة الوطنية الاريترية مبكرا حينما قاموا بانشاء جبهة التحرير الاريترية فى يوليو عام ١٩٦٠ وبدء الكفاح المسلح من أجل حق تقرير المصير والاستقلال فى أوائل سبتمبر ١٩٦١ (١) ، وهو الأمر الذى واجهته الحكومة الاثيوبية بمزيد من العنف وواجهه نظام الحكم الاثيوبى الجديد بحرب ابادة فى اطار ما عرف باسم المسيرة الحمراء ، حيث حشد مئات الألوف من فلاحى الأمهرا فى مايو ١٩٧٦ ، ودفعهم الى القتال فى اريتريا مستهدفا افراغ الأرض من سكانها الأصليين ، واحلال فلاحى الأمهرا محلهم (٢) •

وازاء ما تقدم فانه يصبح لحركات التحرير الاريترية على اختلاف فصائلها وتوجهاتها مصلحة دفاعية « مصيرية » تفرض عليها استمرار المواجهة المسلحة ضد النظام الأثيوبى دفاعا عن الشعب الاريترى من مخاطر الابادة والتشرد فى المنفى • كما أن لحركات التحرير الاريترية مصلحة اقتصادية « حيوية » تفرض عليها ضرورة حماية المصالح الاقتصادية للشعب الاريترى فى مواجهة سياسة النظام الاثيوبى التى تتجه الى افراغ الأراضى الصالحة للزراعة فى اريتريا من أصحابها ، واحلال فلاحى الأمهرا محلهم ، ثم ان لحركات التحرير الاريترية مصلحة «حيوية» فى النظام العالمى بغية تأكيد الشرعية الدولية ، واقرار مبدأ عدم احتلال أراضى الغير بالقوة ، وتدعيم مبدأ حق تقرير المصير ، وفضلا عما تقدم فان لحركات التحرير الاريترية ، وبخاصة جبهة التحرير الاريترية مصلحة أيديولوجية « حيوية » فى تأكيد عروبة اريتريا ذلك أن البرنامج السياسى للجبهة الصادر فى مايو ١٩٧٥ يؤكد على أن « قيادة الثورة الاريترية

---

(١) — Michael & Trish Johnson, «Eritrea : The National question and the logic of Protracted Suruggle», in **African Affairs**, Vol. 80, No. 319, April, 1981, PP. 186-189.

(٢) — Eritrean Liberation Front, Memorandum to the Affrican & Arab Heads of States Conference, Cairo, 7/3/1977, PP. 3-4.

اذ تلاحظ العلاقات العضوية الثقافية التاريخية والسياسية التى تربط الشعب الاريترى بالأمـة العربيـة تؤكد على النضـال المشترك ضـد الصهيونية ... الخ » ، كما أن المؤتمر الوطنى الثانى للجبهة المنعقد فى نفس التاريخ يؤكد فى قراراته على « عمق العلاقات العضوية التى تربط الشعب الاريترى بالدول العربية ، وتربط الثـورة الاريترية بحركـة التحرر الوطنى فى العالم العربى ، وهى حقيقة تستند الى واقع العلاقات التاريخية والثقافية ، والى علاقات النضال المشترك ضـد الامبرياليـة والصهيونية الدولية »(1) .

والجدول التالى يوضح مصفوفة المصلحة الوطنية بالنسبة لاريتريا .

جـدول (٣)
اريتريا : مصفوفة المصلحة الوطنية

المصلحة الوطنيـة	كثـافة المصلحة			
	مصيرية	حيـوية	كبرى	فرعيـة
الدفاع عن ارض الوطن	√	—	—	—
الرفاهية الاقتصادية	—	√	—	—
نظام دولى ملائم	—	√	—	—
تعـزيز القيـــم	—	√	—	—

ثالثا : جيبـــوتى :

منذ استقلال جمهورية الصومال عام ١٩٦٠ باندماج كل من الصومال البريطانى والايطالى فى دولة موحدة ، فان الدستور الصومالى قد نص على ضرورة العمل على دمج كافة الأقاليم الصومالية الأخرى ــ الصومال الفرنسى (جيبوتى) ــ الصومال الكينى (اقليم نفد) ــ الصـومال الاثيوبى (الغربى) فى دولة الصومال استنادا الى حق تقرير المصير باعتبار أن الشعب الذى يعيش فى هذه الأقاليم هو شعب صومالى .

(1) — The Eritrean Liberation Front. **Political Programme,** Approved by the 2nd. National Congress of the ELF, Liberated Areas, May 28, 1975, P. 28 & PP. 44-45.

الا أن أثيوبيا وقفت عقبة كأداء أمام تحقيق هذا المطلب الصومالى فى كل من الصومال الفرنسى والصومال الاثيوبى ، نظرا لأن ميناء جيبوتى ــ والذى يرتبط بالعاصمة الاثيوبية أديس أبابا بخط حديدى ــ يمثل المنفذ الرئيسى للتجارة الخارجية الاثيوبية (٦٠٪ من هذه التجارة يمر عبر الميناء) ثم ان أهمية الميناء قد تزايدت بعد انتشار عمليات حركات التحرير الاريترية والتى عطلت استخدام ميناءى مصوع وأسمرا فى اريتريا (١) .

ومع وأائل السبعينيات فان فرنسا راحت تلوح وتعرب عن نيتها بمنح الاستقلال لجيبوتى ، وقد أدى ذلك الى اشتداد حدة التنافس بين كل من أثيوبيا والصومال على الاقليم اذ راحت أثيوبيا تسعى لدى فرنسا لتأجيل عملية الاستقلال ، فى حين اتجهت الصومال ــ ورغبة منها فى مواجهة الاطماع الاثيوبية فى الاقليم ــ الى الاعلان عن تخليها عن مطالبها الاقليمية فى جيبوتى ، وهو الأمر الذى اضطر أثيوبيا الى أن تعلن فى ١٩٧٥ عن قبولها استقلال جيبوتى مع ضرورة ضمان المصالح الاقتصادية الاثيوبية فيه ، وقد أدت هذه التطورات الى فتح الطريق لأول مرة أمام استقلال الاقليم (٢) .

وقد حدثت تطورات فى منتصف السبعينيات شجعت فرنسا على الاقدام على منح الاستقلال للاقليم ذلك أن ظهور القوة العربية البترولية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد دفع بفرنسا الى قبول المطالب العربية بتصفية الاستعمار فى جيبوتى رغبة منها فى تقوية علاقاتها بالدول العربية البترولية ، ثم ان تدهور الأوضاع فى أثيوبيا عقب انقلاب ١٩٧٤ وانتشار الاضطرابات الداخلية فيها ، وتفجر مشكلة القوميات ، وانتشار القحط والمجاعة قد أدى الى تهدئة المخاوف من احتمالات قيام أثيوبيا بضم جيبوتى اليها ، وفى المقابل بدت الصومال أكثر قوة اذا ما قورنت بأثيوبيا ، وأكثر قبولا لدى فرنسا خاصة بعد انضمامها للجامعة العربية ، وتدهور

---

(١) — Kassim Shehim & James Searing, «Djibouti and the question of Afar Nationalism», in **African Affairs**, Vol. 79, No. 315, April 1980, P. 214.

(٢) نبيه الاصفهانى : « طريق جيبوتى الى الاستقلال » مجلة السياسة الدولية ــ العدد ٤٧ ــ يناير ١٩٧٧ ــ ص ٥٥ ــ ٦٥ .

علاقاتها بالاتحاد السوفييتى ، وقد أسهمت المملكة العربية السعودية بدور بارز – وان كان غير مباشر – فى دفع عملية استقلال جيبوتى خاصة مع بدء حدوث عملية التحول فى منطقة القرن الافريقى حين اتجهت أثيوبيا الى التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، وحين تحولت الصومال لتقوى علاقاتها بالدول العربية المحافظة وبخاصة العربية السعودية (١) •

وهكذا جاء استقلال جيبوتى فى يونيو ١٩٧٧ وانضمامها للجامعة العربية مع بقاء القاعدة الفرنسية فيها محصلة لهذه التطورات فى تفاعلاتها وتشابكاتها •

لكن صيغة الاستقلال ، واستمرار كل من الدور الاثيوبى والصومالى المؤثر فى جيبوتى قد أدى الى تأزم الأوضاع الداخلية فى هذه الدولة الوليدة •

ذلك أن صيغة استقلال جيبوتى قد أدت الى تدعيم التركيبة العرقية فيه ، والتى أصبحت تتشابه الى حد بعيد مع الصيغة اللبنانية • وان كانت على أساس عرقى وليس طائفيا ، فقد جاءت هذه الصيغة لتعطى سيطرة سياسية لقبائل العيسى الصومالية على قبائل العفر التى تمتد بعض فروعها فى كل من اريتريا وأثيوبيا (٢) ، فرئيس الجمهورية من العيسى ، ورئيس الوزراء من العفر لكن سلطاته محدودة ، ونتيجة لذلك فسرعان ما تأزمت العلاقات بين الطرفين على نحو اضطر معه أول رئيس للوزراء الاستقالة ، احتجاجا على ابعاد العفر من قيادة الجيش والبوليس ، فى حين أقيل ثانى رئيس للوزراء وعدد من وزراء العفر ، وقد أدى ذلك الى تفجر الصراع الداخلى ولجوء بعض العفر الى أعمال العنف المسلح ضد بعض المواقع العسكرية فى جيبوتى (٣) •

---

(١) — Kassim Shehim & James, Searing, Op. Cit., P. 221.

(٢) انظر فى تاريخ العفر ، ومناطق اقامتهم ، وعلاقتهم بأثيوبيا كلا من :

— Lars Bondestam, «People and Capitalism in the North-Eastern Lowlands of Ethiopia», in **The Journal of Modern African Studies**, Vol. 12, No. 3, 1974, PP. 424-427.
Studies, Vol. 12, No. 3, 1974, PP. 424-427.

— John W. Harbeson, «Territorial and Development Politics in the Horn of Africa : The Afar of the Awash Valley», in **African Affairs**. Vol. 77, No. 309, Oct. 1978, PP. 280-286.

(٣) — Kassim Shehim & James Searing, **Op. Cit.**, PP. 209-210.

وفى نفس الوقت فان الانتصار الاثيوبى على الصومال فى حرب أوجادين عام ١٩٧٨ قد أدى الى اثارة مسألة علاقة العفر فى جيبوتى بالدولة الاثيوبية ، والتى كانت تقوم فى الماضى بدور الحارس لهم فى مواجهة المطالب الصومالية الرامية الى ضم جيبوتى • فقد أدى هذا الانتصار الى تحول ميزان القوى فى منطقة القرن الافريقى ، وعزز من موقف العفر فى جيبوتى خاصة مع تلويح نظام الحكم العسكرى فى أثيوبيا بمنح العفر فى كل من اريتريا وأثيوبيا حكما ذاتيا ، وسعيه لاغراء العفر فى جيبوتى بقبول هذا العرض ، والذى يستهدف تقويض القضية الاريترية ، واحتواء مطالب العفر فى اثيوبيا ، وتدعيم موقف اثيوبيا فى جيبوتى (١) •

وازاء هذه الأوضاع راح النظام الحاكم فى جيبوتى يبدى تعاطفه مع الصومال فى حربها ضد أثيوبيا أثناء الانتصار الصومالى فى بداية حرب أوجادين عام ١٩٧٧ ، وشارك متطوعون من العيسى فى الحرب الى جانب الصومال ضد اثيوبيا ، وهو ما أدى الى ازدياد مخاوف العفر من احتمالات انضمام جيبوتى الى الصومال ، وعندما مالت كفة الحرب الى جانب أثيوبيا فان حكومة جيبوتى قامت بفتح الباب أمام الآلاف من اللاجئين الاثيوبيين — من قبائل العيسى — للاستقرار فى جيبوتى ، ومنحتهم جنسية جيبوتى ، وقد أدى ذلك الى تفاقم الموقف فقد خشى العفر من احتمال قيام الصومال باستخدام نفوذها فى جيبوتى لاجراء انتخابات فيها لاقامة اتحاد فيدرالى بين الدولتين يعوض الصومال عن خسارتها فى حرب الأوجادين (٢) •

وعلى أية حال فاذا كان موقف العفر قد تعزز بهزيمة الصومال فى الحرب ، الا أنهم فشلوا فى الحصول على التعويض السياسى المناسب الذى يبحثون عنه من تمثيل متساو فى الحكومة والجيش ، وتعديل الدستور على نحو يجعل لرئيس الوزراء العفرى سلطات حقيقية ، فقد رفضت حكومة جيبوتى هذه المطالب ، وهو ما دفع العفر الى اللجوء الى العنف ، والتقارب الحثيث مع أثيوبيا (٣) •

---

(١) — Ibid., PP. 222-225.

(٢) ، (٣) — Idem.

واستنادا الى ما تقدم فانه يصبح لجيبوتى مصلحة دفاعية « حيوية » ، فوجود الدولة ذاته بات معرضا للخطر نتيجة فقدان الولاء الوطنى من جانب الجماعتين الرئيسيتين فى البلاد ، فالعفر يرغبــون فى الارتبــاط بأقرانهم فى كل من اريتريا وأثيوبيا ، والعيسى يرغبون فى الارتباط بأقرانهم فى الصومال ثم ان للصومال مطالب اقليمية فى جيبوتى ، كما أن لأثيوبيا مطامع فيها ، وازاء ما تقدم فانه يتعين على نظام الحكم فى جيبوتى محاولة ايجاد صيغة سياسية مقبولة للطرفين فى الداخل ، كما يتعين عليه استخدام شبكة علاقاته الخارجية للحفاظ على السلامة الاقليميــة لجيبــوتى من التهديدات الخارجية ، وهنا يصبح استمرار وجود القاعدة الفرنسية فى جيبوتى ضرورة لا فكاك منها فى المستقبل القريب ، كما يصبح تدعيم جيبوتى لعلاقاتها مع الدول العربية ضرورة لازمة لا معدى عنها للحفاظ على استقلال البلاد .

كذلك فان لجيبوتى مصلحة اقتصادية كبرى تفرض عليها — على الأقل فى المستقبل المنظور — العمل على تحسين علاقاتها بأثيوبيا خاصة وأن معظم موارد جيبوتى تتحصل عليها من الرسوم التى تفرضها على التجارة الأثيوبية التى تمر عبر اقليمها من والى ميناء جيبوتى .

وأيضا فان لجيبوتى مصلحة « حيوية » فى النظام الدولى بغية تأكيد مبدأ الحفاظ على السلامة الاقليمية للدول المستقلة ، ولها كذلك مصلحة أيديولوجية « حيوية » تأكيدا لعروبتها فى مواجهة التهديدات الأثيوبية .

جدول رقم (٤)

جيبوتى : مصفوفة المصلحة الوطنية

المصلحة الوطنيــة	كثــافة المصلحة			
	مصيرية	حيــوية	كبرى	فرعية
الدفاع عن أرض الوطن	—	√	—	—
الرفاهية الاقتصــادية	—	—	√	—
نظــام دولى ملائم	—	√	—	—
تعزيز القيــم	—	√	—	—

رابعا : الصومال ، ومشكلة الصومال الغربى :

رأينا كيف أن دستور الاستقلال الصــومالى قد نص على ضرورة توحيد كافة الأقاليم الصومالية بما فيها الصومال الغربى (أوجادين) فى دولة موحدة ، وازاء هذا المطلب الصومالى المشروع والذى يستند الى حق تقرير المصير ــ باعتبار أن الشعب الذى يقطن هــذا الاقليم هــو شعب صومالى ، وبالنظر الى أن أثيوبيا قد ضمت هذا الاقليم حديثا الى أراضيها فى عام ١٩٥٤ (١) فان أثيوبيا عملت على احتواء هذا المطلب باستخدام عدة أساليب نذكر منها :

١ ــ الزعم بعدم وجود دولة أو أمة صومالية من الناحية التاريخية ، فقد أعلن رئيس الوزراء الأثيوبى أمام الجلسة التأسيسية لمنظمة الوحدة الافريقية فى أديس أبابا عام ١٩٦٣ أنه « لا توجد وثيقة تاريخية تشير الى وجود دولة أو أمة صومالية ... لقد أجبرنا المستعمرون فى مؤتمر باريس الذى عقد بعد الحرب العالمية الثانية ... والذين استخدموا سواحلنا فى اريتــريا والصــومال للهجــوم على الــدولة الافريقيــة المستقلــة الوحيدة ... » (٢) .

وهكذا فان رئيس الوزراء الأثيوبى حاول أن يقلب وضع المشكلة بالزعم بأن مطالب أثيوبيا فى الصومال لها وزن أكبر من مطالب الصومال فى أوجادين ، على اعتبار أن الصومال على حد زعمه ــ كانت من الناحية التاريخية جزءا لا يتجزأ من أثيوبيا وليس العكس (٣) .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول مدى مشروعية المطلب الصومالى . انظر :
ــ ميشيل رايزمان : حق تقرير المصير فى الصومال الغربى من وجهة نظر القانون الدولى ــ كتيب من اصدار الحكومــة الصــومالية ــ بدون تاريخ ــ ص ٣ ــ ٢٠ .

(٢) — OAU Document, Summit, CIAS/GEN/INF/ 43, 30 May 1963..

(٣) — Robert E. Gorelick, «Pan-Somali-ism VS. Territorial Integrity, in **Horn of Africa,** (Springfield Ave : Horn of Africa Journal), Vol. III, No., 4, 1980/1981, PP. 31-32.

وقد كرر القائم بالأعمال الاثيوبى فى واشنطون عام ٩٨٠ ١ نفس هذه المزاعم حين صرح بأن المؤرخين الذين يعتد بهم قد أكـدوا على أن الصوماليين قد هاجروا من الأراضى العربية الى منطقة القرن الافريقى منذ ستمائة عام فقط ، بل ان هناك وثائق تاريخية — على حد زعمه — تؤكد على أن المنطقة التى تسمى حاليا بجمهورية الصومال كانت منذ القرن السابع قبل الميلاد اقليما أثيوبيا (١) .

٢ — استخدام منظمة الوحدة الافريقية لتدعيم الموقف الاثيوبى — ذلك أن سمعة ومكانة هيلاسيلاسى فى القارة الافريقية فضلا عن دوره البارز فى انشاء المنظمة قد مكنه من أن يستصدر قرارا من مؤتمر القمة الافريقى الأول المنعقد بالقاهرة عام ١٩٦٤ يطالب الدول الأعضاء باحترام الحدود القائمة لحظة الاستقلال ، وهكذا فان موقف منظمة الوحـدة الافريقية تحدد ولا يزال — الى جانب السلامة الاقليمية للدول الأعضاء على حساب مبدأ حق تقرير المصير (٢) .

٣ — الزعم بأن المشكلة القائمة بينها وبين الصومال انما هى مشكلة حدود فقط ولا تتعلق على الاطلاق بحق تقرير المصير لشعب الصومال الغربى ، فالمســألة من وجهة نظر اثيوبيا تتلخص فى أن الجزء الجنوبى للحدود الاثيوبية الصومالية قد تم تحديده بموجب اتفاق عام ١٩٠٨ لكن لم يتم تخطيطه على الواقع وبالتالى تصبح الحاجة ماسة الى التفاوض للاتفاق على تخطيطه (٣) .

وازاء هذا الموقف الاثيوبى المتعنت ، والراكض لمبدأ حق تقرير المصير لشعب الصومال الغربى ، والمدعوم من جانب منظمة الوحدة الافريقية ، ازداد الموقف الصـومالى تشددا واصرارا على انتزاع حق تقرير المصـير ولو عنوة عند الاقتضاء ويمكن تلخيص الموقف الصومالى فيما يلى :

---

(١) — Abdi Sheikh-Abdi, «Somalia : A Litmus Paper for U.S. Foreign policy in The 1980 ?» in **Horn of Africa**, Vol. 3, No., 2, 11980, P. 37.

(٢) — Robert E. Gorelick, **Op. Cit.**, P. 32 - 35.

(٣) — Ethiopian News, **Background Information on the Ethio-Somalia Problem,** (Cairo : Ethiopian Embassy), 31 August 1977, P. 42.

(أ) الاصرار على أن المشكلة القائمة بين الصومال وبين أثيوبيا هى مشكلة « اقليمية » تتعلق بحق تقرير المصير وترتيبا على ذلك تحفظت الصومال على قرار مؤتمر القمة الافريقى الأول ، فقد رأت أن هذا القرار لا يصلح للتطبيق على مشكلة أوجادين ليس فقط بسبب أن أثيوبيا لم تحقق استقلالها الوطنى فى التاريخ المعاصر ، وانما أيضا لأن أثيوبيا كانت ولا تزال تشكل قوة استعمارية (١) .

(ب) السعى للبحث عن حلفاء خارجيين لدعم الموقف الصومالى ، وتمثل ذلك فى تدعيم علاقات الصومال بموسكو ثم تحولها وانضمامها للجامعة العربية عام ١٩٧٤ رغبة فى الحصول على الدعم والمساندة العربية لموقفهـا .

(ج) اللجوء الى الحرب مرة فى عام ١٩٦٤ ، وثانية فى عام ١٩٧٧ حين تدخلت بجيشها فى الصومال الغربى لتدعيم جبهة تحرير الصومال الغربى (٢) ، وهى الحرب التى انتهت ، بعد نصر كاسح للصومال الى هزيمة فادحة لها عام ١٩٧٨ نظرا لوقوف الاتحاد السوفييتى وكوبا الى جانب أثيوبيا تحت دعاوى المحافظة على السلامة الاقليمية لها .

... وازاء ما تقدم يصبح للصومال مصلحة دفاعيـة « مصيرية » تفرض عليها ضرورة مواجهة الأطماع الاثيوبية عسكريا خاصة وأن هذه الأطماع لا تقف عند حد الاصرار على احتلال الصومال الغربى ، وانما تتجاوزها الى الرغبة فى ضم الصومال ذاته .

كما أن للصومال مصلحة اقتصادية « حيوية » تملى عليها ضرورة دعم شبكة علاقاتها وتحالفاتها الخارجية كيما يتسنى لهـا الاستمرار فى المواجهة ضد أثيوبيا ، ذلك أن المسلك الاثيوبى فى الحرب الأخيرة قد اتجه الى افراغ اقليم أوجادين من سكانه عنوة وبالقوة وهو الأمر الذى

(١) — Robert E. Gorelick, Op. Cit., P. 32.

(٢) تشكلت الجبهة فى اول يونيو عام ١٩٦٠ ، وبدات الكفاح المسلح فى يونيو ١٩٦٣ ، ولكن النشاط الفعلى للجبهة لم يتضح الا منذ عام ١٩٧٦ عندما وسعت من نطاق عملياتها العسكرية فى الصومال الغربى . أنظر :

— جبهة تحرير الصومال الغربى : البرنامج السياسى العام — الصادر عن المؤتمر الثالث للجبهة المنعقدة فى الفترة من ٢٣ يناير — ١٩٨١ وحتى الاول من فبراير ١٩٨١ — ص ١ — ٣ .

أدى الى تدفق سكان الاقليم الى الصومال كلاجئين ووصل عددهم فى أكتوبر ١٩٧٩ الى نحو مليون لاجىء (١) ، وقد ألقى ذلك بضغوط كثيرة على الاقتصاد الصومالى المتردى ، ثم ان اقليم أوجادين يتميز بأراضيه الخصبة وبالتالى فان تمكن الصومال من ضمه اليها من شأنه أن يحسن من وضع اقتصادها .

وأيضا فان للصومال مصلحة « حيوية » فى النظام العالمى دفاعا عن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب وحق كل أمة فى تكوين دولة .

ثم ان للصومال كذلك مصلحة أيديولوجية « حيوية » تفرض عليها الاستمرار فى مساعدة شعب الصومال الغربى لتأكيد انتمائه وهويتـه العربية ، خاصة وأن البرنامج السياسى العام لجبهة تحرير الصـومال الغربى ، الصادر عن المؤتمر الثالث للجبهة والمنعقد فى الفترة من ٢٣ يناير الى الأول من فبراير عام ١٩٨١ يعلن « أن الجبهة تعمـل على ترسيخ التحامها مع الأمة العربية الشقيقة التى هى سند هذا النضال لجعل هذه القضية قضية عربية من الدرجة الأولى ، لأنها جزء لا يتجزأ عن القضايا العربية ويشير البرنامج فى موضع آخر الى « وانطلاقا من العـلاقات العضوية والحضارية والثقافية والتاريخية والسياسية والتى تربط شعب الصومال الغربى بالأمة العربية ... » (٢) .

كذلك فقد جاء فى قرارات اللجنة المركزية لجبهة تحرير الصـومال الغربى الصادرة عن الجلسة الأولى للجنة فى عام ١٩٨٢ ما يلى (٣) :

« وكذلك فان المجلس يرى أن قضية شعب الصومال الغربى قضية عربيـة » .

---

(١) — Göran Melander, **Refugees in Somalia,** (Uppsala : Scandinavian Institute of African Studies), Research Report No., 56, 1980, P. 19.

(٢) جبهة تحرير الصومال الغربى : البرنامج السياسى العـام — م.س.ذ. ص ٦ .

(٣) جبهة تحرير الصومال الغربى : قرارات اللجنة المركزية للجبهة فى جلستها الأولى لعام ١٩٨٢ — مقديشيو ١٩٨٢/٢/١٤ — ص ٦ .

جدول رقم (٥)

الصومال ومشكلة الصومال الغربى : مصفوفة المصلحة الوطنية

المصلحة الوطنيــة	كثافة المصلحة			
	مصيرية	حيوية	كبرى	فرعية
الدفاع عن ارض الوطن	√	—	—	—
الرفاهية الاقتصادية	—	√	—	—
نظام دولى ملائم	—	√	—	—
تعــزيز القــيم	—	√	—	—

خاتمـــة

بعد أن عالجنا مشكلات الأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى مستخدمين منهج المصلحة الوطنية على النحو الذى طوره دونالد نوشترلين فقد يكون من المفيد أن نشير الى الملاحظات التالية :

١ ــ أن المصالح الوطنية الأساسية الأربعة التى عالجتها الدراسة هى مصالح ديناميكية ومتنافسة ، وتتلخص مهمة القيادة السياسية للدول فى أن تقرر بأسلوب سليم أى المصالح تعد أكثر أهمية فى مرحلة معينة وتقتضى بالتالى حشد الموارد للدفاع عنها ، وتقدم مصـــفوفة المصلحة الوطنية اطارا تنظيميا يمكن من تحقيق هذه الغاية ، وعلى أية حال فانه يمكن القول ــ مع نوشترلين ــ بأنه لو كان لدولة ما مصلحتين أساسيتين تصلان الى مستوى الحيوية فمن المتـــوقع أن تستخـــدم هـــذه الدولة ــ أو الفاعل الدولى ــ القوة العسكرية دون أن تلجأ الى المساومة على هذه المصالح .

٢ ــ اثبتت الدراسة أن أثيوبيا تمثل مصدر التهديد الأســـــاسى للأطراف العربية فى منطقة القرن الافريقى وأنها السبب الأساسى أيضـــا فيما يواجهها من مشكلات ، وهنا يجب أن نذكر أن الهضبة الحبشية قد وقفت ــ تاريخيا ــ عقبة كأداء أمام امتداد النفوذ العربى الاسلامى الى شرق ووسط أفريقيا وأن أثيوبيا اليوم تقـــوم بدور رئيسى فى تقليص الوجود العربى الاسلامى فى منطقة القرن الأفريقى بسياستها العدوانية والتوسعية التى تستهدف اخضاع كافـــة الشعوب المجـــاورة لسيطرة الأمهـــرا .

٣ — وازاء ما تقدم فانه يتعين على الدول العربية العمـل بقـدر طاقتها ، ومن خلال استخدام تحالفاتها الدولية على ابقاء أثيوبيا ضعيفة ، وذلك من خلال تقديم كافة أشكال التأييد والمساعدات للسودان ، ولثوار اريتريا ، وجيبوتى ، والصومال ، وثوار أوجادين ، والا فان البـديل سيكون خطيرا ويتمثل فى تقليص الوجود العربى فى منطقة القرن الافريقى ، كما يجب على الدول العربية وهى تقدم مثل هـذا الدعم أن تضـع فى اعتبارها أن كافة الدول الافريقية تساند الموقف الاثيوبى ، ثم ان بعض الدول العربية (ليبيا واليمن الجنوبى) يدعم هذا الموقف أيضا الأمر الذى يفرض عليها محاولة ايجاد اطار ملائم لتقديم هـذا الدعـم حتى لا تتعرض العلاقات العربية الافريقية للمزيد من المشكلات ، كما يفرض عليها السعى لاقناع كل من ليبيا واليمن الجنوبى بمغبـة مسـاندتهما للموقف الأثيوبى •

مـــرة أخـــــرى (*)

أمن البحر الأحمر

بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية

للدكتور ابراهيم صـــقر

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ــ جامعة القاهرة

يهمنا فى هذا المجال أن نشير الى بعض السمات التى يتميز بها البحر الأحمر وذات الصلة بالموضوع الذى تتناوله .

من هذه السمات أن البحر الأحمر بحر ضيق ، فى عمومـــه ، يبلغ عرضه فى المتوسط ١٩٠ ميلا ، ويصل فى أقصاه الى ٢٤٠ ميلا ، ويضيق بشكل واضح فى مداخله ممتدا فى خليجين طويلين ضيقين ، هما خليج السويس وخليج العقبة فى ناحية ، وحيث يتقارب جانبها ، الى أن يأتى المدخل الآخر عند باب المندب فى الناحية الأخرى ، هذا فضلا عن الجزر العديدة المنتشرة فى هذه المناطق .

ولقد كان من نتائج هذه السمة ، سهولة التفاعل ــ صراعا وتعاونا ــ بين أجزائه .. وعلى مدى التاريخ الطويل (١) .

ومن هذه السمات أنه بحر يمتد طويلا ، ولكن بشكل يكاد يكون رأسيا بين الشمال والجنوب ، من مناطق الشمال المعتدل ، الى الجنوب المدارى والاستوائى ، وهو حلقة طويلة وهامة ، فى سلسلة الطريق الهام بين المناطق المعتدلة والباردة فى شماله وشماله الغربى من ناحيـــة ، وبين المناطق المدارية والاستوائية فى جنوبه وجنـــوبه الشرقى من النـــاحية الأخرى (٢) ، الأمر الذى يجعل من مصلحة الجانبين أن يقوم بينهما تبادل

(*) هذا البحث هو « عود على بدء » لبحث سابق للـكاتب بعـــد ست سنوات من الأحداث التى لابد ان تؤخذ فى الاعتبار .

(١) وهذا يتضمن الاتجار ، بين اجزائه ، فى منتجاتها المختلفة .

(٢) وفيما يتصل بالمناطق المعتدلة الى الجنوب والجنوب الشرقى ، فان اختلاف الفصول بين الشمال والجنوب يؤدى ، أيضا ، الى قيام تبادل تجارى بين المناطق التى تقع على جانبى البحر الأحمر .

مفيد للمنتجات ، يزيد فى حجم التجارة العابرة على هذا الطريق ، وخاصة أنه الطريق الأقصر ــ وبشكل بارز ــ بين المناطق المتبادلة للتجارة على جانبى البحر الأحمر •

واذا أخذنا فى الاعتبار أن انشاء قناة السويس قد جعل من هــذا الطريق طريقا مستمرا لا تتخلله أية حلقة أرضية ، تفرض التفريغ واعادة الشحن ، هذا فضلا عن أن النقل البحرى هو ــ وبشكل واضح ــ أرخص أنواع النقل •• فان هذا الطريق البحرى ، المستمر ، الأقصر من الطرق المنافسة •• هو الطريق المتفوق ــ وبشكل بارز ــ فى نقل التجارة الضخمة المشار اليها فيما سبق ، ومن ثم ، يكون البحر الأحمر ــ وهو حلقة طويلة على هذا الطريق ــ ذا أهمية كبيرة لهذه التجارة العابرة الضخمة •

وزاد من هذه الأهمية أن الطريق يربط ما بين البلاد المتقدمة عموما من ناحية ، والبلاد المتخلفة عموما ــ والتى استعمرتها بلاد من المجموعة الأولى من ناحية أخرى ، الأمر الذى جعله طريقا هاما لخدمة التجارة بين هاتين المجموعتين من البلاد •• وهى تجارة تقوم على أساس اختــلاف مراحل التطور ، وعلى أساس من الاستغلال الاستعمارى غير المتكافىء • غير أنها ــ على أى الأحوال ــ ذات أهمية خاصة بالنسبة للبلاد المتبادلة لها على جانبى البحر الأحمر •

وفى هذا المجال فقد ازدادت أهمية « طريق السويس » الاقتصادية والاستراتيجية وبشكل بارز •• ومن ثم ازدادت أهمية البحــر الأحمر كمعبر للتجــارة •

وقد ظهر هذا ــ بشــكل ملفت مع تزايد أهميــة البترول ، وبروز أهمية الخليج العربى ــ كمنتج ضخم ومصدر أول فى العالم له ــ ومع أهمية البترول الحيوية للغرب ــ على الجانب الآخر من الطريق ، وخاصة مع الأهمية الكبرى لبترول الخليج فى سد حاجة أوربا الغربية ــ بشكل خاص ــ منــه •

وهذه الأهميــة الكبرى للبحر الأحمر كمعبر لتجارة البترول ، وان كانت تأثرت بتحول جزء كبير من هذه التجارة الى طريق رأس الرجــاء الصالح بسبب ما حدث من تطور فى حجم الناقلات ، الا أنها لم تهتز ، بل ويمكن أن تتزايد وذلك مع ما حدث من تطور لطاقة قناة السويس ،

بحيث تمر منها معظم الناقلات فى عالم اليوم (٣) ، ومع ضخامة كميـة البترول العابر بين الشرق والغرب ، ومع اقامـة خطوط للأنابيب عبر الجزيرة العربية من الخليج الى البحر الأحمر ، والتفكير الجاد فى اقامة المزيد منهـا •

ومن هذه السمات أيضا ، أن البحر الأحمر كانت له أهمية فى تاريخ الاستعمار كمنفذ بحرى على طريق الهند والشرق الأقصى ، وفى استعمار الدول الغربية لأفريقيا الشرقية • وقد زادت هذه الأهمية بعـد حفر قناة السويس • وشهد البحر الأحمر ، ولا زال ، نشاطا سياسيا واقتصاديا وعسكريا زاخرا •

ومن هذه السمات أن البلاد العربية تكاد تغطى كل شواطىء البحر الأحمر الا أ نالوجود الاسرائيلى الصغير على خليج العقبة ، وأهميـة البحر الأحمر كمنفذ لتجارة اسرائيل مع المناطق الى جنـوبه وشرقه ، يجعل البحر الأحمر مجالا من مجـالات الصراع بين اسرائيل والبـلاد العربيـة •

وذا كانت المحـاولات التى انتهت الى توقيـع المعـاهدة المصرية الاسرائيلية ، والمحالاوت التى يؤمل البعض فى أن تصل الى تسوية شاملة بين اسرائيل والبلاد العربية ، تخفف من الصراع بين اسرائيل والبـلاد العربية الا أن الكثيرين يتبنون رأيا يقول بأن الاحتمال الأكبر هو أن الصراع بين اسرائيل والبلاد العربية سوف يستمر •• وسوف يستمر لأمد غير قصير •• وبما ينعكس ، بالضرورة على البحر الأحمر • ولعل فيما حدث من تطورات منذ عام ١٩٧٩ الى الآن يسند وجهـة النظر الأخـيرة •

ويمكننا أن نضيف الى هذه الصورة بعض الظواهر الهامة فى عالمنا الراهن وهى ظواهر لها انعكاساتها على موضوع هذا البحث ••• أى على البحر الأحمر وعلى الصراع فيه ، وعلى مشاكل أمنه •

---

(٣) بل ويمكن ان تمر من القناة ، الناقلات الفارغة او المحملة جزئيا بحجوم كبيرة جدا وهذا واضح — خاصة — فى حركة المرور فى القناة من الشمال الى الجنوب وهذا الى جانب حقيقتين هامتين اخريين وهما : ان التطور فى الناقلات يأخذ فى الاعتبار ابعاد القناة .. على .. انه يمكن انجاز تطوير للقناة اذا وجد أن الأمر يقتضيه .

من هذه الظواهر ، ظاهـرة تزايد أهميـة الوطن العربى ، والشرق الأوسط ككل .. بمنافذه المتعددة ، المتنوعة ، وفى اتجاهات شتى .. بتروله الضخم انتاجا ، واحتياطيا ، وتصديرا ، وأرصده ، وقوة مالية لها آثارها فى العالم متقدمة ، ومتخلفة .. بقدرته الشرائية الضخمة .. بتلاصقه مع جنوبى الاتحاد السوفيتى ــ أحد العملاقين ، وقيامه كحاجز بينه وبين المحيط الهندى الى الجنوب ... بوجوده ، كحلقة وصل متوسطة فى قلب الثالوث القارى ــ بكل ما له من أهميات خطيرة ، وعلى المداخل من الشمال والشرق للقارة الافريقية .

وهذا ينقلنا الى الظاهرة الثانية التى تهمنا ، وهى تزايد أهمية القارة الافريقية فى المرحلة الراهنة .. بثروتها الضخمة ، والمتنوعة ، والمتزايدة بما يكتشف من جديد فيها يوما بعد يوم .. بسوقها الكبير ، والمتزايد سواء لحاجات الاستهلاك ، أو الانتاج والنمو ... أو كمجال للاستثمار ، كبير ومتزايد بأهميتها الاستراتيجية ، كعمق لأوربا الغربيـة والشرق الأقصى ، يقرب انبعاج فيه (عند داكار) من نصف الكرة الغربى ، كما لا تقرب أية نقطة أخرى فى العالم القديم ، ويبتعد طرف فيه (فى نهايتها الجنوبية) عن الكتلة الشرقية كما لا تبتعد أية نقطـة أخرى فى الثالوث القارى ، وكالشاطىء تمر حواليه الطرق البحرية الهامة ــ طريق السويس وطريق رأس الرجاء الصالح ، وكمصدر لكثير من المواد ذات الأهميـة الاستراتيجية ... الخ .

ويقود ما سبق الى الحديث عن ظاهرة ثالثة فى عالمنا الراهن ... وهى ظاهرة تزايد حدة الصراع فى بلاد العالم الثالث وعلى بلاد العالم الثالث . ويظهر ذلك بشكل أبرز فى نصف الكرة الشرقى .

ذلك أن ما تحقق من توازن الرعب النووى ، قد أدى ــ فيمـا أدى اليه ــ الى درجة أكبر من التركيز ــ فى الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية ، وبالأساس بين الولايات المتحـدة الأمريكيـة والاتحـاد السوفيتى ــ على بلاد العالم الثالث التى تعانى الآن من درجة متزايدة من الاستقطاب .

وتتفاعل هذه الدرجة المتزايدة من الاستقطاب ، مع درجة متزايدة من الصراع الاجتماعى فى بلاد العالم الثالث ، بين القوى التى تنشـد التغيير لمصلحة الطبقات الأفقر ، التى تشكل الغالبية الساحقة فى هـذه

البلاد ، والقوى التى تحـاول وقف التغيير أو تعطيله أو الارتداد عنـه ما أمكن .

وتتداخل مستويات الصراع أو دوائره .. المحليـة .. والاقليمية والعالمية .. وتتساند فيه الجوانب ذات المصالح المشتركة أو المتقاربة ، فى مواجهة الجوانب المضادة التى تتساند ــ هى الأخرى ــ ويدعم بعضها البعض الآخـر .

وتتزايد حدة هـذا الصراع ، وتبرز ضراوته ، وتستعمل فيـه كل الوسائل المتاحة . وتزداد هذه الحدة بشـكل واضح فى المنـاطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية ... ومن هذه المناطق .. الوطن العـربى والشرق الأوسط على العمـوم ... وكذلك القـارة الافريقية . وان كنا نخص بالذكر منها ــ وخاصة هنا ــ أى فيما يتصل بموضوع هذه الندوة ــ منطقة القرن الافريقى .

ومن كل ما سبق يمكننا أن نقرر ، أن للمنافذ المختلفة وخاصة البحرية منهـا ــ فى عالم اليوم الذى يموج بالصراع ــ دورا كبيرا ، وأهميـة متزايدة وأن للبحر الأحمر أهميته الخاصة بين هذه المنافذ ، وخاصة مع تزايد أهمية المناطق المحيطة به .

وقد كثر الحديث فى الثمان سنوات الأخيرة ، عن البحر الأحمر ، وعن أمنه واهتمت بذلك الحكومات ، وتحركت الهيئات المختلفة للبحث فى الموضوع ومناقشته ويكفى أن نشير الى اللقاءات الحكومية المتعددة ، ثنائية ومتعددة الأطراف التى تمت فى أوقات مختلفة فى هذه الفترة والى البيانات الصادرة عن هذه والتصريحات المعلنة عن الرسميين فى العديد من هذه البلاد ... وآخرها ما نشر من تصريحات بمناسبة الأحداث الأخيرة فى البحر الأحمر وما بذل وما زال يبذل من محاولات لعقد اجتماع بين دولة ــ بعضها أو كلها . ويكفى أن نشير على سبيل المثال ، الى الندوة التى قرر سمنار التاريخ الحديث عام ١٩٧٧ ، اقامتها عن « البحر الأحمر فى التاريخ » ، وأقيمت فى عام ١٩٧٩ ، والى المشروع البحثى المشترك الذى قام به مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسسـة الأهرام ، بالتعاون مع مجموعات بحث من ايطاليا وألمانيا الغربية والى

الندوة التى عقدت بكمبردج عام ١٩٨٣ فى الموضوع ، وأخيرا الى هذه الندوة التى بدأ الاعداد لها منذ مدة (٤) .

وفى منطقتنا ... تحدث البعض عن تحويل البحر الأحمر الى « بحيرة عربية » ... وعن السيطرة على « مداخله » أو « مخارجه » ، واغلاق العرب له على من يريدون ، أو دون من يريدون ... وعن « تحييد » البحر الأحمر وابعاده عن « نفوذ القوى الكبرى » وعن « الصراع الدولى » ... الخ .

وفى مناقشتنا لهذه الأهداف .. نبدأ بابراز بعض النقاط المتصلة بالصراع الدولى الواسع ... الذى يعتبر ما يجرى فى البحر الأحمر ، جزاء منه لا ينقصم عنه .. بل ان بينهما علاقة عضوية .

وبادىء ذى بدء ، فان مجرد السيطرة على الشواطىء ، أو على نقط ذات أهمية استراتيجية عليها ، أو على جزر ذات موقع هام فى مرحلة معينة .. كل ذلك ، رغم أهميته ، فانه لا يضمن — وحده — السيطرة البحرية فى منطقة ما .

ذلك أن العنصر الأهم فى السيطرة البحرية ، هو القوة البحرية ذاتها هذه القوة — اذا حققت تفوقا لدولة على غيرها — هى التى كانت تحقق السيادة فى البحر ... وتعوق غيرها ، أو تمنعه ، وهى التى كانت تثبت مراكزها فى النقط ذات الأهمية الاستراتيجية ، وتمنع غيرها من ذلك ... بل وكانت حتى تخرجه أحيانا منها .

ان حارس هذه « البوابات » والنقط الاستراتيجية على العموم هو الأساس ان « البوابات » والنقط الاستراتيجية لا تحقق ، فى ذاتها ، سيطرة أو سيادة انها تساعد وتدعم . ولكن العبرة أساسا بالقوة التى تحقق السيادة والسيطرة .

ويكفى فى ابراز ذلك أن نشير الى تفوق البرتغاليين بعد عصر الكشوف البحرية . لقد فشل البنادقة والمصريون فى مواجهتهم ، ووقف

---

(٤) اذا نظرنا الى البحر الاحمر كجزء من ، وامتداد له .. ، المحيط الهندى فاننا نلاحظ الاهتمام المتزايد بهذا المحيط ، وكثرة الدراسات والبحوث واللقاءات التى تناولته .. وخاصة فى المرحلة الراهنة ، ولا زال الاهتمام بالمحيط الهندى يتزايد باطراد .

ـدهم وتفوقهم فى التجارة بين الشرق والغرب •• وأكثر من ذلك ، فان الأسطول البرتغالى دخل الى البحر الأحمر ، وحتى خليج السويس •

وأن نشير الى تفوق الانجليز ، وسيطرتهم ، فيما بعد ، على ناصية البحار ، ولمدة ثلاثة قرون ، وفرضهم السلام البريطانى كسادة للبحر فى هذه الفترة • ويكفى أن نشير هنا الى فشل بونابرت فى مصر والشرق •• وفشله بالنهاية ، فى المواجهة الشاملة ••• والى أهمية استمرار السيادة على البحار فيما تلا ذلك من صراعات • لقد أثبت « معيـار الدولتين التاليتين » فعاليته لقد كان التفوق فى القـوة البحرية هو الذى يحقق التفوق فى البحر ، بل ويدعمه لسيطرة هذه القوة البحرية المتفوقة على النقاط ذات الأهمية الاستراتيجية وحرمان الغير منها •

ويمكن أن نشير ، أيضا ، الى ايطاليا الى أحلامها الكبيرة بتحويل البحر المتوسط الى « بحيرة ايطالية » ورفعها لشعـار Mare Nostrum لقد كانت النتيجة ••• ليس ، فقط ، أن هـذا الشعار لم يتحقق ••• وانما أيضا ، أن خطوط اتصال الدولة الأم والامبراطورية قد تقطعت • لقد كان التفوق فى القوة البحرية عاملا هاما ••• بل وحاسما • وانتهى الحلم •• وانتهت الامبراطورية •

وبعد الحرب العالمية الثانية ، كان التفوق الأمريكى •• صارخا •• وفى كل مكان • وفرض ما سماه البعض آنذاك « السلام الأمريكى » • ولكن هذه الفترة لم تطل •• اذ كان العملاق الآخر يزداد بروزه • وبدأ هذا العملاق الثانى بمـد ذراعه البحـرى ، الى كل مكان فى العـالم ، بالتدريج ، وبسرعة •

ونحن نعيش اليوم مرحلة العملاقين البحريين ••• كما هما عملاقان فى المجالات الأخرى •• الفارق بينهما وبين غيرهما كبير •• كبير ، حتى أنه ليشار الى الآخـرين •• أيا كانوا ••• على أنهـم « الدول الأقل The Lesser Powers

ان الدولتين العملاقين هى دول عالمية بحق G lobal Powers وهى دول ذات مصالح على طول العالم وعرضه ، تسندها قدرة على استعمال ما لديها من أدوات متنوعة للقوة ، فى أى مكان فى العالم ، وفى أكثر من مكان فى وقت واحد وهنا يمكن أن نرى أهمية وجود الدولة العملاق البحرى ، الذى تنسب قواتها البحرية ••• وقواتها على وجه العموم •

ونحن نعيش ، فى ظل التوازن النووى ، مرحلة «الانفراج» Détente وهى مرحلة « الصراع المحكوم » •

ذلك أن الدولتين بينهما تناقض لا مجـال للتوفيق فيـه ، ومن ثم فلا مندوحة من استمرار الصراع بينهما ••• ولكن •• بتحفظ أساسى •• وهو ألا يؤدى الصراع الى حرب ••• تهدد بأن تؤدى الى حرب نووية بينهما • من هنا ، فانهما تديران الصراع بكل الوسائل المتاحة ••• فى اطار يقف بحركته عند حد احتمال أن تؤدى هذه الحركة الى صراع نووى •

وفى موضوعنا هنا ، فاننا نجد أن الدولتين العملاقين ، اللتين تتعايشان فى عالم اليوم ••• مع صراع وتنافس ، تعمـلان فى بحـار مفتوحـة بالكامل لهمـا •

ان أحدا لا يستطيع اغلاقها ، ذلك أن أيهما لا يتصور أن يفكر فى حرمان الآخر من استعمالها •• الأمـر الذى يعنى حـرمانه من تحقيق مصالح حيوية له •• ومن ثم ، يؤدى الى مواجهة لا يحتملهـا الطرفان كلاهمـا •

ان لأمريكا مصالحها الحيوية فى البحر الأحمر ••• كمعبر للتجارة العالميـة عموما ••• ومعبر للبترول •• وحلقة هامة فى انسياب قواتهـا البحرية على المستوى العالمى •• وتواجدها حيث تستدعى الأحداث ــ داخل هذا البحر ، أو فى أى مكان آخر عن طريقه ــ لتسند الأصدقاء ، وتردع الأعداء ••• لتستعرض العضلات ، وتظهر الوجود ••• وعلى أى الأحوال لتوازن الوجود السوفيتى بوجود أمريكى •

وان للاتحاد السوفيتى ، هو الآخـر ، مصالحة الحيوية فى البحـر الأحمر كمعبر للتجارة العالمية ••• وجزء هام من طريق حيوى ، يربط بين أجزاء الاتحاد السوفيتى •• وحلقة هامة فى انسياب قواته البحرية على المستوى العالمى وتواجدها حيث تستدعى الأحداث ــ داخل هذا البحر ، أو فى أى مكان آخر عن طريقه ــ لتسند الأصدقاء ، وتردع الأعداء ••• لتستعرض العضلات ، وتظهر الوجود ••• وعلى أى الأحوال لتـوازن الوجود الأمريكى ، والوجود الغربى عموما ، بوجود سوفيتى •

ان جزءا من عالمية مصالح الدولتين العملاقين ، هو تواجدهما فى كل

مكان على ظهر البسيطة .. ومن ثم ، لا يمكن أن ينغلق دونهما أى بحر عام مهما كان صغيرا ، أو ضيقا . ولا يتصور أحد أن تسمحا بذلك .

وحتى لو امتنعت القواعد والتسهيلات ، فسوف تعملان على التواجد مهما كلفهما الأمر ، وقد يكون ذلك صعبا ... ولكنه ليس مستحيلا بأى حال من الأحوال .

ان التموين فى البحر حقيقة قائمة وله أبعاد كبيرة .. ويعوض عـدم توفر التسهيلات الأرضية . كما أن التقدم فى بناء السفن ، والتطور فى استعمال الوقود يقلل الحاجة الى وجود قواعد متعددة .. متقاربة ، كما كان الأمر يقتضى فى الماضى .. حتى الماضى القريب .

ثم ان التقدم فى الطيران الاستراتيجى ، والامكانيـات الضخمة فى نقل القوات المحمولة جوا .. تشكل ، عند اللزوم ، سندا هاما للقوات البحرية ، فى قيامها بمهامها ، فى أماكن كثيرة فى العالم .

وينبغى علينا أن نذكر بنقطة هامة ... وهى أن فى هذا العالم ، الذى يزداد فيه التركيز ـ فى الصراع ـ على بلاد العالم الثالث ، وتتداخـل فيه دوائر الصراع .. فانه من غير الصحيح أن يتصور البعض ، أنه بحرمانه جانبا عملاقا من استعمال تسهيلات كان يستعملها سابقا ... يمكنه أن يحرم هذا الجانب ، من الوجود فى منطقة ما ، والتأثير فيهـا بفاعلية . ذلك أن الدولة العملاق ... الى جانب أنها لن تسمح بذلك ، مهمـا كلفها الأمر .. فانها عادة ما تكسب تسهيلات فى أماكن أخرى ، حين تفقد ما لها من تسهيلات فى بعض الأماكن .

ويكفى أن نشير ، على سبيل المثال ، الى أن السوفيت ، فى الوقت الذى خسروا فيه بعض التسهيلات فى البحر الأحمر وما حوله .. فى مصر والسودان والصومال ، فان التسهيلات التى يتمتعون بها قد زادت فى اليمن الجنوبية واثيوبيا وأماكن أخرى فى المحيط الهندى .

ولو تصورنا ، من الناحية الافتراضية البحتة ، أن القوى المحليـة وقفت جميعها معا ـ وهذا فى الظروف السائدة فى المرحلة التى نعيشها ، افتراض غير واقعى ـ وان هذه القوى أرادت أن تحول بحرا مـا الى « بحيرة » فيما بينها ... فان ذلك ليس الا أمنيات لا يمكن أن تتحقق .

ان التواجد فى البحر الأحمر .. كحلقة فى سلسلة طرق الملاحة العالمية ترتبط بما يليها من المنافذ البحرية ... بل ان التواجد فى البحر الأحمر ذاته ، كواحد من بحار العالم ، وبأهميته الاستراتيجية الكبيرة ... كل ذلك مسائل أساسية . ولا يمكن ابعاد القوى العالمية عن هذا البحر .. مهما كانت المحاولات .. فضلا عن الأحلام والأمانى .

بل ان الصراع والتنافس بين الدولتين العملاقين ، لا يفرض ، فقط ، أن يتواجد العملاقان فى البحر الأحمر ... وانما يعطى ، أيضا ، للآخرين درجة أكبر من حرية الحركة فيه ، ولا يمنع أحدا من استعمال هذا البحر ، ذى الصفة الدولية ، وذى الأهمية الاستراتيجية .

ا نالدول « الأقل » الكبيرة ، فضلا عن الأعراف الدولية وحرية ذرع البحار تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة عن ذى قبل ، وهى عادة ما تنتمى الى كتلة فى الصراع ، فى مواجهة الأخرى ... ومن مصلحة أصدقائها أن تتواجد ، فتضيف نشاطا ، وتضيف قوة ، وتضيف مساندة .

ومن المهم أن نضيف ، انه فى عالم التدخل غير المباشر الذى نعيشه فى هذه المرحلة .. فى عالم « التدخل بالوكالة » Intervention by Proxy فاننا كثيرا ما نجد لهذه الدول نصيبا هاما ، عند توزيع الأدوار Role Distribution وفى لعب هذه الأدوار . ان وجود هذه القوى فى البحار ، ضرورى لها ، وضرورى لغيرها .

ان الدول الصغيرة ، هى الأخرى ، فضلا عن الأعراف الدولية ، وحرية زرع البحار ــ تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة عن ذى قبل .. وبعضها ــ على الأقل يلعب دورا بالوكالة ، فى المنطقة التى يقوم فيها .. وهو ، بذلك ، اذا كان لا يريح طرفا فى الصراع العمالقة والكتل ، فانه يقوم شيئا ــ وقد يكون شيئا كثيرا ــ على المستوى الاقليمى ــ للطرف العملاق الآخر .. بمساندته اتجاها سياسيا ، أو جماعة معينة أو بمقاومته اتجاها سياسيا ، أو جماعة معينة . وحرية حركة هذه القوى فى البحار ليست ، فقط ، مسألة حيوية لمصالحها هى .. وانما هى ، كذلك مسألة ضرورية لحركة الكبار ، وتفاعلهم فى الاطار الدولى (٥)

---

(٥) ينبغى ان نضيف ان شعور الاصدقاء الاصغر بأن الاكبر يتواجد ويقف الى جانبها ويساندها ، بل ويحميها عند اللزوم ، يدعم ثقة الاصغر فى الاكبر ، ويزيد من ارتباطه به .. الامر الذى يمكن ان تكون له ، فى ذاته ، ثمراته وفوائده وطبعا العكس بالعكس .

ويمكننا ، بعد كل ما سبق ، أن نؤكد — فى عصر تداخل دوائر الصراع الذى نعيشه فى عالمنا اليوم .. مع طقس التعايش المتنافس السائد — أن الدول الأصغر فى الاقليم — فضلا عن الأعراف الدولية ، وحرية ذرع البحار — تتمتع فى ظل أصدقائها الأكبر — بدرجة أكبر من حرية الحركة ، لم تكن تحلم بها من قبل .

ان الضغط ، والمنع ، والحرمان — فى ظروف الاستقطاب الدولى بما يتسم به من صراع محكوم ، وتعايش وتنافس فى وقت معا — مسألة غير واقعية ولا يمكن تصورها .. الا اذا اتفق عليها العملاقان ، أو سكت عنهما العملاقان معا وفى وقت واحد . وهذا شىء لا يسهل تصوره ، فى ظل الصراع الدولى القائم اليوم .

وهذا ينقلنا الى ما يزعمه البعض .. وما يتمناه البعض الآخر .. من أن ينجح العرب — اذا اجتمعت كلمتهم — فى أن يغلقوا البحر الأحمر على اسرائيل .

ويهمنا — هنا — أن نتناول الأمر بشىء من الموضوعية :

١ — فحتى لو تصورنا أن تتحد كلمة الدول المطلة على البحر الأحمر — فيما عدا اسرائيل — على منع هذه الدولة من استعمال البحر الأحمر — فان هذا لا يضمن تحقيق الهدف ، لأن هناك — بالمصلحة والضرورة والواقع دولا خارجية يمس هذا التصرف مصالحها ، ومكانتها ، وهى من ثم لا تستطيع أن تسكت عليه .. وهى — فى نفس الوقت — قادرة على شل حركة من يحاولون هذا المنع . هذا الى جانب أنه ليس من مصلحة الطرف الآخر فى الصراع الدولى المحكوم الذى نعيشه ، أن يساعد على هذا المنع .. بما يحمله من معان ، وما قد يؤدى اليه تصرفه من مضاعفات .

٢ — هذا فضلا عن أن افتراض أن تتحد كلمة الدول المطلة على البحر الأحمر فى ظروف الاستقطاب التى تمر بها بلاد العالم الثالث ، هو افتراض غير واقعى .

٣ — بل ان افتراض أن تتحد كلمة كل الدول العربية المطلة على البحر الأحمر فى ظروف الاستقطاب والصراع الاجتماعى التى تمر بها بلاد العالم الثالث ، هو الآخر افتراض غير واقعى .

٤ — ولقد أثبتت تجربة حرب أكتوبر ١٩٧٣ مع اسرائيل ، بعد أيام من بدئها أن محاولة اغلاق البحر الأحمر على اسرائيل لا يمكن أن تستمر ، ذلك أن الكتلة الغربية ، والولايات المتحدة بالأساس .. لا يمكن أن تسمح بهـذا .

٥ — هذا فضلا عن أن لاسرائيل مخرجا آخر على البحار — عن طريق البحر المتوسط . ورغم أن هـذا المنفـذ — وكان هو المنفذ لاسرائيل الأساسى الى أفريقيا الشرقية ، والى جنوب وشرقى آسيا — رغم أنه منفذ أطول كثيرا مما لو استعمل البحر الأحمر كمنفذ الى هذه المناطق ، فان اسرائيـل ، قبـل عام ١٩٥٦ لم تركع على ركبتها فى صراعها ، ولم تشل حركتها مع المناطق المذكورة .

ولقد أظهرت الأحداث ، فيما بعد ، أن اغلاق البحر الأحمر على اسرائيل مسألة لا يمكنها .. لا يمكن لأصدقائهوا الكبار أن يسلموا بها ، ويسكتوا عليهـا .

٦ — وبعد كل هذا .. فالكلام فى هذا الموضوع فى الوقت الحاضر وبعد التسوية المصرية الاسرائيلية ، ومع محاولات الوصول الى تسوية أو تسويات نهائية مع اسرائيل .. مما يتضمن — بنصـوص واضحة لا لبس فيها — حرية الحركة من اسرائيل واليها ، فى البحر الأحمر وخلال قناة السويس بل وأكثر من ذلك ، حركة اسرائيل ذاتها عبر هذه المنافذ.. الكلام فى هذا الأمر فى الوقت الحاضر اذن .. يصبح غير ذى موضوع .

ويمكن أن ننتهى من كل ما سبق الى أن السيطرة المطلقة على البحر الأحمر فى الظروف الدولية السائدة — بواسطة قوة من خارجه أو عدة قوى داخل هذا البحر .. أمر غير وارد .

وترتبط بهذه الحقيقة .. الحقيقة الأخرى التالية : وهى أن ابعاد أية قوة عن البحر الأحمر ، أو منع أية قوة ، داخلية أو خارجية ، من أن تزرع هذا البحر وتستعمله ، وتمر منه الى وراءه .. هذا الابعـاد غـير وارد .. ومن ثم فان ابعاد البحر الأحمر عن وجود القوى الكبرى .. أمر غير وارد .

ذلك بارز اليوم كما لم يبرز فى أى وقت مضى .. فى جو الاستقطاب

السائد فى الظروف الراهنة .. ومع ظروف التداخل الشديد بين دوائر الصراع ــ محلية كانت ، أو اقليمية ، أو عالمية .

ان تشابك المصالح وترابطها بين الأطراف المتقاربة ، على المستويات الثلاثة .. من ناحية ، وتعارضها مع المصالح المتشابكة والمترابطة بين الأطراف المتقاربة ، على المستويات الثلاثة فى الجانب الآخر للصراع .. من ناحية أخرى .

هذا مع امكانية العمل المشترك ، وفاعليته الأكبر .. يجعل من مصلحة الأطراف المتصارعة .. أن يتواجد الأصدقاء ــ على المستوى الاقليمى ، وعلى المستوى الدولى الأشمل . ان هذا التواجد مسألة بالقطع مفيدة ، ومن ثم فهو مسألة تهم هذه الأطراف .. بما تحققه من دعم ومساندة فى المواجهة .

بل ان وجود القوى الصديقة لدولة ما ، أو لعدد من الدول .. فى بحر ما ، سواء أكانت هذه الدول الصديقة من داخله ، أو من خارجه هذا الوجود ، فضلا عن أن أحدا لا يستطيع أن يمنعه ببساطه ، فانه مفيد لهذه الدولة ، أو هذه الدول .. من حيث أنه يوازن وجود الآخرين من غير الأصدقاء ، ومن حيث أن هذا الوجود ، فى ذاته ، يشكل رادعا لمن تحدثه نفسه من غير الأصدقاء .. بالتحرك المعادى .

وفى ضوء كل ما سبق فان التحدث عن تحويل البحر الأحمر الى بحر « محايد » أو « بحر سلام » .. كما يدعو البعض .. والى الآن ، لن يتجاوز مجرد الكلام ولا يمكن أن يتحقق فى ظروف عالم اليوم .

ويكفى أن نشير ، هنا ، الى ما حدث بالنسبة لتحويل المحيط الهندى الى « بحر سلام » .. وازالة القواعد العسكرية الموجودة فى مناطقه المختلفة .. وذلك رغم قرارات الأمم المتحدة ، ورغم بيانات مجموعة دول عدم الانحياز .. الخ . ان أقصى ما قيل ، قريبا من هذه « الحيدة » ، وجاء على لسان دولة عملاق .. هو أن يتحقق ذلك على أساس المساواة » .

ومن ثم ، فكلما كان وجود طرف ، قائما ، ومستمرا ، فان الطرف الآخر سوف يسعى للتواجد والاستمرار . ولن تتوقف هذه العملية ، بسبب رغبة تبدى هنا ، أو قرار يتخذ هناك .

بل ان بعض الأطراف •• المحلية والاقليمية •• قد ترى تواجداً ما مفيدا لها •• بعكس تواجد ما ، فى الجانب الآخر من الصراع •• فتغض الطرف عن التواجد الأول ، بل وحتى تدعو اليه ، وتشجع عليه ، وتؤيده •• وتحمل بشدة على التواجد الثانى ، وتحذر منه ، وتسعو — فى الحاح — لمواجهته •• وقد تصل اليها الحال الى حد المبالغة الزائدة فى حجم هذا التوجد ، وفى مخاطره •

ويغلب أن هذه الأطراف ، حين تتحدث عن ابعاد « القوى الكبرى » و « النفوذ الأجنبى » انما تعنى — فى ذلك تواجد العدو دون تواجد الصـــديق •

يبقى بعد ذلك ، موضوع هام ، وهو العمل على تطوير التعاون بين البلاد المطلة على البحر الأحمر — الذى هو همزة وصـــل تجمع فيمـــا بينها — سواء أكان ذلك بين كل بلاد البحر الأحمر ، أو بين البلاد العربية المطلة عليه •

ولا يمكن أن يقوم عاقل ضد محاولات تطوير هذا التعاون والتنسيق بين هذه البلاد — سواء فيما بين نشاطاتها كدول ، أو فى عملها المشترك فى هذا البحر الضيق •

ان استغلال ثروات البحر الأحمـــر ذاته ، بجميع مجـــالاتها ، وفى كليتها وشمولها •• حيث تقع كل مياهه داخل نطـــاق اســـتغلال دوله الاقتصادى أمر يمكن أن يتحقق بالتنسيق والتعاون بين هذه الدول •• وقد بدأت — فى ذلك — محاولات بين السودان والسعودية • ويمكن أن يتحقق فى هذا المجال الكثير •

كذلك فان التعاون والتنسيق فى هذا البحر الضيق •• ذى المنافذ الأضيق عند أطرافه ، وخاصـــة فى الشـــمال ، وعلى الأخص فى خليج السويس •

هذا التعاون والتنسيق •• ينبغى أن يمتد لمواجهة مشاكل التلوث وما ينجم عنها من أضرار •

ويتصل بهذا الموضوع ما يمكن أن يسببه عدم التدقيق فى رســـم حدود مسارات السفن فى هذا البحر الضيق — وخاصة بمداخل خلجانه المخفوقة ، وضيقها الأكبر •• ومع نشاطات البحث عن البترول فى المياه

المغمورة ، والتى لا تحكمها نصوص حاسمة وقواعد فعالة فى كثير من الحالات •• كل هذا يمكن أن يسبب حوادث ، وخسائر جسيمة •• ينبغى العمل على تجنبها •• وخاصـة أن هـذا التجنب فى حـدود الامـكان •

ان العمل فى هذه المجالات ، وبأقصى الطاقة ، والى أقصى مدى ممكن أمر مطلوب •• ومطلوب اليوم قبل الغد (٦) •

وتدخل فى هذا المجال قضية حيوية ، وهى قضية الأمن فى كل بلد من بلاد البحر الأحمر ، وقضية الأمن الجماعى لبلاده العربيـة أو لبـلاده كلها • ولا شك ان هذا العمل المشترك ــ الأكثر فاعلية ــ فى هذا المجال أمر مطلوب •• وكما ذكرنا سابقا لأقصى مدى ممكن (٧) •

وتدخل فى هذا المجال ، أيضا ، قضية حيوية أخرى ، وهى قضـية تأمين الملاحة فى البحر الأحمر وهى قضية تهم حركة التجارة العالمية بوجه عام ، وتهم حركة البترول بشكل خاص •• وهى من ثم تهم معظم دول العالم ، وخاصة الكبرى منها •• التى تهمها حرية التجـارة البحـرية عموما ، وحرية حركة البترول اليها أو الى أصدقائها •• كما تهم دول الخليج بخاصة وهى التى تعتمد اعتمادا كبيرا على تصدير بترولها الى الغرب •• فيما وراء البحر الأحمر •• وكذلك تهم الدول البحر أحمرية التى ليست لها شواطىء أخرى ، ومن ثم ، فهى تعتمد بشكل حيوى على الحركة فى البحر الأحمر •

ويتصل بقضية تأمين حركة الملاحة فى البحر الأحمر •• أن هـذا البحر الضيق يمكن أن يكون مجالا للنشاطات التخريبية ••• بمحاولات « تضرب وتهرب » ومحاولات ، على وجه العموم ، يصعب رصـدها ، وتتبعها ، ويصعب ردعها وضربها • غير أن هذه النشاطات ــ على أى الأحوال لابد وأن تكون فى نطاق محدود •

---

(٦) على اننا لابد وان نتحفظ ــ مرة أخـرى ــ مذكرين : بأن فى الظروف الراهنة عناصر تعمل أثرها ، وتضع الحدود والقيود على انطلاق هذا التعاون والتنسيق وان ما يتسم به الوضع الراهن ، من تركيز ــ فى الصراع ــ على بلاد العالم الثالث ــ وخاصة المناطق ذات الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية فيها .. ومن تدخـل وتداخـل بين مستويات الصراع المتعددة .. كل ذلك لابد أن ينعكس على هذه المنطقة ، ويترك آثاره فيها .

(٧) ما ذكر فى الهامش السابق ينطبق هنا أيضا .

وواضح مما سبق أن تأمين الملاحة فى البحر الأحمر ، مسألة حيوية بالنسبة لكل الدول ، بما فى ذلك الدول الكبرى والعملاقة .. الأمر الذى يجعلها تهتم بانسياب التجارة ــ ومنهــا البترول ــ بحرية .. فى جميع منافذه (٨) .

نختتم حديثنا ، أن البحر الأحمر سيبقى ــ ولأمد غير قصير ــ مجالا للتعاون ومجالا للصراع ... بين دول ــ عربية أ وغير عربية .. مع تداخل بين ذلك الصراع والصراعات العالمية ــ فى المنطقة ، وعليها .

ولا يمكن أن يهدأ الوضع فيه ، بما يوسع مجالات التعاون ويعمقها ، الا اذا استقرت الأمور ، على أساس سليم من رضا الشعوب ــ فى أجزائه المختلفة ، وفيما بين هذه الأجزاء ، وفيما بين القوى الفاعلة فى الصراع الدولى على وجه العموم .

---

(٨) ومن المهم ، فى هذا المجال ، أن نشير الى ان حركة الملاحة فى البحر الاحمر يمكن أن تتأثر بما قد تتعرض له حلقات « طريق السويس » الاخرى من متاعب . وهذا يمكن ان يواجه بآثار سلبية أقل باستعمال الطريق البديل وهو « طريق الرأس » اذا اقتضت الظروف ذلك .

صراع القوتين العظميين

د. اجـلال محمد رافت

أستاذ مســاعد

معهد البحوث والدراسات الافريقية

مقـدمة :

تضم منطقة القرن الافريقى الدول الثلاث التالية : الصومال وأثيوبيا وجيبوتى • وتنبثق أهمية هذه المنطقة دوليا ، من حســاسية موقعهــا الجغرافى • فهى تتحكم فى مدخل البحر الأحمر الذى يعتبر أحد طريقى مرور شاحنات البترول من الجزيرة العربية الى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، مارة بقناة السويس • كما تطل هــذه المنطقة على المحيط الهندى حيث تتواجه أساطيل القوتين العظميين •

وتعانى منطقة القرن الافريقى ، منذ سنوات طويلة ، من صراعات داخلية خطيرة أهمها قضيتى توحيد الصومال واستقلال اريتريا • وتستغل الدولتان العظميان هذه الخلافات ، لتنفذا الى المنطقة وتكسبا منــاطق نفوذ جديدة وتحكما استراتيجيتهما ، ليس فقط فى القارة الافريقية بل فى منطقة الشرق الأوسط أيضا • ويلعب الاتحاد السوفييتى ، بمساعدة كوبا وألمانيا الشرقية الدور الرئيسى فى منطقة القرن الافريقى ، وتسعى الولايات المتحدة الامريكية لمواجهة التحدى السوفييتى • وبطبيعة الحال، لكل دولة من هذه الدول أهداف ومصالح تسعى لتحقيقها •

وعلى ذلك يمكن تقسيم الموضوع الى النقاط التالية :

أولا : دراسة موجزة لأهم القضايا الاقليميــة فى القــرن الافريقى وظروفها الاجتماعية والسياسية •

ثانيا تأصيل الصراع بين القوتين العظميين وربطه بالقضايا الداخلية للمنطقة وذلك فى اطار التوازن الدولى •

ثالثا : تصور مستقبلى لهذا الصراع •

اهم القضـــايا
الاقليمية فى القرن الافريقى

يترتب على الأهمية الدولية للقـــرن الافريقى ، أن أصبحت الدول العظمى تهتم اهتماما كبيرا بمراقبة الأحداث السياسية فى المنطقة ، تلك الأحداث التى قد تخدم أهداف الدول العظمى فى النفاذ الى شرق القارة الافريقية • وأهم القضايا الداخلية التى أدمت شعوب القـــرن الافريقى والتى ساهمت بالفعل فى ادخال القارة الافريقية فى لعبة التوازن الدولى ، هى قضيتا الحدود الصومالية بين الصومال من جهة وأثيوبيا وكينيا من جهة أخرى ، واستقلال اريتريا بين الحكومة الاثيوبية من جهة والثوار الاريتريين من جهة أخرى • ويجدر بنا ، قبل دراسة الصراع بين القطبين الدوليين أن نتناول بايجاز الظروف التاريخية والاجتماعية والســـياسية لهاتين القضيتين •

القضية الصومالية :

تتمثل القضية الصومالية فى نزاع الحدود بين جمهورية الصومال من جهة وكينيا وأثيوبيا من جهة أخرى (*) ويعود هذا النزاع الى وجود قبائل صومالية فى الاقليم الشمالى الـــكينى على الحـــدود الجنوبيـــة الصومالية ، وفى منطقتى أوجادين وهود فى شرق أثيوبيا على الحـــدود الغربية للصومال • وقد خلق الاستعمار البريطانى والايطالى هذه المشكلة حين كان يقسم منطقة نفوذه فى شرق أفريقيا لخدمة مصالحه • فبعـــد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، أرادت الدول الاستعمارية الكبرى أن تسيطر على طريق الهند ، فاحتلت بريطانيا الجزء الشمالى من القرن الافريقى ، وأقامت فرنسا محمية لها فى جيبوتى ، واحتلت ايطاليا الجزء الباقى من الساحل الصومالى •

وأثناء الحرب العالمية الثانية ، طردت بريطانيا ايطاليـــا من الاقاليم الصومالية التى كانت تحتلها ، وأصبحت بريطانيا تشرف على حوالى ٩٠٪

(*) توقفت مؤقتا المطالبة الصومالية بضم القبائل الصـــومالية فى جيبوتى بعد الاستفتاء الذى أجرته فرنسا فى البلاد والذى اشار الى ان الشعب فى جيبوتى قد اختار الاستقلا ل. ويؤكد هذا الموقف المترقب فكرة علم البلاد ذى النجمة الخماسية .

من الأراضى التى تعيش فيها القبائل الصومالية بما فيها منطقتا هـود والأوجادين • وعلى هذا الأساس اقترح وزير خارجية بريطانيا « أرنست بيفن » ، وضع جميع الأراضى التى تسكنها القبائل الصـومالية تحت الوصاية البريطانية • غير أن الولايات المتحـدة الأمريكيـة والاتحـاد السوفييتى رفضا الفكرة لأنها تميز بريطانيا فى تلك المنطقة الحساسـة استراتيجيا • وانتهى الأمر الى وضع جنوب الصـومال تحت الوصاية الايطالية واعطاء منطقتى الأوجادين وهود الى أثيوبيا ، وضم اقليم NFD فى جنوب الصومال الى شمال كينيا (١) •

غير أن القبائل الصومالية كانت دائما واعية بقوميتها • فقد آمن بها الزعيم الصومالى عبد الله حسن وجسدها فى صورة كفاح مسلح ضـد الاستعمار ، بدأه من الأوجادين ثم عم القبائل الصومالية كلها ، واستمر سنوات طويلة فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (٢) • وقد أحيت هذا الشعور بالرغبة فى الوحدة لدى الصـوماليين ، ثلاثة عوامل رئيسية :

أولا : ميلاد الجمهورية الصومالية فى سنة ١٩٦٠ باتحـاد الجزءين الايطالى والبريطانى •

ثانيا : نداءات الدكتور كوامى نكروما لاعـادة النظر فى الحـدود الافريقية الحالية باعتبارها ميراثا ظالما خلفه الاستعمار للقارة الافريقية •

ثالثا : اقتراح المستر بيفن سنة ١٩٤٢ بأن تتوحـد جميع الأراضى التى تسكنها القبائل الصومالية تحت وصاية بريطانية •

وقد ظهرت رغبة القبائل الصومالية فى شمال كينيا فى الانضمام الى الصومال فى أكثر من مناسبة •

ورغم ذلك امتنعت بريطانيا عن تنفيذ هذه الرغبة وأبقت على الاقليم الشمالى داخل الحدود الكينية • غير أن الأمور قد هدأت بين الصومال

---

(1) Ghali, Boutros, **Les conflits de frontières en Afrique**, Editions Techniques et Economiques, Paris, 1972, PP. 63-66.

(2) Samantar, Nicole Lécuyer, Mohamed Abdulle Hassan, Afrique Biblio Club (ABC), 1979, p. 16.

وكينيا بعد الاتفاق الذى تم بينهما فى أروشا سنة ١٩٦٨ • ولا نستطيع أن نجزم بأن مشكلة الحدود بين الدولتين قد انتهت طالما ظل تحرير الشعب الصومالى ووحدته هدفا من أهداف الحزب الحاكم • والأرجح أن حكومة الصومال قد اضطرت الى المهادنة المؤقتة حتى تتفرغ للجبهة الغربية وحربها مع أثيوبيا •

ويسود العلاقات الصومالية الأثيوبية توتر دائم منذ الاستقلال حتى الآن • وكثيرا ما يتصاعد هذا التوتر ويصل الى اشتباكات مسلحة وأحيانا الى حروب حقيقة • وفى سنة ١٩٦٤ تفجرت الثورة فى الأوجادين وتضامن الجيش الصومالى مع الثوار ضد أثيوبيا ، وكانوا يعتمدون فى حربهم هذه على السلاح السوفيتى • وكانت كفة الصومال راجحة فى هذا النزاع حتى غير الاتحاد السوفييتى تحالفاته فى المنطقة بعد سقوط الامبراطورية الأثيوبية ، فانتقل من تأييده لوجهة نظر الحكومة الصومالية الى محاولة للاصلاح بين هذه الحكومة وحكومة الثورة فى أثيوبيا ، ثم الى تحالف كامل مع الحكومة الأثيوبية ضد الصومال وجبهة تحرير الصومال الغربى التى تكونت على أثر تفجر الثورة فى هذه المنطقة •

وفى مجال القانون الدولى ، تطرح الدولتان مبدأين قانونيين شرعيين ، رغم تناقضهما • فبينما تحتج الحكومة الأثيوبية بمبدأ عدم المساس بالحدود الحالية للدول الافريقية الذى وافقت عليه منظمة الوحدة الافريقية ، تقدم الحكومة الصومالية مبدأ حق تقرير المصير الذى تعترف به أيضا المنظمة (١) •

هذا بالنسبة للخلفية التاريخية والسياسية للمشكلة • أما بالنسبة للظروف الاجتماعية ، فيمكن تقسيم المجتمع الصومالى الى طبقتين متقاربتين : طبقة تمثل الغالبية العظمى من أفراد الشعب ، ذوى الانماط الانتاجية المختلفة والدخول المنخفضة • وهذه الفئات هى الفلاحون والرعاة والعمال باختلاف تخصصاتهم وصغار التجار والغالبية العظمى من رجال الدين • وتضم الطبقة الأخرى عددا قليلا من الصوماليين من التجار

(1) Lewis. I.M., **A Modern History of Somalia** Longman, London and New York; 1980, pp. 205-225.

المتوسطين والمثقفين وكبار المسؤولين فى الدولة • ويتمتع أفراد هـذه الطبقة بمستوى معيشة متوسط [1] •

اذن فقضية الطبقية فى الصومال قضية محدودة الأهمية • ويبـدو للباحثة أن الفكر الاشتراكى فى الصومال لم يكن نتاجا لصراع طبقى ، بل كان ثمرة تفكير جماعة من المثقفين تأثروا بالأفكار اليسارية وبجدوى تطبيق هذه الأفكار لدفع عجلة التقـدم فى البـلاد ، ورفع مسـتواها الاقتصادى • وكانوا فى ذلك متأثرين بتجربة الاتحاد السوفييتى وأوروبا الشرقية • ويختلف الشعب الصومالى فى ذلك عن الشعبين الأثيـوبى والاريترى اللذين عانا من الاقطاع والبرجوازية •

القضية الاريترية :

تتمثل المشكلة الاريترية فى خلاف فى وجهات النظر بين أثيوبيا من جهة والشعب الاريترى من جهة أخرى ، حول هوية اريتريا • فبينما تدعى الحكومة الاثيوبية أن اريتريا كانت دائما اقليما من أقاليم الامبراطورية الأثيوبية أعيد اليها سنة ١٩٦٢ ، يطالب الثـوار الاريتريون بالاستقلال على أساس أن للشعب الاريترى هوية ووجـودا مستقلين عن الدولة الأثيوبية •

واذا عدنا الى التاريخ تتلمس جذور المشكلة ، وجدنا أن الامبراطورية الأثيوبية لم تبسط سيطرتها المباشرة على اريتريا الا نادرا • وقد تمثلت تلك السيطرة فى غزوات متفرقة على المنطقة يتم خلالهـا الاستيلاء على المحاصيل والأغنام ، ولم تكن أبدا فى شكل سـلطة مركزية لامبراطور أثيوبيا على اقليم اريتريا • وفى سنة ١٨٦٩ بدأ الوجود الايطـالى فى اريتريا فى شكل شركة تجارية خاصة ، ثم تطور حتى وصل الى الشكل الاستعمارى العسكرى الذى اعترفت به الحبشة سنة ١٨٨٩ • ولم تتكون الوحدة الاقليمية الاريترية بأسسها الحالية ، الا على أيدى الاسـتعمار الايطالى الذى ظل مسيطرا على اريتريا حتى انهزمت ايطاليا عسـكريا سنة ١٩٤١ فانتقلت اريتريا الى الادارة البريطانية •

---

(1) Decraene, Philippe, **L'expérience socialiste somalienne** Berger-Levrault, Paris, 1977, p. 20.

وبعد الحرب العالمية الثانية ، اجتمت الدول الأربع العظمى لتقسيم التركة ، وبعد مناقشات فى الأمم المتحدة استمرت من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٠ أخذت الهيئة الدولية باقتراح الولايات المتحدة الامريكية ، بضم اريتريا الى أثيوبيا فى اتحــاد فيدرالى • وقد أعدت لجنــة تقصى الحقائق التى بعثت من الهيئة الدولية الى اريتريا ، تقريرا يقول أن أغلبية الشعب الاريترى يوافق على هذا الحل • وعليه اتخذت الجمعية العــامة للأمم المتحدة قرارا فى صالح الاتحاد الفيدرالى بين أثيوبيا واريتريا •

غير أن الامبراطور هيلاسيلاسى لم يكتف بهذه النتيجة ، بل سعى حتى توصل الى الضغط على البرلمان الاريترى سنة ١٩٦٢ لكى يتخذ قرارا بالأغلبية فى صالح الوحدة الكاملة مع أثيوبيا • وهكذا فقــدت اريتريا الحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به وأصبحت مجرد اقليم داخل الامبراطورية الأثيوبية •

غير أن التركيب الثقافى والاقتصادى والســياسى للشعبين الاريترى والأثيوبى كان مختلفا (*) ، فقد ساعد الوجود الايطالى على النمــو الاقتصادى وانشاء المصــانع وتمهيد الطــرق ونشر التعليم ، فتكونت طبقات من العمال والمثقفين • كما عاونت الادارة البريطانية على ارساء نظام ديمقراطى برلمانى ، وسمحت بقيام الأحزاب السياسية • وفى نفس هذا الوقت كانت الامبراطورية الأثيوبية ما زالت تخضع لنظام اقطاعى رجعى • وقد خلق هذا التباين بين ظروف الشعبين شعورا بالتميز عند الاريتريين ساعد على ازكاء رغبتهم فى الانفصــال عن الامبراطورية • وقد تبلور هذا الاحساس فى حركة ايجابية تمثلت فى ميلاد جبهة تحرير اريتريا ، التى قادت الكفاح المسلح ضد الامبراطور ، ثم الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا سنة ١٩٧١ • وتجمع بين الجبهتين رغبة واحدة فى الاستقلال عن أثيوبيا وذلك رغم الخلافات العديدة التى تفرق بينهمــا (١) والتى تتمثل بالأساس فى الايديولوجية والتوجهات الدولية • وفى سنة ١٩٨١ بلغت هذه الخلافات حد أن طاردت الجبهــة الشعبية لتحــرير اريتريا

(*) رغم هذه الاختلافات ، يتشابه الشعبان فى عامل هام الا وهو الهيكل الاجتماعى فكلاهما عرف الاقطاع والبرجوازية الراسمالية .

(1) Fenet, Alain et Autres, **La question de l'Erythrée**, Presses Universitaires de France, Paris, 1979, pp. 31-35.

الجبهة الأخرى حتى حدود السودان ، وانفردت هي بالعمل الثورى على الأرض الاريترية • وتناضل هذه الجبهة فى اتجاهين :

الأول : الكفاح لتحرير الأرض الاريترية •

والثانى : محاولة تغيير وجه المجتمع القديم فى المناطق المحررة من اريتريا وتطبيق النظام الاشتراكى فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية •

ومن ناحة أخرى أدرك الجانب الأثيوبى الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لاريتريا فأصر على ابقائها ضمن أرضه • وظل هذا الموقف قائما حتى بعد الثورة الاشتراكية الأثيوبية • غير أن الحكومة الاثيوبية الجديدة اعترفت أن الاريتريين قد عانوا الكثير من ظلم الامبراطور السابق ، لذا كان من حقهم أن يثوروا ضده • أما الآن وقد سقط النظام الرجعى وحلت محله حكومة ثورية ، فعلى الاريتريين ان يظلوا متحدين مع أثيوبيا فى ظل دولة اشتراكية واحدة (1) • وجدير بالذكر أن منظمة الوحدة الافريقية تساند أثيوبيا فى هذا الرأى •

الصراع بين القضايا الاقليمية والتوازن الدولى

الولايات المتحدة الامريكية :

لم تشكل القارة الافريقية فى الستينيات أهمية كبيرة بالنسبة للاستراتيجية الدولية • فمن ناحية ، لم يكن نفوذ الاتحاد السوفييتى فى قلب القارة قد وضح رغم وجوده فى الشمال فى مصر ومساعداته لبعض حركات التحرر الافريقية • ومن ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة ، فى ذلك الحين ، مشغولة بتورطها فى حرب فيتنام وبمشكلات الشرق الأوسط • وكانت تظن أن نظامى الحكم القويين فى جنوب أفريقيا وفى روديسيا ، يساندهما الاستعمار البرتغالى فى أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو ، سيحافظان لفترة زمنية طويلة على مصالح الغرب فى المنطقة •

---

(1) Lefort, René, **Ethiopie, la révolution hérétique**, **Maspéro**, Paris, 1981 pp. 105-106.

ولم تتنبه الولايات المتحدة لخطورة التواجد السوفييتى على نفوذها ومصالحها فى أفريقيا جنوب الصحراء ، الا بعد انسحاب البرتغال من مستعمراته الافريقية ابتداء من سنة ١٩٧٤ • وقد حاولت الولايات المتحدة أن تحارب النفوذ السوفييتى فى هذه المنطقة ، وذلك باستقطابها احدى جبهات التحرير الأنجولية وهى الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا FNLA ولكن هذه المحاولة جاءت متأخرة وانتصرت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA بمساندة الاتحاد السوفيتى ، واعترفت بها منظمة الوحدة الافريقية (١) •

وسرعان ما استقر الاتحاد السوفيتى أيضا فى القرن الافريقى ، وذلك بتواجده بنقل عسكرى كبير فى الصومال ثم فى أثيوبيا • وأمام هذا المد السوفييتى فى شرق وجنوب أفريقيا وجدت الولايات المتحدة الامريكية نفوذها ينحصر عن جزء هام وحساس استراتيجيا من القارة ، وأصبح تشبثها بجنوب أفريقيا أقوى من أى وقت مضى ، لا سيما وأن الهيكل الاقتصادى والاجتماعى والموقع الاستراتيجى لجمهورية جنوب افريقيا يفيدان الولايات المتحدة والغرب فى المحافظة على مصالحهما فى هذه البقعة من القارة• أما بالنسبة للقرن الافريقى فقد انحصر وجود الولايات المتحدة فى الصومال ، حيث تهدف الى المحافظة على التوازن الدولى فى المحيط الهندى يساندها فى ذلك الوجود الفرنسى فى جيبوتى •

وتتركز أهداف الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الافريقى فى ثلاثة عوامل :

اولا : حماية طريق النفط :

يسمح الموقع الجغرافى المتميز للقرن الافريقى بمراقبة وتأمين الشاحنات البترولية القادمة من دول الخليج متجهة الى الدول الأوربية والولايات المتحدة الامريكية التى ما زالت تعتمد اعتمادا كبيرا فى صناعاتها على بترول دول الخليج • وفى واقع الأمر ، هناك طريقان لمرور شاحنات البترول ، أحدهما طريق قناة السويس والآخر يحاذى الشواطىء الغربية

---

(1) Whitaker, Jennifer Seymour, «Introduction : l'Afrique et les intérets américains», **Les Etats-Unis et l'Afrique : les intérêts en jeu,** Karthala, Paris, 1981, pp. 1-19.

للقارة الافريقية ، عابرا المحيط الاطلسى الى الدول الأوربية المستهلكة •
والثابت أن طريق البحر الأحمر أقصر وأسرع وأرخص طـريق للشحن التجارى ولشحن البترول (١) • غير أن غلق قناة السويس فى أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ بسبب الحـرب بين مصر واسرائيل دفع الـدول التى تأثرت مصالحها بهذا الغلق الى التفكير فى استخدام شاحنات بترولية ضخمة ، تتحمل الرحلة الطويلة فى المحيطين الهندى والاطلسى ، عبر رأس الرجاء الصالح ، وتنقل فى الرحلة الواحدة ما تنقله الشاحنـات ذات الحجـم المتوسط المارة من قناة السويس فى عدة رحلات • وبذلك تكون قد غطت جزءا كبيرا من الفرق فى التكلفة بين الطـريقين • ومع ذلك أخفق طريق رأس الرجاء الصالح فى تقديم البديل المناسب لطريق قنـاة الســويس فللطريق الأخير ميزات تجارية وعمرانية وملاحية تتفوق على طريق رأس الرجاء الصـالح •

ثانيا : المحافظة على توازن القوى فى المحيط الهندى والبحر الاحمر :

أحدث الانقلاب العسكرى فى أثيوبيا ، وتغيير نظام الحكم من نظام رجعى الى نظام تقدمى ، تغييرا كبيرا فى الأدوار الدولية فى منطقة القرن الافريقى • فأمام تقلص نفوذ الولايات المتحدة الامريكية فى أثيوبيا ، لم تجد أمامها الا أن تساند الصومال ، رغم توجهه الاشتراكى ، وذلك للمحافظة على التوازن الدولى فى المحيط الهندى • وقد نجحت الولايات المتحدة فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٨٠ فى الحصول على تسهيلات عسكرية فى قاعدة بربرة وميناء قسمايو ومقديشيو على المحيط الهندى مقـابل مساعدات عسكرية واقتصادية للصومال •

غير أن هذه المساعدات تخضع لشرط هام وهو تعهـد الصـومال باستخدامها فى أغراض دفاعية فقط • ويعود هذا الموقف المهادن للولايات المتحدة حيال مشاكل الحدود الصومالية الى الأسباب التالية (٢) :

---

(١) عاطف السيد ، **البحر الاحمر والعالم المعاصر — دراسة تاريخية سياسية استراتيجية —** دار عطوة للطباعة ، القـاهرة ، سـنة ١٩٨٣ ، ص ٢٣ •

(٢) تصريح لنائب وزير الدولة الامريكى للشئون الافريقية ريتشارد موزفى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٨٠ ، نشر فى : **Politique Africaine**
Mai, 1981, Karthala, Paris, pp. 74-75.

١ ــ تهتم الولايات المتحدة بالاحتفاظ بحياد أثيوبيا كحـد أدنى للعلاقات بينهما وذلك للاهمية السياسية ، الى جانب الأهمية الاستراتيجية التى تمثلها أثوبيا ، فهى من الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية ولها ثقل سياسى كبير بين دول القارة الافريقية .

٢ ــ ترتبط الولايات المتحدة الامريكية وكينيا بعلاقات عسكرية واقتصادية . وتشجيع الصومال على استعمال القوة فى اقليمى هـود والأوجادين ، يعنى السماح له بتنفيذ نفس السياسة فى الاقليم الشمالى الكينى FND وهذا ما لا ترضاه الحكومة الكينية .

٣ ــ تهتم الولايات المتحدة الامريكية بالتنسيق مع أكبر عدد ممكن من الدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية ، لا سيما النظم المعتدلة منها . وجدير بالذكر أن المنظمة ترفض مبدأ تعديل الحدود الرسمية بين الدول الافريقية ، كما لا توافق على حل المشاكل الافريقيـة بالقـوة المسلحة . ولا يفوتنا أن نشير الى أن المغرب وزائير م نضمن الدول التى تعانى من هذه المشاكل . وتمثل هاتان الدولتان ركيزتين هامتين للنفوذ الامريكى فى القارة الافريقية . فيسيطر المغرب مع بريطانيا على ممر جبل طارق الذى تستعيض به الولايات المتحدة عن فقدها لبـاب المنـدب . أما زائير فتعطى للنفوذ الغربى فرصة التواجد فى قلب القارة الافريقية .

ثالثا : المحافظة على اريتريا بعيدا عن التيار العربى :

تنبع الأهمية الدولية الاريترية من الموقع الجغرافى المتميز لاريتريا . فهى تقع فى جنوب غرب البحر الأحمر ، قريبة من باب المندب ، وتعتبر المنفذ البحرى الوحيد لأثيوبيا . لذا تهتم الدولتان العظميـان بهـوية السلطة السياسية القابضة على مقاليد الحكم فى هذه المنطقـة . وقد اتضح فى السنوات الأخيرة الوجه العربى للثورة الاريترية . فمهمـا اختلفت اتجاهات الثوار بين التيار التقدمى والتيار المحافظ ، وبين الديانة الاسلامية والديانة المسيحية ، فهى فى نهاية الأمر ذات توجـه عربى ، شجعته وأكدته المساعدات الكبيرة التى تقدمها السعودية وبعض الدول العربية الأخرى الى الثوار الاريتريين . فاذا انتصرت الثـورة الاريترية وانتزعت استقلالها من الدولة الاثيوبية ، أكدت بذلك الهوية العربيـة للبحر الأحمر . فاذا استطاعت الدول العربية ومعها اريتريا المستقلة ،

أن تحكم خطة موحدة لحماية أمن البحر الأحمر ، أصبح أمن اسرائيل فى خطر ، مما يهدد مباشرة المصالح الامريكية فى الشرق الأوسط •

وقد سعت اسرائيل ، فى اطار المحافظة على التوازن فى منطقة الشرق الأوسط والبحر الأحمر ، الى الاتصال بدول شرق أفريقيا ، وبخاصة اثيوبيا ، وذلك بعد أن انتزعت حق المرور فى خليج العقبة بعد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ • فالوجود الاسرائيلى فى أثيوبيا على الشواطىء الاريترية ، يسمح لها بمراقبة باب المندب الذى يتحكم ، مع خليج العقبة ومضايق تيران ، فى الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر كما يسهل الاتصال بالدول الافريقية حيث تسعى الى فتح أسواق تواجه بها المقاطعة الاقتصادية العربية • وقد عرضت اسرائيل على أثيوبيا السماح بوجود عسكرى اسرائيلى فى جنوب البحر الأحمر على الشواطىء الاريترية • مقابل تقديم دعم كبير للبحرية الأثيوبية مجانا وتزويدها بزوارق وبعض الصواريخ البحرية وشبكة رادار تقام على مدخل البحر الأحمر ، هذا بالاضافة الى تدريب بعض فرق الجيش الأثيوبى على حرب العصابات وذلك لمواجهة الثورة الاريترية •

وبناء على ما تقدم ، يتضح لنا أن استقلال اريتريا لا يخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الغربية • ويظل هذا الواقع صحيحا حتى بعد تغيير نظام الحكم فى أثيوبيا • فتعتقد الباحثة أن الولايات المتحدة الأمريكية ، تفضل أن تبقى اريتريا اقليما فى أثيوبيا التقدمية التى تعتبر الدولة الوحيدة غير العربية التى تطل على البحر الأحمر ، والتى تربطها علاقات صداقة وتعاون باسرائيل ، على أن تتحول الى دولة مستقلة ترتبط باستراتيجية عربية موحدة قد تهدد مصالح الغرب فى الشرق الأوسط •

الاتحاد السوفييتى :

يسعى الاتحاد السوفييتى من بداية الخمسينيات الى كسب مناطق نفوذ فى القارة الافريقية ، التى ظلت لفترة طويلة مغلقة على الدول الاوربية الغربية • ويهدف من وراء ذلك الى تحقيق أهداف عامة تتعلق بالقارة الافريقية ككل وأهداف خاصة بالقرن الافريقى ، موضوع دراستنا • وقد ازدادت أهمية القرن الافريقى فى هذا المجال حين بدأت تتضح تدريجيا فى مصر — الباب الشمالى للبحر الأحمر — عوامل

طاردة للنظام الاشتراكى وللتعاون مع الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية. وقد تمثلت هذه العوامل فى التطبيقات الاقتصادية والسياسة الخارجية للحكومة المصرية التى سرعان ما اتضحت اتجاهاتها بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وتبلورت فى صورة الانفتاح الاقتصادى والارتباط بالاستراتيجية الغربية .

ويمكن ايجاز أهم الأهداف السوفيتية فى القرن الافريقى فيما يلى :

أولا : مراقبة طريق النفط : لا يعتبر الاتحاد السوفييتى حتى الآن ، دولة مستوردة للنفط ، الا أن من المتوقع فى السنوات القادمة ، أن تزداد حاجاته الى هذه السلعة الاستراتيجية الهامة ويضطر الى شراء بترول الشرق الأوسط لاستخداماته الصناعية والعسكرية . ودخول الاتحاد السوفييتى سوق النفط العربى ، كمشترى ، يعتبر تحجيما للمصالح البترولية الغربية .

ثانيا : الوصول الى البحار الدافئة ، والأسواق الافريقية والاسيوية حيث يرغب الاتحاد السوفييتى فى فتح منافذ تصريف لمنتجاته المدنية والحربية .

ثالثا : الحصول على قواعد وأماكن للتصنت فى المحيط الهندى ، الذى يشكل أهمية أمنية كبرى للاتحاد السوفييتى وذلك لقربه من حدوده الجنوبية ولقربه أيضا من الشرق الأوسط .

رابعا : التحكم فى تسرب النفوذ الصينى الى أفريقيا ، هذا النفوذ الذى أصبح محسوسا وبخاصة فى شرق أفريقيا (١) .

وقد استطاع الاتحاد السوفييتى تحقيق جزءا لا يستهان به من تلك الأهداف وذلك على مراحل متتالية ، تمثل حلقات فى خطة استراتيجية محكمة . وتعتبر سنة ١٩٥٥ هى بداية الدخول السوفييتى فى القارة الافريقية ، وذلك عقب صفقة الأسلحة التشيكية الى مصر . ويمكن

---

(1) Chaliand, Gérard, L'enjeu africain, géostratégie des puissances, Edition Complexe, Paris, 1980, PP. 68-69.

اعتبار أن الخطة السوفيتية فى هذه المرحلة كانت انتظار أخطــاء الغرب ومحاولة الاحلال محله وتقليص نفوذه فى القــارة •

وفى خــلال الستينيات انتقلت الاستراتيجية السوفيتيــة من الترقب وانتظار أخطاء الغرب ، الى سياسة أكثر ايجابية وهى مساعدة الحركات الثورية فى القارة وابراز القوة العسكرية السوفيتية فى الميدان ، ســواء كان ذلك فى شكل أسلحة أو خبراء • وقد ســاعد فى استكمال هــذه الحلقة من الخطة ، وجــود بعض الزعماء الافارقة التقــدميين أمثــال عبد الناصر ونكروما ومديبوكيتا ونريرى وسيكوتورى • وفيمــا يختص بالقرن الافريقى استطاع الاتحــاد السوفييتى أن يتصــل بالصــومال وبالجبهات الاريترية وأن يقدم لها بعض المعــونات العسكرية الضرورية للنضال ضد الحكم الامبراطورى الأثيوبى • وكانت النتائج المترتبة على سياسة الاتحاد السوفييتى فى القرن الافريقى أن كسب منطقة نفوذ على شاطىء المحيط الهندى • وفى نفس هذا الوقت كان يعمل على الاستقرار فى عدن على الشاطىء الشرقى لباب المندب •

وفى أوائل السبعينيات ، وبعد اختفاء بعض الأنظمة التقدمية فى القارة وما ترتب على ذلك من تقلص النفوذ السوفييتى فى هذه الدول (غانا ومصر) ، انتقل الاتحاد السوفييتى الى مرحلة ثالثة تتميز بتقديم مصلحته الذاتية كقوة عظمى ، على المصلحة الايديولوجية للثورة الاشتراكيــة • وأخذ يسعى الى اقامة علاقات طيبة مع الدول الافريقية بصفة عامــة ، بغض النظر عن هوية نظامها السياسى : ونقدم مثالا على ذلك الاتفاقات الاقتصادية بين الاتحاد السوفييتى والمغرب •

وفى سنة ١٩٧٤ سقط النظام الامبراطورى فى أثيوبيا ، وحــل محله نظام ذو صبغة تقدمية • وقد اعتبر هذا الحدث من أهم الأحداث التى سمحت للاتحاد السوفييتى بالتواجد بثقل كبير فى القرن الافريقى •

وفى سنة ١٩٧٧ حاول الاتحاد السوفيتى أن ينهج سياسة جريئــة ألا وهى ضم القوى التقدمية فى القرن الافريقى ، وهى الصومال والنظام الجديد فى أثيوبيا واريتريا فى اتحاد كنفــدرالى يرتبط بعلاقات وثيقــة بالاتحاد السوفييتى • ولما لم يفلح فى تحقيق هذا الهدف قرر الاتحــاد

السوفييتى أن يرتبط كلية بالنظام الاثيوبى ويدعمه ضد الثوار الاريتريين والثوار فى الاوجادين ، ووقع مع الحكومة الاثيوبية معاهدة صداقة وتحالف سنة ١٩٧٨ (١) .

ويعود تفضيل الاتحاد السوفييتى لأثيوبيا فى تحالفاته فى المنطقة الى أسباب سياسية واستراتيجية وأيديولوجية ، نذكر منها ثقلها السياسى فى القارة ، وموقعها الجغراف فى مواجهة عدن مما يسمح للاتحاد السوفييتى باحكام سيطرته على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . ومن ناحية أخرى يناسب التركيب الطبقى للمجتمع الاثيوبى التطبيقات الاشتراكية بينما يكاد الصومال أن يخلو من التناقضات الاجتماعية الحادة (٢) .

تصور مستقبلى للصراع بين القوتين العظميين فى القرن الافريقى

يتضح لنا من الدراسة السابقة ، أن الاتحاد السوفييتى قد تفوق على الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة القرن الافريقى . ويعود هذا التفوق ، بالدرجة الأولى ، الى وجود أنظمة وطنية ثورية ذات توجه اشتراكى على رأس السلطة فى الدولتين اللتين تفجرت فيهما القضايا التى شغلت وما زالت تشغل تلك المنطقة . فحين احتاج الصومال ثم أثيوبيا الى المعونة الخارجية استعانا بالاتحاد السوفييتى باعتباره القوة العظمى الاشتراكية التى ساعدت الحركات التحررية فى العالم للخلاص من الاستعمار الغربى أو لاسقاط الأنظمة الرجعية . وقد يتفق هذا التوجه للسلطة فى القرن الافريقى مع ميول شعوب المنطقة التى فقدت الثقة فى السياسة الغربية ، التى ما زالت تحمل أثقال تاريخها الاستعمارى فى القارة .

---

(1) Afgright, David, «Moscow's African Policy of the 1970s» **Africa and International Communism**, The Macmillan Press Ltd, London 1980, pp. 35-66.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الطبقات فى الصومال انظر :

(2) Adam Hussein and Sheikh Omar Mohamed «Reflections on the Somali working Class», **Halgan**, n°8, june 1977, the Somali Revolutionary socialist Party Mogadishu, pp. 12-15.

ويأتى بعد هذا العامل عوامل أخرى أكدت على التفوق السوفييتى فى المنطقة • فسياسة الوفاق بين القطبين تجعل الولايات المتحدة الأمريكية تتراخى عن الدفاع المكثف عن أفريقيا • فهذه القارة تمثل من الناحية الأمنية ، أهمية ثانوية بالنسبة لها فهى تهتم فى المقام الأول بأوربا ثم بآسيا • أضف الى ذلك التأثير السلبى للحرب الفيتنامية على الرأى العام الأمريكى والذى جعل الولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب فى التدخل المباشر فى أفريقيا • كما أن تمسك الولايات المتحدة الأمريكية بصداقة أثيوبيا أو على الأقل بحيادها ، يجعلها تمتنع عن مهاجمة الاتحاد السوفييتى من الجبهة الصومالية •

وأمام هذا الواقع السياسى الذى يعكس نتيجة صراع القوى الكبرى فى منطقة القرن الأفريقية ، يجدر بنا أن نحاول تصور مستقبل هذا الصراع ، ومحاولات القطبين ترجيح ميزان القوق فى صالح كل منهما •

يمكن ايجاز هذا التصور بالنسبة للاتحاد السوفييتى فى النقاط التالية :

أولا : سيحاول الاتحاد السوفييتى الحفاظ على مكاسبه فى المنطقة وزيادتها ، بأن يحيى ، على سبيل المثال ، فكرة اتحاد ، له نظام اشتراكى ، ويجمع بين الصومال وأثيوبيا واريتريا ، ويمكن أن يضم جيبوتى وعدن •

ثانيا : ربما حاول الاتحاد السوفييتى تقوية الهيكل الاشتراكى لنظام الحكم فى دول القرن الافريقى ، فقوة النظام واستمراريته ، تخدمان الاتحاد السوفييتى أكثر من الاعتماد على صداقة القيادات السياسية ، أو على المعونات العسكرية وحدها • وللاتحاد السوفيتى تجارب سابقة فى هذا الشأن نذكر منها صداقته لعبد الناصر ونكروما ، التى لم تستطع حماية الوجود السوفييتى فى هاتين الدولتين ، بعد رحيل الزعيمين ، والمساعدات العسكرية الكبيرة ، التى قدمها لمصر والصومال ، والتى لم تفلح فى استيعاب النظم الحاكمة فى هذه الدول •

ثالثا : بالنسبة للمساعدات الاقتصادية ، من المعتقد أن الاتحاد السوفييتى سيكون أكثر مرونة وأقل فعالية فى هذا المجال وذلك بسبب هيكله الاقتصادى الداخلى الذى يعجز عن سد الاحتياجات الاقتصادية

الضخمة اللازمة لدفع التنمية فى هذه الدول (فهو يركز بالأساس على تنمية قدراته العسكرية والنووية) لذا ربما ترك الغرب يتقدم عليه ، على ألا تضغط المساعدات الاقتصادية الغربية على الأنظمة الاشتراكية لتغييرها كما حدث فى غينيا • غير أن هناك تحفظات على السعى السوفييتى لزيادة نفوذه فى المنطقة :

أولا : قد تفقد منطقة القرن الافريقى الثقة فى صدق المساعدات السوفيتية وتجردها من الصبغة الاستغلالية ، وذلك نتيجة للتناقض الذى أوقع الاتحاد السوفييتى نفسه فيه بمساعدة أثيوبيا على اضعاف جبهة التحرير الشعبية الاريترية ، وهى التنظيم الشعبى الذى يطبق الفكر الاشتراكى بفاعلية كبيرة فى المناطق المحررة من اريتريا • ويؤكد هذا التناقض أن الاتحاد السوفييتى قد قدم مصلحته الذاتية ، كقوة دولية ضاربة على أهدافه الايديولوجية فى المنطقة •

ثانيا : ربما حمل المستقبل حلولا لقضايا القرن الافريقى لا تتفق ومصالح الاتحاد السوفييتى ، كأن تستقل اريتريا ، وتنضم الى الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ، وكلها نظم معتدلة فيما عدا اليمن الجنوبية • ولا نقول أن هناك خطة عربية ، ولا حتى غربية تستطيع أن تمنع مرور الاتحاد السوفييتى فى هذه البحار ، ولكنها بلا شك ، يمكن أن تقلل من نفوذه فى المنطقة •

أما الولايات المتحدة الأمريكية فيمكن تصور أهم ردود أفعالها فى النقاط التالية :

أولا : الاستمرار فى حث الصين على النفاذ الى شرق أفريقيا •

ثانيا : تأكيد وتكثيف الوجود الفرنسى فى جيبوتى •

ثالثا : المساعدة فى التنمية الاقتصادية لدول المنطقة ، لا سيما وأن الولايات المتحدة متفوقة على الاتحاد السوفييتى فى هذا المجال •

رابعا : قد يتبادر الى أذهاننا أن الولايات المتحــدة ، فى محــاولة لاضعاف الاتحاد السوفييتى ، ستضغط لحل المشاكل الداخلية للمنطقة التى ساعد تأزمها على دخول الاتحاد السوفييتى فى القرن الافريقى . غير أنه ، فى رأيى ، لن تمثل الحلول الواقعيــة لهــذه القضــايا مصلحة للولايات المتحدة الأمريكية . فأغلب الظن أن اضطرابات المنطقة ستنتهى اما الى حل عربى ، قد يهدد مصالح اسرائيل فى البحر الأحمر ، واما الى حل اشتراكى يؤكد نفوذ الاتحاد السوفييتى فى القرن الافريقى .

وأخيرا أقول أن الاضطرابات الداخلية فى منطقة القرن الافريقى ، ستظل لفترة زمنية طويلة تتجاذبها الأطراف الدولية . ولن تأتى الحلول الا بتعاون بين الحل العسكرى الذى ستؤكده احدى القوى الاقليمية المتصارعة ، والحل الدبلوماسى الذى لابد للقوى العظمى أن تشارك فيه للحفاظ على التوازن الدولى فى أفريقيا .

المراجع العربيــة

ـ عاطف السيد ، **البحر الاحمر والعالم المعاصر** ـ دراسة تاريخيــة سياسية استراتيجية ، دار عطوة للطباعة ، القاهرة سنة ١٩٨٣ .

المراجع الاجنبيــة

— Adam, Hussein and Sheikh Omar, Mohamed : «Reflections on the Somali Working Class», **Halgan** n°8, june 1977, the Somali Revolutionary Socialist Party Mogadishu.

— Albright, David, **Africa and International Communism,** The Macmillan Press Etd, London, 1980.

— Chaliand, Gérard, **L'enjeu africain, géostratégie des puissances,** Edition Complexe, Paris, 1980.

— Decranene, Philippe, **l'expérience socialiste somalienne, Berger-**Levrault, Paris, 1977.

— Fenet, Alain et Autres, **La question de l'Erythrée**, Presses Universitaires de France, Paris, 1979.

— Ghali, Boutros, **Les conflits de frontères en Afrique,** Editions Techniques et économiques, Paris, 1972.

— Lefort, René, **Ethiopie, la révolution hérétique,** Maspéro, Paris, 1981.

— Lewis, I.M., **A Modern History of Somalia, Longman,** London and New York, 1980.

— Samantar, Nicole Lécuyer, **Mohamed Abdulle Hassan,** Afrique Biblio Club, (ABC), 1979.

— Whitaker, Jennifer Seymour, **Les Etats-Unis et l'Afrique : les intérêts en jeu,** Karthala, Paris, 1981.

— **Politique Africaine,** Mai 1984, Karthala, Paris.

تقييم تجربة التنمية الاقتصادية فى الاقتصاد الصـومالى

د. احمد فريد مصطفى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القـاهرة

مقـدمة:

لقد أصبحت عملية التنميـة الاقتصـادية تحتل المقـام الأول من اهتمامات معظم الدول الافريقية فى الوقت الحاضر وذلك نظرا للانخفاض فى مستويات الدخول للغالبية العظمى من سكانها .

وتعتبر الصومال من أقل الدول نموا فى العالم . ولقد أدت الأزمة الاقتصادية العالمية فى السبعينات الى زيادة حدة المشكلات التى تعرض لها الاقتصاد الصومالى حيث اقترنت هـذه الأزمـة بموجات تضخمية انعكست آثارها بشدة على الاقتصاد الصومالى .

وهناك من العوامل ما تفاعلت مع بعضها بحيث أدت فى النهاية الى انخفاض مستويات ومعدلات نمو الانتاج وأدى ذلك بالتبعية الى انخفاض التبادل الخارجى . وأهم هذه العوامل ما يلى :

ـ تعرض الصومال لحالة الجفاف والقحط الشديد خلال الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ .

ـ الصراع على الحدود وما أدى اليه من تدفق أعـداد كبيرة من اللاجئين .

ـ القوى الداخلية المعوقة للتنمية كقصور البنية الأساسية وعـدم توافر العمالة الفنية والكفاءة .

ولقد أدت هذه لعوامل الى حدوث آثار سيئة وانخفاض متوسط دخل الفرد ومستوى معيشته • وفى مواجهة هذه المشاكل ، تم وضع خطط للتنمية الاقتصادية بعد حصول الصومال على استقلاله عام ١٩٦١ •

ولقد كانت الحاجة ملحة لوضع هذه الخطط حتى يمكن النهوض بالاقتصاد الصومالى والذى يتراوح متوسط دخل الفرد به ما بين ١٥٠ ــ ٢٠٠ دولار فى السنة (1) •

ويعتبر هذا الدخل وفقا للمقاييس العالمية منخفضا للغاية •

ويتعرض هذا البحث الى دراسة وتحليل خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الاقتصاد الصومالى وينبغى التعرف على القوى المختلفة المعوقة لهذه الخطط وبالتالى كان من الصعب تحقيق الأهداف المخططة عند التنفيذ وبعد ذلك تتعرض لمحددات الاستراتيجية الملائمة للتنمية • لذلك يشتمل هذا البحث على :

المبحث الأول : دراسة وتحليل خطط التنمة الاقتصادية والاجتماعية فى الصومال •

المبحث الثانى : محددات الاستراتيجية الملائمة للتنمية فى الصومال •

المبحث الأول : دراسة وتحليل خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الصومال :

بعد حصول الصومال على استقلاله فى عام ١٩٦١ كانت المشكلة تثور حول كيفية النهوض بمستوى معيشة الأفراد الذى بلغ أدنى حد ممكن • ولقد استقر الرأى على الأخذ بالتخطيط كأسلوب للتنمية كبديل لأسلوب السوق وجهاز الثمن • وفى هذا الصدد ينبغى الاشارة الى أن القول بعدم تدخل الدولة فى لحياة الاقتصادية وترك لاقتصاد وشأنه لقوى السوق الحر وجهاز الثمن يعتبر أمرا غير مقبول عمليا حيث لا تستطع الدولة تحقيق الأهداف المختلفة التى تحقق صالح المجتمع • فالتطور التلقائى

(1) The world Bank, Somalia, Agriculture Review, Volume 7, Main repport, June 29, 1981 ; P. I.
P. I. B.

المتولد عن جهاز الثمن وقوى السوق بطىء بطبيعته بالاضافة الى أنه يؤدى الى اختلال التوازن فى نمو قطاعات الاقتصاد القومى ويستلزم الأمر فى هذه الحالة ضرورة تدخل الدولة لاحلال التخطيط القومى محل جهاز الثمن لتحقيق تطوير مقصود يضمن نمو الاقتصاد القومى فى فترة زمنية محدودة ويتحقق النمو المتوازن عن طريق تحقيق معدلات متساوية لهذا النمو فى مختلف قطاعات الاقصاد القومى الرئيسية • لذلك يمكن ارجاع المبررات الاقتصادية التى جعلت الصومال تأخذ بأسلوب لتخطيط القومى الشامل كأسلوب للتنمية الى عاملين أساسيين وهما : عجز جهاز الثمن وقوى السوق الحر عن تحقيق التنمية الاقتصادية بالقدر المرغوب والسرعة المطلوبة والمكاسب المتوقعة من عملية التخطيط للتنمية الاقتصادية •

ولقد تم وضع العديد من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الصومال فى الفترة من ١٩٦٣ الى ١٩٨١ وذلك على النحو التالى :

- الخطة الخمسية الأولى (٦٣ ــ ١٩٦٧) •
- الخطة الثلاثية المكملة (١٩٦٨ ــ ١٩٧٠) •
- الخطة الخمسية الثانية (١٩٧٠ ــ ١٩٧٤) •
- الخطة الخمسية الثالثة (١٩٧٤ ــ ١٩٧٨)
- البرنامج الثلاثى (٧٩ ــ ١٩٨٠) •

١ ــ الخطة الخمسية الأولى (٦٣ ــ ١٩٦٧) والخطة المكملة (٦٨ ــ ١٩٧٠) :

تتعرض فيما يلى لتحليل اطار الخطة ثم تتعرض بعد ذلك لمتابعة نتائجها :

(أ) اطار الخطة :

تم وضع الخطة الخمسية الأولى بعد حصول الصومال على استقلاله فى عام ١٩٦١ وذلك لتغطية الفترة من ١٩٦٣ الى ١٩٦٧ • ولقد استهدفت هذه الخطة خلق بنية أساسية اقتصادية واجتماعية والتوسع فى الطاقات الانتاجية للبنيان الاقتصادى • وبلغت تقديرات الانفاق فى هذه الخطة ١٦٠ مليون دولار موزعة على النحو التالى :

القطـــــاع	النسبة المئوية للانفاق
نقل ومواصلات	٣٠ر٤ ٪
الزراعة والرى والصرف	٢٤ر٣ ٪
الصـــناعة	١٥ر٧ ٪
الخدمات الاجتماعية	١٨ر٨ ٪
استثمارات أخـرى	١٠ر٨ ٪

أى أن الاستثمارات فى مجالات النقل والمواصلات والزراعة والصناعة تمثل حوالى ٧٠٪ من اجمالى الاستثمارات الا أن نصيب قطاع الصناعة من اجمالى الاستثمارات يعتبر منخفضا بالمقارنة بغيره من القطاعات .

ولم تبلغ النتائج الفعلية للخطة الخمسية الأولى ما كان مستهدفا منها ويرجع ذلك الى العقبات والمعوقات التى واجهت تنفيذ هذه الخطة .

وفى عام ١٩٦٨ تم وضع خطة مكملة قصيرة المدى لتغطية الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٠ لاستكمال ما عجزت الخطة الأولى عن تحقيقه وذلك بغرض الاسراع بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ولقد استهدفت هـذه الخطة الثلاثية المكملة انفاقـا استثماريا يبلغ ٩٩ مليون دولار (٧٠٥ مليون شلن صومالى) .

وكان الهدف من هذه الخطة التركيز على النقل والمواصلات والموارد المائية . غير أن هذه الخطة واجهت عدة مشـاكل منهـا نقص الطـاقة الاستيعابية وبلغ حجم الدين الخارجى ٧٩ر٤ مليون دولار وأصبحت خدمته تشكل عبء آخر على الاقتصاد الصومالى حيث لم يكن مصحوبا بتجارة خارجية مواتية .

(ب) متابعة النتـــائج :

من تحليلات الناتج المحلى الاجمالى P. I. B يتبين لنـا أن الزيادة السنوية فى ذلك الناتج خلال الفترة من ١٩٦٠ — ١٩٧٠ كانت بمعدل ١٪ فقط وهو معدل متواضع للغاية خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار معدل النمو السكانى الذى بلغ فى نفس الفترة ٢ر٤٪ سنويا .

وبدراسة معدلات نمو الانتاج يتضح لنا اختلاف هذه المعدلات على مستوى القطاع وذلك على النحو التالى :

القطـــــاع	معدل نمو الناتج (بالنسبة المئوية)
التصـــنيع	١٤ر٣ سنويا
قطاع الصـناعة (الانتاج الصناعى)	٣ر٣ سنويا
الخـــدمات	٢ر٥ سنويا
الزراعـــة	١ر٥ سنويا

ويتضح من الأرقام السابقة ارتفاع معدل النمو فى قطاع التصنيع بينما كان منخفضا بالنسبة للقطاعات الأخرى • وكما اختلفت معدلات النمو بين القطاعات اختلفت أيضـــا مدى مساهمتها فى النـــاتج المحلى الاجمالى وذلك على النحو التالى :

القطـــــاع	نسبةمساهمته فى الناتج المحلى الاجمالى ٪
الزراعـــة	٦٧٪
الصـــناعة	١٣٪
الخدمات	٢٠٪

وذلك خلال الفترة السابق الاشارة اليها (١٩٦٠ — ١٩٧٠) •

أما عن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى فقد بلغ ١٠٤ فى عام ١٩٧٠ أى فى نهاية الفترة المذكورة • كما أن انتاجية العامل من الناتج المحلى غير الزراعى تزيد عن انتاجية العامل من الناتج المحلى الزراعى(١) •

٢ — خطط التنمية فى الفترة من ١٩٧٠ — ١٩٧٨ :

تشمل هذه الفترة على خطتين ، الأولى وتغطى الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٤ والثانية وتغطى الفترة ١٩٧٤ ا— ١٩٧٨ •

وتتناول فيمـــا يلى تحليل اطار هاتين الخطتين ثم نتعرض لمتـــابعة نتـــائجهما :

(1) Somalia Démoeratic Republic: Ministry of Agriculture, 1981-N. U. Country Review Report, Somalia, 1981.

(أ) تحليل الاطــار :

يعتبر القطاع الزراعى فى الصومال على درجة كبيرة من الأهميــة ويرجع ذلك الى أهميته فى توفير الاحتياجات المحلية من السلع الزراعية وتوفير فرص العمالة والمساهمة الكبيرة فى الناتج المحلى الاجمالى •

لذلك كان هذا القطاع محل اهتمام متواصل من جانب الدولة فى خطط التنمية الاقتصادية المتعاقبة • ويتضمن القطاع الزراعى ثلاث أنشطة رئيسية هى الانتاج الحيوانى انتاج المحاصيل وانتاج الأسماك ويعمل به ٨٠٪ من السكان الذى يتراوح عددهم بين ٤ ــ ٥ مليون نسمة • كما أن نسبة كبيرة من سكان البدو (٧٥٪) يعملون فى القطاع الزراعى ويشكل البدو ٦٠٪ من اجمالى السكان •

ويعتبر الانتاج الحيوانى أهم الأنشطة الرئيسية الثلاث لقطاع الزراعة حيث يوفر فرص عمل لنحو ٦٠٪ من السكان ويساهم بنحو ٥٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى وتمثل صادراته نحو ٨٠٪ من اجمــالى قيمــة الصادرات • لذلك يمكن القول أن الخطة الخمسية للفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٤ ركزت على البرنامج العاجل للزراعة نظرا لأهميتها •

وتوضــح الأرقام التالية الاستثمارات الزراعيــة فى الفترة ١٩٧١ ــ ١٩٧٣ وذلك ضمن اطار الخطة الخمسية • وكان الهــدف من هــذه الاستثمارات هو العمل على زيادة الانتاج الغذائى وفرص العمالة للعمال الرعاه بالاضافة الى تحسين وتطوير النظام الزراعى والتوسع فى المساحات المزروعة ــ وتوضح لنا الأرقام التالية نصيب القطاع الزراعى وغيره من القطاعات من الانفاق الاستثمارى ، وكذلك توضح لنا الأرقام مــدى الاهمية النسبية للاستثمارات الزراعية خلال الفترة ١٩٧١ ــ ١٩٧٣ [1] •

---

(1) U. N., Country Review Report ; Somalia 1981, P. II.

القطـــاع	القيمة بالدولار (مليون)	النسبة المئوية
الانتاج الحيوانى والغابات	٦ر١٠	٣ر٧
الانتاج النباتى والرى	٠ر٢١	٧ر١٤
صيد الاسماك	—	—
اجمالى قطاع الزراعة	٦ر٣١	٢٢
الموارد المائية	٢ر١٧	١٢
قطاعات أخرى	٨ر٩٤	٦٦
اجمالى الاستثمارات	٦ر١٤٣	١٠٠

ويمكن القول أن خطة الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٤ استهدفت اتجـاها جديدا فى التنمية الاقتصادية كما اتبعت طريقة أفضل فى التنفيذ ولذلك حققت نتائج أفضل • ويتضح من الأرقام الســابقة أن النسبة المئوية للاستثمارات فى قطاع الزراعة بلغت ٢٢٪ من اجمالى الاستثمارات وذلك خلال الفترة ١٩٧١ — ١٩٧٣ وهى مقصورة على الانتاج الحيــوانى والانتاج النبــاتى أما قطــاع صيد الأســماك فلم يكن له نصيب من الاستثمارات خلال هــذه الفترة • وتشتمل الاستثمارات فى القطاعات الأخرى على برنامج الاسكان لسكان البدو والتوسع فى التعليم وتحسين الخدمات الصحية يلى ذلك الصناعة • غير أن فترة الجفاف الحادة والطويلة عام ١٩٧٤ أدت الى اعاقة مجهودات التنمية •

وفيما يخص الخطة الخمسية ١٩٧٤ — ١٩٧٨ فانها استهدفت اتفاقا استثماريا يبلغ ١ر١ بليون دولار نجد أن نســبة التنفيذ الفعلى بلغت ٦١٪ فقط •

وتوضح لنا الأرقام التالية توزيع الاتفاق الاستثمارى فى هذه الخطة (١٩٧٤ — ١٩٧٨) ويتضح لنا أن الزراعة تستأثر بحوالى ٢٥٪ من اجمالى الاستثمارات •

الأهمية النسبية لكل قطاع فى الخطة الخمسية ١٩٧٤ — ١٩٧٨(١) •

(1) Somalia Democratic Kepublic, State Planning Comission, 3 years 1979-1981.

القطـــاع	قيمة الانفاق الاستثمارى بالمليون دولار	الاهمية النسبية لكل قطاع ٪
الزراعـــة	٢٩١ر٢٥	٢٥ر٧
التعدين	٢٣ر٦٤	١ر٢
الصـــناعة	٣٤٢ر٣٨	٣٠ر٣
النقل والمواصلات	٢٥٣ر٧١	٢٢ر٤
التعليم والصحة	٧١ر٢	٦ر٣
الاســـكان	٢٤ر٩١	٢ر٢
قطاعات أخرى	١٢٤ر١٦	١١ر٠
اجمـــالى	١١٣١ر٢٥	١٠٠

ويتضح لنا من الأرقام السابقة أن خطة التنمية للفترة ٧٤ ـــ ١٩٧٨ استهدفت فى بادىء الأمر اتفاقا استثماريا يبلغ ٦١٣ر٧ مليون دولار زاد الى ٩٣٠ر١ مليون نظرا لارتفاع التكاليف الاستثمارية ونظرا لاضـــافة مشروعات جديدة أخرى ارتفع حجم الانفاق الاستثمارى الى ١١٣١ر٢٥ مليون دولار ولكن نسبة التنفيذ الفعلى بلغت فقط ٦١٪ •

ويتضح لنا من تلك الأرقام أن القطاع الزراعى يستأثر بأكثر من ربع الانفاق الاستثمارى كما ازدادت الأهمية النسبية للانفاق فى هذا القطاع بالمقارنة بأهميته النسبية فى الخطة السابقة • كذلك يتضح لنا أن القطاع الصناعى يحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية النسبية يليه قطاع الزراعة ثم النقل والمواصلات •

(ب) متابعة النتائج :

استهدفت خطة ١٩٧٠ ـــ ١٩٧٤ اتجاها جديدا فى التنمية الاقتصادية • ولقد تم تحقيق كثير من الانجـــازات ويرجع ذلك الى كفاءة وفاعليـــة التنفيذ • وكان التركيز فى هذه الفترة على تكثيف الانتـــاج الزراعى وتنويعه وأدت هذه المجهودات الى زيادة الصادرات الحيوانية ـــ ولقد أدت فترة الجفاف الحاد والطويل عام ١٩٧٤ الى نقص هذه الصادرات •

كذلك حققت هذه الخطة انجازات كبيرة فى المجالات الأخرى الآتية :

ـــ برنامج الاستقرار لسكان البدو •

ـــ التوسع فى التعليم سواء فى البرامج التعليمية أو بناء المدرس •

— برامج خاصة بالصحة وأخرى لتنمية موارد الدولة .

ولقد أدى اهتمام الخطة بالأساليب الجديدة والحديثة فى مجال الانتاج الحيوانى الى زيادة الانتاج وانعكس ذلك على الصادرات من الحيوانات حيث زادت فى عام ١٩٧٠ بالمقارنة بعام ١٩٧٢ ولكنها انخفضت بنسبة كبيرة فى عام ١٩٧٤ بسبب الجفاف والقحط وتوضح الأرقام التالية الصادرات الحيوانية نتيجة تطور الانتاج خلال فترة الخطة ١٩٧٠ — ١٩٧٤ ويتضح لنا من الأرقام أنها زادت بنسبة مرتفعة فى عام ١٩٧٢ بالمقارنة بعام ١٩٧٠ ثم انخفضت بمعدل كبير فى عام ١٩٧٤ للأسباب السابق ذكرها .

السنة	الصادرات الحيوانية (طن	النسبة المئوية للتغير ٪
١٩٧٠	٥٤٥٨٨	—
١٩٧٢	٧٢٣٥٦	٣٢ر٥
١٩٧٤	٥٨٤٤٠	١٩ر٢

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن معدل النمو للمستوى كان حوالى ١٦٪ فى الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٢ بينما بلغ حوالى ٩ر٥٪ فى الفترة من ١٩٧٢ الى ١٩٧٤ .

كذلك توضح الأرقام التالية (١) تطور اجمالى الانتاج المحلى فى الصومال بالأسعار الثابتة (بالمليون دولار) فى الفترة من ١٩٧٠ — ١٩٧٤ .

السنة	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤
اجمالى الانتاج المحلى بسعر السوق	٣١٦ر٤	٣٣٢ر٨	٣٨١ر١٤	٤٠١ر٠٥	٣٢٨ر٥٨

أما عن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى (بالأسعار الثابتة) فانه ارتفع من حوالى ١٠٤ دولار عام ١٩٧٠ الى حوالى ١٢١ دولار عام ١٩٧٤ ثم ارتفع بعد ذلك (٢) .

(1) U. N, Country Review Report, Somalia, 1981., P. 17.

(٢) بلغ هذا المتوسط حوالى ١٣٠ دولار عام ١٩٧٨ أى أن معدل الزيادة بلغ ١٩ر٣٪ تقريبا خلال الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٨ .

وعلى الرغم من أن هذا قد يشير الى بعض التقدم والتحسن فى البنيان الاقتصادى الصومالى ، الا أن معدل النمو يختلف من قطاع الى آخر بل انه اتجه الانخفاض فى بعض القطاعات الانتاجية (١) .

ويتبين لنا من دراسة الناتج المحلى الاجمالى تعاظم الأهمية النسبية لقطاع الخدمات والنقل والمواصلات .

كذلك توضح لنا الأرقام التالية (٢) نسبة التنفيذ الفعلى للاستثمارات خلال الفترة ١٩٧١ — ١٩٧٣ وذلك فى اطار خطة التنمية الاقتصادية ١٩٧٠ — ١٩٧٤ .

السنة	الاستثمارات المخططة بالمليون دولار	الاستثمارات المنفذة بالمليون دولار	نسبة التنفيذ ٪
١٩٧١	٥ر٩٠٩	١ر٢٦٩	٢١ر٥
١٩٧٢	١١ر٤٤٢	٣ر٤٧٠	٣٠ر٣
١٩٧٣	٦ر١٨٤	٨ر٦٢٠	١٣٩ر٤
المجموع	٢٣ر٥٣٥	١٣ر٣٥٩	٥٦ر٨

ويتضح لنا من الأرقام السابقة أن التنفيذ الفعلى كان أقل بكثير من المستهدف فى الخطة فى العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ بينما زاد التنفيذ الفعلى عن المستهدف فى عام ١٩٧٣ الا أن الزيادة التى تحققت فى هذا العام لم تعوض النقص وقصور التنفيذ الفعلى فى العامين السابقين وكان نتيجة ذلك انخفاض نسبة التنفيذ الفعلى بالنسبة لاجمالى السنوات حيث بلغت ٥٦ر٨٪ .

وتوضح لنا الأرقام التالية (٣) تطور حركة الميزان التجارى الصومالى خلال فترة الخطة ١٩٧٠ — ١٩٧٤ . ويتضح لنا من هذه الأرقام :

(1) UN; Country Review Meetings, Country Presentations, Somalia, 1981, P. 14.

(2) U. N., Country Review Meetings Country, Presentation Somalia, 1981, P. 18.

(3) N. U, Annuaire statistique du Commerce international, 1980.

السنة	الصادرات مليون شلن صومالى	الواردات مليون شلن صومالى	نسبة تغطية الصادرات للواردات ٪ (١)
١٩٧٠	٢٤٤ر٣٥	٣٢٢ر١٧	٧٥ر٧
١٩٧١	٢٤٦ر٤٤	٤٤٧ر٥٦	٥٥ر١
١٩٧٢	٢٩٩ر٩٠	٥٢٤ر١٣	٥٧ر٠
١٩٧٣	٣٤٠ر٤٠	٦٧٧ر٤٠	٥٠ر٢
١٩٧٤	٣٩٠ر٦٠	٨٩٨ر٤٠	٤٣ر٤

وجود عجز مستمر وآخذ فى التزايد فى الميزان التجارى الصومالى وانعكس ذلك على مقدرة الصادرات على تمويل الواردات حيث أخذت فى الانخفاض المستمر ويتضح ذلك من انخفاض نسبة تغطية الصادرات للواردات حيث انخفضت من ٧٥ر٨٪ عام ١٩٧٠ الى ٤٣ر٤٪ عام ١٩٧٤ • ويؤدى ذلك الى زيادة اعتماد الصومال على العالم الخارجى لتمويل هذا العجز وبالتالى زيادة تبعيته للدول المتقدمة بما تفرضه هذه التبعية من زيادة عبء المديونية والالتزامات التى تقع على كاهل الاقتصاد الصومالى ، ولهذا آثاره السيئة على عملية التنمية ذاتها •

وتوضح لنا الأرقام التالية (٢) تطور اجمالى الانتاج المحلى فى الصومال بالأسعار الثابتة وبالمليون دولار خلال الفترة من ١٩٧٤ — ١٩٧٨ •

السنة	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
اجمالى الانتاج المحلى بسعر السوق	٣٢٨ر٥٨	٤٢٢ر٥٤	٤١٩ر٣٢	٤٤٠ر٢٧	٤٩٤ر٤٣

ويتضح من الأرقام السابقة مدى ضعف معدلات النمو فى الناتج المحلى الاجمالى خاصة اذا ما قورن ذلك بمعدل النمو السكانى • ويعبر ذلك عن مدى ضآلة القصور الذى طرأ على متوسط نصيب الفرد من

(١) قيمة الصادرات / قيمة الواردات × ١٠٠ •

(2) U. N., Country Review Report, op. cit.

الناتج المحلى الاجمالى (بالأسعار الثابتة) أى الدخل الحقيقى للفرد حيث ارتفع من ١٢١ دولار تقريبا فى عام ١٩٧٥ الى ١٣٠ دولار فى عام ١٩٧٨ .

ولقد انعكس ضعف الجهاز الانتاجى على الصادرات والواردات حيث زادت الواردات بمعدلات مرتفعة لم تلاحقها الزيادة التى تحققت للصادرات . ولقد ترتب على ذلك زيادة العجز فى الميزان التجارى بالصومال وتوضح لنا الارقام التالية هذه الحقيقة (١) .

السنة	الصادرات بالمليون شلن صومالى	الواردات بالمليون شلن صومالى	نسبة تغطية الصادرات للواردات ٪
١٩٧٤	٣٩٠ر٦٠	٨٩٨ر٤٠	٤٣ر٥
١٩٧٥	٥٥٧ر٦٠	٩٧٣ر٧٠	٥٧ر٣
١٩٧٦	٥٩٥ر٥٠	٩٧٩ر٩٠	٦٠ر٨
١٩٧٧	٣٩٦ر٥٠	١٤٣٢ر٨٠	٢٧ر٧
١٩٧٨	٦٧١ر٠٠	١٥١٨ر٩٠	٤٤ر٢

ويتضح لنا من هذه الأرقام عدم قدرة الصادرات على تمويل الواردات ، ويعنى ذلك زيادة اعتماد الصومال على البدائل الأخرى (قروض ، معونات ، ...) لسد هذا العجز . واذا أخذنا فى الاعتبار الشروط والصعوبات التى تحيط بكل بديل من هذه البدائل فانه يتضح لنا مدى ما يعانيه الاقتصاد الصومالى من مشاكل تعرقل العمل على تحقيق عملية التنمية الاقتصادية السليمة والتى تشمل كافة قطاعات الاقتصاد القومى .

٣ ـ البرنامج الثلاثى ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ :

تقدر حجم الاستثمارات المستهدفة فى هذا البرنامج ١٣ر١ بليون دولار تقريبا ويعتمد فى تمويله على الموارد بنسبة ٦٣ر٥٪ والموارد المحلية بنسبة ٣٦ر٥٪ .

ويتضح من الأرقام التالية (٢) توزيع الانفاق الاستثمارى فى هذا البرنامج .

(1) N. U., Annuair Statistque du Commerce international 1980.

(2) Somalic Democratic Republic, op. cit.

القطـــاع	الانفاق الاستثمارى (١٩٧٩/١٩٨١) بالمليون دولار أمريكى	النسبة المئوية ٪
الزراعــة	٦٤ــ٢٩٩	٥ر٣٥
التعــدين	٦٨ر١٤	٣ر١
الصــناعة	٥٣ر١٨٨	٧ر١٦
النقل والمواصلات	٢٨ر٢٣٨	٢ر٢١
التعليم	٨٣	٤ر٧
الكهرباء والقوى	٩٤ر٢٢	٢
الموارد المائية	٠٢ر٦٣	٦ر٥
تنمية اقليمية	٢٨ر٣٦	٩ر٢
قطاعات أخرى	٠٨ر١٨٢	٤ر٧
اجمـــالى	٤٥ر١١٢٨	١٠٠

ويتضح من هذه الأرقام أن هذا البرنامج ركز على قطاعين هما الزراعة والنقل والمواصلات يليهما قطاع الصناعة ثم التعليم فالموارد المائية .

يمكن القول اذن أن الغلبة فى هذا البرنامج كانت لقطاع الزراعــة والخدمات بينما انخفضت الأهمية النسبية لقطاع الصناعة عكس ما كان عليه الحال بالنسبة لهذا القطاع فى الخطة السابقة (١٩٧٤ ــ ١٩٧٨) .

وبمقارنة الاستثمارات الفعليــة بالاستثمارات المستهدفة فى هــذا البرنامج ، لا نجد من الأرقام المتاحة الا ما يتعلق بعام ١٩٧٩ ، وفى هذا العام كانت الاستثمارت المخططة ٠٤٦ر١٠٣ مليون دولار بينمــا كانت الاستثمارات المنفذة ٢٠٢ر٢٦ أى أ ن نسبة التنفيذ بلغت ٤ر٢٥٪[1] فقط .

وفى مجال التجارة الخارجية نجد أن الميزان التجارى للصومال يعانى من عجز مقداره ٨ر١١٠٦ مليون شلن صومالى حيث تبلغ الصــادرات ٨٠ر٦٩٧ مليون شلن بينمــا تبلغ الواردات ٦٠ر١٨٠٤ مليون شلن . ويعنى ذلك أن نسبة تغطية الصادرات للواردات بلغت فى هــذا العام حوالى ٧ر٣٨٪ .

اجمالا يمكن القول أن خطط التنمية السابقة مركزة على قطاعين هما الزراعة والرى أو البنية الأساسية خاصة النقل والمواصلات يليهما قطاع الصــناعة .

(1) UN, Country Review Meetings, op. cit. P. 18.

كما تراوح الانفاق المستهدف لقطاع الزراعة والرى بين ٢٦٪ ، ٣٦٪ من اجمالى الاستثمارات • غير أن معدلات التنفيذ الفعلى للاستثمارات بصفة عامة كانت حولى ٥٠٪ من الاستثمارات المستهدفة وذلك لقصور التمويل ونشوب الحرب وحالة الجفاف •

٤ ـ المعوقات التى اعترضت خطط التنمية :

لقد واجهت عملية التنمية الاقتصادية العديد من العقبات أهمهـا : الأزمة النقدية العالمية وما ارتبط بها من حالة تضخم عالمية •

فلقد أدت الزيادة الكبيرة والمفاجئة فى أسعار البترول فى عام ١٩٧٣ وما تلى ذلك من آثار على نظام النقد العالمى وحدوث حالة التضخم الى تغيرات وارتفاع كبير فى الأسعار واضطرابات حادة فى التجارة العالمية •

ونقد أدت الزيادات الحادة فى الأسعار الى ارتفاع تكاليف السلع المستوردة خاصة تلك التى لها علاقة بتكاليف النقل الأمر الذى أدى الى رفع الأسعار فى جميع القطاعات الاقتصادية فى الصومال • ولقد كان لارتفاع الأجور وأسعار لسلع ، سواء المستوردة أو المنتجة محليا ، أثره المباشر على الأنشطة الحكومية وخاصة ما يتعلق منها بمشروعات التنمية • ولم يقتصر ذلك الأثر على ميزانية بعض المشروعات ولكن يمتد أيضا الى ميزانية الحكومة ذاتها فأسعار السلع المستوردة والخامات التى تشكل نحو ٥٠٪ من تكاليف مشروعات التنمية ، وقد تغيرت بمعدل سريع ، الا أن الايرادات الحكومية لم تتمكن من التغير بنفس المعدل •

كذلك أثرت حالة الجفاف على عملية التنمية الاقتصادية • فلقد أدت قلة الأمطار فى عام ١٩٧٣ وعدم سقوطها فى عام ١٩٧٤ ثم قلتها فى عام ١٩٨٠/٧٩ الى تدهور انتاج المحاصيل وفقد كثير من الثروة الحيوانية وترتب على ذلك زيادة ملحة فى الواردات من الذرة الشامية والذرة الرفيعة والأرز والسكر ، كما كان لها آثارها على الصناعات الزراعية ، وقد بلغ الجفاف الشديد ذروته فى الربيع الأول فى عام ١٩٧٥ • واقتضى الأمر العمل على الاغاثة العاجلة لضحايا الجفاف •

كما يعتبر نقص العمالة الماهرة ظاهرة عامة تعانى منها جميع الدول النامية بما فيها الصومال ، وهذا النقص يوجد على جميع المستويات التنظيمية والادارية والمهنية والفنية والكتابية الأمر الذى يعرقل تنفيذ

كثير من المشروعات ويزيد من التكاليف الجارية • ويرجع ذلك الى أن سوء التنظيم يؤدى الى تأخير ورود قطع الغيار قبل انفاذ المخزون وتوقف العمل ، وعدم معرفة صيانة وتشغيل الآلات من الظواهر الشائعة ذات الأثر الخطير على عملية التنمية الاقتصادية وقد اهتمت الحكومة بالعمل على علاج هذ هالمشكلة ، خلال الخطة الخمسية الأخيرة ، لتوفير العمالة الماهرة وذلك بالاضافة الى التركيز على التعليم العـام كى يمكن نشر الأساليب التكنولوجية الحديثة •

وعلى الرغم من ضرورة اعداد المشاريع جيدا خاصة فى مجـالات الزراعة والصناعة ، الا أنه كان هناك نقص فى المعلومات والبيانات اللازمة لذلك ، واعتمد فى ذلك على رأى ذوى الخبرة والأفراد فى مجـالات العمـل •

ولكن هذا لا يمكن الاعتماد عليه دائما وبسبب ذلك عانت المشاريع من مشاكل خطيرة ، وفى أحيـان أخرى استخدمت بيانات دول أخرى الأمر الذى أدى الى اعطاء صورة غير سليمة ومضللة أحيانا •

ونظرا لضرورة توفر قاعدة من البيـانات الاحصـائية السليمة ركز البرنامج الثلاثى على تدعيم جهاز الاحصاء •

ويمثل السكان فى الوقت الحاضر مظهرا من مظـاهر الضغط على التنمية الاقتصادية حيث تشير التقديرات المعدة بواسطة البنك الدولى أن معدل النمو السكانى فى الصومال سوف يزيد عن معدله الحالى ، وتشير آخر التقديرات للسكان فى الصومال الى بلوغهم ١ر٥ مليون نسمة فى ١٩٨٢ فى حين أنها كانت ٦٤ر٣ مليون نسمة فى منتصف ١٩٨٠ ،وأن معدل النمو السنوى بلغ ٧ر٣٪ فى الفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٨٥ فى حين كان المعدل ٨ر٢٪ عام ١٩٧٣ •

وتشير التقديرات الى أن عدد السكان سيزداد فى الصومال بحيث يبلغ ١٧ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ أى بزيادة مقدارها ١٢ مليون نسمة •

ولا شك أن المعدل السريع للنمو السكانى فى الصومال دون وجود خطة محددة المعالم للقوى العاملة سيؤثر على التنميـة الاقتصـادية فى اتجاهات مختلفة أبرزها :

ـ ان مشكلة الارتفاع فى معدل الوفيات تلقى عبئا على التنمية الاقتصادية وذلك نتيجة زيادة عدد السكان من صغار السن وقصر متوسط الأعمار عن نظيره فى الدول المتقدمة الأمر الذى يقلل من قوة العمل الى مجموع السكان فى الدولة كما يقلل من طاقتها الانتاجية وتزداد نسبة المعالين فى المجتمع •

ـ ان ارتفاع معدل النمو السكانى يؤدى الى زيادة الضغط على الموارد لاقتصادية المحدودة خاصة الأراضى الزراعية باعتبارها المصدر الرئيسى للمواد الغذائية ومصدر العمل للغالبية العظمى من السكان •

ـ ان زيادة السكان بمعدل مرتفع تشكل ضغطا على الخدمات العامة وخاصة فى مجال التعليم والصحة والاسكان وهذا يحول دون اتاحة قدر من الاستثمارات لانتاج السلع المادية •

ـ يؤدى معدل النمو المرتفع للسكان كذلك الى زيادة تفاقم مشكلة نقص رؤوس الأموال حيث تؤدى زيادة السكان الى زيادة القدر المطلوب استثماره فى مشروعات التنمية •

ـ تؤدى زيادة السكان أيضا الى زيادة العبء الواقع على ميزان المدفوعات فى غير صالح عملية التنمية الاقتصادية حيث تزيد الواردات من المواد الغذائية اللازمة لاعاشة السكان بدلا من زيادة معدل الواردات من الآلات والمعدات الانتاجية اللازمة لعملية التنمية •

المبحث الثانى : محددات الاستراتيجية الملائمة للتنمية فى الصومال :

يتضح من دراسة خطط التنمية الاقتصادية المختلفة فى الاقتصاد الصومالى أنها ركزت على قطاعين هما الزراعة والرى والبنية الأساسية خاصة النقل والمواصلات يليهما قطاع الصناعة • كما تراوح الانفاق المستهدف لقطاع الزراعة والرى بين ٢٦٪ ، ٣٦٪ غير أن معدلات التنفيذ الفعلى للاستثمارات بصفة عامة كانت حوالى ٥٠٪ من الاستثمارات المستهدفة وذلك لقصور التمويل ونشوب الصراع وحالة الجفاف • والسؤال الذى يفرض نفسه الآن يدور حول ما هى المحددات المختلفة للاستراتيجية الملائمة للتنمية فى الصومال وتتعرض فما يلى لأهم هذه المحددات •

١ ـ دور القطاع الخاص :

ويلاحظ أن الدور الذى لعبه القطاع الخاص فى تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية فى الصومال كان محدودا للغاية ويعنى ذلك أن القطاع العام لعب الدور الرئيسى ، الا أنه بدأ الاهتمام بدور القطاع الخاص فى عملية التنمية . لذلك سمح للقطاع الخــاص باستيراد السلع التى يستوردها القطاع العام كما سمح له بنظام الاستيراد بدون تحويل عمله حيث يقوم المحول بتدبير احتياجاته من النقد الأجنبى من مصادر يتم الحصول عليها من خارج دائرة النطاق المصرفى .

ولا يمكن انكار أن هذه السياسة كانت فى غير صالح عملية التنمبة الاقتصادية حيث كان هدف القطاع الخاص هو العمل على تحقيق أقصى ما يمكن من الأرباح . لذلك كان البحث عن المشروعات التى تحقق هذا الهدف هو محل اهتمام ذلك القطاع وكان يتم اختيار هذه المشروعات على حساب الربحية الاجتماعية . كذلك كان القطاع الخاص يستفيد من الاختناقات التسويقية بغيــة تحقيق هدفه .

كما أن نظام الاستيراد بدون تحويل عمله الذى سمح به للقطــاع الخاص يؤدى الى التقليل من احكام الرقابة على التدفقــات النقــدية الخارجية ، كما يؤدى الى الحد من سلطة البنك المركزى من الرقابة على الصرف . كما يعنى هذا النظام مبادلة المدخرات من النقــد الأجنبى فى الاقتصاد الصومالى بسلع أجنبية قد لا يتفق معظمها مع أهداف عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويعنى هذا تسرب نقــدى للخــارج . ويؤدى ذلك الى زيادة كبيرة فى الواردات وكان هذا أحد أسباب العجز المتزايد والمستمر فى الميزان التجارى الصومالى .

كما أن هذا النظام يؤدى الى زيادة اضعاف مركز الشلن الصومالى فى سوق الصرف . والسبب فى ذلك أن أسعار السلع المستوردة لا تخضع لرقابة مشددة لذلك يحقق المستوردون أرباحا عالية . كما أن المستورد الصومالى يشترى العملة الحرة مباشرة عن طريق السوق السوداء وعلى ذلك فان سعر الصرف المتضمن فى هذه العمليات ينطــوى على قيمــة منخفضة كثيرا للشلن الصومالى وهذا يخلق ضغوطا شــديدة لخفض الشلن الصومالى فى السوق الموازية .

كذلك نجد أن تعامل القطاع العام مع وحدات القطاع الخاص أدى الى تجميع الأخيرة لرؤوس أموال ضخمة استخدمت فى قطاعات تقليدية كالصناعات الصغيرة والانشاءات وكثير من المشروعات التى لا تتفق وأهداف عملية التنمية الاقتصادية . كما أن المقيمين فى الخارج استثمروا مدخراتهم فى المجالات التقليدية كالتشييد والبناء والتجارة والنقل والصناعات الصغيرة . وينبغى الاشارة فى هذا الصدد الى ضرورة أن يكون القطاع العام هو القطاع الرائد فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية طالما أن الهدف هو تحقق عملية تنمية اقتصادية سليمة ومتوازنة تعمل على تحقيق ارتفاع فى مستوى معيشة الأفراد من خلال الزيادة التراكمية فى متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى ، أى زيادة دخله الحقيقى .

وتستلزم عملية التنمية استثمارات ضخمة فى العديد من المشروعات الأساسية والتى يعتبر العائد المباشر من ورائها ضعيفا ان لم يكن منعدما فى المدى القصير ولكنها تعتبر مشروعات أساسية ولازمة حيث على أساس قيامها تقوم العديد من المشروعات والصناعات الأخرى اللازمة لتحقيق أهداف عملية التنمية . لذلك لا يمكننا أن ننتظر من القطاع الخاص قيامه بتنفيذ هذه المشروعات الأساسية طالما أن هدفه الأساسى هو العمل على تحقيق أقصى ما يمكن من الربح فى المدى القصير ولذلك فانه يتجه باستثماراته نحو المجالات التقليدية . ولا يعنى ذلك المناداة بالسيطرة الكاملة للقطاع العام وانعدام وجود القطاع الخاص ولكن يمكن فتح المجالات أمام القطاع الخاص لاستثمار مدخراته والاستفادة من خبراته وكفاءته على أن يتحقق ذلك من خلال خطة محددة الأهداف موضحة الدور الذى يجب أن يلعبه القطاع الخاص من أجل المساهمة فى تحقيق هذه الأهداف . وتعتبر الهند من أبرز الأمثلة على نجاح نظام التخطيط القومى الشامل رغم أن نظامها لا زال بصفه عامة يقوم على النشاط الخاص وذلك بالرغم من أزمة التخطيط فى الهند فى الوقت الحاضر .

وتستطيع الدولة فى هذا الصدد أن تستخدم أدوات السياسة المالية والسياسة النقدية (1) التى تجعل القطاع الخاص يسير فى القنوات المخططة وهو بصدد استثمار أمواله فى المشروعات المختلفة . فعلى

(1) سياسة الائتمان وسياسة سعر الفائدة وسياسة الاصدار النقدى .

سبيل المثال ، تستطيع الصومال فى مجال السياسة المالية أن تفرض ضرائب مرتفعة على أوجه النشاط غير المرغوب فيها والتى لا تتفق وأهداف عملية التنمية الاقتصادية فى الوقت الذى تعنى فيه أو تخفض الضرائب على أوجه النشاط والمشروعات المرغوب فيها والتى تتفق ، وأهداف عملية التنمية • وبذلك يتجه القطاع الخاص تلقائيا نحو أوجه النشاط الاقتصادى المرغوبة حيث أن استثمار أمواله فى هذه الأوجه يحقق له أقصى ما يمكن من الربح •

كما أن هذا الاختيار فى نفس الوقت يحقق أقصى ما يمكن من الربحية الاجتماعية طالما أنه يتفق مع أهداف الخطة •

وفى مجال السياسة النقدية يمكن للصومال استخدام أدواتها لمحاربة ظاهرة التضخم الجامح وذلك عن طريق خلق أوعية ادخارية جديدة ذات عائد مجز وذلك لاستقطاب مدخرات الأفراد بغرض امتصاص فائض القوة الشرائية من سوق السلع والخدمات وبذلك يمكن تخفيف حدة الضغوط التضخمية بالصومال •

وفى هذا الصدد ، يمكن رفع سعر الفائدة الدائنة مما يؤدى الى زيادة الادخار خاصة مدخرات الصوماليين العاملين فى الخارج ويؤدى ذلك الى زيادة قدرة القنوات التمويلية الداخلية على تمويل الاستثمارات فى خطة التنمية الاقتصادية •

أما بالنسبة للسياسة الائتمانية فيمكن استخدامها أيضا كأداة لتوجيه الاستثمارات وتشجيعها فى المجالات التى تتطلبها عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال التوسع فى الائتمان بالنسبة للمشروعات الانتاجية التى تحقق أهداف الخطة وذات الأولوية فى التنفيذ وتقييد التسهيلات الائتمانية فى مواجهة المشروعات الاستهلاكية والرقمية • وبذلك يتمكن الاقتصاد الصومالى من ترشيد استخدام موارده المالية المحدودة •

٢ ـ السياسة التجارية الملائمة :

يجب أن تختار الصومال السياسة التجارية الملائمة لعملية التنميـة الاقتصادية والتى تهدف فى المدى الطويل الى التخفيف من حدة العجز فى الميزان التجارى والذى يأخذ فى التزايد المستمر فى الوقت الحاضر • ولقد أدت اجراءات التحـكم فى الائتمـان والرقابة على الواردات الى تحسين حالة الميزان التجارى • وتعتبر هذه الوسائل ضرورية ولكنها غير كافية لتحقيق التوازن فى الميزان التجارى •

لذلك يقتضى الأمر أن يكون تحقيق التوازن الخارجى أحد الأهداف التى ينبغى أخذها فى الاعتبار عند تخطيط الاستثمارات حتى لا يؤدى العجز المستمر والمتزايد فى الميزان التجارى الى عدم الاستقرار الاقتصادى فى الداخل • فى هذه الحالة ، يمكن أن تبدأ الصومال عملية التنميـة بتشجيع صناعات « احلال الوارد » Import substitution كمرحلة أولى فى طريق التنمية ، وحتى يمكن أن تنجح هذه السياسة لابد وأن تكون السياسة التجارية مواتية ، لذلك ينبغى فرض القيود المختلفة والتى يمكن أن تصل الى حد المنع بالنسبة للواردات من السلع الأجنبية التى لها مثيل فى الداخل وذلك حتى يمكن حماية الصناعات الوليدة • وفى هذه المرحلة ، ينبغى أن تعمل الصومال أيضا على تشجيع صادراتها من السلع التى تتمتع فى انتاجها بميزة نسبية والتى ستكون فى أغلبها من سلع أولية وتقليدية • الا أن هذه السياسة ـ احلال الوارد ـ لا تعتبر مرحلة نهائية بل يمكن اعتبارها وسيلة لتحقيق غاية أخرى • فالصناعات الوليدة ينبغى ألا تظل وليدة الى الأبد فى ظل سياسة الحماية الجمركية اذ يجب بعد مرحلة معينة أن تكون على درجة كبيرة من التطور والتقدم بحيث تصبح قادرة على الصمود فى ميدان المنافسة العالمية بعـد رفع الحماية الجمركية عنها • لذلك ينبغى اتباع سياسـة تنميـة الصـادر «Export promation» والتى تؤدى الى زيادة قدرة الاقتصاد الصومالى على تطوير وتنويع هيكل صادراته بدلا من اعتماده على سلعة أوليـة واحدة أو عدد محـدود من السلع الأوليـة بنسبة كبيرة فى هيـكل الصـادرات •

لذلك ينبغى أن تبدأ الأهمية النسبية لصادرات السلع المصنعة ونصف المصنعة فى التزايد ويعتبر ذلك انعكاسا لعملية التنمية السليمة والحقيقية التى تؤدى الى تطوير هيكل الانتاج • وتتمكن الصومال فى هذه الحالة

من تفادى التقلبات فى أسعار وكميات صادراتها وما يترتب على ذلك من اتجاه معدلات الزيادة فيهما نحو الانخفاض فى المدى الطويل وكذلك لتفادى تدهور شروط التجارة الخارجية .

وعلى هذا الأساس تستطيع الصومال أن تتوسع فى الصناعات الغذائية التى تنتج سلعا تحل محل الواردات مثل صناعات السكر ومنتجات الألبان وكذلك يمكن للصومال بعد مرحلة معينة من النمو انشاء تلك الصناعات التى تنتج السلع المصنعة والوسيطة اللازمة لعملية الانتاج كانتاج قطع الغيار والخامات اللازمة لصناعاتها فى الداخل مع حماية هذه الصناعات .

وفى مجال التصدير ، تستطيع الصومال أن تقلل من صادراتها الأولية كالحيوانات الحية والموز والأخشاب وجلود الحيوانات وذلك لصالح انشاء صناعات تصديرية تقوم على أساس استخدام هذه المنتجات الأولية كمستخدم . ولذلك يمكن أن تتوسع الصومال فى انشاء صناعات اللحوم المحفوظة والملابس الجاهزة الصوفية والموز المجفف وكذلك صناعة الأثاث والصناعات الجلدية .

ويجب أن تطبق أحدث الأساليب الفنية مع مراعاة عنصر التكلفة فى هذه الصناعات حتى تلائم نوعية الانتاج أذواق المستهلك الأجنبى فى الأسواق الخارجية . وبذلك تستطيع هذه الصناعات الصمود فى ميدان المنافسة العالمية فى هذه الأسواق نتيجة ارتفاع جودة المنتجات وانخفاض أسعارها بسبب انخفاض التكلفة . ويؤدى ذلك الى تطور حجم وهيكل الصادرات وتفادى التقلبات فى أسعارها وكمياتها .

٣ - راس المال البشرى :

واذا كان العنصر البشرى يشكل فى الوقت الحاضر مظهرا من مظاهر الضغط على التنمية الاقتصادية فى الصومال الا أنه لا يمكن انكار أن الموارد البشرية من أهم القوى التى يتطلبها التقدم والنمو الاقتصادى ، وحيث أن الهدف الأساسى من عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى أى دولة هو الانسان نفسه من خلال العمل على اشباع حاجاته المتعددة ورفع مستوى معيشته ، فان درجة نمو أى نشاط اقتصادى هو قدرة هذا الانسان على زيادة الانتاج وتطويره ، فالانسان هو منتج ومستهلك

أى هو المحرك للعملية الانتاجية وهو الأساس لتوزيع ناتج هذه العملية الانتاجية ، ومن ثم فان سلوكه الاقتصادى هو المحدد لأنماط الاستهلاك والاستثمار ولذلك نجد أن القوى البشرية من أهم الموارد الاقتصادية التى يمكن الاستفادة بها لتحقيق متطلبات التنمية التى تقوم هى الأخرى على أساس تحقيق متطلبات القوى البشرية . ولذلك فان تخطيط الموارد البشرية تخطيطا أمثل لتحقيق الهدف المطلوب منها يعتبر احد محددات عملية التنمية الاقتصادية والدليل على ذلك تجربة اليابان . فالموارد البشرية أحد مصادر الثروة الكلية فى المجتمع وهى أيضا القوة التى تستغل جميع الثروات الأخرى المتاحة للاقتصاد مؤثرة بذلك فى عنصر عرض الثروة . وقد دفع هذا الأمر كثير من الاقتصاديين بالمطالبة بضرورة الاهتمام بهذا العنصر الهام للثروة أمثال آدم سميث وغيره من الاقتصاديين . كما دفع ذلك الدول المتقدمة حاليا تجاه دراسة النواحى المتعلقة بتنمية الثروة البشرية من حيث تعليمها وتأهيلها واعدادها فنيا من أجل الاسراع بعمليات تحقيق الرفاهية الاقتصادية للاقتصاد القومى .

٤ - سياسة تنويع الانتاج :

ان سياسة تنويع الانتاج لا يمكن لها أن تنجح فى غياب التصنيع ، لذلك يجب أن يلعب التصنيع دورا أكثر فاعلية من دوره الهزيل الذى يلعبه الآن فى الاقتصاد الصومالى فالقطاع الزراعى - ويشمل الانتاج الحيوانى والانتاج النباتى (انتاج المحاصيل) وانتاج الاسماك - وهو القطاع الرئيسى فى البنيان الاقتصادى الصومالى حيث يعمل به حوالى ٨٠٪ من السكان وتبلغ نسبة البدو نحو ٧٥٪ من العاملين فى الزراعة وهم يمثلون نحو ٦٠٪ من السكان .

ويعتبر الانتاج الحيوانى أهم الأنشطة الزراعية الثلاث حيث يوفر فرص العمل لنحو ٦٠٪ من القوى العاملة ويساهم بنحو ٥٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى وتمثل صادراته نحو ٨٠٪ من اجمالى قيمة الصادرات . والسمة الرئيسية للنشاط الانتاجى الحيوانى هو الطابع البدوى حيث لا يوجد تكامل بين الانتاج الحيوانى وانتاج المحاصيل .

وينبغى الاشارة الى أن قطاع الصناعة يساهم مساهمة ضئيلة فى هيكل الانتاج الصومالى حيث بلغت هذ هالمساهمة ١٣٪ عام ١٩٦٠ وانخفضت الى ١١٪ فقط عام ١٩٧٨ وذلك من اجمالى الناتج المحلى . بينما بلغ

نصيب قطاع الصناعة فى دولة مثل جنوب افريقيا ٤٠٪ من اجمالى الناتج المحلى عام ١٩٦٠ وارتفع الى ٤٥٪ عام ١٩٧٨ أى بما يوازى أربعة أضعاف نصيب قطاع الصناعة فى الصومال (١) • كما أن نسبة العاملين فى قطاع الصناعة لا تتجاوز ٧٪ من مجموع السكان القادرين على العمل فى عام ١٩٧٨ •

ولقد زادت القيمة المضافة للمنتجات الصناعية فى الصومال من ١١ مليون دولار أمريكى عام ١٩٧٠ الى ١٧ مليون دولار أمريكى عام ١٩٧٦ • وتعد هذه القيمة ضئيلة للغاية اذا ما قيست بدولة مثل جنوب افريقيا والتى بلغت فيها القيمة المضافة لعام ١٩٧٠ مقدار ٣٩٥٩ مليون دولار أمريكى أى ٣٦٠ مرة ضعف القيمة ذاتها فى الصومال لنفس العام ١٩٧٠ •

واذا نظرنا الى الانجازات المحققة فى القطاع الصناعى خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧١ يلاحظ أن الصناعات الكيماوية حققت معدل نمو مرتفع يصل الى ١٣٩٪ ومنتجات الصلصال للبناء ١٢٢٪ والمنسوجات ١٢٢٪ والطباعة ٥١٪ ومنتجات المعادن ٢٦٪ (٢) • ويرجع هذا الارتفاع الكبير فى معدلات النمو الى حداثة انتاج هذه السلع ومن ثم فان الكميات المنتجة منها لا زالت ضئيلة للغاية بالمقارنة بالانتاج الأولى • ولذلك فان حدوث أى تطور فى الكمية المنتجة أو الأسعار يكون له أثر كبير على معدل نمو انتاج هذه السلع •

وفى عام ١٩٧٥ أقيمت ٢٧٥ منشأة صناعية قامت بتوظيف ١٠٫٣٨٣ عامل كما كان هناك توسعا فى مجال الصناعات الغذائية •

ويلاحظ أن والدلة تملك أكبر ثمانية عشر منشأة صناعية فى الصومال ويقدر عدد المستخدمين بها ٣٧٣٥ مستخدم عام ١٩٧١ وهم يمثلون ٥٦٫٥٪ من جملة عدد المستخدمين فى الصناعة كلها ويقابل هذا ٢٨٧٩ مستخدما فى القطاع الخاص لنفس الفترة • ولا يعنى ذلك أن الدولة

---

(١) البنك الدولى ، تقرير عن التنمية الاقتصادية فى العالم اغسطس ١٩٨٠ ص ١٢٤ .

(٢) الصومال فى ظل الثروة — خمسة اعوام من الازدهار والتقدم ١٩٧٤ ، وزارة الاعلام والارشاد القومى — الصومال (طبع فى انجلترا) ص ١٥ .

تسيطر على الصناعة عامة بل يدل ذلك على انعدام الأمـوال الخاصـة المتاحة للاستثمار الصناعى بالاضافة الى أن معظم الأفراد فى الصومال أكثر احجاما عن أن يمولوا المشروعات الصناعية •

وتحتل الصناعات الغذائية المركز الأول تليها صناعة النسيج ثم الطاقة الكهربائية ودور الطباعة الحكومية • كما نلاحظ أن صـناعة الجلود والمواد الكيمائية والأثاث والمجوهرات والسلع الأخرى تساهم مساهمة محدودة تبلغ ٦٪ من الناتج الاجمالى لقطاع الصناعة •

ولا يمكن اغفال الدور الهام الذى يمكن أن يلعبه التصنيع فى رفع معدل النمو الاقتصادى وبالتالى رفع مستوى معيشة السكان • فالتصنيع يعتبر محور عملية التنمية الاقتصادية والفرق الكبير الموجود اليوم بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة يرجع الى الحقيقة القـائلة بأن الدول الأكثر تقدما هى دائما الدول الأكثر تصنيعا ، لذلك فان الدول المتقدمة تعتبر متقدمة لأنها مصنعة فى حين أن الدول المتخلفة تعتبر متخلفة لأنها غير مصنعة •

اذن يجب أن يلعب التصنيع دورا أكثر ايجابية فى الاقتصاد الصومالى طالما أن الهدف هو الارتقاء بمستوى معيشة السكان حيث لم يساهم القطاع الصناعى فى الصومال الا بـ ١١٪ فى السنة خلال الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٩ بينما بلغ نصيب القطاع الزراعى ٦٠٪ ونصيب قطاع الخدمات ٢٩٪ خلال نفس الفترة • ويمكن القول أن التصنيع هو الطريق الوحيد الذى ينقل الدولة من حالة التخلف الى حالة التقدم ويرجع ذلك الى المزايا العديدة التى يمكن أن يحققها وأهمها :

— تؤدى زيادة درجة التصنيع الى زيادة الانتاج وبالتـالى زيادة نصيب الفرد من الناتج القومى ويصحب ذلك ارتفاع مستمر فى مستوى معيشة الأفراد أى أن تحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادى مرتبط بعملية التصنيع واذا كان تحقيق هذا الهدف يعتبر أمرا هامـا فى الدول المتقدمة فانه يعتبر أمرا أكثر أهمية فى الدول المتخلفة وأكثر الحاحا فى الدول الأكثر تخلفا كالصومال على سبيل المثال • كذلك يؤدى التصنيع الى زيادة دخل الحكومة وبالتالى زيادة نفقاتها العامة •

ـ كذلك يساهم التصنيع فى حل مشكلة البطالة (المقنعة والموسمية) وزيادة الانتاجية عن طريق تحول العمال الفائضين من قطاعات تعتبر انتاجيتهم فيها منخفضة ـ كالزراعة والخدمات فى الاقتصاد الصومالى حيث يتركز فى الزراعة نحو ٨٠٪ من السكان الى الصناعة حيث تزداد فيها انتاجية هؤلاء العمال أى أنه يمكن عن طريق التصنيع فى هذه الحالة القضاء على ظاهرة البطالة المقنعة والموسمية .

ـ كما أن التصنيع يؤدى الى التقليل من الاعتماد على الخارج وذلك عن طريق توفير السلع اللازمة للاستهلاك المحلى من السلع المصنعة ونصف المصنعة مما يؤدى الى التقليل من الواردات وبالتالى التخفيف من حدة العجز فى الميزان التجارى والذى يعانى منه الاقتصاد الصومالى .

كذلك يمكن من خلال التصنيع زيادة الانتاج وتحقيق فائض متاح للتصدير وبذلك يمكن تحقيق فائض فى الميزان التجارى نتيجة زيادة الصادرات والتقلل من الواردات .

الى جانب ذلك ، يؤدى التصنيع الى ارتفاع مستوى التعليم والتدريب بالاضافة الى ما يصحب عملية التصنيع من تقدم فى جميع المرافق بالدولة كالطرق والكبارى وشبكة السكك الحديدية والكهرباء اللازمة لتوليد الطاقة الى غير ذلك من المرافق والخدمات الأخرى المرتبطة بتطوير القطاع الصناعى .

وفى مجال سياسة تنويع الانتاج يستلزم الأمر أن يقوم التخطيط كأسلوب عمل على أساس علمى سليم . لذلك يقتضى الأمر ضرورة ترابط وتكامل عملية التخطيط . ويستلزم ذلك ثلاث عمليات ، الأولى هى عملية التخطيط السلعى ويعنى اعداد مجموعة القرارات التى تنظم تعبئة واستخدام الموارد السلعية وهى تتمثل فى المنتجات السلعية التى تتولد عن النشاط الانتاجى سواء كانت هذه المنتجات تستخدم لاشباع الرغبة المباشرة لجمهور المستهلكين أو تستخدم لتكوين رأس المال الثابت أو تصدر للخارج . والعملية الثانية هى عملية التخطيط البشرى ـ تخطط القوة العاملة ـ هى عمية اعداد مجموعة القرارات التى تنظم تعبئة واستخدام الموارد البشرية وهى التى تتمثل فى المعرفة الفنية والطاقة البدنية التى يملكها أفراد القوة العاملة بالمجتمع وترتبط هذه العملية

بتخطيط التعليم وليس مجرد استشارات هنا وهناك ـ دون تخطيط فى قطاع التعليم ودون ربط الأهداف فى هذا القطاع بأهداف خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعملية الثالثة هى عملية التخطيط المالى وتعنى اعداد مجموعة القرارات التى تنظم تعبئة واستخدام الموارد المالية وتتمثل فى المدخرات القومية والقروض التى يحصل عيها الاقتصاد القومى من العـالم الخارجى .

وجدير بالذكر والاشارة أن عدم تكامل العملية التخطيطية وعـدم ترابط أهداف الخطط الثلاث بعضها ببعض يؤدى الى عدم امكانيـة أى من هذه الخطط الجزئية تحقيق أهدافها المرسومة .

ويرجع ذلك الى أن تحقيق أهداف كل خطة من الخطط الثلاث سالفة الذكر يرتبط بمدى امكانية تحيق أهداف الخطتين الأخيرتين .

خلاصـــة

بالرغم من جهود التنمية التى بذلت والتى تبذل حتى الآن فى الصومال الا أن النتائج التى تحققت والتقــدم الذى يحرزه يعتبر أقل كثيرا من المتوقع والمنتظر تحقيقه ، فلا زال مســتوى الدخل الفــردى الحقيقى منخفضا للغاية ويعنى ذلك أن الغــالبية العظمى من سكان الصــومال يعانون من الانخفاض فى مستوى المعيشة ، فالصومال الذى يبلغ عدد ســكانه ٤ر٤ مليون نسمة فى منتصف عــام ١٩٨١ لم يتعد فيه نصيب الفرد من الناتج القومى الاجمالى ٢٨٠ دولار فى السنة ، يضــاف الى ذلك أيضا أن متوسط النمو السنوى (٪) فى الفترة ٦٠ ــ ١٩٨١ كان بالسالب حيث بلغ ــ ٣ر٠ (١) ويرجع ذلك الى انخفاض متوسط معدل النمو السنوى للناتج المحلى الاجمالى PIB والذى بلغ ١٫٪ فى الفترة (١٩٦٠ ــ ١٩٧٠) كما بلغ ٩ر٣٪ فى الفترة (١٩٧٠ ــ ١٩٨١) •

ويمكن ارجاع ذلك الى العوامل المختلفة التى تفاعلت مع بعضها وأدت الى عدم امكانية رفع مستوى معيشة الغالبية العظمى من السكان • ومن أهم هذه العوامل :

ــ التخصص المتطرف فى انتاج وتصدير المواد الأولية والتى يعتمد انتاجا فى المقام الأول على حالة المناخ خاصة الأمطار وكثيرا ما يتعرض الصومال لحالات الجفاف بسبب عدم سقوط الأمطــار ولهــذا آثاره السيئة على حجم الانتاج الأولى وبالتالى على حجم الصادرات التى تعتمد بصفة أساسية على الانتاج الأولى •

ــ التبعية الاقتصادية للخارج وتتمثل هذه التبعية فى زيادة اعتمــاد الصومال على العالم الخارجى بمــا يؤدى الى زيادة العجز فى ميزان المدفوعات وعدم قدرة الصادرات على تمويل الواردات نظــرا لنمــو الواردات بمعدل أكبر بكثير من معدل نمو الصادرات • ولقد بلغ هذا

---

(١) البنك الدولى ــ تقرير عن التنمية فى العالم ، ١٩٨٣ .

العجز فى الحساب الجارى ٣٠ مليون دولار عام ١٩٨١ مقابل ٦ مليون دولار عام ١٩٧٠ •

ـ نقص رؤوس الأموال حيث أدى هـذا الى ذلك الدور الهزيل الذى يلعبه القطاع الصناعى فى المساهمة فى الناتج الومى الاجمالى •

ويعتبر سوء التخطيط أحد الأسباب المسئولة عن العوامل السابق ذكرها والتى أدت الى حالة التخلف التى يعانى منها اليوم الاقتصـاد الصومالى • اذ بدراسة الأرقام المتاحة يتضح لنا عدم وجود خطة واضحة للموارد البشرية (خطة القوى العـاملة) ولا يوجـد سـوى بعض الاستثمارات فى قطاع التعليم تشملها الخطة السلعية ، وأغلب الظن أنها غير مدروسة على أسس علمية والنتائج فى هذا الصدد خير دليل على ذلك البرهان • كما لا يتوفر أيضا لدى الصومال خطة مالية محددة المعـالم والأهداف • ويعتبر ذلك أحد الأسباب الرئيسية التى حالت دون تحقيق عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأهدافها •

ولا مخرج للصومال من دائرة التخلف والفقر الا بتكامل عمليـة التخطيط كأسلوب للتنمية بحيث يلعب القطاع العـام الدور الحيوى والأساسى فى ادارة العملية التنموية الى جانب تشجيع القطاع الخاص للاستفادة بمدخراته وكفاءته فى القنوات الشرعية المحددة بالخطة والتى تؤدى الى تحقيق الأهداف المرسومة وتستطيع الصومال فى هذا الصدد استخدام أدوات السياسة المالية والنقدية والائتمانية • ولا يمكن انكار أن اختيار سياسـة تجارية ملائمة فى الوقت الحاضر يمكن أن تسـاعد الصومال فى تحقيق أهدافها • ويمكن أن تقوم هذه السياسة التجارية الملائمة فى بادىء الأمر على أساس تنمية صناعات « احـلال الوارد » ويكون ذلك هو هدفها فى المدى القصير على أن يستكمل هذا الهدف فى المدى الطويل بحيث يعمل على تشجيع صناعات « تنمية الصادر » من خلال العمل على زيادة قدرة الاقتصاد الصومالى على تنويع هيكل

صادراته وانخفاض الأهمية النسبية للمنتجات الأولية فى هيكل الصادرات وذلك لصالح زيادة الأهمية النسبية لصادرات السلع الأخرى المصنعة ونصف المصنعة ويمكن للصومال أن تتوسع فى بادىء الأمر فى الصناعات التى يمكن أن تتمتع فيها بميزة نسبية والتى تقوم على أساس استخدام المنتجات الأولية التى تنتجها الصومال • كما يمكن للصومال الاستفادة برأس المال البشرى كعنصر فعال فى عملية التنمية وذلك من خلال خطة للقوى العاملة تكون محددة الأهداف وتعمل على رفع انتاجية العاملين وعدم تركيز الغالبية العظمى منهم فى القطاع الأولى ، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف الا من خلال العمل على تنويع الانتاج عن طريق التصنيع الذى يلعب الدور الحيوى والفعال فى هذا الصدد •

المراجع العربيــة

١ ـ د. احمد فريد مصطفى ، د. سهير محمد السيد حسن ، التطور الاقتصادى مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٤ .

٢ ـ د. سهير محمد السيد حسن ، التطور الاقتصادى والموارد الاقتصادية مؤسسة الهداية للطبع والنشر مع التوزيع الاسكندرية ١٩٨٤ .

٣ ـ د. عبد الكريم صادق بركات ، اقتصاديات الدول العربية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ـ الاسكندرية ١٩٦٩ .

٤ ـ البنك الدولى ، تقرير عن التنمية الاقتصادية فى العالم ، ١٩٨٣ مؤسسة الأهرام ، شارع الجلاء ، القاهرة .

٥ ـ المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الاحصاءات الزراعية فى الدول العربية للخرطوم ١٩٨١ ، ١٩٨٢ .

٦ ـ جامعة الدول العربية اللجنة الاقتصادية لدول غرب آسيا ، المؤشرات الاقتصادية للعالم العربى للفترة ٧٠ ـ ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠ .

٧ ـ جامعة الدول العربية ـ الأمانة العامة ـ الادارة العامة للشئون الاقتصادية ، تيسر التبادل السلعى الزراعى بين الدول العربية ، بحث مقدم الى مؤتمر وزراء الزراعة العرب ، الرياض ١٩٨٠ .

٨ ـ صندوق النقد العربى ، مجلس الاتحاد العربى الاقتصادى والاجتماعى ، التقرير الاقتصادى العربى الموحد ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ .

المراجع الأجنبيــة

— Arab Organization For Agricultural Development, Rational development of livestock sector in democratic Rp of Somalia, scp. 1981.

— FAO, Production yearbook, Vol. 33, 1980.

— IMF, International financial statistion, Octaber 1980.

— Somalia Democratic Republic, Ministy of Agriculture, 1981.

— Somali Democratic Republic, state planning commission., Three year plan, Mogadishu, 1979.

— Somali Democratic Republic., Somalia Development Bank. 1979.

— U. N, Country Review Meetings, Country presentation, somalia 1981.

— The world Bank somali agriculturs, sector Review Vol. 1 Main Reports June 29, 1981.

— The world Bank, world Development, 1981.



مشكلة الحدود بين الصومال واثيوبيا

دكتورة حورية توفيق مجاهد
استاذ العلوم السياسية
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

مقدمة:

لم يغير استقلال الدول الافريقية الخريطة السياسية التى وضعها لها الاستعمار ، حيث لم ينتج عن ذلك الاستقلال تغيير جوهرى فى الحدود السياسية الموروثة عن الحكم الاستعمارى ٠

ولعل من أهم ما خلفه الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا هو مشاكل الحدود الناتجة عن أن الدول التى تمخض عنها الاستعمار نتيجة لتقسيم القارة فى اواخر القرن التاسع عشر ، والتى أصبحت فيما بعد دولا مستقلة، هى دول خلقت صناعيا أى لم يكن لها فى معظم الحالات وجود قبل الوجود الاستعمارى ، كما ان حدودها هى حدود مصطنعة لا تتمشى مع الفواصل البشرية أو الجغرافية أو اعتبارات النشاط الاقتصادى (١) ٠ وعليه فبينما أدى الخلق المصطنع الى أن أصبحت الدولة الافريقية تحتوى على مجموعات لغوية وعنصرية ودينية وقبلية مختلفة لم يجمع بينها فى معظم الحالات سوى الحكم الاستعمارى (مما خلق مشاكل قوية للزعماء القوميين فى بناء الأمة – أى تحويل الدول المصطنعة من مجرد واقع قانونى الى حقيقة اجتماعية سياسية تتطابق فيها الأمة مع الدولة مكونة دولة قومية يدين الأفراد فيهابالولاء الاسمى لها لا للمجموعات الأولية داخلها) ، أدت الحدود المصطنعة التى فصلت الجماعات المتجانسة عن

---

(١) انظر : د. حورية توفيق مجاهد ، « مشكلة الحدود الصومالية : دراسة تحليلية لمواقف الاطراف المعنية » ، مستخرج من مجلة كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ . وقد سبق أن نشر جزء من هذا البحث قمت باعداده ضمن ملف عن « الخلاف الصومالى الأثيوبى الكينى » فى مجلة السياسة الدولية عدد ١٩ (يناير ١٩٧٠) ص ٢٤٧ – ٢٥٦ ٠

بعضها الى خلق مشاكل متعددة حول هذه الحدود مما يقف عقبة فى سبيل التعاون والعلاقات الودية بين الكثير من الدول الافريقية (1) ، كما يفتح الباب على مصراعيه للتدخل الاجنبى والصراع الدولى .

وهناك عدة ملاحظات يجب أخذها فى الاعتبار عند بحث الحدود فى أفريقيا عامة يمكن تلخيص أهمها فى التالى :

أولا : ان الحدود الافريقية تدخل فى فرضها الاعتبار الخارجى الخاص بالاستعمار وما فرضه من تقسيمات تحقيقا لمصالح الدول الاستعمارية بدلا من الاعتبار الداخلى الخاص بمصالح شعوب تلك المناطق المستعمرة : الافريقيون لم يسهموا فى الاتفاق على الحدود .

فالحدود فى أفريقيا ظاهرة استعمارية جاءت تتاجا للتكالب الاستعمارى على القارة ومظهرا للتصارع بين الدول الاستعمارية وانعكاسا لتوازن القوى بينها وما اسفر عنه من مساومات وتعبيرا عن قوة كل منها معبرا عنها بمدى ما استطاعت قواتها احتلاله من أراض حيث توافق أن يكون اساس الحدود مع أقصى ما وصلت اليه تلك القوات واستطاعت ان تضع علم دولتها معبرا عن رمز تسلطها . فقد جاءت الحدود الأفريقية نتيجة اتفاق الدول الأوروبية ، واعطيت لها « المشروعية » فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الذى وضع الخريطة السياسية لأفريقيا .

ثانيا : تتميز الحدود فى أفريقيا بانها حدود مصطنعة ، حيث لا تتبع الظواهر الطبيعية من جبال وأنهار وبحيرات وصحار وغيرها . وقد وضعت دون حسبان للاعتبارات البشرية أو الاقتصادية أو الجغرافية أو غيرها حيث كان الاعتبار الاساسى هو المصالح الاستعمارية . ولكن هذه الاعتبارات التحكمية والعشوائية لا تنفى أن الاتفاقات بشأن الحدود قصد من ورائها فى بعض الحالات تقسيم الجماعة العرقية الواحدة اضعافا لها وتيسيرا للسيطرة عليها . وعليه فمن ناحية : يغلب على الحدود الأفريقية

(1) لمزيد من التفصيل عن مشاكل الحدود فى أفريقيا انظر ،

Carl Costa Widstrand (ed.,) African Boundary Problems. New York: African Publishing Corporation (1969) & Anthony S. Reyner, Current Boundary Problems in Africa. Pittsburgh, Pennsylvania : Dquense University Press, 1964. See also : Boutros Boutros-Ghali, Les Conflits de Frontieres en Afrique: Etude et Documents, Paris: Editions Techniques et Economiques, 1973.

الطابع الهندسى ــ حيث جاءت نتيجة مؤتمرات واتفاقات على خرائط وليس نتيجة اعتبارات واقعية • ويقدر أن ٤٤٪ من تلك الحدود الافريقية تتبع خطوط الطول والعرض ، وان ٣٠٪ تقوم على اساس هندسى تتمثل فى خطوط مستقيمة أو منحنيات بينما ٢٦٪ فقط هى التى تعتبر حـدودا طبيعية (١) • وبالتالى فان بعض الدول الأفريقية تقع تماما داخل اطـار دولة أخرى ، أى تحاط كلية بها ــ من ذلك ليسوتو وسوازيلاند ووقوعهما داخـل جمهورية جنوب افريقيا ، حيث يمثلان مثـلا متطرفا على ذلك الاصطناع ــ أو يطوق بدولة من كافة الجهات تقريبا : وتعد جامبيا من الأمثلة الصارخة على عدم منطقية الحدود الأفريقية حيث تمتد داخـل أراضى السنغال على طول نهر جامبيا بطول ٢٠٠ ميل وباتساع لا يزيد عن ٢٢ ميلا فى أى من اجزائها ممثلة شريطا محيطا بالنهر ومحاطا بالسنغال ، ومع هذا فقد وقعت تحت الاستعمار البريطانى بينما وقعت السنغال تحت الحكم الاستعمارى الفرنسى بما باعد بينهما سياسيا وثقافيا •

ومن ناحية أخرى : أن أفريقيا تميزت بأن بها نصف عـدد الدول المنغلقة أو الحبيسة فى العالم (٢) • كما أن أفريقيا تتميز بأنها قارة «مبلقنة» بدولها التى وصلت فى أول أكتوبر سنة ١٩٨٤ الى ٥٢ دولة ممثلة نحو ثلث أعضاء الأمم المتحدة : فهى بها أكبر عـدد من الوحدات السياسـية بالمقارنة بالقارات الاخرى ومعظم هذه الدول دول صغيرة أو قزمية تفتقر لمقومات الدولة • وصغرها يجعل لها حدودا مع عدة جارات ، فالسودان مثلا لها ٦ جارات بينما زائير لها ٩ • فضلا عن حدودها الاقليمية ــ التى تصل الى ٢٩ ألف ميل ــ تعتبر أطول حدود أرضية عن أى قارة أخرى ــ حيث تصل حدود آسيا مثلا الى ٢٦ ألف ميل •

---

(1) Anatolii Gromyko, «Colonialism & Territorial Conflicts in Africa : Some Comments on Afric an Boundary Problems» in Widstrand, op. cit., p. 166.

(٢) حيث بها ١٤ دولة من واقع ٢٨ دولة حبيسة فى العالم • وهى مالى ، فولتا العليـا ، النيجر ، تشـاد ، افريقيـا الوسطى ، رواندا ، بوروندى ، اوغندا ، زامبيا ، مالاوى ، زيمبابوى ، بوتسوانا ، سوازيلاند ، ليسوتو •

انظر ولمزيد من المعلومات عن الحدود الافريقية :

D. W. Hodder : Africa Today. London : Methuen Co., Ltd., 1978, pp. 27-43.

ثالثا : أن معظم الحدود موجودة على الورق ولم تخط على الطبيعة — بينما الخطية هى أحد أسس ومقومات الحدود السياسية بحيث يمكن تحديد نطاق الاختصاص الأقليمى للدولة (١) • فالموجود فى أفريقيا هو ما كان سائدا تقليديا وهو مفهوم التخوم Frontier كمساحات فاصلة لا تحول دون الحركة السكانية — وليس الحدود Border كخط فاصل محدد • وعليه فمن المعتقد أن تشهد افريقيا المزيد من مشاكل الحدود فى المستقبل عند تعيين الحدود الرسمية كفواصل للسلطة السياسية والولاء السياسى فى ظل سعى الزعامات القومية الأفريقية لبناء الأمة • ويزيد الأمر تعقيدا لو أن الحدود وقعت فى مناطق غنية بالموارد الاقتصادية أو ذات أهمية استراتيجية بحيث يؤثر ضمها لدولة أو اقتطاعها من أخرى على عناصر قوتهما تأثيرا مباشرا •

ومن أهم مشكلات الحدود فى أفريقيا هى تلك الخاصة بحدود جمهورية الصومال مع كافة جاراتها أى مع أثيوبيا ، وكينيا ، وجيبوتى • ويعنينا على وجه الخصوص مشكلة الحدود بين الصومال واثيوبيا باعتبارها المتغير المستقل بالنسبة لمشكلات الحدود فى القرن الافريقى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى باعتبار أنه لا يوجد حدود دولية بين الدولتين (٢) — فى المنطقة التى تفصل اثيوبيا عن الاقليم الجنوبى للصومال ، الذى كان تحت الوصاية والذى يمثل أساس جمهورية الصومال — وكل ما هو موجود هو خط ادارى مؤقت هو موضع نزاع منذ الاستعمار الأوروبى للمنطقة •

---

(١) هناك ثلاث مراحل اساسية يمر بها تحديد الحدود السياسية — كحدود دولية — تتمثل اولا فى الاتفاق حول هذه الحدود ، وثانيا تحديدها — نظريا — على خرائط ، واخيرا تخطيطها او تعيينها على الطبيعة بفواصل واضحة .

ولمزيد من المعلومات عن انواع الحدود وخلفية الحدود فى افريقيا انظر :

السيد محمد السيد عمر ، « نزاعات الحدود فى افريقيا العربية » رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٨١ .

انظر أيضا د. محمد عبد الغنى سعودى ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، القاهرة : المكتبة النموذجية ، د.ت. ، ص ١١٠ — ١٣٦ ولنفس المؤلف ، قضايا افريقية ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٠ .

(٢) أنظر الملحق (خريطة رقم (١)) .

خصوصية مشكلة الحدود بين الصومال واثيوبيا : فقد توافقت عدة عوامل على جعل هذه المشكلة خاصة ، ومشـكلات الحدود فى القرن الأفريقى عامة ، على درجة كبيرة من التعقيد بحيث لا يمكن تفهم حقيقة الوضع الا فى ضوئها :

فمن ناحية : فان المنطقة تتميز بموقع استراتيجى خاص اتضحت اهميته البالغة بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ باعتباره يمثل بمواجهته لعدن تكملة المفتـاح الجنوبى للبحر الأحمر وباب المندب والمتحكم فى أقصر الطرق بين أوروبا وآسيا : مما أدى الى التكالب الاستعمارى من جانب الدول الاوروبية على المنطقة خاصة بعد الفراغ الذى خلفه انسـحاب القوات المصرية من شمال الصومال سنة ١٨٨٥ (١) ، وضعف قوة سلطان زنجبار الذى كانت له السيطرة فى المناطق الساحلية الجنوبية .

ومن ناحية ثانية : وضـع أثيوبيا كدولة أفريقيـة كبرى فى المنطقة ومستقلة منذ ما قبل التاريخ كثف مشـاكل الحدود بالقرن الأفريقى . خاصة وأن لاثيوبيا وضعا خاصا يكرس قوتها وأهميتها فى نظر الدول الأوروبية : وهى انها تمثل « جزيرة من المسيحية فى بحر من المسلمين » ، وهو الأمر الذى كان من أهم ما أسهم فى جذب الاوروبيين الأوائل من البرتغاليين فى الدوران حول أفريقيا لمساعدتها على تواجدها وتميزها . وقد سعت الحبشة الهضبية الحبيسة منذ أواخر القرن التاسع عشر وفى ظل سياسة الامبراطور منليك الثانى التوسعية (٢) الى ضمان السيطرة على منافذ على البحر فضلا عن تكريس امبراطورية اثيوبية قوية مستفيدة من التكالب الاستعمارى الأوروبى واقتسام المنطقة .

ومن ناحية ثالثة : أن الشعب الصومالى يتميز بمقومات خاصة : ليس فقط من حيث التجانس البشرى والعوامل الموضوعية المشـتركة ولكن والأهم هو الوعى القومى الذى يجب الانقسامات القبلية . ذلك الوعى

---

(١) انظر الملحق (خريطة رقم (٢)) .

(٢) انظر الملحق رقم (١) عن مقتطفات من خطاب الامبراطور منليك للدول الاوربية فى شأن تلك السياسة وعن النص الكامل انظر :

Public Records Office, London Foreign Office 1/32, Rodd to Salisbury, No. 15 May 4, 1897, quoted in the Somali Penisula, 86, Somali Information Service, 1962.

انظر الملحق (خريطة رقم (٣)) .

الذى فجره الاب الروحى للقومية الصومالية : الزعيم محمد عبد الله حسن الملقب بالملا — فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين والذى أعلن الجهاد ضد الاستعمار وقاد حركة ثورية اخمدت بعد تصفيته بعد أن تضافرت ضده جهود كل من بريطانيا وايطاليا واثيوبيا (١) .

ويطلق اسم بلاد الصومال Somaliland على منطقة تقع فى شرق افريقيا وتحتل جزءا كبيرا من القرن الأفريقى . وهى تستمد اسمها من اسم سكانها الاصليين الصوماليين . ومن الناحية الطبيعية تماثل شبه جزيرة على شكل مثلث قمته عند رأس جاردافورى (٢) التى تعتبر أقصى نقطة فى افريقيا من الناحية الشرقية والجانب الشمالى يطل على خليج عدن لمسافة تبلغ ٦٠٠ ميل حتى خليج تاجورا أما الجانب الشرقى فيطل على المحيط الهندى ويبلغ طوله نحو ١٢٠٠ ميل ينتهى عند نهر تانا فى كينيا وهو الحد الجنوبى لاستيطان الصوماليين . وينتشر الصـــوماليون فى الداخل حتى مرتفعات شوا وهرر وبلدة جالا جنوب شوا وشرق بحيرة رودلف . أما الحد الغربى لاستيطان الصوماليين فيقع عند خط طول ٤٠ه شرقا تقريبا .

وتبلغ مساحة المنطقة التى تسكنها القبائل الصومالية حوالى ٩٠٠ الف ميل مربع . ويبلغ عدد سكانها وفقا لتقديرات الامم المتحـــدة والدول القائمة بالادارة قبل الاستقلال ، ما يتراوح بين مليونين و ٣ ملايين نسمة بينما يقدر الصوماليون انفسهم عدد سكان بلادهم ما بين ٨ و ٩ ملايين نسمة .

وينتشر الصوماليون فى هذه المنطقة مكونين مجموعة متجانسة ويتمثل هذا التجانس فى اللغة وهى الصومالية لغة الحديث والمخاطبة فى جميع انحاء الصومال ويتمثل ايضا فى وحدة الدين وهو الاسلام فان اكثر من ٩٩٪ من الصوماليين مسلمون . كما انهم يتحدون فى العنصر فجميعهم صوماليون اذ ان اللغة هى اساس العنصرية فى افريقيا . كذلك يجمعهم تاريخ واحد .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن حركة الملا ، والذى اطلقت عليه بريطانيا « الملا المجنون » أنظر : حورية توفيق مجاهد : « الصـــومال فى المحيط الدولى » ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٦٠ ، ص ٢٤ — ٣٠ .

(٢) أنظر الملحق (خريطة رقم (١)) .

فحتى اواخر القرن ١٩ كانت بلاد الصومال منطقة واحدة تتنقل فيها القبائل الصومالية التى تعمل غالبيتها بالرعى دون أن تفصل بينها حدود . ولكن نتيجة لتقسيم افريقيا سياسيا فى أواخر القرن ١٩ قسمت المنطقة التى استوطنها الصوماليون خمسة اجزاء بين ثلاث امبراطوريات اوروبية ، هى بريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا وامبراطورية افريقية هى أثيوبيا .

فبالتكالب الاستعمارى على « منطقة القرن الافريقى » وتوقيع معاهدات الحماية بين الدول الاوروبية وزعماء القبائل الصومالية والسلاطين المحليين احتلت فرنسا سنة ١٨٨٤ جزءا من بلاد الصومال عرف بالصومال الفرنسى (جمهورية جيبوتى حاليا) والذى رغم صغره الا انه يتميز بأهمية بالغة بمواجهته لعدن . كما احتلت بريطانيا جزءا آخر سنة ١٨٨٧ واطلقت عليه الصومال البريطانى (الأقليم الشمالى لجمهورية الصومال) . وفى سنة ١٨٨٩ بدأت ايطاليا احتلال الجزء الثالث واطلقت عليه اسم الصومال الايطالى (الاقليم الجنوبى لجمهورية الصومال) . أما القسم الرابع والذى عرف بالاوجادين وان كان الأوجادين احد اجزائه: فقد استولت اثيوبيا على أهم جزء فيه وهو هرر سنة ١٨٨٥ بعد اخلاء القوات المصرية له ، كما ضمت اليها باقى الاجزاء سنة ١٨٩٧ بموجب اتفاقية الحدود المبرمة بينها وبين بريطانيا ذلك العام . أما الجزء الخامس فهو يكون المقاطعة الشمالية لكينيا (نفد) وقد حدد بموجب معاهدة ١٥ يوليو ١٩٢٤ المبرمة بين ايطاليا كجزء من افريقيا الشرقية البريطانية .

وقد مثل هذا التقسيم للمنطقة المتجانسة جوهر المشكلة .

المبحث الأول : جذور المشكلة وتطورها

فرضت الحدود الدولية المصطنعة فى المنطقة نتيجة اتفاقات ثنائية متبادلة بين الدول المتنافسة دون اعتبار يذكر للاعتبارات البشرية والاقتصادية وغيرها . فقد عينت الحدود بين الصومال البريطانى والايطالى (١) بموجب

(1) Rapport du Gouvernement Italien à l'Assembleé Générale des Nations Unies sur l'Administration de la Somalie Placé sous la tutelle de l'Italie 1950, p. 4.

ولمزيد من المعلومات أنظر : حورية توفيق مجاهد ، « الصومال فى المحيط الدولى » ، مرجع سابق .

اتفاقيات ايطالية بريطانية فى ٥ مايو سنة ١٨٨٤ وأول يونيه ١٩٣١ • كما عينت الحدود بين الصومال البريطانى واثيوبيا بموجب اتفاقية ١٨٩٧ • أما الحدود بين الصومال البريطانى والفرنسى فقد تم الاتفاق عليها فى الاتفاق المعقود بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٨٨٨ • واخيرا فان الحدود بين الصومال الايطالى والكينى حددت بموجب معـاهدة ١٥ يوليو ١٩٢٤ المبرمة بين ايطاليا وبريطانيا • وعليه وباستقلال الصوما(١) وجدت نفسها بحدود دولية مع الصومال الفرنسى ومع اثيوبيا فى الأقليم الشمالى ، أما الحدود بين الصومال واثيوبيا فى الاقليم الجنوبى فهى لم تصبح حدودا دولية : حيث لم تعين نهائيا بعد على الرغم من اتفاق ١٨٩٧ ومعـاهدة ١٩٠٨ • فكل ما يوجد هو خط ادارى مؤقت هو نفسه موضع نزاع • وهى مشـكلة ليست بالحديثة بل ترجع الى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر • فبعد ان استولى الايطاليون على الموانى الجنوبية بدأوا فى التوسع الى الداخل حتى وصلوا الى لوق Lugh(٢) على الشاطىء الايمن لنهر الجوبا واستطاعوا أن يقيموا فيها حصنا فى ديسمبر سنة ١٨٩٥ • وبدأت بذلك سلسلة من المنازعات والصراع للمحافظة على ذلك الحصن غير أن ايطاليا بعد هزيمة جيوشها فى معركة عدوة أمام القوات الاثيوبية عام ١٨٩٦ سعت الى تعيين الحدود بين الصومال واثيوبيا وفى سبتمبر سنة ١٨٩٧ اتفقت ايطاليا مع امبراطور اثيوبيا (منليك الثانى) للمرة الأولى على رسـم الحدود الصومالية وبموجب هذا الاتفاق تملكت ايطاليا بصـفة مطلقة منطقة (٣) ببدأ من الحدود الصومالية البريطانية وتوازى السـاحل بعمق حوالى ١٨٠ ميلا للداخل حتى تصل الى مجرى نهر جوبا فى المنطقة التى يظهر عندها شلال « فون دير ديكن » •

---

(١) قمنا باستخدام « الصومال » للدلالة على جمهورية الصومال ، وكذلك عند الاشارة لاهم اجزائها وهو الصومال الايطالى الذى كان موضوعا تحت الوصاية .

(٢) ترجع أهمية لوق الى خصوبة أراضيها وجودة ريها من النهر واهم من ذلك كونها سوقا للتجارة مع أثيوبيا .

(3) Ibid., P. 23.

وبموجب خط الحدود هذا تكون لوق قد استبعدت من الممتلكات الايطالية الا ان الامبراطور منليك اعترف باقامة محطة تجارية لايطاليا فيها مع التعهد بحمايتها من هجمات القبائل الاثيوبية (١) •

ولكن ايطاليا لم تحترم هذه الاتفاقية طبقا لسياستها التى تقضى بعدم التقيد بمعاهدة تعين الحدود وذلك تمشيا مع رغبتها التوسعية فى ضم أراض جديدة اليها فقد كانت رغبة ايطاليا هى المحافظة على حدود غير ثابتة (غير مستقرة) بينها وبين اثيوبيا • فبعد أقل من شهر من الموافقة على اتفاقية سنة ١٨٩٧ طالبت ايطاليا الامبراطور منليك بجعل الحدود على امتداد محطة لوق (٢) وعلى هذا تضم المحطة اليها من ناحية وتضم اليها الاراضى الجديدة التى تقع على امتداد خط الحدود مع لوق من ناحية أخرى •• غير ان الامبراطور منليك رفض طلبات ايطاليا وكرر تعهداته بشأن اقامة محطة تجارية لايطاليا فى لوق كما رفض اقامة منطقة محايدة فيها ولم ترض ايطاليا عن هذا الوضع فقامت بهجمات متتالية من قلعة لوق حيث توجد القوات الايطالية منذ اقامتها لتلك القلعة فى ديسمبر سنة ١٨٩٥ غير أن الظروف ما لبثت ان ادت الى عقد معاهدة فى ١٦ مايو ١٩٠٨ •

معاهدة سنة ١٩٠٨ (٣) :

يمكن اجمال الظروف السياسية التى أدت الى ابرام معاهدة سنة ١٩٠٨ فيما يلى :

١ ــ اشتداد هجمات ايطاليا على الأهالى من حصن لوق ورغبة ايطاليا المتكررة فى ضم تلك المنطقة اليها ، وتأكد الامبراطور منليك من عدم استطاعته استرداد الساحل ففضل المحافظة على الداخل وذلك بابرام معاهدة رسمية لتحديد الحدود مع الصومال •

---

(١) كانت ايطاليا تنظر الى لوق كنقطة ارتكاز للتقدم الى باقى الأراضى الاثيوبيه الجديدة .

(٢) أنظر الملحق (٢) .

(3) E. Sylvia Pankhurst, Ex-Italian Somaliland, London: watts & Co., 1951, pp. 21-3.

٢ ـ اتباع الامبراطور منليك سياسة جديدة قائمة على الدعاية السلمية بين القبائل الصومالية لضمان ولائهم للنفوذ الاثيوبى مما يؤدى الى زيادة المقاومة المحلية للقوات الايطالية وفى نفس الوقت يتعارض مع سياسة ايطاليا تجاه اثيوبيا القائمة على استمالة رؤساء القبائل بالأموال والأسلحة وتسليح العصابات وتشجيعها على اجتياز الحدود وجلب الأسلاب من الأراضى الاثيوبية .

٣ ـ فى فبراير سنة ١٩٠٨ عقدت معاهدة بين انجلترا والامبراطور منليك لتنظيم الحدود بين اثيوبيا وافريقيا الشرقية البريطانية (مستعمرة كينيا فيما بعد) وكانت هذه المعاهدة تنطوى على خطر بالنسبة للتجارة الايطالية الى موانى البنادير .. اذ أصبح يتحتم مرورها فى أراض بريطانية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد جعلت هذه المعاهدة حدود كينيا عند دولو على نهر جوبا على بعد أميال قليلة شمال لوق مما شجع ايطاليا على التقدم نحو غرضها ألا وهو ضم لوق اليها .

وتتكون المعاهدة من ديباجة وسبعة مواد وبموجبها أصبحت حدود الصومال تمتد من دولو على نهر جوبا الى نهر ويبى شبيلى حتى تتصل بخط الحدود الذى ووفق عليه سنة ١٨٩٧ (١) ، وتتعهد الدولتان بألا تمارسا أى تدخل عبر الحدود وألا تسمحا للقبائل التى تقع فى أراضيها باجتياز خط الحدود وفى حالة وقوع أية حوادث أو خلافات بين القبائل على الحدود تقوم الدولتان بحلها عن طريق المفاوضات الثنائية .

وقد أعطت هذه الحدود ايطاليا ٥٠٠٠ كيلو متر مربع أكثر مما أعطاها خط سنة ١٨٩٧ (٢) وبهذا أصبحت تسيطر على طريق القوافل بين الساحل وحوض نهر جوبا .

وبالنظر الى تلك المعاهدة نجد أنها لم تتبع القواعد الجغرافية فى تعيين الحدود (٣) بل جعلت الأساس هو الفصل بين القبائل وبعضها فى منطقة الحدود فجعلت مجموعة معينة من القبائل تتبع ايطاليا ومجموعة محددة

---

(١) انظر الملحق (خريطة رقم ٤) .

(2) Rapport du Gouvernement Italien, 1950, P. 4.

(3) Ibid., P. 5.

أخرى تتبع اثيوبيا وذلك تبعا لمواقعها • وعلى هذا يصبح تطبيق تلك المعاهدة صعبا نظرا لترحال السكان فالأهالى فى تلك المنطقة ذوو طبيعة قبلية ينتقلون بقطعانهم تبعا للمراعى والآبار ، فاتخاذ الناحية البشرية بين القبائل أساسا فى تعيين الحدود يجعل تلك الحدود قابلة للتغيير بتغير مواقع تلك القبائل ، ومن ناحية أخرى فان القبائل الموجودة على الحدود اختلفت على احتلال الآبار فى تلك المنطقة حيث أن المعاهدة لم توضح تلك النقطة حتى أن اللجنة الايطالية الاثيوبية التى شكلت سنة ١٩١٠ لمعاينة المنطقة لهذا الغرض ما لبثت أن انهت اعمالها نظرا لتلك الصعوبات فى آبار رابودى بين دولو ووبى شبيلى • وطبقا لسياسة ايطاليا فى عدم التقيد بمعاهدة تحدد الحدود بينها وبين اثيوبيا تمشيا مع أغراضها التوسعية من جهة ، وتطبيقا لاعتبارات عملية متعلقة بحقيقة كون الحدود تفصل بين القبائل ومراعيها التقليدية ، من جهة أخرى ، نقضت المعاهدة واخذت فى اجتياز خط الحدود الذى اتفق عليه ولم تحترم تعهداتها وسمحت للقبائل التى تتبعها باجتياز الحدود الى الأراضى الاثيوبية •

وبعد ظهور قوى الفاشية اشتد ضغط ايطاليا على الحدود وأصبح يمارسه ضباط ايطاليون يساعدهم متطوعون من الأهالى (١) • وقد أصبحت سياسة ايطاليا هى التوغل داخل الأراضى الأثيوبية وأى منطقة يحتلونها تصبح تلقائيا أراضى ايطالية ، وبدأوا فى تنفيذ هذه السياسة دون التقيد بالمعاهدة الايطالية • وفى أغسطس سنة ١٩٣٤ دخلت قوات ايطالية منطقة أوجادين ثم حدثت معركة وال وال Wal Wal حيث اشتبكت القوات الايطالية والاثيوبية عند آبار وال وال ، ولم تكتف ايطاليا بهذا بل أخذت تتقدم أكثر داخل الأراضى الأثيوبية ولم تفلح المفاوضات الثنائية ولا وساطة عصبة الأمم فى ردها ، وفى أكتوبر سنة ١٩٣٤ كان استعداد ايطاليا للحرب قد تم فأخذت القوات الايطالية فى غزو أثيوبيا فى ٤ أكتوبر دون أن تعلن الحرب (٢) • واحتلت أثيوبيا تدريجيا وقام الامبراطور هيلاسيلاسى بمقاومة قوات الغزو الايطالية ولكن مقاومة الجيش الأثيوبى المنظمة ما لبثت أن سقطت واستمرت مقاومة الأهالى وحرب العصابات غير أن تلك المقاومة لم تجد نفعا فى ايقاف الغزو الايطالى ففر هيلاسيلاسى الى

---

(1) Pankhurst, op. cit., P. 99.

(2) The World Almanac and book of facts for 1958, P. 352.

أوروبا طالبا معاونة عصبة الأمم التى قامت بفرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا •

مشكلة الحدود والحرب العالمية الثانية :

وبالرغم من المقاومة الأثيوبية للغزو الايطالى وكذلك قرار عصبة الأمم الصادر فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ بفرض المقاطعة الاقتصادية على ايطاليا فانها استمرت فى غزو أثيوبيا وفى أول مايو سنة ١٩٣٦ أعلن موسولينى ايقاف الحرب معها كما أعلن فى ٥ مايو ضم أثيوبيا الى ايطاليا (١) • وعلى هذا فان أثيوبيا خلال الاحتلال الايطالى وضعت اداريا كجزء من اتحاد شرق افريقيا الايطالى (٢) • أما أراضى أوجادين فقد وضعت كجزء من الصومال الايطالى وذلك بموجب قرار أول يونية سنة ١٩٣٦ (٣) • وبذلك يمكن القول أن مشكلة الحدود بين الصومال وأثيوبيا لم تظهر فى تلك الفترة من احتلال ايطاليا للحبشة وذلك لوقوع المنطقة بأكملها تحت النفوذ الايطالى •

ولكن أثيوبيا ما لبثت أن تحررت كنتيجة للحرب العالمية الثانية حيث بدأت قوات الامبراطورية البريطانية فى سنة ١٩٤١ فى غزو الصومال الايطالى وتم لها احتلال الصومال بأكمله فى فترة قصيرة • كما دخلت القوات البريطانية أثيوبيا وقامت بتحريرها (٤) • أما الصومال فقد باشرت ادارته الادارة البريطانية للمناطق المحتلة •

«British Occupied Territories Administration O.T.A.» (٥)

وتفاوض الجانبان البريطانى والأثيوبى وبموجب الاتفاقية المعقودة فى ٣١ يناير سنة ١٩٤٣ اعتبرت منطقة أوجادين جزءا منفصلا عن أثيوبيا وتشرف عليها اداريا رقابة عسكرية بريطانية (٦) وبموجب تجديد الاتفاقية

---

(1) Ibid., P. 141.

(2) U. N. Review, Sept. 1957, Vol. 4, No. 3, P. 2.

(3) Encyclopedia Britannica P. 969.

The Statesman's Year Book 1957, P. 1173.

(4) The World Almanac and book of Facts for 1958, P. 352.

(5) Encyclopedia Britannica P. 969.

(6) Pankhurst, op. cit., P. 151. المادة الخامسة من الاتفاقية

فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٤ استمر الاحتلال البريطانى لأوجادين ، وقد وضعت ادارة الاحتلال البريطانى أوجادين والصومال تحت ادارة واحدة وأصبحت تدار كأنها اقليم واحد • ولم يرد بهاتين المعاهدتين أى نص يؤكد خط حدود جديد بين المناطق الخاضعة للادارة البريطانية والمناطق الخاضعة للادارة الأثيوبية • ومن الجدير بالملاحظة أنه نتيجة لان منطقة الصومال (الايطالى) والصومال البريطانى والأثيوبى والكينى أديرت كلها — ولأول مرة منذ أواخر القرن ١٩ — بادارة واحدة تقوم بها بريطانيا ممثلة ٩٠٪ من المناطق التى يعيش عليها الصوماليون — تبلورت فكرة اقامة « الصومال الكبير » ليضم الصوماليين المبعثرين بين ما يعرف بالصومالات الخمس • الأمر الذى اتخذ خطوة ايجابية فى شكل مشروع بيفن أمام مؤتمر وزراء الخارجية كبديل مطروح لمستقبل الصومال ، ولكنه فشل نتيجة رفض كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى خوفا من النفوذ البريطانى فى المنطقة حيث اقترح المشروع أن يكون الصومال الكبير تحت الوصاية البريطانية ثم فى ظل الكومنولث •

وفى سنة ١٩٤٧ عقدت معاهدة الصلح مع ايطاليا حيث تنازلت ايطاليا بموجبها (مادة ٢٣) عن كل حقها فى ممتلكاتها فى افريقيا ومن بينها الصومال وقد اتفق على أن يترك أمر التصرف النهائى فى هذه الأقاليم لحكومات الدول الأربع الكبرى (١) • وفى حالة اخفاقها فى الوصول الى اتفاق حول مصير هذه الأقاليم فى مدى عام من تاريخ نفاذ هذه المعاهدة (٢)، يرفع الأمر الى الجمعية العامة للأمم المتحدة لاصدار توصية وقد وافقت الدول الأربع مقدما على قبول التوصية والعمل على تنفيذها •

ولما لم يستطع مجلس وزراء خارجية الدول الأربع الوصول الى اتفاق رفعت المسألة الى الجمعية العامة التى انتهت المداولات فيها الى اصدار القرار رقم ٢٨٩ (د ٤) فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ الذى أوصى بأن تصبح الصومال دولة مستقلة بعد ١٠ سنوات (٣) على أن توضع خلال تلك الفترة تحت الوصاية الدولية على أن تتولى ايطاليا الادارة (٤) •

---

(١) الاتحاد السوفيتى ، الولايات المتحدة ، فرنسا ، انجلترا .

(٢) ملحق رقم ١١ من معاهدة الصلح .

(3) The World Almanac and book of facts for 1958, P. 367.

(٤) يساعد السلطة القائمة بالادارة مجلس استشارى مكون من كولمبيا، « مصر » ، الفلبين (منذ فبراير سنة ١٩٥٨ حلت ج.ع.م. محل مصر فى المجلس الاستشارى) .

وقامت الادارة البريطانية بنقل السلطة الى الادارة الايطالية المؤقتة وتحولت السلطة تماما الى ايطاليا فى أول ابريل سنة ١٩٥٠؛ غير أنه كانت هناك نقطة خلاف هامة ورئيسية بين ايطاليا وانجلترا بشأن حدود الصومال وأثيوبيا ولما كان من المفروض أن تحدد تلك الحدود بموجب اتفاقية ثلاثية بين بريطانيا واثيوبيا وايطاليا فان امتناع اثيوبيا عن التعاون ادى بانجلترا الى تحديد الحدود على انفراد حتى تتمكن من نقل السلطة الى ايطاليا • ويلاحظ انها حددت الحدود تقريبا على نفس حدود معاهدة سنة ١٩٠٨ أي أعادت حدود الصومال الى ما كانت عليه قبل توغل ايطاليا فى الأراضى الأثيوبية (١) عند وال وال سنة ١٩٣٤ ، وقد قبلت ايطاليا تلك الحدود المؤقتة بتحفظات تمكنها من اعادة النظر فى تلك الحدود ، أما اثيوبيا فلم ترغب فى الاعتراف بذلك الخط الادارى المؤقت الذى وضعته بريطانيا •

الأمم المتحدة وفشل الحل السلمى (٢) :

بوضع الصومال تحت الوصاية الدولية دولت مشكلة الحدود ودخلت الأمم المتحدة طرفا ثالثا فى النزاع حول الحدود ولم يعد النزاع يقتصر على ايطاليا وأثيوبيا ، وقد لاقت مشكلة الحدود عناية كبرى من الأمم المتحدة ، ومع هذا فقد فشلت فى حلها خلال العشر سنوات الخاصة بالوصاية •

ففى ديسمبر سنة ١٩٥٠ (٣) أوضحت الجمعية العامة فى دورتها الخامسة بقرارها رقم ٣٩٢ (د ٥) أن تحديد الحدود بين الصومال وأثيوبيا يجب أن يتم عن طريق المفاوضات الثنائية بين ايطاليا وأثيوبيا وفى حالة فشل تلك المفاوضات يتدخل وسيط من الأمم المتحدة يعينه السكرتير العام للأمم المتحدة • واذا لم تأخذ الحكومتان بتوصيات الوسيط فيجب عليها اتخاذ الاجراءات اللازمة للتحكيم •

وفى مارس سنة ١٩٥١ (٤) فحص مجلس الوصاية فى دورته الثامنة عرائض مقدمة من عدد من القبائل الصومالية يشكون فيها من الحدود

(١) اقليم اوجادين اعادته انجلترا لأثيوبيا سنة ١٩٤٨ .

(٢) انظر ولمزيد من المعلومات : حورية توفيق مجاهد ، « الصومال فى المحيط الدولى » ، مرجع سابق .

(3) Year Book of the U. N., 1950.

(4) Ibid., 1951.

المؤقتة التى قسمت جماعاتهم وقد أحال المجلس هذه العرائض الى الجمعية فى ٣١ مارس سنة ١٩٥١ ، كما تلقى المجلس فى دورته التاسعة عريضة مشابهة من أثيوبيا تشكو من تحرش ايطاليا بها وتشجيعها على تهريب الأسلحة عبر الحدود وتهيئتها الأوضاع لاعادة التدخل فى أثيوبيا وقام المجلس ببحث تلك الشكاوى وبين أن تلك الاتهامات لا أساس لها من الصحة . هذا وقد جاء فى تقرير الادارة فى نفس السنة أن المعارك قد تجددت على الحدود .

وقامت بعثة من الأمم المتحدة بزيارة الصومال فى عام ١٩٥١ وتلقت تلك البعثة عدة شكاوى من الأهالى عن عدم تعيين الحدود النهائية بين الصومال وأثيوبيا حيث تفصل الحدود المؤقتة بين أهالى القبيلة الواحدة وآبارها التقليدية وأشارت البعثة الى قرار الجمعية العامة رقم ٣٩٢ (د ٥) وأوضحت أن التسوية يجب أن تتضمن حرية مرور الأشخاص والسلع والماشية وقد أحاط مندوب الادارة مجلس الوصاية علما فى دورته الحادية عشرة فى سنة ١٩٥٢ (١) باعادة العلاقات الدبلوماسية بين ايطاليا وأثيوبيا فى فبراير سنة ١٩٥٢ وبدء المحادثات بشأن الحدود وقد أعرب مجلس الوصاية عن أمله فى أن تؤدى تلك المحادثات الى تسوية للمسألة .

وفى سنة ١٩٥٣ (٢) تكررت الشكاوى والعرائض بشأن الحدود المؤقتة والغارات المتعددة عبر الحدود فى اقليم الوصاية وقرر مجلس الوصاية فى دورته الثانية عشرة توصيته التى وافق عليها فى دورته الحادية عشرة عن أمله فى أن تؤدى المحادثات بين الحكومة الايطالية وأثيوبيا الى حل مرض . وقد أخبرت الادارة مجلس الوصاية بأن المحادثات بين الحكومة الايطالية وأثيوبيا لم تتعد المرحلة الاستطلاعية .

ولفتت السلطة القائمة بالادارة نظر مجلس الوصاية فى سنة ١٩٥٤ الى خطورة الوضع الناتج عن الحدود المؤقتة وبينت أن نتيجة هذا الوضع هى افساد الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لسكان منطقة الحدود (٣) ، وأخطرت تلك السلطة المجلس بأنه ردا على الاقتراحات الايطالية بأن تعين

---

(1) Ibid., 1952.

(2) Ibid., 1953, P. 604.

(3) Ibid., 1956, P. 337.

كل حكومة ممثلين للمباحثات الأولية فان الحكومة الأثيوبية تقترح أن يعين كل طرف خبيرين لجمع المعلومات وتحديد المبادىء التى ستتبع فى المفاوضات القادمة • وبالرغم من موافقة ايطاليا فان الحكومة الأثيوبية لم تتخذ أى خطوة تقدمية ، واتفقت آراء الكثيرين فى المجلس على اتخاذ الاجراءات التى من شأنها الاقرار السريع للمشكلة ، وقد أيد المفاوضات المباشرة كل من ممثلى فرنسا والهند والاتحاد السوفيتى بالاضافة الى ممثل ايطاليا ، السلطة المشرفة على الادارة ، بينما أيد آخرون مثل ممثلى نيوزيلندا وسوريا اتخاذ خطوات أخرى مثل الوساطة مثلا أو التحكيم اذا لزم الأمر فى حالة ما اذا لم تأت المفاوضات المباشرة بنتائج سريعة •

واتفق فى النهاية على القرار رقم ١٠٠٠ (د ١٤) القائم على اقتراح هايتى المعدل من استراليا والذى ووفق عليه بأغلبية ١١ صوتا ضد ١ بامتناع واحد عن التصويت وينص على :

١ ـ لفت نظر الجمعية العامة الى ما وصل اليه المجلس من أن تعيين الحدود أمر بالغ الخطورة وخاصة نظرا لاقتراب عام ١٩٦٠ حيث يحصل الصومال على استقلاله وكذلك لاستمرار المصاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى منطقة الحدود المؤقتة الحالية •

٢ ـ مطالبة السكرتير العام بأن يطلب من الحكومتين الايطالية والأثيوبية اخطاره قبل الدورة التاسعة للجمعية العامة بكل ما وصلا اليه من نتائج عن مفاوضاتهما •

٤ ـ مطالبة السكرتير العام بأن يقدم للجمعية العامة فى دورتها التاسعة ما لديه من بيانات عن تقدم المفاوضات والوضع فى منطقة الحدود •

وقد جاء تقرير السكرتير العام الى الجمعية فى دورتها التاسعة فى سنة ١٩٥٤ (١) متضمنا مذكرة من الحكومة الايطالية عن المفاوضات مع الحكومة الأثيوبية وكتابا من ممثل أثيوبيا الدائم يوضح فيه الموقف الأثيوبى والمعلومات الواردة من المجلس الاستشارى •

(1) Year book of the UN 1954 P. 393.

وأوضحت المذكرة الايطالية أن المفاوضات المباشرة التى أوصت بهـا الجمعية العامة فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ لم يكن من الممكن بدؤها قبل اعادة العلاقات الدبلوماسية بين ايطاليا وأثيوبيا فى فبراير سنة ١٩٥٢ ، ومنذ ذلك التاريخ اتخذت عدة خطوات ناجحة من جانب الحكومة الايطالية لبدء المحادثات الثنائية التى أوصت بها الجمعية ولكنها لم تصل الى أى نتيجة .

أما كتاب ممثل أثيوبيا فقد بين أن أسباب التعطيل لا ترجع الى أثيوبيا بل الى السلطة القائمة بالادارة حيث رفضت أن تقر الحـدود الادارية القائمة التى عملت الحكومة الاثيوبية على المحافظة عليها كحد حقيقى وانه بمجرد ان تشير السلطة القائمة بالادارة الى استعدادها فى اتخاذ الخط الموافق عليه فى مجلس الوصاية سنة ١٩٥٠ كحد يتفق عليه فان الحكومة الأثيوبية يمكنها الوصول فى الحال لتدبير التفاصيل الفنية للتحديد وفق ما أوصت به الجمعية العامة سنة ١٩٥٠ .

ومن البيانات التى قدمها المجلس الاسـتشارى تقرير ممثل مصر (١) عن رحلته حول الحدود يدعو فيه ويكرر الحاجة الملحة للتحديد النهائى ويبين أنه تلقى العديد من الشـكاوى من الأهالى عن الحـدود المؤقتة لفصلها بين أهالى القبيلة الواحدة ومراعيها وآبارها التقليدية .

وفى الدورة التاسعة للجمعية استحث الكثيرون سرعة تحديد الحدود وان لم تتفق الآراء على أفضل الطرق نحو الحل النهائى كما أقر ممثلا أثيوبيا وايطاليا الحاجة الى المفاوضات المباشرة التى لا يعتبر انها قد فشلت وان كانا قد اختلفا على أساس المفاوضات من أجل تحديد الحدود النهائية :
ففى الوقت الذى بين فيه ممثل أثيوبيا أن حكومته ستوافق على تحديد الحدود القائمة كما وافق عليها مجلس الوصاية سنة ١٩٥٠ بمجرد موافقة السلطة القائمة بالادارة عليها ، أوضح ممثل ايطاليا أنه من الخطأ الاستناد على الخط الذى وضعته المملكة المتحدة والذى وافق عليه المجلس سنة ١٩٥٠ حيث أنه قد حدد من جانب واحد الا وهو سلطة الاحتلال العسكرى حتى لا يتعطل تنفيذ الاتفاقية .

---

(١) باعتبارها عضوا فى المجلس الاستشارى .

وقد قامت مناقشات عديدة بشأن الحــدود رفض أثناءها كثير من الممثلين وضع قيد زمنى للمفاوضات وبينوا أن هــذا القيد سيؤدى الى تعقيد الأمور وتمكنوا فى النهاية من الوصول الى القرار رقم ٨٥٤ (د ٩) فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ الذى ووفق عليه فى مجموعه بأغلبية ٢٦ : لا شىء وامتناع ٣٠ عن التصويت •

ويتلخص القرار رقم ٨٥٤ فيما يأتى :

أن الجمعية العامة :

١ ــ تلاحظ بقلق عدم الوصول الى أى تقدم فى المفاوضات المباشرة بين حكومتى أثيوبيا وايطاليا حول تعيين الحدود بين اقليم الصــومال الموضوع تحت الوصاية تحت ادارة ايطاليا وبين أثيوبيا •

٢ ــ تحث حكومتى أثيوبيا وايطــاليا على أن تبذل كل منهما ما فى وسعها للوصول الى تسوية نهائية لمشكلة الحدود بالمفاوضات المباشرة •

٣ ــ توصى الحكومتان بأنه فى حالة فشل المفاوضــات المباشرة فى الوصول الى أية نتائج فى موعد لا يتجاوز يوليو سنة ١٩٥٥ أن تلجأ الى الوساطة أو التحكيم وفقا لقرار الجمعية رقم ٣٩٢ (د ٥) فى سنة ١٩٥٠ •

وقد احتلت مسألة التحديد النهائى للحدود بين الصــومال وأثيوبيا اهتماما كبيرا خلال عام ١٩٥٥ وقد ظهر هذا فى كل من مجلس الوصاية والجمعية العامة •

فعندما ناقش مجلس الوصاية الاحوال فى الاقليم فى دورته السادسة عشر اتخذ القرار رقم ١٢٥٧ (د ١٦) فى ٢١ يوليو سنة ١٩٥٥ القائم على المشروع السورى والمعدل بواسطة الولايات المتحدة • وقد ووفق على القرار بأغلبية ١٧ ضد لا شىء وامتناع ٣٩ عن التصويت •

ويتلخص القرار رقم ١٢٥٧ فيما يأتى (١) :

أن مجلس الوصاية بعد أن لاحظ عدم وصول المفاوضات الى نتائج جوهرية :

---

(1) Year Book of the U. N., 1955 P. 324.

١ ــ يؤكد الأمل فى أن تصل المفاوضات المباشرة الى النتائج القوية التى عبر عنها قرار الجمعية العامة رقم ٨٥٤ (د ٩) •

٢ ــ يوصى السلطة القائمة بالادارة فى حالة فشل المفاوضات المباشرة بالاستفادة من اجراءات الوساطة التى سبق أن تضمنتها قرارات الجمعية العمومية رقم ٣٩٢ (د ٥) ، ٨٥٤ (د ٩) •

وفى الجمعية العامة فى جلستها العاشرة استمعت اللجنة الرابعة الى آراء ممثلى أثيوبيا وايطاليا التى توضح الرغبة فى الوصول الى مفاوضات قريبة للمسألة واتخذت الجمعية القرار رقم ٩٤٧ (د ١٠) وقد ووفق على القرار فى مجموعه ب ٤٥ صوتا ضد ١ بامتناع ١٣ صوتا •

ويتلخص القرار رقم ٩٤٧ (د ١٠) فيما يأتى (١) :

أن الجمعية العامة :

١ ــ تلاحظ تشجيع وجهات النظر التى عبر عنها ممثلو أثيوبيا وايطاليا والتقدم الذى ظهر فى المناقشات بين ممثلى الحكومتين •

٢ ــ توضح الثقة فى الأغراض الطيبة للحكومتين بأن تتبع مفاوضات مباشرة حتى تتسنى تسوية مشكلة الحدود باعتبارها أمرا هاما •

٣ ــ توصى بأنه يجب أن تسهل المفاوضات المباشرة الجارية حتى يمكن للمسألة أن تسوى فى أقرب وقت ممكن •

٤ ــ تلتمس من الحكومتين أن تقدما تقريرا عن سير المفاوضات الى الجمعية فى دورة انعقادها الحادية عشرة •

وقد أبلغت السلطة القائمة بالادارة مجلس الوصاية عام ١٩٥٦ (٢) بأن وفدا ايطاليا مكونا من ٣ مفاوضين صوماليين مدنيين قد بدأوا المفاوضات المباشرة مع الحكومة الأثيوبية فى أديس أبابا فى أول مارس سنة ١٩٥٥ ولكنها توقفت حتى يتم للوفد الايطالى الاتصال بحكومته :

---

(1) Ibid., P. 326.

(2) Year Book of the U. N. 1956, P. 344-5.

وقد كرر المجلس رغبته فى أن تكرس الحكومتان جهودهما للوصول الى حل للمشكلة قبل سنة ١٩٦٠ •

وقد قدمت حكومتا أثيوبيا وايطاليا تفاصيل سير المفاوضات الى الجمعية العامة فى دورتها الحادية عشرة سنة ١٩٥٦ وأوضحتا فيها أن المفاوضات قد عنيت الى حد كبير بالجزء الشمالى من الحدود ووفق أخيرا على اتخاذ الاتفاقية الايطالية الأثيوبية (١٦ مايو سنة ١٩٠٨) كأساس للمفاوضات ولكن جد خلاف حول تفسير تلك الاتفاقية مما أدى الى تأجيل المفاوضات الى ما بعد نهاية الدورة الحادية عشرة للجمعية •

وفى الجمعية العامة أكد رئيس الجمعية التشريعية الصومالية أمام اللجنة الرابعة الحاجة الى الوصول الى حل سريع ورأى أن المفاوضات قد فشلت فمن الواجب مطالبة الجمعية العامة بتعيين وسيط • وقد أيد كثيرون هذا الاتجاه ولكن الرأى العام فى الجمعية كان يؤيد الاستمرار فى المفاوضات المباشرة على الأقل لبعض الوقت •

وأصدرت الجمعية العامة فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٧ قرارها رقم ١٠٦٨ القائم على مشروع قرار قدم من بورما وسيلان واليونان وأندونيسيا وليبيريا والسودان ووفق عليه بأغلبية الأصوات مقابل لا شىء وامتناع ٣ عن التصويت •

ويتلخص القرار رقم ١٠٦٨ فيما يأتى :

أن الجمعية العامة :

١ ــ توصى بأن تستمر حكومتا ايطاليا وأثيوبيا فى المفاوضات على الحدود بأكملها بين اقليم الوصاية الموضوع تحت الادارة الايطالية بما فيها الأجزاء التى لم تناقش بعد وأن توافى الجمعية العامة بتطورات مفاوضاتها فى دورتها الثانية عشرة •

٢ ــ توضح أنه فى حالة فشل المفاوضات فى الوصول الى نتائج ملموسة عند بداية الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة يكون من الضرورى لحكومتى أثيوبيا وايطاليا ــ تحقيقا للمصالح فى الوصول الى حل نهائى للمسألة قبل استقلال الصومال ــ أن تقبلا اجراء الوساطة أو التحكيم

المنصوص عليه فى قرار الجمعية العامة رقم ٣٩٢ (د ٥) فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

وقامت لجنة من الأمم المتحدة بزيارة اقليم الصومال فى سنة ١٩٥٧ (١) وناقشت تلك اللجنة مسألة البت السريع فى تعيين الحدود بين الصومال وأثيوبيا . وقد أكد رئيس وزارة الحكومة الصومالية (عبد الله عيسى محمود) الحاجة الى اقرار مشكلة الحدود قبل سنة ١٩٦٠ حيث يحصل الصومال على استقلاله اذ أن الصومال يرغب فى أن تقوم العلاقات بينه وبين أثيوبيا على أساس الصداقة وحسن الجوار ، وابقاء مشكلة الحدود دون حل حتى يحصل الصومال على استقلاله سيكون حجر عثرة فى سبيل الوصول الى علاقات طيبة وحسن جوار مع اثيوبيا . وقد أشارت لجنة الزيارة أن أحسن الأوضاع هو المحافظة على حرية الحركة للأشخاص والماشية فى منطقة الحدود . كما أشارت الى ضرورة تشديد الجهود للوصول الى الحل العملى لمشكلة الحدود .

وتتلخص اهم نقاط الخلاف الذى قام بين الطرفين اثناء المفاوضات (٢):

فى أن الوفد الايطالى طالب فى بادىء الأمر باتخاذ خط الحدود الذى كان قائما قبل سنة ١٩٣٥ أساسا للمفاوضات . ولما اعترض الوفد الاثيوبى على هذا الرأى بأن خط الحدود هذا مخالف لاتفاقية سنة ١٩٠٨ المعقودة بين الطرفين ، اتفق الطرفان على اتخاذ اتفاقية سنة ١٩٠٨ أساسا للمفاوضات وبدءا ببحث المادة ٤ من هذه الاتفاقية وهى الخاصة بالجزء الشمالى من الحدود المختلف عليه ، ولما كانت هذه المادة تستند الى خط الحدود الذى اتفق عليه سنة ١٨٩٧ بموجب اتفاقية منليك ، فقد ابرز الوفد الايطالى نص المذكرة الرسمية التى قدمتها الحكومة الاثيوبية الى عصبة الأمم فى نهاية سنة ١٩٣٤ والتى ذكرت فيها ان الحدود ، وفقا لاتفاقية منليك هى : خط مواز لساحل الصومال الواقع على المحيط الهندى ، وعلى بعد ١٨٠ ميلا الى الداخل ، أى عند خط الطول ٤٧ وخط عرض ٨ (وليس عند خط الطول ٤٨ والعرض ٨ على ما هو الحال فى خط الحدود المؤقتة) .

---

(1) U. N. Review Feb. 1958 Vol. 4 No. 8 P. 34.

(٢) انظر ولمزيد من المعلومات : حورية توفيق مجاهد ، الصومال فى المحيط الدولى ، مرجع سابق ص ١٨٩ .

وقد طالب الوفد الايطالى بأن يراعى عند تطبيق هذا الاتفاق ما تنص عليه المادة الرابعة نفسها ، وهو أن تكون تبعية قبائل الاوجادين لاثيوبيا وتبعية القبائل التى تنسب الى الساحل للصومال • وقد رفض الوفد الاثيوبى الموافقة على هذا التفسير لمذكرة اثيوبيا ، وادعى أن حكومته قدمتها تحت ضغط الجيوش الفاشية التى كانت تتوغل داخل اراضيها فى ذلك الوقت •

وانتهت المباحثات بتمسك كل طرف بوجهة نظره دون الوصول الى حل يوفق بينهما •

وفى اجتماع الجمعية العامة فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ اتخذت خطوة هامة نحو حل مشكلة الحدود بين الصومال وأثيوبيا فقد أوصت الجمعية بالالتجاء الى التحكيم لتعيين الحدود (١) بعد أن تأكدت الجمعية من أن المفاوضات المباشرة بين أثيوبيا وايطاليا لم تصل الى نتيجة • وحتى النجاح القليل الذى تمكنت المفاوضات من الوصول اليه لم يحل بعض الخلاف بين الطرفين ، على الرغم من أن من مصلحة كل من أثيوبيا والصومال حل المشكلة قبل سنة ١٩٦٠ • ولما كانت الخطوة التالية التى يجب أن تتبع وفقا لقرار الجمعية رقم ٣٩٢ (د ٥) هى الوساطة ، ولما كانت تلك الخطوة غير مقبولة من جانب أثيوبيا فقد قررت الجمعية العامة الالتجاء الى التحكيم وذلك بناء على مشروع قرار تقدمت به كل من سيلان واليونان وأندونيسيا وليبيريا والسودان وانجلترا والولايات المتحدة • وقد ووفق على القرار رقم ١٢١٣ (د ١٢) بالاجماع (٢) •

ويتلخص القرار رقم ١٢١٣ فيما يأتى (٣) :

أن الجمعية العامة بعد أن لاحظت خطورة الأمر :

١ — تعبر عن الرأى القائل بأن الحل النهائى يمكن أن يتم سريعا عن طريق التحكيم •

---

(1) The Department of State: Bulletin, Jan. 27, 1958, P. 150-152

(2) Year Book of the U. N. 1957, P. 335.

(3) Ibid., P. 335.

٢ ــ توصى الأطراف بأن تقيم خلال ثلاثة أشهر اذا أمكن ، محكمة تحكيم تتكون من ٣ قضاة ، واحــد تعينه أثيوبيا وآخر ايطاليا والثالث بموجب اتفاق بين القضاه المعينين وفى حالة فشل الاتفاق بينهما يعين بواسطة جلالة ملك النرويج لتحديد الحــدود طبقا للنهج الذى ســتوافق عليه الحكومتان فى اللجنة التى ستنشئانها من ممثل عن كل منها بمعاونة شخص ثالث يعين بموجب اتفاق بينهما •

٣ ــ توصى حكومات أثيوبيا وايطاليا بأن ترسل تقريرا الى الجمعية العامة فى دورتها الثالثة عشر ، عن الخطوات التى اتخذتها لتحقيق القرار الحالى (١) •

هذا وقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة آخر قرار لها فى شأن مشكلة الحدود (٢) فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥٨ حيث صــدر هذا القرار بالاجماع • ويتضمن هذا القرار ما يلى :

أن الجمعية العامة بعد أن تبينت عدم وصــول الحكومتين الأثيوبية والايطالية الى أى تقدم فى تطبيق القرار رقم ١٢١٣ (د ١٢) وبعد أن لاحظت خطورة الأمر :

١ ــ تعيد تأكيد قرارها رقم ١٢١٣ (١٢) فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٧ •

٢ ــ تخطر الأطراف مرة أخرى بأن تضاعف جهودها لتنفيذ ما ورد فى القرار رقم ١٢١٣ (١٢) •

٣ ــ توصى الحكومتين باختيار شخص مستقل خلال ٣ أشهر واذا لم ينجح مثل هذا الاتفاق فيطلب من جلالة ملك النرويج تعيين هذا الشخص•

٤ ــ توصى حكومتى اثيوبيا وايطاليا بأن تخطر الجمعية العــامة فى دورتها الرابعــة عشر عن الاجراءات المتخذة بواســطتهما لتحقيق القرار الحــالى •

---

(1) Rapport dù Gouvernement Italien 1957, P. 12.

(2) Round up of the Thirteenth regular session of the General Assembly 16 Sept. 1958. to 13 Dec. 1958 P. 39.

وتمشيا مع المادة الثالثة من هذا القرار ، قام ملك النرويج بتعيين مستر تريجفى لى ــ وكان أول أمين عام للأمم المتحدة ــ ليكون الشخص المستقل ويعنى به مفاوض يتمتع بالحيدة والاستقلال الذى يعاون ممثلى ايطاليا واثيوبيا فى الوصول الى اتفاق التحكيم • ولكنه فشل فى التقريب بين الطرفين فى الوصول الى اتفاق عام • وعليه فقد فشلت اثيوبيا وايطاليا بالرغم من محاولات مستر تريجفى لى المستقل فى الاتفاق على أسس التحكيم وهى الوسيلة الاخيرة لحل مشكلة الحدود بينهما • وكان موضع الخلاف الاساسى هو انه فى الوقت الذى رأت فيه اثيوبيا أن المشكلة القائمة لاتفاقية الوصاية ووفقا لقرار الجمعية العامة رقم ٣٩٢ (٥) ليست مشكلة اعادة النظر فى شأن الحدود أو تخطيط حدود جديدة ، بل هى مشكلة وضع الاجراءات اللازمة لتعيين الحدود القائمة على الطبيعة ، تلك الحدود التى حددت بموجب اتفاق دولى ، رأت ايطاليا ان موضوع النزاع هو المشكلة العامة للحدود لا مجرد الخلافات الناشئة عن المفاوضات الثنائية وأن هذا هو الموضوع الذى يجب أن يقدم الى محكمة التحكيم • وفى الوقت الذى أكدت فيه أثيوبيا رأيها أن كلا من ايطاليا واثيوبيا قد اعترفتا باتفاقية سنة ١٩٠٨ باعتبار انها منذ أكثر من ٥٠ عاما الاتفاقية الدولية الوحيدة الصالحة التى تحكم الحدود موضع الخلاف رأت ايطاليا أن موافقتها على اتخاذ تلك الاتفاقية اساسا للمفاوضات بشأن تسوية المشكلة خلال السنتين التى دارت فيهما المناقشات يمكن تجاهلها وهى لا تعتبر ملزمة ما دامت هذه المفاوضات لم تصل الى تسوية نهائية بل انتقلت الى مرحلة جديدة هى التحكيم ، وأن عمل المحكمة يجب الا يقتصر على حل الخلافات الناتجة عن المفاوضات الثنائية التى لم تصل الى نهاية عملية أو الى اتفاقية رسمية • بل عليها أيضا أن تفحص الوضع العام بما يتضمن من مصالح ورفاهية الاهالى ومبادىء الأمم المتحدة للوصول الى تسوية نهائية وعادلة منصفة وودية للمسألة •

كما انه فى الوقت الذى رأت فيه أثيوبيا أن النظر الى الموضوع على أنه مشكلة عامة للحدود ، وأن المحكمة تفصل فى المشكلة باعتبارها مشرعا ، تعتبر محاولة من الحكومة الايطالية لتحويل محكمة التحكيم الى هيئة تشريعية ، وان عمل المحكمة يجب أن يقتصر على تفسير المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من اتفاقية سنة ١٩٠٨ ، وعلى المحكمة عند التفسير أن تطبق

اجراءات قانونية ، رأت ايطاليا أن حصر عمل المحكمة فى التفسير القانونى للاتفاقية لا يتمشى مع قرارات الأمم المتحدة السابق الاشارة اليها ، فيجب اعطاء المحكمين حرية أكبر للوصول الى التسوية فهذه الحرية هى اللازمة للوصول الى التسوية النهائية . وأن الالتجاء الى التحكيم بسبب خطورة الأمر — مع تخطى الوساطة — لا يعنى موافقة الحكومتين الايطالية والاثيوبية على أن المحكمة قد عهد اليها فقط بتلك السلطات المحددة طبقا لرأى الحكومة الاثيوبية .

هذا ولقد اخطر المجلس الاستشارى مجلس الوصاية بأن المشكلة ما زالت مستمرة وانها ستظل قائمة بعد الاستقلال ، وانه الى أن يتم الحل النهائى فان الخط الادارى المؤقت سيظل مقبولا من الطرفين .

أما العوامل التى عاقت حل مشكلة الحدود قبل استقلال الصومال فتتلخص فيما يأتى (١) :

أولا : أن أثيوبيا — وهى أحد طرفى النزاع — ترى من مصلحتها ألا تحل المشكلة لأنها كانت تعتبر الصومال جزءا من أراضيها وتسعى لضمه اليها فلما تقرر استقلاله بموجب قرار الأمم المتحدة خضعت للامر الواقع وعملت على أن تستفيد منه بمحاولة تحقيق مصالحها عن طريق المناداة بربط الصومال المستقل اليها بمعاهدات تجعل لها شبه حماية على الصومال ، ووسيلتها لهذا هى اتباع سياسة الضغط عن طريق الحدود ، وهى لن تتمكن من تنفيذ سياستها هذه فى ظل نظام الوصاية القائم . وعلى هذا فمن مصلحتها أن تبقى مشكلة الحدود دون حل حتى يحصل الصومال على استقلاله وترفع عنه الوصاية لتستطيع حينئذ أن تكيف العلاقة معه وفق ما تراه فى صالحها وترغمه على الارتباط معها والسير فى فلكها . ويساعدها على ذلك كون الصومال دولة ناشئة وفى طور التكوين ، لا تزيد مساحتها عن نصف مساحة أثيوبيا كما يبلغ سكانها $\frac{1}{12}$ من مجموع

(١) انظر : حورية توفيق مجاهد ، « الصومال فى المحيط الدولى » ، مرجع سابق ص ٩٩ — ١٠٠ .

سكان أثيوبيا وكل ذلك يجعل تلك الدولة الصغرى لا تستطيع الصمود أمام مناوشات دولة كبرى مستقرة نسبيا كأثيوبيا [1] •

ثانيا : أن أقليم أوجادين المتنازع عليه والذى تحاول كل من أثيوبيا والصومال أن تضمه الى أراضيها وتدخله فى حدودها ، كان ينتظر أن يكون غنيا بموارده البترولية وكانت تقوم بالتنقيب فيه منذ أواخر الخمسينات شركات بترول عالمية [2] — واذا ثبت وجود البترول فيه فان الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية يكون من مصلحتها أن تعمل على ضمه الى أى من الدولتين التى تعطيها امتيازات أكثر فى المنطقة — ولهذا فان من مصلحة تلك الدول الكبرى أيضا ترك المشكلة معلقة الى حين استقلال الصومال حتى تتبين موقفه تجاهها وعلى ضوء هذا الموقف تعمل على ضم أوجادين الى أى من اثيوبيا أو الصومال وفقا لمصالحها •

ثالثا : ان الدول الكبرى من سياستها الدائمة ان تترك ثغرة تستطيع عن طريقها التدخل فى شئون الدول حديثة الاستقلال ، ووسيلتها الى هذا فى الصومال هى مشكلة الحدود ، تلك المشكلة التى طال أمد النزاع فيها دون التوصل الى حل حاسم يصون كيان الاقليم عند تمتعه بالاستقلال ، ويسهم فى العلاقات الودية بين الدول المتجاورة •

هذا وبقيام جمهورية الصومال فى أول يوليو ١٩٦٠ — والمكونة من الصومال الأيطالى الذى أعلن استقلاله فى ذلك اليوم واندماجه مع الصومال البريطانى الذى استقل قبله بأيام فى ٢٦ يونيو — اصبحت الدولة المستقلة الوليدة وريثة للمشكلة الخاصة بالحدود مع اثيوبيا على وجه الخصوص بما لها من ثقل خاص ، تلك المشكلة التى استعصى حلها لأكثر من ٦٠ عاما كما سبق توضيحه • فحقيقة الأمر أن الصومال بالاستقلال

---

(١) تبلغ مساحة الصومال ١٩٤ الف كم٢ ويبلغ عدد سكانه ٥٠٠ر٣٦٣ر١ نسمه ، بينما تبلغ مساحة اثيوبيا ٣٩٥ الف كم٢ ويبلغ عدد سكانها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٨ نسمه (حسب آخر تقدير رسمى قبل استقلال الصومال) .

(٢) تقوم بالتنقيب فى او جادين شركة Sinclar الامريكية و **ACIP** الايطالية كما تقدمت ١٩٥٨ شركة دانمركية للبحث عن البترول فى المنطقة ذاتها .

ورث أساسا مشكلة تفجرت من قبل وقابلة للتفجر المستمر وتتمثل فى أنه لا توجد حدود دولية بينه وبين أثيوبيا فكل ما هو موجود هو خط ادارى مؤقت وفقا لاتفاقية ١٩٠٨ ، وحتى هذا الخط فانه كما أوضحنا كان موضع خلاف دائم .

فضلا عن أن استقلال الصومال ليضم الجزءين الاساسيين من الصومال الكبير مثل بالنسبة للصوماليين الخطوة الاساسية على طريق تحقيق القومية الكلية فى المنطقة . واعتبرت الصومال الوليدة نفسها العامل الرائد فى تحقيق ذلك . الأمر الذى لا يمكن تفهم مشكلة الحدود فى المنطقة الا على ضوئه .

المبحث الثانى : مواقف الصومال وأثيوبيا من المشكلة :

وليس الهدف من هذا البحث الخوض فى تحليله تطور المشكلة منذ استقلال الصومال ولكن تحليل مواقف الدول أطراف النزاع وكيفية مجابهتها للمشكلة ــ وكذلك رد فعل المشكلة ــ فى العالم الخارجى وموقف منظمة الوحدة الافريقية منها :

اولا : طبيعة الحدود كاساس للمشكلة : الوحدة القومية فى مواجهة الوحدة الاقليمية :

قامت السياسة الصومالية أساسا على انكار الحدود القائمة عند الاستقلال أى رفض الأمر الواقع مطالبة باعادة النظر فى الحدود المصطنعة التى قسمت الصوماليين فى منطقة القرن الافريقى وجعلها متمشية مع اعتبارات العوامل البشرية والاقتصادية ورغبة الصوماليين أنفسهم فى الوحدة ومع الوضع الفريد الذى للصوماليين فى افريقيا جنوب الصحراء من حيث التجانس البشرى(١) . فالصوماليون فى منطقة القرن الافريقى يؤلفون أمة توافرت لها جميع المقومات الموضوعية من وحدة اللغة والدين والتقاليد والعنصر والتاريخ ولكن جمهورية الصومال فى وضعها الحالى تضم ثلثى الصوماليين أما الباقون فموزعون عبر الحدود فى كل من أثيوبيا وكينيا وجيبوتى ومن ثم أصبحوا أقليات مشتتة فى كل هذه الأقطار . وترى

---

(١) انظر : د. حورية توفيق مجاهد ، « مشكلة الحدود الصومالية » ، مرجع سابق ص ٣ ــ ٥ .

الصومال ــ ان الاقتصاد الرعوى فى منطقة القرن الافريقى اقتصاد متكامل وسكانه رحل من هنا لا يعترفون بالحدود السياسية المصطنعة بل يتخطونها على مدار السنة طلبا للمرعى (١) ، وتؤكد الصومال أن سكانها وصلوا الى غالبية هذه المناطق منذ نحو ٢٠٠ عام ، لهذه الاعتبارات جميعا يجب أن تتحد المناطق التى يعيش فيها الصوماليون ليكونوا الصومال الكبير • وقد اوردت الصومال هذا الهدف القومى فى دستورها الأول عام ١٩٦٠ (مادة ٦ فقرة ٤) (٢) بل ان العلم الصومالى نفسه يرمز لهذا الهدف (حيث تتوسطه نجمة خماسية يرمز كل رأس منها لأحد أقسام الصومال الخمس) • وأن كان مفهوم الصومال الكبير من الناحية الرسمية قد أخذ بعدا جديدا عبر عنه فى الدستور الجديد فى أغسطس ١٩٧٩ (مادة ١٦) (٣)• وقد تميزت السياسة الجديدة بتخلى الصومال عن المطالبة بمطالب اقليمية أو بتعديل مباشر للحدود ، وان كانت الحكومة الصومالية مستمرة فى تأييد الصوماليين عبر الحدود فى كينيا وأثيوبيا فى المطالبة بحق تقرير المصير •

هذا وتؤيد « جبهة تحرير الصومال الغربى » ، التى انشئت فى مقديشو فى يونيو عام ١٩٦٠ ، الحل السلمى القائم على مبدأ حق تقرير المصير ، وتتبنى تماما وجهة نظر الصومال فى ذلك ، بحيث تتحقق المطالب الاقليمية من خلالها فى النهاية (٤) •

---

(١) اكد نفس المعنى بيفن فى مشروعه عن الصومال الكبير ، حيث اوضح ان الحدود الموجودة تفصل بين القبائل ومراعيها وانه يجب ان تتحد المنطقة وتتخطى الحدود المصطنعة حتى يمكن ان يكون لها كيان اقتصادى

كما اكده رئيس الصومال فى اديس ابابا ١٩٦٣ ضمن خطابه عن مقومات الأمة الصومالية وخصوصية وضع الصومال فى افريقيا من حيث توافر كافة الشروط الموضوعية والذاتية للدولة القومية ، موضحا ان الحدود الموجودة تفصل بطولها القبائل عن مراعيها وآبارها التقليدية .

(٢) تنص الفقرة الرابعة من المادة السادسة على ان « تؤيد الجمهورية الصومالية بالطرق القانونية والسلمية تحقيق وحدة الأراضى الصومالية » .

(٣) تنص المادة ١٦ على أن « تدعم جمهورية الصومال تحرير الاراضى الصومالية المحتلة فقط بالوسائل الشرعية والسلمية » .

(٤) لمزيد من المعلومات عن المنظمة : انظر : « جبهة تحرير الصومال الغربى : البرنامج السياسى العام » ، المقر الرئيسى ، مقديشيو ، د.ت.

أما أثيوبيا فهى تؤكد على ضرورة تطبيق سياسة الأمر الواقع وتتقبل الحدود القائمة بدعوى أنها حدود دائمة يجب تثبيتها • فهى اذن ترفض أساسا السياسة الصومالية تجاه الحدود ، اذ ترى ان اعادة النظر فى الحدود من شأنه أن يصدع كيانها نظرا الى أنها مكونة من اخلاط متباينة لغويا ودينيا خلافا للتجانس البشرى الذى تنفرد به الصـــومال كما أن أى مســاس بالحدود القائمة قد يعتبر سابقة انفصــالية تحتذى الجماعات الأخرى بهــا •

وترفض اثيوبيا السند التاريخى الذى تدعم به الصــومال مطالبها الاقليمية فاثيوبيا تؤكد ان هذه المناطق اثيوبية بل ان الصومال نفســها كانت تحت سيطرة اثيوبيا فى وقت ما ولكنها رغم ذلك فليس لها مطالب اقليمية قبل الصومال وترضى بالوضع القائم (١) •

نخلص من ذلك انه بينما ترى الصومال أن أساس الدولة هو التميز القومى وان اصطناع الحدود هو أساس المشكلة وحلها لن يكون الا جذريا عن طريق اعادة النظر سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة ترى اثيوبيا أن أساس الدولة هو الوحدة الاقليمية وان لب المشكلة هو انكار الصومال للحدود القائمة والمحافظة على الوحدة الاقليمية لجاراتها •

ثانيا : مبدا حق تقرير المصير :

تعتبر الصومال ان الصوماليين الذين يعيشون عبر الحدود المصطنعة التى فرضت عليهم فرضا ، لهم الحق شرعا فى تقرير مصيرهم مستندة فى هذا الى القانون الدولى ومبادىء منظمة الأمم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان من حيث أنه تقرير فيما تؤكده الصومال له معنى واحد هو حق الشعوب المحكومة قسرا فى تقرير مستقبلها الســياسى • وهى تعتبر ان الصوماليين عبر الحدود ما زالوا خاضــعين لحكم الاستعمار اذ لا فرق بين استعمار أجنبى أو استعمار أفريقى فكل سلطة أجنبية تفرض على السكان دون أخذ رأيهم أو موافقتهم هى استعمار صريح • فالمسألة الاساسية ليست مسألة حدود ولكنها مسألة استعمار • وتؤكد ان الثورة فى المناطق المتنازع عليها صادرة عن الصوماليين أنفسهم ونابعة من رغبتهم

(١) انظر : Hoskyns op. cit., PP. 34-9.

فى الوحدة مع الصومال الأم ، الأمر الذى يؤكد نفسه فى استمرار الكفاح المسلح فى منطقة الصومال الغربى رغم استمرار القهر كما اتضح ايضا جليا فى استفتاء ١٩٦٢ فى الاقليم الشمالى لكينيا الذى يتركز فيه الصوماليون أمام لجنة التحرى البريطانية اذ أيد أكثر من ٨٠٪ من كل سكان هذا الاقليم الاتحاد مع الصومال على أية صورة • وترى الصومال ان حل المشكلة لا يكون الا جذريا عن طريق تطبيق حق تقرير المصير مؤكدة ان ممارسة هذا الحق ستسفر بالضرورة عن الاندماج مع الصومال وتحقيق الصومال الكبير • ويلاحظ ان الرأى العام فى الصومال يؤيد باصرار وتصميم حق تقرير المصير للصوماليين عبر الحدود وخلف الوحدة القومية ويناهض أى محاولة من قبل الحكومة ترمى الى المساومة فى تسوية المشكلة ، ويرى أن الحكومة التى لاتتخذ موقفا متشددا مصيرها الى السقوط لا محالة • الامر الذى اتضح بالفعل من اتباع الرئيس السابق الدكتور عبد الرشيد شار مركى بعد وصوله للحكم فى يونيو ١٩٦٧ لسياسة اكثر مرونة قائمة على المصالحة بشأن الخلاف على الحدود والتى اتضحت من عقد اتفاق اروشا مع كينيا فى سنة ١٩٦٧ والمهادنة مع اثيوبيا الأمر الذى انتهى بمقتل الرئيس السابق شارمركى ومجىء الرئيس سياد برى ليعود لسياسة الدولة السابقة •

أما اثيوبيا فترفض رفضا حاسما فكرة تقرير المصير للصوماليين على أساس انها تهديد مباشر لكيانها ، وتؤكد أنها وان كانت تؤيد حق تقرير المصير بالنسبة الى الشعوب التى لم تصل بعد الى الاستقلال من الحكم الأجنبى ، الا أن هذا الحق لا يجوز أن يمارس فى دول مستقلة كاثيوبيا وهى دولة مستقلة منذ ما قبل الميلاد [1] • وعليه فسياستها قائمة على المحافظة على الوحدة الاقليمية مع المحافظة على جميع المواطنين داخل الحدود القائمة سواء كانوا صوماليين أو غير صوماليين والاصرار على « عدم التفريط فى بوصة من أراضيها » •

ثالثا : الالتزامات والآثار المرتبة على حق تقرير المصير :

اعتبرت الصومال ان واجبها القومى يقتضيها مساعدة الصوماليين عبر الحدود بالتأييد المادى والمعنوى • وعليه فقد قامت بدعم « جبهة تحرير

---

(١) أثيوبيا لم تفقد استقلالها الا لمدة ٥ سنوات من ١٩٣٦ الى ١٩٤١ على يد القوات الفاشية الايطالية وقد حررت على يد القوات البريطانية .

الصومال الغربى » فى الكفاح المسلح (١) لتحرير الصومال الغربى الذى فجرته فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ ، والتى اعادت تنظيم صفوفها فى ١٩٧٦ • واستطاعت فى سنة ١٩٧٧ أن تحرر نحو ٩٠٪ من اراضى الصومال الغربى وذلك قبل تدخل القوات السوفيتية والكوبية • بينما اعتبرت اثيوبيا هذه السياسة من جانب الصومال عملا عدائيا وتدخلا فى الشـــئون الداخليـــة لجاراتها موجها ضد وحدتها الاقليمية • وتؤكد اثيوبيا ان هذه السياسة وما يترتب عليها هى خرق صريح لمبادىء منظمتى الأمم المتحدة والوحدة الافريقية ، وتعتبر ان لها حـــق الدفاع الشرعى عن وحـــدتها الاقليمية ، وبالتالى اخماد أية محاولة للانفصال من جانب الصوماليين بكل صراحة والعمل على كبح حركتهم القومية والحيلولة دون تدخل الصـــومال ، والواقع ان البلدين لم يدخرا وسعا فى هذا السبيل •

وتؤكد اثيوبيا ان من مصلحة الصومال قبول الأمر الواقع والا فانه قد يفقد كيانه واستقلاله •

وقد تعقدت مشكلة الحدود بسبب مواقف الدول الأطراف فى النزاع وسياساتها (٢) ، وفى ضوء ذلك ومنذ استقلال الصـــومال انعكس ذلك الوضع على توتر موروث فى العلاقة بينها وبين كبرى جارتها • فقد بدأت المشاحنات على الحدود منذ الاستقلال ولم تنته حتى الآن • وقد كان من الطبيعى أن تتعقد الأزمة لتصل الى حد المواجهة العسكرية الكاملة وهو الأمر الذى تكرر فى ثلاث موجات فى سنة ١٩٦٤ و ١٩٧٧/١٩٧٨ ، وسنة ١٩٨٢ مثلت حروبا فى منطقة القرن الافريقى (٣) •

---

(١) وقد انشىء « اتحاد شباب حركة تحرير الصومال الغربى » فى يونيو ١٩٧٩ . بهدف المشاركة التامة فى كفاح شعب الصومال الغربى .

عن برنامج تلك المنظمة انظر : «Memorandum Submitted by the Western Somali Liberation Movement Youth Union to the Delegations Participated in the 3rd Congress of Greek Communist Youth», April 1983.

(٢) لمزيد من المعلومات انظر : د. حورية توفيق مجاهد « مشـــكلة الحدود الصومالية . . » ، مرجع سابق ص ١٦ — ١٧ .

(٣) لمزيد من المعلومات انظر : صـــلاح الدين حافظ ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٢ .

وقد جاء أول جس نبض حقيقى للمواجهة عام ١٩٦١ من جانب الصومال — التى وقعت اتفاقية عسكرية مع الاتحاد السوفيتى لبناء جيشها — وذلك بعد محاولة الانقلاب ضد الامبراطور هيلاسلاسى سنة ١٩٦٠ وقد واكبها بداية الثورة الاريترية مطالبة بحق تقرير المصير مما دعم موقف الصومال معنويا على الأقل ، وجذب اهتمام الحكومة الاثيوبية التى سارعت بانهاء الاتحاد الفيدرالى مع اريتريا وادماجها فى الامبراطورية عام ١٩٦٢ . كما أعلن قيام « جبهة تحرير الصومال الغربى » المذكورة ومقرها الرئيسى مقديشو معطية دفعة للكفاح المسلح بعد ذلك .

والمواجهة الأولى : بدأتها الصومال عام ١٩٦٤ واستطاعت بالفعل ان تشعل الجبهة بينها وبين اثيوبيا فى منطقة الاوجادين بطول ٩٠٠ ميل ولكن انتهت تلك الجولة الأولى بعد شهرين من الحرب وذلك بتجميد الوضع بفضل جهود الوساطة فى اطار منظمة الوحدة الافريقية كما سيرد بحثه . وقد أسهم فى عدم تذكية اشعال تلك الحرب التمهيد لسياسة الوفاق بين الولايات المتحدة الامريكية — التى تساند اثيوبيا تقليديا — والاتحاد السوفيتى — الذى بدأ فى مساندة الصومال . وكما نجحت جهود الوساطة فى تجميد المواجهة المسلحة نجحت أيضا فى تجميد المواجهة الكلامية والحملات العدائية .

وقد طرأ تغير جوهرى على سياسة الصومال تجاه مشكلة الحدود بعد تغير الزعامة فيها فى يونيو سنة ١٩٦٧ وتقلد الدكتور عبد الرشيد شارماركى رياسة الدولة ، اذ أصبحت تتبع سياسة أكثر مرونة من السياسة السابقة قائمة على المصالحة بشأن الخلاف على الحدود بينها وبين جاراتها . وقد اتضحت هذه السياسة فى اتفاق أروشا فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ بينها وبين كينيا حيث اتفقتا على احترام كل منهما لسيادة الأخرى ووحدتها الاقليمية . كما عقدت اتفاقا بينها وبين اثيوبيا مسايرا لتلك السياسة وبالتالى انهيت حالة الطوارىء على الحدود وسمح للاجئين اليها بالعودة ، وازيلت القيود المفروضة على التجارة . وقد اتفقت الصومال واثيوبيا على عقد اجتماعات ربع سنوية بين المحافظين على أى من جانبى الحدود ، وانشاء لجنة عسكرية مشتركة للتأكد من تطبيق اتفاقية الخرطوم لعام ٦٤ (الخاصة بوقف الدعاية المعادية واطلاق النار) .

ولكن الحكومة الصومالية وان اعلنت تخليها عن المطالبة بمطالب اقليمية أو تعديل مباشر فى الحدود الا انها قد اعتبرت ذلك مجرد تغير تكتيكى بعد أن تبينت أن سياستها الأولى العسكرية قد القت عبئا ثقيلا على ميزانيتها وميزانية اطراف النزاع ، ولم تمكنها من كسب الرأى العام الأفريقى أو العالمى • وقد كان من أهم نتائج هذه السياسة المرنة حول الحدود هو مقتل الرئيس شارمركى ومجىء الرئيس سيادبرى والحكم العسكرى فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ الذى جعل نصب عينيه : الكفاح المسلح لتحقيق الوحدة القومية فى اطار الصومال الكبير • وبالتالى فقد ظهر للسطح من جديد الحل العسكرى وانتهى الانفراج بين الدول المتنازعة • وازداد اهتمام النظام العسكرى ببناء الجيش وطلب المساعدة من الاتحاد السوفيتى فى هذا الشأن خاصة بعد اتخاذ الاشتراكية العلمية كمحور لايديولوجية النظام •

وقد سرت عدوى الانقلاب العسكرى الى اثيوبيا فى سبتمبر ١٩٧٤ ليطيح بالنظام الاوتوقراطى للامبراطور هيلاسلاسى وليصل الكولونيل مانجستو الى الحكم • وان كانت الاطاحة بالنظام الامبراطورى قد دعمت طموحات الشعوب المختلفة فى المنطقة فى المطالبة بحق تقرير المصير ، الا أن النظام العسكرى الجديد أخذ بجدية المحافظة على الوحدة الأقليمية والقضاء على الحركات الانفصالية بالقوة المطلقة • وبدلا من أن يتقارب النظامان العسكريان الثوريان فى كل من الصومال واثيوبيا فقد تباعدا بل تواجها : فكانت المواجهة العسكرية الثانية فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ ، بعد ان تبدلت الادوار باتجاه اثيوبيا نحو الاتحاد السوفيتى واتباعها سياسة اكثر ثورية ، واتجاه الصومال نحو الولايات المتحدة الامريكية وطرد الخبراء والعسكريين السوفيت من قاعدة بربره ومقديشيو فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ وبعد قطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وحلول الامريكيين بدلهم •

وقد بدأت المواجهة باتهامات اثيوبيا للصومال بالقيام بدعم العصابات فى الاوجادين كذلك دعم الثورة الاريترية فضلا عن دعم العناصر المناهضة للحكومة الاثيوبية • وازداد الموقف اشتعالا بشأن جيبوتى فقد اتهم كل طرف الآخر بمحاولة ضمها • وقد تطورت المواجهة الى حرب واسعة استطاعت خلالها قوات « جبهة تحرير الصومال الغربى » ، المدعومة من الجيش الصومالى أن تسيطر على ٩٠٪ من منطقة الاوجادين وان تحرر

نحو ١٠٠ مدينة • بينما تقهقرت القوات الاثيوبية وما لبثت بدعم السوفيت والقوات الكوبية أن استطاعت ان تحقق هجوما مضادا لم يقتصر على الاوجادين بل تعداه الى اراضى الصومال نفسها فى الشمال وانسحبت قوات جبهة تحرير الصومال الغربى والجيش الصومالى بفضل تخطيط السوفيت وما عرف « بكماشة الجنرال بتروف » (١) ، الذى طوق القوات الصومالية وحقق نصرا خاطفا •

وهكذا انتهت المواجهة الثانية لا بالحل الديبلوماسى السلمى كما كان الحال بالنسبة للحرب الأولى سنة ١٩٦٤ ، ولكن بهزيمة للصوماليين بعد نصر كاسح نتيجة لالقاء الاتحاد السوفيتى بثقله ومن ورائه القوات السوفيتية والكوبية ودول أوروبا الشرقية •

اما المواجهة العسكرية الثالثة : فعلى الرغم من رغبة الصومال كما عبر عنها الرئيس سياد برى فى قيام حوار مع اثيوبيا لحل مشاكل الحدود سلميا ، وذلك بعد ما اتضح من الجولة الثانية مدى التفوق العسكرى لاثيوبيا بدعم الاتحاد السوفيتى ، بينما لا تلقى هى نفس التأييد ولكنها لم تستطع النجاح فى ذلك ، فى ضوء نمو النزعة العسكرية الاثيوبية • وقد تفجر الموقف فى يوليو ١٩٨٢ وكان البادىء بالطبع هو القوات الاثيوبية التى قامت بتوجيه ضربتها لأراضى الصومال نفسها حيث قامت بغزوها بالاسلحة الحديثة السوفيتية ، وبمساعدة القوات الكوبية والسوفيتية وكذلك بجنود من اليمن الديمقراطية كما تلقت مساعدات اقتصادية من ليبيا • (وذلك فى ظل اتفاقية الدفاع المشترك التى عقدت بين ليبيا واثيوبيا واليمن الديمقراطية) ، وكان دعم الولايات المتحدة للصومال ليس كافيا وان حاولت السعودية ان تسد الفراغ بالمساعدة بالسلاح • وقد تبلورت فى القطاع الأوسط : « الجبهة الديمقراطية لتحرير الصومال » وهى المنشقة على جمهورية الصومال والمناهضة لحكم سياد برى والمدعومة من اثيوبيا • والتى اعلنت ان الاشتباكات التى تدور فى الصومال هى اشتباكات داخلية بينها وبين الجيش الصومالى (٢) •

---

(١) وهو النائب الأول لقائد القوات البرية السوفيتية .

لمزيد من المعلومات انظر لواء حسن البدرى ، « كماشة بتروف فى القرن الافريقى » ، الاهرام ١٣ مايو ١٩٧٨ .

(٢) مقديشو ، وكالات الانباء ، الاهرام فى ١٩٨٢/٧/١٣ ص ٤ .

وقد وصل القتال الى بضع مئات من الكيلو مترات من مقديشو • وقد اعلنت الصومال أن هناك قوات كوبية والمانية شرقية تحارب مع القوات الغازية (١) • وقد اعلنت الولايات المتحدة قلقها ازاء ذلك ، بينما طالبتها الصومال بالمزيد من الاسلحة لمواجهة الغزو ، كما اعلن وزير الدفاع الصومالى ان القوات الاثيوبية توغلت ٣٠ كم فى جبهة عرضها ٤٠٠ كم (٢)• وفى الوقت الذى أعلنت فيه ليبيا أنها تساعد الجبهة المعارضة للصومال ، أعلنت الولايات المتحدة انها تقوم بمد الصومال بالأسلحة لمواجهة العدو الاثيوبى (٣) •

وقد جدد الرئيس سياد برى فى أغسطس ١٩٨٢ رغبته فى اجراء مفاوضات ومحادثات مع اثيوبيا بهدف التوصل لتسوية النزاع حول الاوجادين كما طالب من جديد بحق المصير بالنسبة لشعب الاوجادين (٤) • وقد جدد الصومال من جديد بعدها بأيام نفس الدعوة على شكل اقامة مفاوضات مباشرة لانهاء النزاع بين البلدين • وفى اكتوبر ١٩٨٢ تصدت القوات الصومالية للطائرات الاثيوبية التى قصفت ٣ مدن وقرى صومالية • وقد كرر الصومال من جديد فى مارس ١٩٨٣ ان اثيوبيا تستعد لشن هجوم على الصومال وكرر دعوته من جديد للتفاوض ولكن بعد انسحاب القوات الاثيوبية من الاراضى الصومالية وذلك من اجل تسوية مشرفة •

وفى مايو ١٩٨٣ رحب الرئيس الصومالى بالمساعى السلمية المصرية ـ الايطالية لحل النزاع الصومالى ـ الاثيوبى وابدى استعداده لمقابلة الرئيس الاثيوبى فى أى مكان وزمان ودون أى شروط مسبقة بمجرد انسحاب القوات الاثيوبية من الأراضى الصومالية التى احتلتها •

هذا ولم تنته المناوشات فى منطقة الحدود ، وكان آخرها ما اعلنته الحكومة الصومالية مؤخرا بأن اثيوبيا جددت الاشتباكات فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٨٤ • هذا على صعيد المواجهة العسكرية • ولكن ترتب على تلك المشكلات الخاصة بالمواجهات المسلحة ان تفاقمت مشكلة أخرى تابعة هى

---

(١) واشنطون وكالات الانباء ، الاهرام فى ١٩٨٢/٧/١٤ ص ٤ .
(٢) مقديشو ، وكالات الانباء ، الاهرام فى ١٩٨٢/٧/٣١ ص ٤ .
(٣) مقديشو ، وكالات الانباء ، الاهرام فى ١٩٨٢/٧/٢٤ ص ٤ .
(٤) مقديشو وكالة الانباء ، الاهرام فى ١٩٨٢/٨/١١ ص ٤ .

مشكلة اللاجئين فى القرن الأفريقى التى تعد من أخطر مشاكل اللاجئين فى أفريقيا الذين قدر عددهم سنة ١٩٧٨ بحوالى ٥٥٠ ألف شخص ، وتزايد الى مليون عام ١٩٨٠ . وقد تفاقمت المشكلة بفعل المجاعة التى عمت المنطقة . ومثلت عبئاً اضافيا على حكومة الصومال . وقد أهابت منظمة الصليب الأحمر بكافة الدول والمنظمات عام ١٩٧٩ بضرورة مساعدة اللاجئين فى الصومال نظرا للاوضاع السيئة التى يواجهونها مع تفشى الاوبئة .

وعلى صعيد آخر ومناهضة للسياسة الصومالية اتبعت اثيوبيا ، حفاظا منها على الوحدة الاقليمية ، سياسة استيعاب للصوماليين فى الحياة السياسية والاقتصادية بل حتى الاجتماعية فأنشأت المدارس وأخذت تنشر ثقافتها فى المنطقة التى يكثر فيها الصوماليون ولم تتعرض من قبل لهذا النشاط ، كما تعمل على انفاق جزء من ميزانيتها للتنمية الاقتصادية فى هذه المنطقة (١) . وقد اتبعت بعد ١٩٧٩ سياسة ابعاد ابعاد الصوماليين عن المناطق الزراعية وتوطين غيرهم فيها .

المبحث الثالث : المشكلة فى المجال الدولى

اولا : موقف منظمة الوحدة الافريقية والمساعى الحميدة المبذولة لحل المشكلة :

ومع قيام منظمة الوحدة الافريقية اعتبرت الأمم المتحدة هذه المنظمة وفقا للمادة ٥٢ من ميثاقها ، انها المنظمة الاقليمية المسئولة عن حفظ السلم والأمن فى منطقتها ، وبالتالى تركت لها حل هذا النزاع المحلى بين هذه الدول الافريقية المستقلة الاعضاء فيها . ومن الجدير بالذكر ان الدول الافريقية نجحت فى ابقاء محاولات حل منازعاتها فى نطاق افريقى بدلا من الالتجاء الى المنظمات او الوساطة الاجنبية وذلك تمشيا مع مبادىء المنظمة .

وتقوم سياسة منظمة الوحدة الافريقية تجاه مشاكل الحدود فى افريقيا بصفة عامة ، على رفض النظر الى المشكلة فى ضوء الاعتبارات القانونية أى أنها ترفض تطبيق حق تقرير المصير بالنسبة لمشاكل الحدود بعد

---

(١) انظر Ethiopian Ministry of Foreign Affairs Press Release, 4 Jan. 1964. in Hoskyns op. cit., p. 44.

نيل الاستقلال • وترى المنظمة بصفة عامة ضرورة تقبل الحدود القائمة كما هى (١) • وقد ورد فى الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من ميثاق المنظمة نص يقضى بمبدأ احترام الدول للسيادة ، والوحدة الاقليمية لكل منها ولحقوقها الأصيلة فى الوجود المستقل • كما جاء ذكر نفس المعنى فى الفقرة السابقة من الديباجة ، وفى الفقرة حـ من المادة الثانية الخاصة بالأهداف • ومع انه لم يرد بالميثاق نص صريح عن احترام الحدود السياسية ، الا ان مؤتمر القمة الأول بالقاهرة فى يوليو ١٩٦٤ اصدر قرارا يؤكد على قدسية الحدود ووجوب احترامها وعدم المساس بها ، ويعتبر ذلك مبدأ اساسيا يحكم العلاقات الدولية بين الدول الافريقية وقد جاءت هذه السياسة تمشيا مع الاعتبارات الواقعية العملية وانعكاسا للرأى الغالب بين الدول الافريقية المستقلة ، من انه ليس من الممكن ولا من المفضل اعادة النظر الآن فى شأن الحدود المصطنعة ، وفى تعديل حدود الدول على أساس العنصر ، أو الدين أو العوامل اللغوية أو غيرها ، لانه لو أخذت بهذه الأسس فى وضع الحدود من جديد ، فان عددا كبيرا من الدول الافريقية قد يختفى من الخريطة •

وبناء على ذلك الزمت دولها بالمحافظة على الوضع القائم فيما يتعلق بالحدود والعمل على حل مشاكلها بالطرق السلمية • وقد انشىء جهاز خاص لحل المشاكل عن طريق التفاوض وهو « لجنة الوساطة والتوفيق والتحقيق » ولكن ليس لهذه اللجنة صفة قضائية وليس لها قوة فرض العقوبات بل انها تستمد قوتها من ارادة الاعضاء •

ويلاحظ ان موقف منظمة الوحدة الافريقية هذا يساند موقف أثيوبيا ويخالف سياسة الصومال ــ التى تحفظت على الفقرة الثالثة من المادة الثالثة المذكورة عند انضمامها للمنظمة (٢) • وهى تلقى القليل من التأييد

---

(١) انظر : Samuel Chime, «The Organization of African Unity & African Boundaries», in Widstrand, op. cit., pp. 65-78. pp. 65-78.

انظر ايضا : General Record of the First Assembly of Heads of State & Government, O A.U., Addis Ababa, May, 1963.

(٢) وقد شاركتها المغرب فى ذلك الموقف .

ولمزيد من المعلومات عن مواقف الدول المختلفة انظر :

د. بطرس بطرس غالى ، العلاقات الدولية فى اطار منظمة الوحدة الافريقية ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ .

من الدول الافريقية لأن غالبية هذه الدول تعاني من نفس مشكلة أثيوبيا وهى أنها تضم العديد من الجماعات المفتقرة الى التجانس البشرى الذى يتمتع به الصوماليون وهذا ما حدا بالصومال الى عدم التعويل على منظمة الوحدة الافريقية اذ لا تجد لديها تقبلا لرأيها من أن لها الحق فى تقرير مصيرها وان مشكلتها فريدة تستحق حلا فريدا •

وموقف منظمة الوحدة الافريقية وهو يعكس آراء دولها الاعضاء يعتبر مخالفا تماما للقرارات التى صدرت عن مؤتمرات الشعوب الافريقية فى الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٢ وقد ضمت هذه المؤتمرات ممثلى الأحزاب والطوائف العمالية والحركات القومية فى افريقيا ونادت بضرورة تعديل الحدود المصطنعة التى فرضها الاستعمار ، وايدت المطالب الاقليمية للصومال • وعليه فقد وجدت الصومال — لا أثيوبيا وكينيا — تأييدا مباشرا منها • ويفسر البعض النشاط الايجابى لاثيوبيا فى مجال الوحدة الافريقية بمثابة محاولة لمجابهة القومية الصومالية والحصول على التأييد الافريقى فى مشكلة الحدود •

وقد بذلت محاولات متعددة لحل مشكلة الحدود بين الصومال وأثيوبيا وكينيا داخل اطار المنظمة • وجاء ذكر الموضوع فى المنظمة فى مؤتمرها التأسيسى سنة ١٩٦٣ ولكنه لم يتعد القاء الخطب وتبادل الاتهامات بين وفدى أثيوبيا والصومال •

ورغم تفاقم الخلاف واشتداد حدته بين الصومال وكل من كينيا وأثيوبيا ورغم بحثه فى اجتماعات مجلس وزراء المنظمة فى دار السلام ولاجوس فى فبراير سنة ١٩٦٤ ، لم يتخذ اجراء ايجابى • ففى الاجتماع الأول أمكن التوصل الى قرار — بضرورة حل المشاكل داخل نطاق المنظمة ودعوة الطرفين — أثيوبيا والصومال — الى مراعاة وقف اطلاق النار ، ووضع حد للدعايات المعادية وكذلك الشروع فى المفاوضات بغية الوصول الى حل سلمى • ولكن المنظمة لم تتخذ خطوة ايجابية لتنفيذ هذا القرار ، وان كان وقف اطلاق النار قد تم بالفعل غير أنه كان عن طريق وساطة الرئيس السودانى عبود • وعندما بحث الأمر للمرة الثانية فى الاجتماع الثانى لم يستطع المجلس الوصول الى قرار بتلبية طلب الصومال الداعى الى ارسال مراقبين من المنظمة للاشراف على وقف اطلاق

النار بسبب جهـود أثيوبيا فى سـبيل عرقلته فقد نادت بأنه يجب على الصومال ان تتنازل أولا عن مطالبها الاقليمية وتوافق على الحدود القائمة، تعنى بذلك اجتثاث المشكلة من جذورها بدلا من ارسـال مراقبين • ومؤدى ذلك أن ما عمله المجلس هو الاشارة الى المادة الثالثة من الميثاق الخاصة باحترام سيادة الدول الاعضاء ووحدتها الاقليمية •

ولما تردت العلاقات من جديد بسبب مشكلة الحدود بعد عقد معاهدة الدفاع المشـترك بين أثيوبيا وكينيا وعرض الموضوع ثانية على مجلس الوزراء المنعقد فى القاهرة قبل مؤتمر القمة سنة ١٩٦٤ ، وبعد الاستماع الى المناقشات الحامية التى وضحت جليا الانقسامات الكثيرة بين الدول الأعضاء ، انتهى المجلس الى سحب الموضوع من جدول أعماله خاصة بعد أن طلب الصومال سحبه على أثر التغيرات الدستورية فى الصومال •

ولما تجددت الحوادث وطلب الصومال من المنظمة فى مارس سـنة ١٩٦٥ ارسال لجنة لبحث موقف اللاجئين الصوماليين الذين فروا من أثيوبيا وكينيا ، لم تبحث المنظمة الموضوع • وفى خلال ١٩٦٥ بذلت المسـاعى من اطراف النزاع لحلها ثنائيا • ومع ان المساعى الثنائية لاثيوبيا والصومال قد حققت فى مؤتمر القمة باكرا نجاحا يسيرا ــ فتوصل الطرفان الى اتفاق غير رسمى لوقف الدعاية المعادية وعلى بداية المفاوضات من حيث المبدأ (١)، فشلت مساعى كينيا والسودان رغم وساطة الرئيس نيريرى فى اجتماع أروشا بسبب عدم قبولهما للمساومة •

وفى مؤتمر كينشاسا سنة ١٩٦٧ لقيت محاولات الرئيس كاوندا ــ رئيس جمهورية زامبيا ــ نجاحا فى الوساطة بين كينيا والصومال ومن ثم وقع اتفاق فى اكتوبر من العام نفسه وحيث وقعوا على مذكرة تفـاهم بينهما • كما تم أيضا التقارب بين أثيوبيا والصومال عن طريق المفاوضات الثنائية وان كانت قد تمت خارج نطاق المنظمة •

وقد قرر مؤتمر القمة فى أديس أبابا سنة ١٩٧٣ ــ نتيجة حضـور الرئيس سياد برى وطلبه بحث مسألة الحدود الاثيوبية على الحدود ــ

---

(١) انظر قرارات المؤتمر فى هذا الشأن :
OAU. Mimeographed Texts, Feb., 1964.

تكوين لجنة للوساطة والتوفيق (١) بين اثيوبيا والصومال . ولكنها لم تجتمع سوى مرة واحدة وذلك بعد تفجر الموقف من جديد فى الأوجادين عام ١٩٧٧ وذلك نتيجـة لطلب اثيوبيا بحث العدوان الصـومالى على أراضيها . وقد عقدت اللجنة بالفعل اجتماعها ـ فى الجابون ـ برئاسة الرئيس الجابونى عمر بونجو وذلك بحضـور وزيرى خارجية اثيوبيا والصومال ، وان كان الأخير قد انسحب عند رفض الموافقة على حضور ممثلى « جبهة تحرير الصومال الغربى » والاستماع لهم على اساس أنها هى التى تقوم بالعمليات العسكرية وليست القوات المسلحة الصومالية . وقد فشلت جهود أحياء عمل اللجنة من جـديد بعد الهجوم الاثيوبى المكثف فى ابريل سنة ١٩٧٨ ، حيث رفضت اثيوبيا اجراء مفاوضات من خلال المنظمة وهو الأمر الذى طلبته الصومال ، وان كان قد تم الاتفاق فى مجلس الوزراء على مشروع قرار يدعو الدولتين الى الانسحاب الفورى لقوات كل من الطرفين الى مسافة ٥ كيلو متر من الحدود . ولكن فشل المؤتمر فى الوصول الى قرار نتيجة اعتراض اثيوبيا (٢) . وكل ما قامت به المنظمة هو مناشدة كل من اثيوبيا والصومال سرعة انهـاء الصراع فى الاوجادين بالطرق السلمية . وقد استندت فى هذا على قرار مؤتمر القمة سنة ١٩٦٤ والخاص بالتأكيد على مبدأ احترام الحدود بين الدول الافريقية كما كانت وقت الاستقلال كأساس للعلاقات بين الدول الافريقية . وان كانت المنظمة قد اتخذت فى مؤتمر القمة الثانى عشر فى نيروبى من ٢٤ الى ٢٨ يوليو ١٩٨١ ، خطا يعد جديدا حيث يخرج عن مجرد التأكيد على المبادىء العامة ، تبنت فيه الوفود قرارا يؤكد على ان الاوجادين تشكل جزءا متكاملا من اثيوبيا . اما بعد قيام المواجهة العسكرية الثالثة عام ١٩٨٢ فقد اكتفت المنظمة بتوجيه نداء الى الصومال واثيوبيا لوقف اطلاق النـار .

يخلص مما سبق ان المنظمة التى ترى تقبل الوضع القائم لم تتخذ موقفا ايجابيا للاسهام فى حل مشكلة الحدود هذه . فقد فشـلت فيما نجحت فيه مساعى دولة صـديقة وهو وقف اطلاق النار بين الاطراف

---

(١) وتتكون من ممثلى كل من : نيجيريا ، ليبريا ، السنغال ، السودان: الكاميرون ، تنزانيا ، موريتانيا ، ليسوتو .

(٢) د. سـلوى محمد لبيب ، مؤتمر القمة الافريقى فى الخرطوم ، السياسة الدولية ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٣ .

المتخاصمة وذلك عند المواجهة المسلحة الاولى ، كما فشلت ايضا ولم تنجح جهود الوساطة فى المواجهة الثانية التى حسمت عسكريا • كما ان انقسام المنظمة على نفسها أدى بها أكثر من مرة الى أن تلجأ الى أحد أمرين : أما اجتناب بحث الموضوع او العجز عن الوصول الى قرار فيه وخاصة فيما يتعلق باقتناع أثيوبيا بتمكين لجنة من لجان المنظمة فى الاشراف على وقف اطلاق النار ، ثم عندما طلبت الصومال تأليف لجنة للتحرى عن وضع اللاجئين • غير أنه مما يجدر ذكره فى هذا المقام أن مجرد كون الأطراف الرئيسية للنزاع ، وهى أثيوبيا والصومال فضلا عن كينيا ، اعضاء فى المنظمة قد يسر مهمة التقريب بينها اذ ساعدت مؤتمرات القمة على الجمع بين بعضها وبعض مما فتح الباب لوساطة الدول الصديقة وبذل المساعى الحميدة التى انتهت بالفعل الى حل المشكلة ولو مؤقتا فى حالة المواجهة العسكرية الأولى • وما زالت جهود الوساطة لحل النزاع مستمرة ومن آخر المحاولات دعوة الرئيس نميرى سنة ١٩٨٢ ، والمساعى المصرية فى ابريل ١٩٨٣ ، ولم تستطع المنظمة حتى الآن القيام بدور فعال فى التقريب بين الدولتين لاجراء المفاوضات التى أصبحت الصومال تدعو اليها لحل النزاع •

ثانيا : تأثير مشكلة الحدود فى العلاقات الدولية والسياسة الخارجية لأطراف النزاع :

ان تفهم مشكلة الحدود الصومالية لا يكتمل الا بالقاء الضوء على العامل الاجنبى الذى فرض نفسه على تلك المشكلة سواء فى نشأتها أو فى تحريك مسارها واستمراريتها ، على الرغم من تغير الفاعلين •

ولما كانت الدول أطراف النزاع تعتبر سياستها تجاه مشكلة الحدود تعبيرا عن مصالحها القومية ، فقد نجم عن هذا أن تأثرت علاقاتها بالعالم الخارجى ، اذ أدت هذه المشكلة فى البداية الى تعكير هذه العلاقات وايجاد سوء التفاهم بين الصومال والدول الغربية (١) • فالصومال يلوم الدول الاستعمارية أساسا لخلقها هذه المشكلة فى القرن التاسع عشر خدمة لمصالحها على حساب الشعب الصومالى عن طريق تقسيمه • وهو يلوم بريطانيا خاصة لاعطائها منطقة الأوجادين وغيرها لأثيوبيا بعد الحرب

(١) انظر : د. حورية توفيق مجاهد ، « مشكلة الحدود الصومالية » ، مرجع سابق ، ص ١٠ •

العالمية الثانية ولأنها لم تحل مشكلة الحدود مع كينيا قبل استقلالها عندما كان حلها بيد بريطانيا (١) ، بل أنها اغفلت رغبة الصوماليين فى الاقليم الشمالى لكينيا أمام لجنة التحرى حيث وجد أن ٨٠٪ منهم يؤيدون الانضمام للصومال بدلا من البقاء تحت حكم نيروبى بعد الاستقلال • ذلك لان بريطانيا ترى صالحها فى ابقاء مشاكل الحدود فى منطقة القرن الأفريقى دون حل • هذا فضلا عن أنها تلقى اللوم عليها ايضا لمساعدتها العسكرية المستمرة لكينيا ـ حليفة أثيوبيا (٢) •

ومن ناحية أخرى تلقى الصومال اللوم على فرنسا لاطالة فرض سيطرتها على الصومال الفرنسى واستغلالها هذه السيطرة فى تزكية الانقسامات القبلية ـ بمناصرة العفاريين الدناقل ضد العيسى الصوماليين وقلب التوازن لصالحهم بعد سنة ١٩٦٢ بتصويت الصوماليين فى الاستفتاء بالاستقلال ـ وبالتالى توجيه مصير الصومال الفرنسى واخماد الحركة القومية الصومالية هناك والتعبير عنها بتغيير اسم الأقليم الى « العفار والعيسى » حتى وصلت به الى الاستقلال تحت اسم جمهورية جيبوتى • وقد تقاربت أهداف فرنسا واثيوبيا فى استمرار الأمر الواقع فى منطقة القرن الأفريقى : حيث رغبت فرنسا فى السيطرة على ميناء جيبوتى بأهميته الاستراتيجية البالغة ـ وكان آخر موضع قدم لها فى أفريقيا حتى استقل ، بينما رأت اثيوبيا صالحها القومى فى استمرار استخدام ميناء جيبوتى وهو منفذها الرئيسى على البحر بالسكة الحديد التى تربطها به •

واخيرا القت الصومال اللوم على الولايات المتحدة الأمريكية أيضا للمساعدات الكبيرة التى بذلتها لاثيوبيا ، ركيزتها التقليدية فى افريقيا ؛ فى حين رفضت الاشتراك جديا فى بناء الجيش الصومالى بعد الاستقلال • فكان طبيعيا ازاء تدهور علاقات الصوماليين مع الغرب ومع وجود مشكلة الحدود قائمة ، ان اتجهت الصومال نحو المعسكر الشرقى وبخاصة نحو

---

(١) نتج عن اعلان بريطانيا فى مارس سنة ١٩٦٣ اعتبار الحدود الشمالية الاقليم السابع لكينيا ان قامت حكومة الصومال بقطع العلاقات معها .

(٢) لمزيد من المعلومات عن راى الصومال فى موقف بريطانيا من مشكلة الحدود هذه انظر :

Somali Government, The Issue of the Northern Frontier District, (1963), pp. 73/4.

الاتحاد السوفيتي ووقعت معه الاتفاقية العسكرية الأولى سنة ١٩٦١ ، وقام الاتحاد السوفيتي بمدها بالاسلحة وبناء الجيش الصومالى خاصة منذ ١٩٦٣ . وقد كانت هـذه هى الخطوة الأولى فى بداية فتح منطقة القرن الافريقى للتوازن العالمى بين القوتين العظميين . وقد ازداد هـذا الاعتماد بعد مجيء الرئيس سياد برى للحكم ، وحرصه على بناء جيش صومالى قوى . وقد نجح بالفعل فى أن يصبح للصـومال واحـد من أقوى الجيوش فى أفريقيا جنوب الصحراء . وقد ذهب التعاون مع الاتحاد السوفيتى الى حد عقد معاهدة صداقة وتعاون بين الدولتين عام ١٩٧٤ . مع منح الاتحاد السوفيتى تسهيلات بحرية فى مينائى بربرة ومقديشـيو وقد اعتمدت الصومال على الاتحاد السوفيتى من الناحية العسـكرية ، بالاضافة الى المعونات اليسيرة التى تلقتها من الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا الغربية وايطاليا .

ولما كانت أثيوبيا تتمتع بتأييد دولى كبير سواء فى أفريقيا وفى العالم عامة نظرا الى موقفها من مشكلة الحدود ، فقد أدى قيام هذه المشكلة الى زيادة التقارب بينها وبين الغرب واعتمادهـا عليه كلية من الناحيـة العسكرية . فأثيوبيا ولديها أكبر ثانى جيش فى ارفيقيا اعتمد على الولايات المتحدة التى أمدتها بأكثر من نصف جملة المعونة العسكرية التى أمدت بها بقية الدول الافريقية فى ظل هيلاسلاسى . ومجمل القول يمكن أن يقال ان مشكلة الحدود فى منطقة القرن الافريقى قد انفضت الى دخول المنطقة فى اعتبارات توازن القوى العالمى ، مما أثر فى مسار المشكلة نفسها كما اتضح فى المواجهات العسكرية التى ترجمت المواجهة الثانية منها التفوق العسكرى الكبير للصومال ومن ورائها المساعدات العسكرية السوفيتية .

تبدل الأدوار مع استمرار الاستراتيجيات :

ولكن الحدث الأساسى الذى أثر على مجريات الامور فى المنطقة عامة وفى مشكلة الحدود خاصة هو قيام الانقلاب العسكرى فى اثيوبيا سنة ١٩٧٤ والاطاحة بحكم الامبراطور الذى توفى بعدها بعام كما توفى ولى العهد فى المنفى ، ومجيء حكومة مانجستو ذات الاتجاه الماركسى المعلن . وقد سارع الاتحاد السوفيتى بتأييد النظام الثورى العسكرى فى أثيوبيا ، ولكن كان عليه الاختيار بين الصومال حليفته الأصلية ، وبين اثيوبيا ــ

حليفة الولايات المتحدة الامريكية والغرب تقليديا ، بعد أن فشل فى تكتيك جمعهما كنظم ثورية ليكونوا محورا مع اليمن الديمقراطية يضمن احكام السيطرة على تلك المنطقة الاستراتيجية ، حيث فرضت مشكلة الحدود بين البلدين نفسها بما تتطلبه من اتخاذ موقف واضح تجاهها مترجما فى شكل مساعدات عسكرية ملحة تحقيقا للصالح القومى الأسمى الذى تخطى حدود النظام السياسى وتغيره • وباختصار يمكن القول أن اختيار الاتحاد السوفيتى جاء فى جانب الورقة الاثيوبية على حساب العلاقة مع الصومال• وقد جاءت هذه الخطوة بعد حساب دقيق للمكاسب والخسائر ، حيث اثيوبيا فى نفس الوقت الذى تضمن فيه التواجد فى منطقة القرن الأفريقى ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة التى طالما استأثر بها الغرب ، تضمن عمقا فى داخل القارة وتحكما فى منابع النيل ، فضلا عن أنها تمثل ارضا خصبة لنشر الافكار الماركسية عن الصومال بنزعتها القومية الدينية الغالبة• وعليه ففى الوقت الذى تدهورت فيه العلاقات بين الصومال والاتحاد السوفيتى بفعل توجهه نحو اثيوبيا ودعمها ، فكان ان قام الصومال بالتوجه نحو الغرب وطرد الخبراء السوفيت سنة ١٩٧٧ من قاعدة بربره البحرية ومنع التسهيلات البحرية الاخرى وغيرها ، تدعمت العلاقات بين اثيوبيا والاتحاد السوفيتى فوقعت بينهما فى سنة ١٩٧٨ اتفاقية صداقة وتعاون لمدة ٢٠ سنة نص فيها على : « مواصلة التعاون فى المجال العسكرى بهدف ضمان القدرة الدفاعية لاثيوبيا » • وتتاجا لهذا انهالت المساعدات السوفيتية على اثيوبيا ، ليس فقط فى شكل اسلحة وعتاد ولكن فى شكل آلاف الخبراء والجنود الكوبيين (١) ، مع مئات المستشارين المدنيين • كما اسهمت دول أوروبا الشرقية وخاصة المانيا الشرقية فى المساعدة • مما حول هزيمة اثيوبيا فى اثناء الجولة الثانية بينها وبين الصومال الى نصر ، ومما قلب الوضع والتوازن فى المنطقة كما سبق توضيحه •

وعليه فقد تغيرت المواقع والادوار وأن لم تتغير الدول : حيث سياسات الدول الكبرى محققة من خلال تواجدها فى المنطقة وان اختلفت الكفة التى تلقى فيها بثقلها : فتحول الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية

---

(١) أسعد غوثانى ، احداث القرن الافريقى وحقيقة الصراع الاريترى — الاثيوبى ، بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٠ ، ص ٧٩ .

الى جانب اثيوبيا ، وتحولت الولايات المتحدة والدول الغربية الى جانب الصومال • وقد تم فى اغسطس سنة ١٩٨٠ توقيع اتفاق يسمح بموجبه للولايات المتحدة باستخدام التسهيلات البحرية فى بربره ومقديشيو التى تمتع بها الاتحاد السوفيتى من قبل • وان كانت المساعدة العسكرية والاقتصادية التى يتلقاها الصومال لا تواكب ما يغدقه الاتحاد السوفيتى على اثيوبيا (١) • ومن الجدير بالملاحظة ان الولايات المتحدة ما زالت تقدم هى وغيرها من الدول الأوروبية المساعدات لاثيوبيا رغم الاتجاهات الايديولوجية لحكومة مانجستو • فهى لم توصد الباب تماما بل تركته مفتوحا : حيث لا ترغب فى ترك المجال تماما فى اثيوبيا بما لها من ثقل للاتحاد السوفيتى ، كما أن الاعتقاد السائد هو أن تردى الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى أثيوبيا سيكون من نتيجته النهائية العودة لحظيرة الغرب ، فضلا عن أن انتصار حركات التحرير ضد اثيوبيا وحسم الخلاف حول الحدود لغير صالحها سيحول البحر الأحمر الى بحر عربى — اسلامى تماما — حيث اثيوبيا هى الدولة المسيحية وغير العربية الوحيدة فى تلك المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية البالغة كما أن الولايات المتحدة ومعها الدول الغربية أخذت موقف الرغبة فى عدم التورط فى النزاع بشأن الحدود بعد تفجره سنة ١٩٧٧ (٢) ، وعلى الرغم من القاء الاتحاد السوفيتى بثقله الى جانب أثيوبيا فحتى ما قدمته الولايات المتحدة من مساعدة للصومال فى ظل الاتفاقية بينهما والتى حصلت فى مقابلها على التسهيلات البحرية الهامة المذكورة وحلت فيها محل الاتحاد السوفيتى ، اشترط فى نفس الاتفاقية على أن يستخدم لاغراض الدفاع ولا تستخدمه الصومال ضد جاراتها ، أى لا تستخدمه ضد اثيوبيا (٣) • وهى عامة تحرص على عدم تحقيق الصومال انتصارات فى المشكلة لكل ما سبق توضيحه فضلا عن

---

(١) وقد اقام الاتحاد السوفيتى اكبر جسر حربى فى التاريخ بينه وبين اثيوبيا لنقل الاسلحة والعتاد وكذلك نقل القوات الكوبية •

(٢) انظر : Zaki Laidi, « Grandes manœuvres et petits pas sur les rives de l'ocean Indien», in Politique Africaine, I (2), Mai 1981, p. 69.

ولمزيد من المعلومات عن حجم المساعدات السوفيتية والأمريكية للاطراف المتنازعة انظر : ص ٥٩ — ٧٣ •

(٣) لمزيد من المعلومات عن الاتفاقية ونصوصها انظر :
Politique Africaine, Mai 1981, pp. 74-75.

ان فى انتصارات الصومال احياء لهدف الصومال الكبير بما يؤثر على حساب كل من كينيا – ذات التوجه الغربى الرأسمالى – وجيبوتى التى تشاركها نفس التوجه فضلا عن اهميتها الخاصة لفرنسا بالذات واستمرارية تواجدها بها رغم استقلالها الذى لم يغير كثيرا فى العلاقة بينهما • وهى تكرر دعوة الاطراف المتنازعة الى ضرورة الحل السلمى ، ومن الجدير بالملاحظة ان ايطاليا نشطت سنة ١٩٨٣ فى جهود الوساطة لحل المشكلة •

أما اسرائيل : فان العلاقة بينها وبين اثيوبيا وطيدة وتاريخية ، يزكيها مصالحها الامنية فى المنطقة وخوفها من تحكم العرب فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر – كما اتضح من اغلاق البحرية المصرية لباب المندب سنة ١٩٧٣ – بما يؤثر على أمنها وتجارتها وخاصة بعد انشاء خط الانابيب بين ايلات وعسقلان على البحر الابيض ، فضلا عن مصالحها فى التغلغل فى أفريقيا • واذا كانت الولايات المتحدة قد قطعت امداداتها العسكرية عن اثيوبيا بعد سنة ١٩٧٧ ، الا ان اسرائيل لم تسايرها تلقائيا حيث ظلت تساند اثيوبيا فى حربها ضد الصومال ، الأمر الذى يفسره البعض على أنه أحد الابعاد التكتيكية للسياسة الأمريكية تجاه اثيوبيا وظلت البعثة العسكرية الاسرائيلية تعمل بنشاط فى دعم اثيوبيا فى مواجهة الصومال ، حقيقة ان اعلان وجود المساعدة العسكرية رسميا بواسطة وزير الخارجية الاسرائيلية – قد أدى الى طرد البعثة العسكرية من اثيوبيا سنة ١٩٧٨ ، الا ان الأمر لم يستمر حيث أن اثيوبيا تحارب على اكثر من جبهة •

أما عن الدول العربية : فمن ناحية ، الصومال دولة عربية وعضو بجامعة الدول العربية منذ سنة ١٩٧٤ ، ومن ناحية أخرى فان منطقة القرن الأفريقى تدخل ضمن نطاق الأمن القومى العربى (وما عرف بحزام الأمن العربى) والرغبة فى جعل البحر الأحمر بحيرة عربية • ومن الواضح انه لم يتخذ موقفا جماعيا واضحا فى ظل الجامعة العربية تجاه المشكلة حتى بعد تفجرها ، حيث المنظمة نفسها مفككة وضعيفة • أما المواقف الفردية فيمكن أن نلاحظ عامة وجود اتجاهين رئيسيين للدول العربية : اتجاه يتعاطف مع الصومال فى المشكلة وان تفاوتت المواقف والدرجات من ذلك السعودية ، ومصر ، والسودان ، واتجاه آخر يساند اثيوبيا ليس بمجرد التعاطف ولكن بالدعم المباشر : ويتمثل فى ليبيا ، واليمن الديمقراطية •

فالسعودية هى أهم الدول العربية من حيث تقديم المساعدات المباشرة للصومال فى مواجهة مشكلة الحدود مع اثيوبيا ، ووراء هذه المساعدة مزيج من العوامل الامنية ، والدينية ، والايديولوجية • وتقوم السعودية بمحاولة ســد الفراغ الناتج عن عــدم مواكبة الولايات المتحدة والدول الغربية للمساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى لاثيوبيا • فالاســلحة الغربية تصل للصومال بجهود وأموال سعودية •

أما عن مصر فهى تتخــذ موقف الدبلوماســية الهادئة الهــادفة الى المصالحة بين الاطراف المتنازعة • وقد بدا هذا واضحا فى المواجهة الثانية بين الصومال واثيوبيا • وهى فى هذا تتأثر بعاملين هامين يرتبطان برؤيتها للأمن القومى المصرى فى البحر الأحمر وأهمية باب المندب الاستراتيجية التى اتضحت فى سنة ١٩٧٣ فى مواجهة اسرائيل من جهة ، وبتأمين مصالحها فى منابع النيل والخوف من الوجود السوفيتى فى المنطقة من جهة أخرى • وتبدو سياسة مصر واضحة من التصريحات الرسمية بأنها : تؤكد التزامها بمبدأ قدسية الحدود تمشيا مع ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية وحرصها على وحدة وسلامة الأراضى الأثيوبية والصومالية • وقد قامت مصر ببذل محاولات توفيقية بين الدولتين فى مارس سنة ١٩٨٣ ، كما تقدمت بمشروع مبدئى لوقف الحملات الاعلامية والدعوة للامتناع عن تأييد العنــاصر الانفصالية (١) •

وبالنسبة للسودان : فهى وان تعاطفت مع الصومال الا ان لها حدود مباشرة طويلة مع اثيوبيا كما أن لها مشكلة انفصالية فى جنوب السودان وفى الوقت الذى تتهم اثيوبيــا السودان بمســاعدة الثوار الاريتريين ، فان السودان تتهم اثيوبيا بمساعدة الحركات الانفصــالية بالجنوب • ويزداد الامر تهديدا بوجود السوفيت باثيوبيا •

أما العراق وسوريا فهما تؤيدان الصومال فى مواجهتهــا لاثيوبيــا وتقومان بمدها ببعض قطع غيار الطائرات والدبابات ــ وتلك المساعدة لها أهمية خاصة من حيث اســاس التسليح الســوفيتى الواحد ، كما

---

(١) من البيانات التى ادلى بها الرئيس حسنى مبارك فى زيارته لبعض دول شرق أفريقيا فى فبراير سنة ١٩٨٤ وكذلك خطاب د. عصمت عبد المجيد وزير الخارجية للدورة العشرين لمؤتمر القمة الافريقى فى ١٢ ــ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٤ •

تساعدانها فى شراء بعض المعدات والاسلحة ولكن بصورة محدودة خاصة فى ظل الحرب العراقية الايرانية المستمرة .

وعلى الصـعيد الآخر فان ليبيـا واليمن الديمقراطيـة بتوجهاتهمـا الايديولوجية ، وبارتباطهما بالاتحاد السوفيتى تمثلان مع اثيوبيا محورا هاما فى المنطقة . وهما تساهمان مساهمة مباشرة فى مجريات المواجهة مع الصومال . فليبيا استخدمت قواعدها فى الجسر الجوى الممتد بين موسكو واثيوبيا لنقل الاسلحة . كما انها تمدها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية. بينما تساهم اليمن الديمقراطية بقوات فى المواجهة بين اثيوبيا والصومال وقد ذهب التقارب والتعاون بين تلك الدول الثلاث الى قيام اتفاق دفاع مشترك بينها . ولا يمكن تفهم مثل ذلك التقارب فى ضوء رؤية كل من ليبيا واليمن الديمقراطية عن ثورية نظمهما وضرورة دعم النظم « التقدمية » من هذا المنظور الذى يعتبر ان الحركات فى اريتريا والصـومال الغربى وغيرها رجعية وتعبيرا عن مصالح امبريالية (1) .

وخلاصة الأمر من كل ما سبق أن المشكلة ألقت بظلالها على العلاقات الدولية على المسـتويات المختلفة وكيفت توجهات اطراف النزاع ولكن بينما تنهال مساعدات الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية على اثيوبيا لا تواكبها مساعدات مماثلة للصومال أيا كان مصدرها .

والختام الطبيعى فى هذا المجال هو التساؤل حول انعكاسات المشكلة على بقية الدول المجاورة التى تدخل فى نطاق الصومال الكبير : ونقصد بذلك كينيا وجيبوتى . فمن الطبيعى نتيجة أن كان للصومال بعد الاستقلال مطالب اقليمية فى كينيا : ممثلة فى اقليم الحدود الشمالية (نفـد) ــ الذى يسكنه الصوماليون والذى يمثل أحـد اركان الصـومال الكبير المنشود ــ أن تقاربت اثيوبيا وكينيا ، حيث توافقت سياستها على ضرورة بقاء الأمر الواقع وتقبل الحدود الموروثة كما هى حيث تتفق كينيا مع اثيوبيا فى عدم التجانس والافتقار الى ما ينفرد به الصومال من مقومات الدولة القومية . وبالتالى فان كينيا ترفض مثلها مثل اثيوبيا السياسـة الصومالية تجاه الحدود كما ترفض السـند التاريخى للمطالب الاقليمية

(1) لمزيد من المعلومات ، ومن خطب المسئولين انظر : غوثانى ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ــ ٨٧ .

الصومالية ، بل وتذهب الى ان اقليم الجوبا اقتطع منها سنة ١٩٢٥ واضيف الى الصومال ولكنها مع هذا ترضى بالوضع القائم دون أن يكون لها مطالب اقليمية قبلها . هذا ومع أن كينيا كانت متفقة تماما مع اثيوبيا فى الاصرار على الوحدة الاقليمية ، وعدم التفريط فى بوصة من أراضيها واعتبار اقليم الحدود الشمالية جزءا لا يتجزأ منها مع رفض تطبيق تقرير المصير بمعناه المتعارف عليه نظرا الى أنه يهدد وحدتها الاقليمية ، الا انها اوجدت تفسيرا جديدا لحق تقرير المصير قائما على أنه اذا أصر الصوماليون الموجودون داخل حدودها على تطبيق حق تقرير المصير وأرادوا الارتباط بالصومال ، « فما عليهم الا ان يأخذوا جمالهم ويرحلوا » ، على حد ما ردده الرئيس كنياتا وغيره من الزعماء الكينيين [1] . حيث فسروا حق تقرير المصير على أنه ينطبق على الأفراد ، لا على الأرض . وبالتالى فقد أكدت كينيا على ادانة الصومال فى مساعدتها للصوماليين عبر الحدود بالتأييد المادى والمعنوى ، واعتبرته مثلها فى ذلك مثل اثيوبيا تدخلا فى شئونها الداخلية وعملا عدائيا يجب شجبه .

وبالتقارب بين الصومال والاتحاد السوفيتى ، بعد توقيع الاتفاقية العسكرية الأولى معه ، افضى التقارب المبدئى والمصيرى بين اثيوبيا وكينيا الى عقد معاهدة للدفاع المشترك بينهما فى يوليو سنة ١٩٦٣ وتم التصديق عليها فى سنة ١٩٦٤ ، وهى موجهة أساسا ضد الصومال التى اعتبرت عدوا طبيعيا للدولتين وذات نزعة توسعية ، وذلك بهدف المحافظة على وحدتهما الأقليمية ، وقد نص فيها على عقد اجتماعات شهرية للجنة الدفاع المشترك المؤلفة من البلدين مما يؤدى بالضرورة الى تضامنهما فى الهدف .

وكما سعت كينيا الى استيعاب الصوماليين فى الحياة السياسية والاقتصادية بل حتى الاجتماعية وخصصت جزءا من ميزانيتها لتطوير المنطقة ، عملت على توطين الصوماليين الرحل فى قرى انشئت لهذا الغرض ، لربطهم بالأرض .

وبتدهور الأمر على الحدود سنة ١٩٦٤ ، تدهورت العلاقات بين كينيا والصومال ، وزامنت تدهور العلاقات بين الأخيرة واثيوبيا مما أدى

(١) انظر : « حورية توفيق مجاهد ، مشكلة الحدود الصومالية .. » ، مرجع سابق ، ص ٧ .

الى أعلان حالة الطوارىء فى منطقة الحدود كما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين الصومال وكينيا ، التى اعتبرت نفسها فى سنة ١٩٦٦ فى حالة حرب مع الصومال . وقد فشلت جهود الوساطة التى قامت فى ظل منظمة الوحدة الافريقية فى التقريب بين الدولتين ولم ينفرج الوضع الا بعد سياسة المصالحة التى اتبعتها الصومال فى ظل الرئيس شار مركى والتى أفرخت اتفاق أروشا سنة ١٩٦٧ بعد المساعى الحميدة التى بذلها الرئيس كاوندا وذلك بعد أن وافقت الصومال على الشرطين اللذين اشترطتهما كينيا على الصومال لبدء المفاوضات والتفاهم . وأعيدت العلاقات الديبلوماسية بين البلدين وأزيلت القيود المفروضة على التجارة بين كينيا والصومال ، بل ان كينيا دعت الصومال للاشتراك فى السوق المشتركة لشرق ووسط أفريقيا الذى انشىء حديثا . كما تألفت لجنة مشتركة من الصومال وكينيا وزامبيا للاشراف على تنفيذ اتفاق أروشا وبحث الحلول الكفيلة لحل الخلافات الباقية .

هذا وتقف كينيا تماما مع اثيوبيا ، حيث تلتقى مصالحهما ، وان كانت كينيا توجهت ومنذ الاستقلال نحو الغرب الذى تعتمد على دعمه ، والذى يأخذ فى حساباته المشكلة الكامنة بينها وبين الصومال .

أما جيبوتى فقد اعلنت الصومال تخليها عن أى مطالب أقليمية قبلها (١) ، وذلك قبيل الاستقلال وحتى تحبط تكتيكيا أية محاولات لاثيوبيا للضغط لضمها نظرا لاهميتها البالغة بالنسبة لاثيوبيا بسبب الخط الحديدى الذى يربط ميناءها بأديس أبابا خاصة مع الصراع فى اريتريا ، وقد جاء الاستقلال انتصارا للصومال وهزيمة لاثيوبيا حيث السيطرة السياسية الحقيقية للعيسى : فمنهم رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ، بينما رئيس الوزراء وهو من العفار ، قد حددت سلطاته أصلا وبطريقة متزايدة . وقد استقلت جيبوتى على ميزان حساس بين الانقسامين الرئيسيين بها . أما عن الموقف تجاه المشكلة بين الصومال واثيوبيا فهناك تعاطف أصلابين

---

(١) كانت الصومال اول دولة تعترف بها وتتبادل معها التمثيل الديبلوماسى .

العيسى والصومال ، وهناك تطلع من العفار لاثيوبيا فى موازنة للعيسى • وقد ساهم متطوعون من العيسى فى مساعدة الصومال عند المواجهة الثانية كما تدفق الآلاف من اللاجئين الصوماليين اليها حيث يقدر أن هؤلاء يمثلــون ١٠٪ من مجموع الســكان فى جيبوتى ، بما يدعــم العنصر الصومالى بها والذى يمثل الأغلبية • هذا وتسعى جيبوتى الى التعايش السلمى مع جارتيها •

وهكذا القت مشكلة الحدود الصومالية بظلالها على العلاقات الدولية بدوائرها المختلفة •

خاتمــــة

ان مشكلة الحدود بين الصومال واثيوبيا لا يجب تبسيطها على أنها مجرد نزاع حول تعيين حدود وخطها ، ولكنها مشــكلة أعمق تتمثل فى المواجهة بين القوميات • وتعتبر تطبيقا واضحا لكل ما يدور فى اطـار دراسة القومية كظاهرة عالمية : فالمشكلة الاساسية تتمثل فى حقيقة كون الصومال بالاستقلال تلفظ مفهوم الدولة القوميــة الجزئية التى فرض اطارها الاستعمار ووضع رمزها ، وتعتبر نفسها النواة الأساسية لتحقيق أمل الصوماليين المنتشرين فى منطقة القرن الافريقى فى القومية الكليـة حيث تتوافر العوامل الموضوعية المشتركة فى اطار من التحريك الاجتماعى مع وجود وعى قومى كلى يجب الانقسامات التى فرضتها الحدود المصطنعة. والصومال هى الدولة الافريقية الوحيدة جنوبى الصحراء التى تعتبر دولة قومية بالمفهوم المتعارف عليه ولكن محط آمالها وآمال الصوماليين عامة فى المنطقة هو القومية الكلية فى اطار الصومال الكبير ، الأمر الذى جعل هدفا اساسيا واستراتيجية ثابتة حتى وان تغير التكتيك • ولكن هذه القومية الصومالية تواجه فى نفس الوقت بالقومية الأثيوبية ، التى وان لم تتحول الى عقيدة يؤمن بها الشعب غير المتجانس أصلا ويعيش بها ولها كما هو الحال فى الصومال ، الا انها تفرض نفسها على الأقل على المستوى الايديولوجى كأمل ، حيث الهدف الاستراتيجى هو بناء الدولة القومية فى أثيوبيا فى ظل حدودها القائمة والتى انتهت اليها بعد الضغوط والمساومات بل والحروب مع الدول الاوروبية ، بصهر الاختلافات داخلها • فالمواجهة الحقيقية هى بين هدف تحقيق القومية الكلية من جانب الصومال يدعمه تجانس فريد ، وهدف بناء الدولة القومية من جانب اثيوبيا يضعفه عدم تجانس واضح فى ظل « امبراطورية » تضم العديد من القوميات • ويرتبط بهذا اعتبارات اقتصادية تدعم المصالح المصيرية ، ومنها طبيعة الاقتصاد نفسه وهو الاقتصاد الرعوى والامكانيات الاقتصـادية المبشرة لمنطقـة الاوجادين بالذات سواء الزراعية أو البترولية التى أعلن عن توافرها فى سنة ١٩٧٢ •

وعليه فان مشكلة الحدود تعكس مصـالح قومية ووطنية حيـوية

ومتعارضة للدولتين ، انعكست على التصارع على القوة بينهما وتوازن القوى الاقليمى فى تلك المنطقة الحيوية من أفريقيا • ويزيد المشكلة تعقيدا العنصر الاجنبى الذى كان أساس المشكلة والذى يسهم فى استمرارها وتكييف مسارها • ونعنى على وجه الخصوص اعتبارات توازن القوى العالمى فى ضوء المصالح الوطنية الخاصة بالدول الكبرى : فاذا كان تقسيم المنطقة واتفاقات الحدود قد جاء انعكاسا لتوازن القوى بين الدول الكبرى فى ذلك الوقت منذ قرن مضى أو يزيد ، فان نفس الاعتبارات ما زالت قائمة بل وازدادت أهمية وتكرس الصراع الدولى العالمى على المنطقة وان تغير الفاعلون • ففى ظل الاقتطاب الثنائى والتصارع الايديولوجى بعد الحرب العالمية الثانية دخلت المنطقة فى اطار التوازن العالمى خاصة فى اطار التصارع على المحيط الهندى والصراع على البحر الأحمر والخليج العربى حيث بحيرة البترول ، وذلك من منظور الامن القومى للدول الكبرى عامة والقوتين العظميين خاصة • وقد تكرس ذلك الصراع بعد ازدياد أهمية دور الدول البترولية نفسها وثقلها فى المجال الدولى بعد سنة ١٩٧٣ حيث دخلت هى الاخرى طرفا فى الصراع وأصبح لها دورها فى العلاقات مع دول القرن الافريقى المواجهة لها والمرتبط أمنها به ، وبالطبع أصبح لها دورها فى مشكلة الحدود • فالمواجهة ليست فقط بين مصالح مصيرية لكل من الصومال وأثيوبيا ولكن ترتبط ارتباطا وثيقا بالمصالح القومية للدول الكبرى ، وخاصة القوتين العظميين ، التى تكيف مواجهة أطراف النزاع للمشكلة ذاتها وتوجه مسارها ، حيث تعمل الدول العظمى كموزع للقوة فى التوازنات الاقليمية عن طريق القاء ثقلها فى جانب أو آخر • فالصراع بين أثيوبيا والصومال حول الحدود يجب أن يتفهم كمحور لمجموعة دوائر أساسية تبدأ بالمصالح القومية المصيرية للدولتين فى ضوء رؤية كل طرف للقومية كحقيقة أو كهدف وتتسع تدريجيا الى أن تصل الى التصارع على القوة وتوازن القوى العالمى : ذلك التوازن المركب والذى يمثل التوازن الايديولوجى أحد أبعاده • حيث المشكلة بين الصومال وأثيوبيا تحوى فى طياتها أيضا الصراع الايديولوجى بين النظم الثورية ، والأقل ثورية أو المحافظة ولكن بالمفهوم الافريقى •

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المجال هو ماذا عن آفاق المستقبل ؟

فى ضوء تحليل المشكلة وجذورها المتعمقة لنحو قرن من الزمان ، مما يجعلها فريدة بين مشاكل الحدود فى أفريقيا ، يمكن بحث الموضوع فى اطار ثلاثة محاور أساسية يمكن أن تمثل بدائل لحل المشكلة .

اولا : المواجهة المباشرة والحل العسكرى :

وهو الامر الذى فرض نفسه على الساحة منذ استقلال الصومال وحتى قبلها فحقيقة الوضع بشأن مشكلة الحدود يتضح فى شكل مناخ عام لصراع مستمر مع تفجر الوضع فى شكل المواجهات العسكرية الثلاث المباشرة : هذا ويبدو واضحا أن الجولة الاولى سنة ١٩٦٤ قد انتهت بالتعادل ، أما الجولة الثانية وان بدأت بتفوق مطلق للصومال ولجبهة تحرير الصومال الغربى التى تدعمها ، وذلك بفضل الدعم السوفيتى ، فقد انتهت سنة ١٩٧٨ بنصر تام لاثيوبيا بفضل المساعدة بل الادق بيد القوات السوفيتية والكوبية ، فاتحة المجال للجولة الثالثة سنة ١٩٨٢ : التى تميزت باحتجاب أثيوبيا خلف جبهة معارضة للصومال ولحكم الرئيس سياد برى ناقلة الصراع الى أرض الصومال نفسها . الامر الذى ما زال يعبر عن نفسه فى شكل حوادث فى منطقة الحدود .

وقد كان لنتائج المواجهتين الاخيرتين أنه فى الوقت الذى تفوقت فيه النزعة العسكرية فى جانب أثيوبيا ، تلك النزعة التى يزكيها التوجه الايديولوجى للنظام الحاكم كما يزكيها الاتحاد السوفيتى ، فقد ضعفت فيه تلك النزعة فى جانب الصومال ونمت ــ لاعتبارات واقعية ــ النزعة السلمية بتأكيد الصومال مجددا على الدعوة للمفاوضات المباشرة والحل السلمى . تلك النزعة التى تشجعها الدول الغربية التى لا ترغب فى التورط فى المشكلة للاعتبارات السابق توضيحها . وعليه فان اثيوبيا فى الوقت الحالى تعتمد على القهر سواء فى مواجهة الصوماليين أو الاريتريين أو غيرهم . وقد لجأت أثيوبيا للتحول من الدفاع الى الهجوم . وان كان القهر لا يمكن أن يصلح كسياسة دائمة ، خاصة وان اثيوبيا تحارب فى أكثر من جبهة ، ولكنه قد يفتح الباب لبدائل أخرى .

ثانيا : سياسة الاستيعاب :

وبناء الأمة من جانب أثيوبيا . وهى المشكلة الملحة بالنسبة لها حيث تتميز بضعف التركيب الاجتماعى وبالتفكك الداخلى . فالمشكلة لا تتمثل

فقط فى محاولات الصوماليين للانفصال عنها ، فضلا عن الاريتريين واختيار كل من الفريقين أساسا طريق الكفاح المسلح ، ولكن هناك أيضا جبهات أخرى داخلية تمثل تحديا أساسيا وروحا انفصالية أهمها جبهة اورومو ومن ورائها شعب الجالا المسلم الذى يرفض السيطرة التقليدية الامهرية ويؤكد تميزه عن كل من أثيوبيا والصومال • والاستيعاب طريق من شقين فلا يكفى الرغبة فى تطبيقه ، ولكن وهو الآهم ، التقبل من جانب من يطبق عليهم • ومن استقراء التاريخ نرى أن القومية متى ظهرت لا تنتهى الا : اما بسرعة معدلات الاستيعاب اذا توافرت شروطه ، أو الاستقلال ، أيا كان القهر المستخدم •

واخيرا : الحل السلمى : المفاوضات وتقرير المصير :

والسؤال الاساسى فى هذا المجال هو اذا كانت الجهود المختلفة بما فيها المنظمات الدولية قد فشلت على مدى ما يقرب من قرن من الزمان فى تحقيق الحل السلمى للمشكلة فهل يعنى هذا أنه قد وصل الى طريق مسدود ؟

من الجدير بالملاحظة أن الصومال وان تشددت أساسا فى قبول مبدأ الحل السلمى الا بما يتمشى مع رؤيتها وبالتالى لفظت قبول الأمر الواقع كبداية للمفاوضات كسبيل لحل المشكلة بينها وبين أثيوبيا ، أكدت على الاتجاه للنزعة السلمية والمناداة بها كسبيل نهائى ، حيث وجدت الصومال أنه حتى نطاقها الاقليمى كما ورثته عن الاستعمار بدأ يتعرض للتهديد من أثيوبيا ومن ورائها الاتحاد السوفيتى وحليفاته ، بينما لا تلقى دعما موازيا وبنفس الثقل لا من الولايات المتحدة الامريكية ولا من الدول الغربية أو الدول العربية الصديقة • حيث الدعم العسكرى فى الجانب الاثيوبى لا يواكب الدعم العسكرى — المعنوى فى جانب الصومال • مما يجعل المعركة غير متكافئة ويفرض الحل السلمى ، الامر الذى يتكرر فى طلب المسئولين الصوماليين ولكن دون صدى كبير من أثيوبيا • واذا كان هناك تأييد دولى لهذا الحل الا أن المشكلة فى تطبيقه • ومن الحلول التى يطرحها البعض للحل السلمى المساومة فى هذا الشأن فى ظل تقرير المصير • وان كانت الامثلة واردة على دول افريقية استطاعت ان تسوى بعض الخلافات الاقليمية حول الحدود مثل ما تم بين مصر

والسودان ، أو موريتانيا ومالى بعد الاستقلال ، الا ان المشــكلة اكثر تعقيدا حيث اعطاء تقرير المصير للصوماليين فى الاوجادين (بما قد ينتهى للاستقلال) أو مبادلته بجيبوتى كبديل يطرحه البعض (١) ، سـيكون فاتحة لخطوات أخرى على الطريق والاهم بالنســبة لاثيوبيا هو تأثير الوضع على الثورة فى اريتريا ــ منفذها الرسمى على البحرالاحمر ، وقد أوضحنا ان المشكلة بالنسبة للصوماليين ليست فقط مشكلة الاوجادين ــ الذى يتمتع بالذات بالامكانيات الاقتصادية المبشرة • هذا ومن منظور سياسة المباراة ذات المجموع الصفرى التى طالما حكمت اللعبة فى المنطقة فأنه من المؤكد ان النتيجة النهائية لن تكون فى صالح أطراف المشكلة اذا بقيت دون حل •

وايا كان الوضع فان هناك عاملا أساسيا يفرض نفســه على المنطقة ويوحد بين شعوبها رغم التصارع : وهو الجفاف الذى يلقى عبئا اضافيا على اقتصادياتها وربما يسهم فى تضافر جهودها من أجل حل سلمى قائم على المساومة فى ضوء الوفاق الدولى •

---

(١) انظر ولمزيد من المعلومات

William Zartman «les Problemes de demain en Afrique Noire in S. Whitaker (ed.,) Les Etats Unis et L'Afrique: des interets en Jeu, Paris, Editions Karthala, 1981, P. 81.

الملاحق

ملحق (١)

من خطاب الامبراطور منليك الثانى الى الدول الأوروبية بشان ابلاغهم بحدود الحبشة الجديدة

تبدأ من الحدود الايطالية (أرفالى) الواقعة على البحر ممتدة على خط يتجه غربا مخترقا سهل ميدا عند جيجرا ، ومنها الى غابات نهر مارب واراتدا • ويتجه الخط من هذه النقطة جنوبا الى ما هيوهلا ودجسا وجورا حتى نهر عطبرة وستيت حتى مدينة تومات •

ومن هذه المدينة تلتقى الحدود مع القضارف حتى مدينة كاركوج على النيل الأزرق • ويمتد منها الخط حتى يصل الى نقطة التقاء نهر سوباط (سبت) بالنيل الأبيض ، ثم يمتد خط الحدود حتى يضم مدينة اربورى والمناطق المحيطة حتى يبلغ بحيرة سامبورو •

أما فى الشرق فان الحدود الحبشية تضم اراضى بورن والجالا والعروس وتمتد حتى الحدود الصومالية متضمنة منطقة اوجادين ، وفى الشمال تضم الحدود منطقة حبرا أواظ وجاد ابورس حتى مناطق عيسى الصومالية وصولا الى اموس ، ومنها يمتد خط الحدود ليشمل بحيرة عسال ومنطقة محمد أنفارى وصولا الى مشارف البحر ليلتقى بمنطقة ارفالى •

واذا ما تتبعنا الحدود القائمة اليوم لامبراطوريتى فسأحاول اذا ما وهبنى الله العمر والقوة ان اعود بهذه الامبراطورية الى حدودها القديمة الممتدة حتى مدينة الخرطوم السودانية وبحيرة نيانزا •

لقد ظلت اثيوبيا جزيرة مسيحية لمدة ١٤ قرنا من الزمان وسط محيط من الملحدين الكفار فاذا كانت الدول الاجنبية التى تبعد عنها مسافات طويلة ـ يقصد الدول الاوروبية الاستعمارية ـ قد جاءت لكى تقتسم الاراضى الافريقية فيما بينها ، فاننى لن أقف منها موقف المتفرج • ولما

كانت عناية الرب قد حفظت اثيوبيا وحمتها حتى اليوم ، فاننى أثق أن الرب سيستمر يحميها ويوسع حدودها فى المستقبل ، وأثق بأن الرب لن يعرضها لمعاناة التقسيم بين الدول الأخرى .

ورغم انه ليس لدينا النية فى الوقت الحالى لاستعادة حدودنا الساحلية عن طريق القوة ، فاننى أثق ان عناية الرب ستهدى الدول المسيحية لتعيد حدودنا على ساحل البحر ، او على الأقل بعض المناطق على الساحل .

أديس أبابا فى ١٠ أبريل ١٨٩١ (١) .

١٤ مازير ١٨٨٣

توقيع
منليك الثانى

(١) المصدر : صلاح الدين حافظ ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩

ملحق (٢)

المعاهدة الايطالية الأثيوبية

التى تحدد الحدود بين الممتلكات الايطالية فى الصومال والامبراطورية الأثيوبية فى سنة ١٩٠٨

جلالة فيكتور عما نويل الثالث ملك ايطاليا باسـم وباسـم خلفائه وبتوسيط ممثله فى أديس أبابا الفارس جيوسـب كوالى دى فليزانو ، وجلالة منليك الثانى ملك ملوك أثيوبيا باسمه واسم خلفائه .

رغبة فى التحديد النهائى للحدود بين الممتلكات الايطالية فى الصومال واقليم الامبراطورية الأثيوبية قررا توقيع الاتفاقية التالية :

مادة ١ ـ خط الحدود بين الممتلكات الايطالية فى الصـومال واقليم الامبراطورية الأثيوبية يبدأ من دولو عند ملتقى دوا Dawa وجنال Ganale ويمتد شرقا مقتفيا منبع ميـدابا Maidaba ويستمر حتى ويبى شـيبلى Webi Shebeli مقتفيا الحدود الاقليمية بين قبائل رهانوين ـ Rahanuin التى ستتبع ايطاليا وكافة القبائل شمالهم التى ستتبع أثيوبيا .

مادة ٢ ـ نقطة الحدود على ويبى شبيلى ستكون على نقطة الاتصال بين قبيلة بادى أدى Baddi Addi التى سـتتبقى تابعة لايطاليا واقليم القبائل فوق بادى أدى التى ستظل خاصة بأثيوبيا .

مادة ٣ ـ القبائل على يسار نهر جوبا وهى رهانوين وتلك الموجودة على ويبى شبيلى أسفل نقطة الحدود ، ستتبع ايطاليا أما قبائل ديجوديا Digodia وكافة الموجودة على الحدودوافجاب جيجدى Afgab Jejedi ستتبع أثيوبيا .

مادة ٤ ـ من ويبى شبيلى ستجرى الحدود فى الاتجـاه الشـمالى الشرقى متتبعة الرسم الذى قبلته الحكومة الايطالية سنة ١٨٩٧ . كافة الأراضى التى تخص القبائل فى جانب الساحل ستظل تابعة لايطاليا . كل اقليم أوجادين والأراضى الخاصة بالقبائل فى جانب أوجادين سـتظل تابعة لاثيوبيا .

مادة ٥ ـ توافق الحكومتان على أن تحددا عمليا وفورا بعد مهلة قصيرة خط الحدود السابق ذكره •

مادة ٦ ـ توافق الحكومتان رسميا على ألا تمارسا أى تدخل خلال خط الحدود وألا تسمحا للقبائل التى تتبعها بأن تعبر الحدود ، وفى حالة وقوع خلاف أو حوادث بين أو بسبب القبائل المتاخمة للحدود ستقوم الحكومتان بحلها باتفاقات مشتركة •

مادة ٧ ـ تشترك كل من الدولتين فى الموافقة على ألا ترتكب والا تصرح فى الجزء الذى يتبعها بأى عمل يمكن أن يكون سببا فى الخلافات أو الحوادث ويمكن أن يزعج هدوء قبائل الحدود •

ستخضع الاتفاقية الحالية لقبول برلمان الدولة وتصديق جلالة الملك •

حررت من نسختين متطابقتين ومتماثلتين باللغتين الايطالية والأمهرية ستبقى نسخة فى يد الحكومة الايطالية والأخرى فى يد الحكومة الأثيوبية•

حررت فى أديس أبابا فى ١٦ مايو سنة ١٩٠٨ •

---

(١) مترجمة عن الانجليزية Pankhurst, op. cit., p. 397.

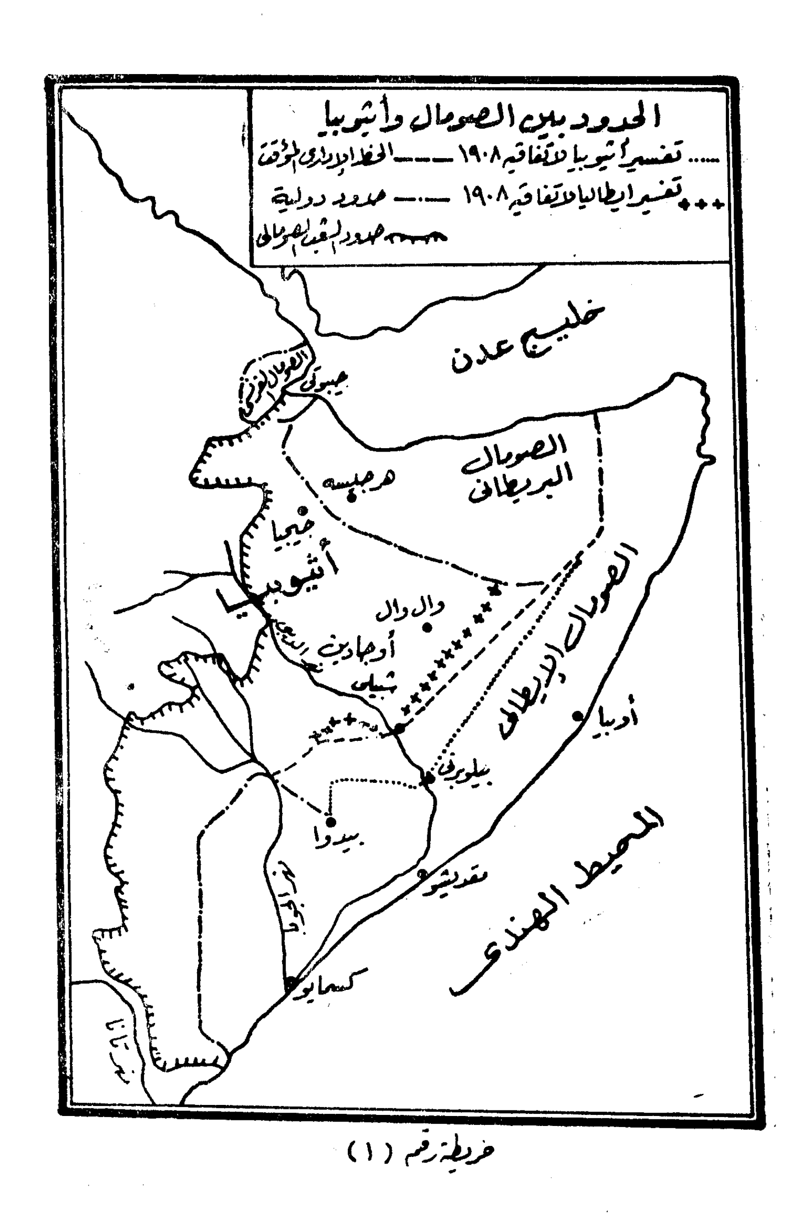
ملحق (٣)

جدول يوضح توزيع الصوماليين فى منطقة القرن الأفريقى (١)

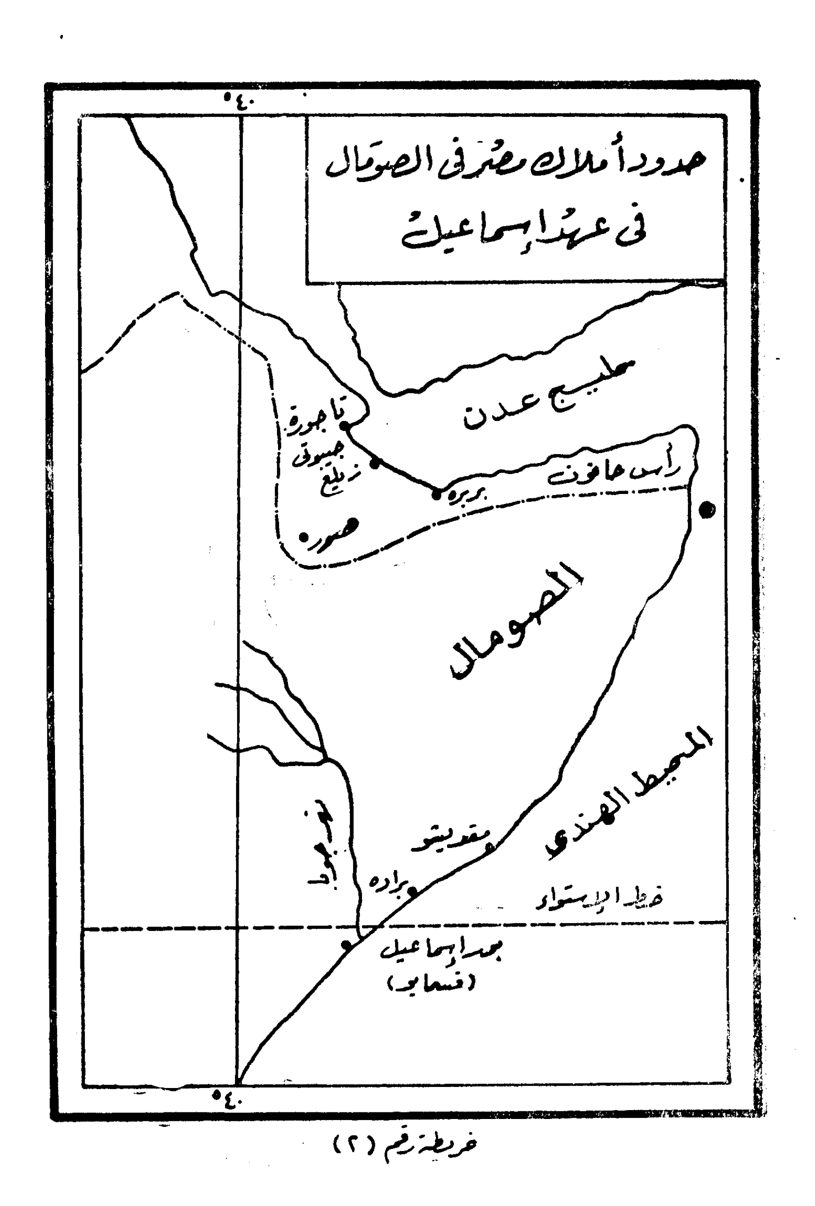
الدولـــة	المناطق التى يسكنها الصوماليون بالأميال	نسبة المناطق المسكونة بالصوماليين من مجموع المنطقة	تقدير السكان الصوماليين	نسبة السكان الصوماليين بالنسبة لمجموع السكان
جمهورية الصومال	٢٤[illegible]ر٠٠٠	١٠٠٪	١ر٨٨٠ر٠٠٠	٩٩٪
ـ الاقليم الجنوبى	١٧٨ر٠٠٠	١٠٠٪	١ر٢٣٠ر٠٠٠	٩٧٪
ـ الاقليم الشمالى	٦٨ر٠٠٠	١٠٠٪	٦٥٠ر٠٠٠	٩٩٪
الصومال الفرنسي جيبوتى حاليا	٣ر٢٠٠	٣٦٪	٢٩ر٠٠٠	٤٣٪
اثيوبيـــا	٨٠ر٠٠٠	٢٠٪	٨٥٠ر٠٠٠	٤٪
كينيـــا	٤٥ر٠٠٠	٢٠٪	٩٤ر٠٠٠	١٪
المجمـــوع	٣٧٤ر٢٠٠		٢ر٨٥٣ر٠٠	

(١) المصـــدر : — Touval, op. cit., P. 12.

هذا ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد احصاءات دقيقة .

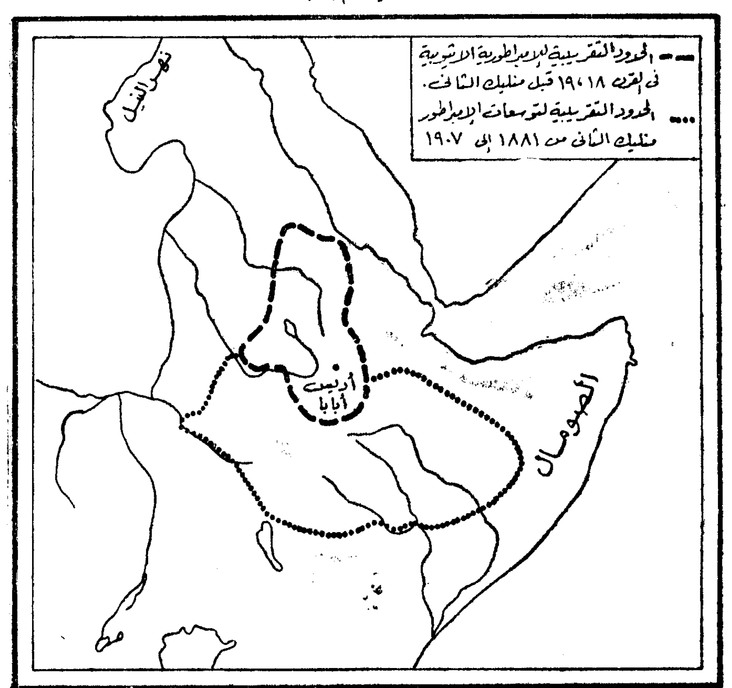

الحدود بين الصومال وأثيوبيا
تفسير أثيوبيا لاتفاقية ١٩٠٨
الخط الإداري المؤقت
تفسير ايطاليا لاتفاقية ١٩٠٨
حدود دولية
حدود الشعب الصومالي
خليج عدن
جيبوتي
الصومال الفرنسي
هرجيسه
الصومال البريطاني
جيجيا
أثيوبيا
وال وال
أوجادين
شبيلي
الصومال الإيطالي
أوبيا
بلدوين
بيدوا
مقديشو
المحيط الهندي
كسمايو

خريطة رقم (١)

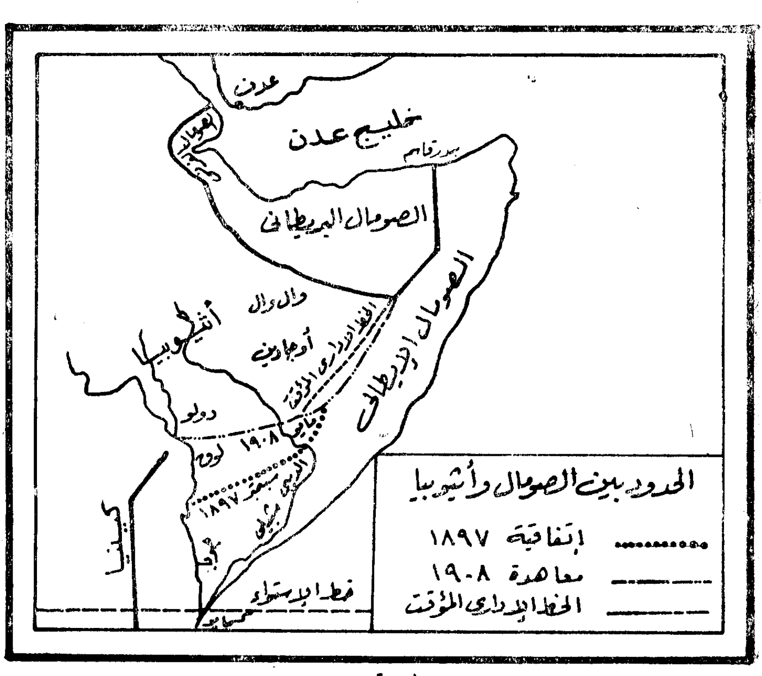

حدود أملاك مصر في الصومال
في عهد إسماعيل
٤٠°
خليج عدن
تاجورة
جيبوتي
زيلع
بربرة
رأس حافون
هرر
الصومال
المحيط الهندي
نهر جوبا
مقديشو
براوه
خط الاستواء
بندر إسماعيل
(قسمايو)
٤٠°

خريطة رقم (٢)

خريطة رقم (٣)



الحدود التقريبية للإمبراطورية الاثيوبية في القرن ١٨، ١٩ قبل منليك الثانى.
الحدود التقريبية لتوسعات الإمبراطور منليك الثانى من ١٨٨١ إلى ١٩٠٧
نهر النيل
أديس أبابا
الصومال


عدن
خليج عدن
بندر قاسم
الصومال البريطاني
الصومال الإيطالي
وال وال
أثيوبيا
أوجادين
الخط الإداري المؤقت
دولو
لوخ
١٩٠٨
١٨٩٧
كينيا
خط الاستواء
الحدود بين الصومال وأثيوبيا
إتفاقية ١٨٩٧
معاهدة ١٩٠٨
الخط الإداري المؤقت

خريطة رقم (٤)

تأثير الصراع فى القرن الافريقى
على وادى النيل فى ظل التكامل المصرى السودانى

لواء أ٠ح٠ سمير الحملاوى
الامانة العامة للتكامل

مقـدمة :

عندما عرض معهد البحوث والدراسات الافريقية على الأمانة العامة للتكامل الاشتراك فى ندوة علمية عن القرن الافريقى وكان لى شرف الاشتراك فيها آثرت أن أتقدم ببحث عن موضوع تأثير الصراع فى القرن الافريقى على وادى النيل فى ظل التكامل المصرى السودانى ٠ وكانت وجهـة نظرى فى ذلك أن أبحث فى موضـوع يخص القرن الافريقى ويؤثر ويتأثر بدولتى التكامل مصر والسودان مما يتيح للمستمع والقارىء الخروج بحصيلة من المعلومات عن الموضوعات الهامة المطروحة للدراسة الجادة فى هذه الايام حيث أن الصراع فى منطقة القرن الافريقى حقيقة واقعة كما أن خطوات التكامل بين مصر والسودان تسير على قدم وساق ، والربط بين الموضوعين يعطى بعدا جديدا ، ومن هنا جاء البحث فى مقدمة وثلاثة فصـول هى :

الفصل الاول : الصراع فى منطقة القرن الافريقى وتأثيره على دولتى التكامل مصر والسودان ٠

الفصل الثانى : نظرة عامة على التكامل المصرى السودانى ٠

الفصل الثالث : مواجهة التهديدات الرئيسية للأمن القومى المصرى والسودانى المرتبطة باحتياجات البلدين من مياه النيل ٠

وقى الله السودان ومصر من كل سوء وحفظ الروابط الأبدية بينهما ليكونا قاعدة للوحدة العربية والوحدة الافريقية وسندا لأمتنا العربية وقارتنا الافريقية ٠

تطلق تسمية القرن الافريقى من الناحية الجغرافية على ذلك البروز فى شرق القارة الافريقية وهو على شكل مثلث يشرف على المحيط الهندى وخليج عدن ويسيطر على مضيق باب المندب ويمتد شمالا على ساحل البحر الأحمر لمسافة ٦٠٠ ميل .

وتصل مساحة القرن الافريقى الى ثلاثة أرباع مليون ميل مربع ويضم خليطا من أراضى صحراوية جرداء هى من أكثر مناطق العالم المرتفعة خصوبة ، ويعيش على أرضه أكثر من ٣٥ مليون نسمة من قوميات وقبائل مختلفة تشمل كل من أثيوبيا ، واريتريا ، وجيبوتى ، والصومال .

ولكن القرن الافريقى من الناحية الجيوبوليتيكية (الجغرافيا السياسية) فان مجال الحديث عنه أوسع لما لموقعه من أهمية استراتيجية سواء لتحكمه فى طرق الملاحة العالمية شمالا عبر البحر المتوسط وجنوبا وشرقا عبر المحيط الهندى وخليج عدن . وهى طرق نقل بترول الخليج العربى الى أوربا وآسيا وأمريكا . أو من ناحية تحكمه فى منابع النيل فى أثيوبيا وما يشكله هذا من أهمية بالغة على مصر والسودان .

والقرن الأفريقى يعتبر مدخل ونقطة وثوب لوسط وجنوب القارة الافريقية من ناحية الشرق علاوة على ما يشكله كحلقة هامة من حلقات الأحزمة الاستراتيجية التى تحاول الدول الكبرى الوصول اليها فى أفريقيا فهو يمثل بالنسبة للقوتين الأعظم أهمية استراتيجية واقتصادية وأيدلوجية .

ولقد شهد القرن الأفريقى ما يمكن اعتباره تبادل أدوار القوتين الأعظم حيث كان للاتحاد السوفيتى مكان مؤثر فى الصومال وبالمثل كانت الولايات المتحدة فى أثيوبيا ــ لكن بقيام الثورة الاثيوبية عام ١٩٧٤ تبادلت القوتان الأماكن مما أوجد الصراعات المحلية والاقليمية التى تساعد على زيادة الصراع والتدخل الأجنبى ، ففى عام ١٩٧٧ استغل الصومال الصراع الداخلى فى أثيوبيا وقام باستعادة الأقاليم الصومالية المغتصبة (الأوجادين) وذلك بدعم من الاتحاد السوفيتى وتمكن من تحرير ٩٠٪ من اقليم الصومال الغربى .

لكن توتر العلاقات الصومالية السوفيتية بعد ذلك دفع الاتحـاد السوفيتى الى الاتجاه لاثيوبيا وتقديم أضخم دعم مادى قدمه لدولة فى العالم الثالث مما مكن آثيوبيا من استعادة الأرض مرة خرى وتهـديد دولة الصومال نفسها وتدخلت الولايات المتحدة التى حلت محل الاتحـاد السوفيتى نسبيا فى الصومال باقناعه بالانسحاب بعد ضمان عدم تجاوز القوات الأثيوبية لحدود الصومال الدولية .

وقد حاول اقليم اريتريا التحرر بالانفصال عن اثيوبيا الا أن التدخل السوفيتى الكوبى بجانب اثيوبيا أدى الى اخماد هذه الثورة مرحليا .

ومن ناحية أخرى فان للصومال أمل كبير فى استعادة الاقليم الشمالى الشرقى فى كينيا لتحقيق حلم الصومال الكبير ولكن لمصـالح القوى العظمى ودورها المؤثر أمكن وجود قدر محدود من الاستقرار فى هذا الجزء من القرن الافريقى .

وبالنسبة لجيبوتى فمنذ أن حصلت على استقلالها من فرنسا تعتبر أقل مناطق القرن الافريقى اثارة فالصومال تعتبرها أحد أقاليم الصومال الكبير ان آجلا أو عاجلا ، وهى تفضل عدم اثارة المشاكل معها. أما اثيوبيا فيربطها بالبحر الأحمر خط سكة حديد يمتد من داخل جيبوتى الى أديس أبابا فى أثيوبيا وهو ينقل حوالى ٦٠٪ من صادرات وواردات أثيوبيا .

وعلى الجانب الآخر فلقد مكن نظام الحكم الحالى فى اليمن الجنوبى الاتحاد السوفيتى من أن يحقق أمله فى التواجد فى المدخل الجنوبى فى البحر الأحمر (مضيق باب المندب) وبذلك تحقق الحزام السوفيتى الممتد من اليمن الجنوبية الى اثيوبيا وشمالا الى ليبيا .

أما فيما يختص باستراتيجية أمريكا نحو القرن الافريقى فانها تتبع سياسة الهدوء والمراقبة فى مواجهة الوجود السوفيتى والكوبى الى أن تلفظه أفريقيا من الداخل مع الاستعانة بالدول الصديقة فى المنطقة لدعم أى صراعات قد تتطور لصالح السوفييت .

من هذا يتضح تداخل أيدى القوى العظمى فى هذا الجزء الحساس من القارة الافريقية مما أفرز تأثيرات مباشرة على كل من دولتى التكامل مصر والسودان .

فالقرن الافريقى يعتبر عمقا استراتيجيا لمصر والسودان وأكبر دليل على ذلك غلق باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ • ومما لا شك فيه أن سيطرة احدى الدول العظمى وهى الاتحاد السوفييتى على مدخل البحر الأحمر يهدد اقتصاديات مصر والسودان حيث أن ميناء بور سودان هو الميناء الوحيد لتجارة السودان الخارجية كما أن تأمين الملاحة فى قناة السويس يحققها المرور بسلام من خلال مضيق باب المنـــدب •

ولقد يدفع الاتحاد السوفيتى النظام الاثيوبى للتـــدخل فى التدفق الطبيعى لمياه النيل من مصادره فى أثيوبيا بغرض حرمان مصر والسودان من حقهما الطبيعى فى هذه المياه وذلك كأسلوب للضغط على كل من مصر والسودان • وصحيح أن اقامة أى مشروع فى المنطقة الجبلية للنهر أمر ليس بالسهل سواء من ناحية التنفيذ أو التمويل خاصـــة أن المشـــاكل الاقتصادية التى تعانيها أثيوبيا فى وقتنـــا الحـــالى من الجفـــاف تستلزم ضرورة الاستقرار والفرغ للعمل الاقتصادى لفترة زمنيـــة قادمـــة ـــ الا أن العمل السياسى خاصة اذا دعم من الدول لعظمى يكون أمرا واردا فى التخطيط الاستراتيجى •

كما أن اثارة العناصر المتطرفة اللاجئة من جنوب السودان الى أثيوبيا لاثارة القلاقل فى السودان تهدد وحدته الوطنية وهو أمر يهـــدد أمن السودان الداخلى ويثير القلاقل والفتن مما يهدد أمن وادى النيل ككل •

وكما هو معلوم فان الصومال وجيبوتى هما دولتان عربيتان وأى تهديد لهما من قبل أثيوبيا يجب أن يواجه بمساعدة عسكرية من الدول العربية وأقرب هذه الدول للمنطقة هى السودان •

بعد هذا التصور لمدى تأثر كل من دولتى التكامل مصر والسودان بالصراعات الموجودة فى منطقة القرن الافريقى ننتقل الى الفصل الثانى للبحث وهو التكامل المصرى السودنى •

الفصل الثانى : التكامل المصرى السودانى

يعتبر التكامل بين مصر والسودان من الموضوعات الهامة المطروحة للدراسة الجادة هذه الأيام ، فالروابط التاريخية والسياسية والجغرافية جعلت من مصر والسودان قطرين شقيقين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فمصر تربطها بالبلاد العربية روابط الدين واللغة والتاريخ ولكن مصر ترتبط بالسودان برابطتين اضافيتين هما النيل وروابط الدم ، اذ لا تكاد توجد أسرة مصرية الا ولها فروع فى السـودان ولا تكاد توجد أسرة سودانية الا ولها فروع فى مصر .

وهذه الرابطة الخاصة بين مصر والسودان تاريخية منذ أن خلق الله الأرض ، خالدة بخلود النيل وفى كثير من فترات التاريخ كان ملوك مصر من السـودان وفى بعض الفترات كان حكام مصر والسـودان من المصريين لأن كلمة فرعون هى كناية عن البيت الكبير البيت الملكى الذى يسكنه الملك . فنحن عندما نقول البيت الأبيض يقصد به رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ونقول الكرملين نقصد بذلك حكام الاتحاد السوفيتى ، كذلك تعنى كلمة فرعون الحاكم المتسلط .

وجرى تسابق بين الدول الاستعمارية فى فتح هذه المناطق وغزوها وبين محمد على باسم الخلافة العثمانية الذى أرسل هو أيضا جيوشـا الى هنـاك .

وفى عهد اسماعيل اكتملت صورة السودان بحدوده الطبيعية بضم دارفور والمناطق المتاخمة للبحر الأحمر وبحر الغزال والمديرية الاستوائية. وكانت مصر والسودان فى ذلك الوقت جزء من الدولة العثمانية .

وعندما أرادت انجلترا أن تدلى بدلوها وتقاسم الدول الاستعمارية فى افريقيا احتلت مصر واستغلت الجيش المصرى فى قمع الثورة الوطنية فى السودان والتى عرفت بالثورة المهدية وهى ملازمة للثورة العرابيـة فى مصر .

ثم تتوالى حلقات التاريخ حتى كانت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حيث وقعت كل من مصر وبريطانيا فى ١٢ فبراير عام ١٩٥٣ اتفاقية الجلاء عن السودان ثم تلتها اتفاقية الجلاء عن مصر فى ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤ .

وما أن حلت نكسة يونيو عام ١٩٦٧ حتى كان اجتماع مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم ليتخذ قرارات مساندة مصر فى أزمتها وخرج شعب وحكومة السودان يساند مصر ويرفض الهزيمة العسكرية .

وخلال الفترة من عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ حاربت القوات السودانية جنبا الى جنب مع القوات المصرية فى فترات الصمود والاستنزاف والردع فى منطقة السويس وما أن تحقق نصر أكتوبر العظيم عام ١٩٧٣ الا وكان الطريق ممهدا لاعلان منهاج العمل السياسى والتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان فى ١١ فبراير ١٩٧٤ والذى بنى على أساس التنسيق فى السياسات لاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البلدين .

لقد كان أسلوب المنهاج هو التنسيق بين سياسات الدولتين وكل حكومة تنفذ أو لا تنفذ حسب ظروفها أو تلبية ووفاءا لارادة الشعبين الشقيقين فى أن يستشرق العمل التكاملى آفاقا جديدة متطورة تدفع جهودهما فى كافة المجالات وتسعى بجد وجهد الى تحقيق طموحهما فى الأخذ بأسباب التقدم وملاحقة التطور وصياغة حياة جديدة ومجيدة على أرض وادى النيل العظيم وقع الرئيسان محمد حسنى مبارك وجعفر محمد نميرى ميثاق التكامل بين مصر والسودان فى ١٢ أكتوبر عام ١٩٨٢ .

ولقد شمل الباب الأول لميثاق الأهداف والمبادىء ، وورد فى المادة الرابعة من هذا الباب أن تلتزم الدولتان بتحقيق أهداف هذا الميثاق خلال فترة انتقالية لا تتجاوز عشر سنوات تقسم الى مراحل زمنية محددة ويصدر فى شأن تحديد أهداف كل مرحلة ووسائل تنفيذها قرار من المجلس الاعلى للتكامل بعد موافقة برلمان وادى النيل .

أما الباب الثانى للميثاق فتناول ما يخص مؤسسات التكامل وهى المجلس الأعلى للتكامل ، وبرلمان وادى النيل ، وصندوق التكامل . وغطى الباب الثالث للميثاق أحكام عامة وختامية .

ولقد كانت الحكمة من تقسيم العمل التكاملى الى مراحل واضحة تلافى نقاط الضعف السابقة فى محاولات الوحدة ، حيث كان يتم اعلان الوحدة أولا ثم يعقب ذلك البحث عن أسلوب ووسائل تحقيق الوحدة التى غالبا ما تتعثر وفى هذه المحاولة الجديدة وهى التكامل — وهى محاولة مباركة ان شاء الله — تم تحديد الهدف الاستراتيجى الشامل للتكامل بين مصر والسودان فى ظل الميثاق على أنه تنمية القدرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية لمصر والسودان فى اطار من التكامل بين البلدين وصولا الى الوحدة خلال عشر سنوات .

ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجى يسير العمل التكاملى على محاور استراتيجية ثلاث متوازية فى وقت واحد خلال جميع مراحل التكامل وهذه المحاور هى :

١ — تنمية المصالح المشتركة بين الدولتين فى المجالات الخمسة (سياسية — اقتصادية — عسكرية — اجتماعية — ثقافية) .

٢ — ازالة القيود ورفع المعوقات والحواجز لزيادة التفاعل بين الشعبين .

٣ — اذابة الاختلافات والتناقضات بين الشعبين وحصرها فى أضيق الحدود .

وعلى ضوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة فى وادى النيل وفى المنطقة سواء عربيا أو افريقيا أو عالميا والتزاما بمبدأ واقعية التخطيط وتدرج التخطيط بما هو ممكن وصولا لتحقيق ما هو ضرورى — فلقد أصدر المجلس الأعلى للتكامل توجيهاته بتقسيم مراحل التخطيط لتنفيذ الميثاق على النحو التالى :

١ ــ مرحلة تمهيدية : مدتها عامان ٨٣/٨٤ :

وتهدف هذه المرحلة الى استكمال تنظيمات مؤسسات التكامل وأستكمال استصدار القوانين والتشريعات التى تخدم وتيسر العمل التكاملى واجراء دراسات جدية للمشروعات الاقتصادية والاجتماعية مع السعى لخلق فكر تكاملى موحد بين موأطنى وادى النيل ، هذا بالاضافة الى تنفيذ عدد محدود من المشروعات المدروسة ذات العائد السريع والملموس لدى الجماهير لتكون قدوة للعمل التكاملى .

٢ ــ مرحلة بناء التكامل : مدتها أربعة أعوام من فبراير ٨٥ الى ١٩٨٨ :

وتهدف هذه المرحلة الى تعميق جذور التكامل فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية بما يوحد المفاهيم السياسية ويعمق جذور الأمن القومى بين البلدين ،وايجاد قاعدة اقتصادية تكاملية مبنية على التكامل وليس على التنافس بين البلدين وبتشجيع القطاع الخاص وخلق بنية أساسية متكاملة بين البلدين .

وحيث ان مرحلة بناء التكامل نحن بصدد البدء فيها فيكون مناسبا أن اعرض على سيادتكم اهم السمات الاستراتيجية لهذه المرحلة الحاسمة وهى :

(أ) استغلال عناصر القوة فى كل من الاقتصاد المصرى والاقتصاد السودانى من خلال خطة التنمية التنسيقية التكاملية للبلدين والتى صدر بها توجيه من المجلس الأعلى .

(ب) تطوير الوحدات الانتاجية القائمة فى كل من البلدين بهدف زيادة الانتاج وتجديده وتحديثه بما يكفل سد حاجة البلدين مثل صناعات (السكر ــ الزيت ــ الأسماك ــ الجرارات ــ الدواء) .

(جـ) اتباع استراتيجية الاعتماد على الذات بقدر الامكان ومحاولة سد الفجوة فى الطلب من السلع والخدمات الأساسية فى البلدين .

(د) تنفيذ عدد من المشروعات الصغيرة المشتركة الزراعية فيهما والصناعية ذات العائد السريع الملموس التى تستجيب للحاجات الملحة للجماهير العريضة وخاصة فى مجال الأمن الغذائى .

(هـ) تنشيط التجارة بين شطرى الوادى وازالة المعوقات التى تعترض المعاملات المالية والتجارية من اللوائح والقوانين .

(و) تشجيع المشاركة الشعبية فى تمويل المشروعات المتكاملة والاسهام فيها بواسطة البنوك وشركات التأمين وصناديق النقابات المهنية والاتحادات العمالية وبنك وادى النيل المتخصص .

(ز) الانتهاء من مشروعات الربط بين شمال وجنوب الوادى سواء طرق برية أو نهرية أو جوية أو اتصالات سلكية أو لاسلكية .

(ح) توحيد سياسات ونظم ومناهج التعليم فى البلدين وفق خطة زمنية متدرجة وتوحيد أنظمة الرعاية الاجتماعية .

(ط) استكمال تنظيمات المؤسسات الاعلامية والثقافية المختلفة .

(ى) زيادة التنسيق والتكامل فى المجال الخارجى والعلاقات الدولية وخاصة فى المجال العربى والافريقى ودول حوض النيل تمهيدا لتوحيد السياسات بما يخدم ويؤمن العمل والتنمية فى البلدين .

(ك) زيادة تدعيم الأمن القومى للبلدين لردع العدوان عنهما ضد أى قوى معادية .

(ل) استكمال حصر ودراسة القوانين واللوائح فى البلدين والعمل على ازالة كافة العقبات الموجودة فى تشريع كل دولة على حدة والتى قد تعوق مسيرة التكامل فى المجالات التى نص عليها الميثاق .

٣ ــ مرحلة خلق المناخ المناسب للوحدة : مدتها أربعة أعوام ٨٩/٩٢ :

وتهدف هذه المرحلة الى تطوير خطوات التكامل وايجاد وحدة هدف مثل توحيد النقد ، وتوحيد النظم السياسية والتمثيل الدبلوماسى ، وتوحيد القيادة العسكرية ، وتوحيد وسائل الاعلام ، وتوحيد مناهج التعليم.. الخ مع السعى لتصحيح نطاق التكامل فى لمجال العربى باعتباره خطوة رائدة لازمة لتحقيق الوحدة على النطاق العربى .

ولعله من المستحب الآن أن أكتفى بما ورد عن التكامل المصرى السودانى وأترك للقارىء والمستمع الاطلاع على الكتيبات المرفقة والتى تشمل الميثاق ، ومؤسسات التكامل ، ومنجزات المرحلة التمهيدية .. الخ لأنتقل الى الفصل الثالث من البحث .

الفصل الثالث : التهديدات الرئيسية للأمن القومى والمرتبطة باحتياجات مصر والسودان من مياه النيل

من المسلم به أن لكل دولة حقوق أساسية تتمثل فى حق بقائها فى المجتمع الدولى ومن هنا يجب تحديد الأخطار الخارجية والداخلية التى قد تتعرض لها فى الحاضر والمستقبل • وباعتبار أن منابع النيل هى مصدر المياه الرئيسى لكل من مصر والسودان فان تهديد منابع النيل هو تهديد مباشر للأمن القومى للبلدين نوضحه فيما يلى :

أولا : التحديات الاقتصادية فى مصر والسودان وعجز الانتاج الزراعى لقلة الرقعة الزراعية ومطالب تحديث الزراعة فيهما •

ثانيا : التسلل السوفيتى فى أفريقيا ووصوله الى منابع النيل يمثل تهديدا مباشرا وكذلك يفرض قيودا على القرار المصرى السودانى •

ثالثا : الاعتداء على حقوق مصر والسودان فى ميـاه النيـل باقامة المشروعات الهندسية المضادة والمزمع اقامتها داخل اثيوبيا •

اولا : عجز الانتاج الزراعى يمثل تهديدا رئيسيا للأمن القومى :

فى هذه المرحلة الحاسمة لبناء دولتى التكامل مصر والسودان يعتبر الأمن الغذائى ضرورة حتمية نتيجة اختلال التوازن بين الانتاج الزراعى وعدد السكان ، وهذا لا يتأتى الا بتأمين مياه النيل ضـد التهديدات الخارجية وترشيد استهلاك المياه والحصول على حصص اضـافية تغطى المشاريع المخططة فى مجال الزراعة •

وبمعنى آخر فان أمن كل من مصر والسودان يرتبط ارتباطا وثيقا ليس فقط باستكمال مشروعات أعالى النيل بالتعـاون مع السـودان ولـكن بزيادة هـذه الحصة المائية بالتعـاون مع باقى دول حوض النيل وهو الأمر الذى يهمنا فى هذا البحث •

ثانيا : التسلل السوفيتي فى افريقيا ووصوله الى منابع النيل :

لقد استطاع الاتحاد السوفيتي تحقيق وجود عسكرى فى أثيوبيا وليبيا . وما زال التدخل الليبى فى تشاد حتى الآن يمثل تهديدا للسودان .

ومن الأهمية أن نشير الى أن التدخل السوفييتى فى أفغانستان قد شجع السوفييت على الاعلان عن استراتيجية جديدة لوضع العالم أمام الأمر الواقع وهو ما أطلق عليه فى السياسة الدولية مبدأ برجينيف التوسعى، وهو يعنى أن الاتحاد السوفيتى له الحق فى استخدام قوته المسلحة ليس فقط للمحافظة على الحكومات الشيوعية القائمة حاليا مثلما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ — ولكن عليه معاونة الشيوعيين لتولى السلطة فى مناطق خارج العالم الشيوعى الحالى .

وحيث أن التواجد السوفيتى أصبح حقيقة واقعة فوق منابع نهر النيل فهو يهدد بتدخل خارجى مباشر أو غير مباشر فى شئون االسودان ومصر .

ثالثا : الاعتداء على حقوق مصر والسودان المكتسبة فى مياه النيل :

لقد حددت قواعد القانون الدولى أن من أهم العناصر التى تحدد النصيب العادل فى مياه النهر هو الاستخدام المسبق لمياه النهر ، مع الأخذ فى الاعتبار الاستخدام الحالى له ، ثم الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة ومدى اعتماد الشعب على مياه النهر (بيان جماعة القانون الدولى فى هلسنكى عام ١٩٦٦) . ولهذا فان أى مشروع هندسى على أنهار وروافد نهر النيل يجب أخذ رأى كل من مصر والسودان قبل البدء فيه واقراره ، وان أى انتقاص من حصة المياه لكلا الدولتين يعتبر اعتداء على أمنهما القومى .

والمشروعات الهندسية المزمع اقامتها تهدد حق مصر والسودان فى مياه النيل فاقامة السدود على النيل الأزرق داخل اثيوبيا واقامة ثلاثة خزانات صغيرة بغرض توليد الكهرباء ينقص من ايرادات النيل فى حدود ٥ مليار متر مكعب مياه .

أما بخصوص كل من نهرى عطبرة والسوباط فان انشاء خزانات على هذين النهرين قبل دخولهما الى حدود السودان بمسافة ٧٠—١٢٠ كم— يسبب كلاهما استقطاع حوالى ١٢ مليار متر مكعب من مياه النيل .

امن منابع النيل من وجهة النظر المصرية السودانية :

من التهديدات الرئيسية الواردة فى هذا البحث فى أكثر من موقع يمكن استقراء مفهوم لأمن منابع النيل من وجهة النظر المصرية السودانية وفى نفس الوقت ينبع من قواعد التعاون الدولى فهو مفهوم له قاعدة شرعية دولية • وهذا المفهوم محدد فى أربع نقاط كالآتى :

١ — ضرورة التمسك والحفاظ على الحقوق القانونية والتاريخية المكتسبة فى مياه نهر النيل •

٢ — زيادة الايرادات المائية النيلية لصالح الأجيال القادمة •

٣ — المحافظة على أمن واستقرار السودان •

٤ — معاونة دول منابع النيل فى تحقيق التنمية فى المجالات المختلفة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا •

ويعتبر هذا المفهوم هدف سياسى لدولتى التكامل مصر والسودان ودائرة تحرك لها الأسبقية الأولى •

ونجاح مصر والسودان فى تحقيق أمن منابع النيل يتحدد فى مدى قدرتهما على العمل فى ثلاثة اتجاهات رئيسية هى :

١ — الاتجاه الأول : وهو تدعيم وتنشيط هيئة دول حوض النيل :

وذلك بتدعيم هيئة دول حوض النيل ليكون لها هيكل المنظمات الدولية الاقليمية ، وان لمصر والسودان قدرة على أن تكونا رائدتين لهذه الكتلة السياسية والاقتصادية لدول حوض النيل بغرض :

(أ) عقد اتفاقية جديدة بين دول حوض النيل تقرر الحقوق المكتسبة لجميع الدول على مجرى النيل طبقا للعرف الدولى ، علما بأن اثيوبيا تدعى أنها لم توقع على أى معاهدة مع مصر بخصوص الانتفاع بمياه النيل •

(ب) فتح آفاق جديدة فى مجال التعاون الخلاق للاستغلال الأمثل لمياه نهر النيل واقامة المشروعات المشتركة حيث أن مصر والسودان تبغيان المياه ، وباقى دول حوض النيل فى حاجة الى الكهرباء • وبما أن الفاقد من أنهار الهضبة الاستوائية يمثل ٧٥٪ من ايرادها — يمكن اقامة مشروعين رئيسيين هما :

١ ــ بالنسبة للهضبة الاستوائية تقليل الفاقد بأقل ما يمكن بمـا يعطى ايرادا لنهر النيل فى حدود ١٨ مليـار متر مكعب وذلك بانشـاء خزانات على بحيرة فيكتوريا وكيوجا ، لأن زيادة ارتفاع متر واحد حول بحيرة فيكتوريا يعطى ٦٥ مليار متر مكعب من المياه .

٢ ــ أما بالنسبة للهضبة الأثيوبية فيكون بانشاء خزانات على نهر السوباط وبحيرة تانا .

٢ ــ الاتجاه الثانى : وهو التكامل المصرى السودانى :

ان الاسراع والجدية فى تحقيق خطوات التكامل المصرى السودانى وتطبيق معاهدة الدفاع المشتركة بين البلدين عندما يتعرض السودان لأى أخطار ــ لهو التأمين العملى ضد أى تهديدات عسكرية متوقعة ضـد السودان ومصر .

٣ ــ الاتجاه الثالث : اتجاه سياسى ويشمل :

(أ) آن الآوان لعودة الثقة والعـلاقات الحسنة بين كل من مصر والسودان من جهة وبين أثيوبيا من جهة أخرى كما آن الآوان لتحسين العلاقات بين مصر والسودان من جهة وبين الاتحاد السوفيتى من جهـة أخـرى .

(ب) أهمية ربط المصالح والأهداف العربية بالمصالح والأهـداف الأفريقية ، وهذا البند يحتاج لبحث منفصل حيث يشمل اتجاهات عديدة لتوضيحه بما فى ذلك تخفيف أو انهاء التيار العربى المتحفظ للمستثمرين العرب للعمل فى افريقيا ، وفى هذا المجال أوضح أن ثلثى العالم العربى من القارة الافريقية .

(جـ) من الأهميـة بمكان أن تتجـاوز المفهـوم الذى يربط مصر والسودان بدول حوض النيل وشمال افريقيا ليتسع ويشمل كل الدول الافريقيـة .

(د) الوقوف بكل حزم واخلاص لمعالجة المشاكل الافريقيـة عن طريق منظمة الوحدة الافريقية دون ادخال العنصر الأجنبى فى حلها وهذا يحقق وضع للتضامن المصرى السودانى مع دول القارة الافريقية .

وفى النهاية تحضرنى العبارة المشهورة التى سجلها المؤرخ اليونانى هيرودوت من أن مصر هبة النيل . وفى الحقيقة فان هذه العبارة ليست الا تجسيد لواقع . وحدود مصر هى حدود السودان وحدود السودان هى حدود مصر ومن هذا المنطلق نفكر وعلى هذا الطريق نسير .

بسم الله الرحمن الرحيم « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

صدق الله العظيم

أريد غردون لأفتدى به عرابى باشا .

محمد أحمد المهدى ــ ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ .

لا يمكن لمصر أن تعيش بدون السودان أصلا .

سعد زغلول ــ ٢٨ يونيه عام ١٩٢٤ .

لا يمكن فصل الشمال عن الجنوب .

على الميرغنى ــ عـام ١٩٤٦ .

لقد قامت ثورتنا فى مصر لا من أجل مصر وحدها بل من أجل الوادى ، مصر والسودان سواء بسواء .

محمد نجيب ــ ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٣ .

ان مصر تهنىء السودان باستقلاله وتسانده .

جمال عبد الناصر ــ ١٩ ديسمبر عام ١٩٥٣ .

اننا نذكر للرئيس نميرى عمله الدائب فى سبيل وحدة وادى النيل وتفانيه فى ازالة الحواجز المصطنعة بين الشعبين التوأمين .

محمد حسنى مبارك ــ ٢٤ مايو عام ١٩٨٣ .

التكامل بين مصر والسودان ليس مجرد اجتهاد حكومات وانما هى ارادة شعب واحد تجاوز الغيوم العابرة بين الحكومات .

جعفر نميرى ــ ٢٥ مايو عام ١٩٨٣ .

التدخل الأجنبى فى القرن الأفريقى

دكتور/عبد الرحمن اسماعيل الصالحى
جامعة الزقازيق

أبرزت المنازعات الافريقية المتمثلة فى منازعات الحدود والحروب الأهلية قضية هامة وهى قضية التدخل الأجنبى فى شئون القارة الافريقية .

وبرزت ظاهرة التدخل فى منطقة القرن الافريقى بصورة أكثر تحديدا ، ولعل مرجع ذلك ما تتميز به هذه المنطقة بمحددات استراتيجية معينة ربطت بينها وبين الدوافع الاستراتيجية للدول الكبرى، فضلا عن أن التدخل الأجنبى معروض على تلك المنطقة الهامة فى أفريقيا سمته فى ذلك سمة التدخل الأجنبى فى العالم الثالث الذى لا تملك دولة دفعه عنها أو حصر دائرته بعيدا عنها ، فبجانب ما تملكه القوى الأجنبية من محددات ومرتكزات تسمح لها بالتدخل السهل والميسر فان الدول الافريقية لا تملك دفعه فى ذات الوقت بسهولة ويسر بل لقد ذهبت بعض الدول الافريقية الى حد استدعاء الدول الأجنبية للتدخل حماية لمصالح قد تبدوا فى نظرها قومية وتحقيقا لمآرب معينة وقد يساهم فى تسهيل هذا الأمر طبيعة المناخ السياسى والاقتصادى والتباين القبلى لتلك الدول .

ومنطقة القرن الافريقى لم يهدأ بعد لهيب نيرانها المشتعل فى الاوجادين والذين تمثل صورة واضحة لمظاهر وسمات ومحددات وأهداف هذا التدخل .

والواضح أن بؤرة الصراع تتمثل فى الأوجادين أكثر من غيرها وان كان ذلك لا يعنى أن منطقة القرن الافريقى قاصرة على الأوجادين فحسب فمنطقة الصراع تشمل أقاليم أخرى غير الأوجادين (١) الا أن منطقة

---

(١) تشتمل منطقة القرن الافريقى جيبوتى والصومال واثيوبيا

الأوجادين تعد التأكاة التى استندت عليها القوى الأجنبية فى تدخلها أو بمعنى آخر هى ركيزة التدخل فى القرن الافريقى وذلك ما يركز عليه الباحث حيث يوضح مرتكزات التدخل الأجنبى فى تلك المنطقة سواء المتعلق بالجانب الافريقى أو بالجانب الأجنبى مع ابراز دور القوى الأجنبية والقوى الاقليمية ودافع كل منها مع تبيان أن دفع التدخل أمر وان كان يبدو متعذرا مع التسهيلات الأفريقية والخبرة الأجنبية الا أن هناك بعض التصورات التى أوردها الباحث فى نهاية البحث لكيفية الحد من هذا التدخل ان لم يكن منعه فى اطار استراتيجية أفريقية متكاملة •

مرتكزات التدخل الأجنبى

للتدخل الأجنبى عديد من المرتكزات التى يرتكز عليها لتكون أداة دافعة له ومحركة اياه ، وهذه المرتكزات لا تأتى من جانب العامل المحدد الأجنبى فحسب بل أيضا من طبيعة الجانب الأفريقى •

(أ) مرتكزات افريقية :

وهى تلك المتعلقة بطبيعة الظروف والمناخ السياسى والاقتصادى والقبلى فى أفريقيا بصفة عامة والتى تبتعد عن منطقة القرن الافريقى بالتالى بل تمثلها تمثيلا صادقا بتبايناتها القبلية وتنافرها وعدم استقرارها • ولقد غرس الاستعمار جذور التفكك والتباين فى هذه البيئة وأبرز صورها التفكك الاجتماعى والضعف السياسى والاقتصادى نتيجة التجزئة التى

=

وما جاورها كما تشمل منطقة الجبهة الشرقية لاثيوبيا المشتعلة بالصراع الاوجادين وهرر فى الشمال وسكانهم قبائل صومالية ويقود حركة التحرير فيها الجبهة المتحدة لتحرير الصومال الغربى ، واقليم مالى وعروس وسيد أمور فى الجنوب وسكانهم من الجالا الذى يعتبرون أنفسهم يختلفون عرقيا عن الصوماليين والاثيوبيين ولهم حركة خاصة بهم تقودها جبهة تحرير أورومو وتنحصر مطالبهم فى تحقيق الانفصال عن اثيوبيا .

راجع :

Hancock, Grakham, «Somalia», **Africa Guide** (England : David Janieson, 1978), PP. 278-279.

— Poxter, P.T.W., «Ethiopia's Unacknowledged Problems : The OROMO», **African Rffairs,** Vol. 77, No. 308, July 1978, PP. 283-296.

فرضها فى صورة حدود مصطنعة ، تلك الحدود التى تعد فريدة فى نشأتها وتطورها ذلك أنها جاءت متنافية ومتنافرة مع الأسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية والحربية والقبلية ولم تستند لأى أساس من تلك الأسس فكانت تعسفية تحكمية (١) أريد منها التجزئة الى وحدات سياسية أصغر بحيث يضمن المستعمر عدم توحيد الشعوب وضعف السياسات الافريقية وخلق تقسيمات غير طبيعية تثير منازعات لا تنتهى بل قد تستمر عشرات السنين . ولقد تمثل هذا الوضع بصورة واضحة فى القرن الافريقى (٢) ونتيجة طبيعية لتلك الظروف ازدادت المشكلات وتفاقمت واشتعلت الحروب والصراعات وكانت أبرز هذه الأمثلة متمثلة فى الصومال وأيثوبيا وصاحبها لجوء عديد من الصوماليين من الأوجادين الى جمهورية الصومال للحاق بأهليهم وذويهم .

ولقد شجعت هذه البنية المتباينة المتعلقة بالمشكلات على توفير المناخ الخصب لمزيد من التدخل الأجنبى فى منطقة القرن الافريقى ومناطق أخرى تتسم بنفس الخصائص وذلك باثارة عديد من الصراعات السياسية والاجتماعية ، واستغلال المناخ المتباين لتحطيم الوحدة الوطنية واضعاف مبدأ حسن الجوار .

وفضلا عن ظاهرة عدم التماسك والتماثل السياسى والاقتصادى والقبلى فان البنية الأساسية لمعظم دول أفريقيا ومنطقة القرن الافريقى

---

(١) راجع فى سوء تخطيط ورسم الحدود وتقسيم القارة والمشكلات الناجمة عن ذلك :

— Tagil, Saven, «The Study of Boundaries, and Boundary Disputes» in : Widstrand, C.G. (ed), **African Boundary Problems** (UPPsala : The Scandinaran Institute of African Studies, 1969), PP. 165-166.

— Touval Saadia, «Africa's Frontiers Reactions to a Calonial Legacy», **Internationl Affairs**. No. 42 ; 1966, P. 641.

(٢) ترى الصومال ضرورة تكوين دولة قومية تعرف بالصومال الكبير تضم اليها الأراضى الصومالية التى قسمها الاستعمار الى أجزاء عدة وهى الصومال البريطانى ولصومال الايطالى (وهما حاليا جمهورية الصومال) والصومال الفرنسى (جيبوتى) والصومال الكينى (أجزاء من كينيا) والصومال الاثيوبى (منطقة الاوجادين) راجع :

Potholm, P. Christian, Four **African Political Systems** (New Jersy : Prentic Hall, INC, 1970), P. 181.

واحدة منها من تأن من تركتها المثقلة التى خلفها لها الاستعمار والمتمثلة فى ضعف الهيكل الاقتصادى والادارى والسياسى ومن ثم فان دعائم استقلالها الحقيقى دائما ما تكون مهتزة وواهنة أمام الفقر والتخلف الأمر الذى يشجع ويساعد على التدخل الأجنبى فى سهولة ويسر ، وليس من المغالاة فى القول بأن دولا أفريقية تستدعى الدول الأجنبية للتدخل أمام تلك الظروف •

ويواكب هذا التخلف بسماته الظاهرة أمر غاية فى الأهمية وهو تبعية الدول الافريقية لفترات طويلة بعد استقلالها للقوى الأجنبية سواء التى كانت تستعمرها سابقا أو غيرها • وتتميز ظاهرة التبعية بعدة خصائص لعل من أبرزها التخصص فى انتاج وتصدير المنتجات الأولية وسيطرة الأجهزة الأجنبية على عملياه التجارة الخارجية فضلا على اعتماد على رؤوس الأموال الأجنبية فى تمويل الجانب الأعظم من برامج وخطط التنمية (١) •

ومجمل القول أنه بحكم ما تتسم به دول أفريقيا من عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى فضلا عن امكانية استثمار ظاهرة البلقنة وبالاضافة الى التخلف الاقتصادى فان هذه العوامل مجتمعة تشجع التدخل الأجنبى بل تفتح له الباب على مصرعيه خاصة مع توافر الخبرة الأجنبية للتدخل وتواجد الأدوات التى تسهل مهمته وتنميه •

(ب) مرتكزات اجنبيـة :

وتنطوى هذه المرتكزات على خبرة القوى الأجنبية فى التدخل وأدواتها الملائمة لذلك تحقيقا لمصالحها الحيوية فى المنطقة محل التدخل واستثمارا للبنية الافريقية المناسبة للتدخل ، ولعل فى استقراء بعض الأحداث الافريقية ما يؤكد ذلك ، فلقد حسم الدور الأجنبى عديدا من المنازعات الافريقية التى فشلت فيها الجهود الافريقية ولعل أقرب الأمثلة وضوحا تلك المعارك التى دارت بين أثيوبيا والصومال حول الأوجادين ولم يحسمها سوى السلاح السوفيتى والقوات الكوبية التى استخدمتها أثيوبيا كما أن القوة التى اكتسبتها جبهة البوليساريو فى صراعها مع المغرب حول الصحراء كانت بفضل المساندة السوفيتية لهذه الجبهة عن

---

(١) مجدى حماد ، صراع القوى الكبرى فى افريقيا (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٧) ، ص ١٤ .

طريق ليبيا ولولا هذه المساندة لما صمدت جبهة البوليساريو فى وجه المغرب . كذلك فقد كان للدور الأجنبى أثره فى الحرب الأهلية فى زائير وان تأرجحت مواقف القوى الأجنبية طبقا للظروف السائدة (١) فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية وسائل التدخل غير المباشر (المشاركة بالانابة) فأنابت عنها فرنسا فى أحداث شابا وان كانت تعلم أن فرنسا لها مطامع أيضا فى المنطقة ، الا أن ذلك كان هو الأفضل المتاح ضمانا لتحقيق المصالح الأمريكية فى زائير (٢) خصوصا مع وجود موقف سوفيتى محدود (٣) ، وان كان من بواعث اخماد هذه الحرب ذلك التعديل الذى حدث فى السياسة البلجيكية وكان من نتيجة ايقاف الامدادات العسكرية والمادية الى قوات الانفصال .

ومن الأمثلة الواضحة أيضا التدخل الأجنبى فى صراع الحرب الأهلية فى نيجيريا (انفصال اقليم بيافرا) ذلك أن السلاح البريطانى والسوفيتى للحكومة النيجيرية كان هو العامل الحاسم فى هذه الحرب .

وبصفة عامة استطاعت القوى الأجنبية أن تقنع مناطق كثيرة فى أفريقيا بأنها أداة الحسم دائما ، وقد ساعدت تلك القوى عدة ظروف مهدت لها الطريق للتدخل وليست هذه الظروف والملابسات أفريقية بالدرجة الأولى ، فقد واكب البيئة الافريقية الصالحة للتدخل ظروفا عالمية كان من أبرزها انتهاء جولة فى آسيا بهزيمة الطرف الأمريكى فى فيتنام ، ومن ثم البحث عن ميدان جديد للحرب الباردة ، كذلك استغل السوفيت موقف التقييد الذى فرض على السلطة التنفيذية الأمريكية فى تدخلها خصوصا بعد هزيمة فيتنام وفضيحة وترجيت وساعد على هذا الاستغلال النصر الذى أحرزه السوفيت فى أنجولا .

---

(1) Morgenthou, Hans J, To Intervence Or not to Intervence», **Foreign Affairs**, Vol. 45, No. 3, April, 1967, P. 428.

(2) **Dept. State Bull.** Vol. 78, No 2016, July, 1978, P. 35.

— Matatu, Godwin, «A New Katanga in Zaire», **Africa**, No. 68, April, 1977.

(3) Harris, P.B. **Studies in African Politics** (London : Hutchinson University Library, 1970), P. 61.

ولعل أقرب الأمثلة وضوحا على التدخل الأجنبى فى أفريقيا ذلك الصراع الدائر فى تشاد وان لم تقيم بعد نتائجه الا أن القوى الأجنبية لعبت فيه دورا بارزا يعمل باستمرار على تجدد الصراع •

وتستند تلك الخبرة التى أثبتت تواجدا حقيقيا فى أفريقيا الى أدوات ونماذج تستخدمها فى التدخل ولعل من أبرزها (1) :

١ ـ تغذية المنازعات الافريقية خاصة المتعلقة بالحدود وتكديس الاسلحة لدى كل طرف حتى يستمر النزاع وبالتالى يستمر التدخل الأجنبى •

٢ ـ استثمار الخلافات والصراعات القبلية وخاصة المرتبطة بالأقليات القومية وتشجيع حركات الانفصال التى تقوم بدورها باستدعاء الطرف الأجنبى توطيدا لموقفها ويتم فى هذا الاطار استخدام المرتزقة الأجانب وبالتالى زعزعة الاستقرار السياسى والاقتصادى •

٣ ـ تشجيع بعض الاتجاهات الايديولوجية المعينة ولو أدى ذلك لاحداث انقلابات عسكرية لمواجهة الاتجام الايديولوجى المعاكس •

الأهداف الاستراتيجية لقوى التدخل

ليس هناك شك أن هناك علاقة ارتباط طردية قوية قد تصل الى حد التلازم بين الأهمية الحيوية لمنطقة القرن الافريقى وبين حرص الدول الأجنبية على التدخل فى المنطقة تحقيقا لأهداف مخططة ومدروسة ولمناقشة ذلك نعرض أولا الأهمية الاستراتيجية للمنطقة ثم مصالح القوى الأجنبية بها •

أولا : البعد الاستراتيجى للمنطقة واهميته :

تمثل منطقة القرن الافريقى بعدا استراتيجيا هاما ، ولعل من أبرز ما يضفى على هذا البعد أهمية هو ارتباطها بالبحر الأحمر الذى له معظم الخصائص الجيوبوليتيكية التى تجعل منه ممرا بالدرجة الأولى ومقرا

---

(1) راجع : مجدى حماد ، مرجع سابق ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

بالدرجة الثانية (١) فهو بمثابة ممر يربط المتوسط عبر قنـاة السويس بالمحيط الهندى الذى يدور فيه التنافس الدولى بين القوى الكبرى على أشده (٢) أى أن القيمة الاستراتيجية الحقيقية للبحر الأحمر تكمن فى تغلغله أو تجاوره أو تماسه مع عدة مناطق بالغة الحساسية مثل القرن الافريقى والشرق الأوسط والعالم العربى ، فالبحر الأحمر يمثل أهمية كبرى من ناحية الأمن سواء الأمن العربى بصفة عامة وأمن البلاد العربية (البحر أحمرية) والبلاد الافريقية التى تطل عليه بصفة خاصة • وهذه الدوائر الأمنية متصلة ومتداخله ومركز ثقلها الاستراتيجى هـو القرن الافريقى وما يجاوزه من مناطق (٣) وواضح أن من أهم مداخله الجنوبية باب المندب بين الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية وبين أفريقيا حيث يمتد مضيق باب المندب الى جيبوتى وأثيوبيا على الجانب الغربى أو الافريقى (٤) • ومن هذا يمكن القول أن البحر الاحمر يكتسب أهميته الاستراتيجية من موقعه الجغرافى سواء عن طريق باب المنـدب أو قناة السويس حيث مسار الطاقة البترولية ، كما أنه يربط بين منطقتين من أهم وأخطر منـاطق الصراع الاقليمى والدولى وهمـا الشرق الأوسط والقرن الافريقى •

---

(١) محمود توفيق محمود ، « البحـر الاحمـر فى الاستراتيجيـة الدولية » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٧ ، يوليو ١٩٧٩) ، ص ٣٧ •

(٢) د. على الدين هلال ، « الأمن العربى الاستراتيجى فى منطقة البحر الاحمر » ، مجلة المستقبل العربى (عدد ٩ ، سبتمبر ١٩٧٩) ، ص ١٠٣ •

— راجع فى الصراع الدولى فى المحيط الهندى :

— Burt, R., Strategic Politics and the Indian Ocean **Pacific Affairs** Vol. 47, 1975, PP. 509 - 514 A.

— Ghebhart, «Soviet and US Interest in the Indian Ocean», **Asian Survey SIPRI Year Book,** London, 1977.

(٣) أمين هويدى ، « البحـر الاحمـر والامن العـربى : الاهميـة الاستراتيجية » ، مجلة المستقبل العربى (عـدد ١١ ، ينـاير ١٩٨٠) ، ص ٢٥ •

(٤) د. السيد عليوه ، « الجوانب الاستراتيجية فى صراعات البحـر الاحمر » ، مجـلة السياسـة الدوليـة (عـدد ٥٩ ، ينـاير ١٩٨٠) ، ص ص ٣٦ — ٣٧ •

وفضلا عن ذلك فان ارتباط البحر الأحمر بالمحيط الهندى جعله محل تنافس دولى جديد قد يؤثر بل سيؤثر على أمن وسلام الدول الاقليمية فى المنطقة (١) ولا شك أن التواجد العسكرى للقوى الكبرى فى البحر الأحمر سواء كان هذا التواجد مباشر أو غير مباشر يؤثر بلا شك على ميزان القوى فيما بين دول المنطقة (٢) .

وان كان البحث لا يتعرض لتحليل الأهمية الاستراتيجية لكل دول المنطقة الا أنه يلزم ايضاح أن الصومال وهى طرف نزاع الأوجادين تكتسب أهمية استراتيجية بالغة ذلك أنها تعد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ولعل ذلك يفسر الاهتمام السوفيتى فى وقت من الأوقات بالصومال لاتخاذها وسيلة للضغط على السودان ومصر والدول المنتجة والمصدرة للبترول فى الخليج العربى (٣) عن طريق ميناء بربرة الصومالى .

كما أن وضع اريتريا كمنطقة داخل القرن الافريقى ذات ثقل استراتيجى يعمل على تعقيد المواقف الجيوبوليتكية فى جنوب البحر الأحمر فيسبب هذا الوضع اتفاق (٤) مواقف اسرائيل هى الحليف الامريكى القوى ومواقف الاتحاد السوفيتى وكوبا ازاء أديس أبابا ، كما أن الموقع الهام لاريتريا أجبر الامريكان على التمسك بأثيوبيا رغم تحولها اليسارى (٥) .

---

(١) عبد العاطى محمد ، « البحر الاحمر ومخاطر الصراع الدولى » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٤٥ ، أكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٦٦ .

(٢) دول البحر الاحمر هى مصر والسودان وأثيوبيا وجيبوتى واسرائيل والاردن والسعودية واليمن الشمالية واليمن الجنوبية والصومال.

(٣) د. نبيل احمد حلمى ، « أمن البحر الاحمر والقرن الافريقى » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٤٥ ، أكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٨١ .

(٤) تمتد اريتريا من حدود الصومال الى جيبوتى وتطل على البحر الاحمر مباشرة ، وهذا الامر يضفى عليها ميزة التحكم فى الجزر المتناثرة فى باب المندب علاوة على تحكمها فى منفذ أثيوبيا على البحر ومن ثم تستطيع أن توقف الامدادات العسكرية والتموينية القادمة من البحر ، ويعد ميناء عصب الميناء الرئيسى لاريتريا والمنفذ الرئيسى لها على البحر الاحمر ، راجع :

عبد العاطى محمد ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٥) محمود توفيق محمود ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

وربما يفسر ذلك الاتفاق الغير مباشر بين أمريكا والسوفييت على هزيمة الصومال فى حربه مع أثيوبيا بالحيلولة دون أن تصبح منطقة البحر الأحمر منطقة عربية .

ومن المناسب هنا تنبيه الدول العربية الى أهمية استقلال اريتريا عن الدولة الأثيوبية (١) مع التحذير كذلك من تطلع أثيوبيا الجدى والمستمر لاحتواء جيبوتى .

وبجانب هذه الأهمية الاستراتيجية فان هناك العامل الاقتصادى المحدد لعوامل التدخل أيضا فى القرن الافريقى ، فقد أثبتت أعمال التنقيب فى الفترة الأخيرة على الساحل الصومالى وجود كميات كبيرة من البترول تحت باطن الأرض وذلك فضلا عن اكتشاف كميات اقتصادية من اليورانيوم فى الصومال بالقرب من العاصمة مقديشو (٢) .

ثانيا : مصالح القوى الاجنبية فى المنطقة :

هناك أهداف محددة متباينة للقوى الأجنبية المتداخلة فى القارة الافريقية وعلى وجه التحديد فى منطقة القرن الافريقى موضوع الدراسة تلك المنطقة المرتبطة بالبحر الأحمر ذو الوضع الاستراتيجى المتميز حيث يحظى اقليم البحر الأحمر بقدر أكبر نسبيا من عوامل التوتر فى العلاقات العربية الافريقية (مشكلة امتداد الظاهرة العربية داخل أفريقيا كما فى الصومال وجيبوتى) وما يترتب على ذلك من مخاوف وبروز صور مشوهة لاختلاط العروبة بالاسلام ، فضلا عن مشاكل الأمن المشترك التى ظهرت فى قضية عروبة البحر الأحمر ، بالاضافة الى الانعكاسات التاريخية للتمايز الدينى بين أثيوبيا المسيحية وجارتها المسلمات .

ولا شك أن استمرار هذه القضايا ينعكس ولو جزئيا على الصراع فى القرن الافريقى (٣) .

---

(١) د. نبيل احمد لحمى ، مرجع سابق ، ص ٨٢ – ٨٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٣) د.احمد يوسف احمد ، « سياسات البحر الاحمر والعلاقات العربية الافريقية » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠) ، ص ٢١

وبلا شك فان صراع القوى الكبرى فى منطقة القرن الافريقى وتدخلها فى المنطقة انما يدور اساسا حول مصالح وأهداف جوهرية هامة سواء كانت هذه المصالح اقتصادية أو أيديولوجية أو استراتيجية ، خصوصا وأن أوضاع المنطقة تعمل على تغذية الصراعات الايديولوجية بتناقضاتها وتباينها الايديولوجى فهناك أثيوبيا وان كان تحولها نحو الاشتراكية يسير بخطى وئيدة ومتناقضة الا أن التحالف الأثيوبى السوفييتى لم ينته ومن ثم فان آثار ونتائج المسار الاشتراكى وان كانت موجودة ، الا أنه لا يمكن تحديدها بدقة أو تحديد مجالهـا المستقبلى ، وعلى الجـانب الآخر الصومال المستند الى التأييد الأمريكى والغربى والذى يسير الى حد كبير فى فلك أيديولوجية الرأسمالية ، ويرتبط التباين الايديولوجى بالعامل الاقتصادى ذلك أن الدول الرأسمالية الغربية تعمل فى محاولة استبقاء الدول الافريقية ومن بينها دول منطقة الصراع فى فلك الانتاج الرأسمالى ومن ثم تبقى تلك الدول تحت السيطرة الرأسمالية والصناعية لتلك الدول (١) مستنزفة اياها ، بينما يجد السوفييت منطقة الصراع مجالا رحبا لمواجهة الدول الأجنبية الكبرى فيه ، فضلا عن محاولته السيطرة على طرق استراتيجية هامة تتعلق بنقل الطاقة التى تحصل عليها أوروبا الغربية من أفريقيـا •

ولقد عملت العوامل والاستراتيجية فى المنطقة بالاضافة الى ادخال الطاقة البترولية للسيطرة عليها وعلى منافذها كمحدد للتدخل على دفع القوى الأجنبية لتحقيق أكبر مزايا استراتيجية لها فى صراعها مع بعضها مستغلة ومشجعة الصراعات الاقلمية واختلاف النظم فى المنطقة •

وفى هذا الاطار من التنافس فان لعبة ناتج الصفر تشكل القـاعدة الرئيسية فى العلاقات الاستراتيجية بين القوتين العظميين حيث أن أى تقدم أو كسب لطرف يعتبر وبالحجم نفسه تراجعا وخسارة للطرف الآخر • وهذا المفهوم للعلاقات الاستراتيجية يزيد من حدة الصراع ويكثر من امكانيات المواجهـة (٢) •

---

(١) مجدى حماد ، مرجع سابق ، ص ٤٧ •

(٢) د. نصيف حتى ، « السياسة الخارجية الامريكية فى عهد ريجان واسرائيل والعامل النووى » ، مجلة شئون عربية (عدد ٨ ، أكتوبر ١٩٨١) ص ٦٠ •

وعلى الجانب الآخر فانه يجب التنبيه والاشارة الى أن الصراعات الاقليمية ليست لها صفة الاقليمية المطلقة وانما هى صراعات اقليمية عالمية ذلك أنها تؤثر بطريقة مباشرة على مصالح القوتين العظميين وفى منطقة كمنطقة القرن الافريقى ذات الحساسية البالغة تزداد مصالح القوتين ويرتبط بها تحركات القوى الاقليمية ، ومن ثم فان أى دولة من دول المنطقة يمكنها أن تبدأ القتال طبقا للوقت الذى تحدده والأسلوب والطريقة التى تراها ولكنها لا يمكنها أن توقف القتال طبقا لما تريد وبالصورة التى تريد وفى الوقت الذى يحدده ، وقد تصل الى أبعد من ذلك بالقول أن الصراع الاقليمى العالمى اذا ارتفع الى أعلى درجات سلم التصعيد وذلك باستخدام القوات المسلحة ، فان هذه الحروب عندئذ تعد حروبا محلية دولية ، وقد تصبح فى جانب كبير منها حروبا بالوكالة .

ومهما مثل عن تنافس القوتين العظميين فى منطقة القرن الافريقى الا أن هناك تماثل فى موقف معين وهو تفضيل حرية الملاحة فى البحر الأحمر وذلك من خلال مداخله ومضايقه وعدم تحويله الى بحيرة عربية .

تفسير الأدوار الأجنبية فى المنطقة

قبل التعرض لدور القوى الأجنبية تفصيلا فى منطقة القرن الافريقى فانه من المناسب القاء الضوء على كيفية انتقال الوضع فى المنطقة من الهدوء النسبى الذى شابه منذ ابريل عام ١٩٦٤ حيث توقف القتال بين الصومال وأثيوبيا وبين انفجار الموقف مرة أخرى فى عام ١٩٧٧ فى قتال أشد شراهة وأعتى سلاحا وقائم على نفس المطالب الصومالية وذات الدفوع الأثيوبية .

ولعل تفسير اثارة النزاع مرة أخرى تكمن فى أن اغلاق قناة السويس عقب حرب ١٩٦٧ بين مصر و اسرائيل وحتى عام ١٩٧٥ ، دعا الدول المنتفعة والمجاورة للبحر الأحمر وخليج عدن أن تعدل من السياسات التى تنتهجها بحيث تقوم على مصالحها فى المقام الأول ولو أبعدها ذلك عن النمط التقليدى للعلاقات الدولية وذلك أمر ليس بمستغرب ، فالمنطقة قريبة من آبار البترول ، قريبة من فائض رأس المال الضخم ، غنية بالمعادن ، غنية بالمواقع والطرق الاستراتيجية وكل تلك العوامل تشكل دوافع لرسم السياسات تجاه المنطقة ككل ، وعلى سبيل المثال سعت اسرائيل بشتى

الطرق لتأكيد حرية مرور بضـائعها فى البحر الأحمر ونقـل وارداتهـا البترولية • وفضلا عن ذلك فقد شهدت تغيرا فى سياسات عديدة كطرد الوجود السوفييتى بعيدا عن مصر ودخول الولايات المتحدة كوسيط فى حل نزاع الشرق الأوسط •

وفضلا عن تلك المتغيرات والاهتمامات الدولية فقـد كانت هنـاك تغيرا تمحلية على درجة كبيرة من الأهمية لعـل من أبرزها الانقـلاب العسكرى فى أثيوبيا والذى أطـاح بالامبراطور هيلاسلاسى عام ١٩٧٤ واتجاه النظام الحاكم العسكرى فى أثيوبيا صـوب المعسـكر الشرقى والاتحاد السوفييتى على وجه التحديد وبعد النظام عن الارتباط الأمريكى حتى تدهورت العلاقات ووصلت الى حد طرد البعثة العسكرية الأمريكية الموجودة فى أثيوبيا فى مارس ١٩٧٧ وتوقفت صفقات السلاح الأمريكى لأثيوبيـا •

وعلى الجانب الآخر كانت الصـومال مدعمـة بعلاقات وثيقـة مع السوفيت الذين عملوا على ترسيخ أقدامهم فى المنطقة خاصة بعد طردهم من مصر وجمود علاقاتهم مع سوريا فى ذلك الوقت (١) •

ويبرز عامل جديد على مسرح التغيرات وهو المملكة العربية السعودية المرتبطة ارتباطا عضويا بالقرن الافريقى والتى سعت جديا فى محـاولة ابعاد اليمن الجنوبى والصومال عن الفلك السوفيتى •

ولعل هذه التغيرات المحلية أسهمت اسهاما كاملا فى رسم سـياسة التدخل الأجنبى فى منطقة القرن الافريقى تلك السياسـة القـائمة على تحقيق غايات متباينـة لـكل من القـوى الأجنبية كما سيجىء ذلك تفصيلا •

١ ــ الدور السوفيتى :

يجىء دور الاتحاد السوفيتى فى القرن الافريقى فى اطار مسـألة التدخل السوفيتى بصفة عامة فى العالم الثالث ومحاولة بسط النفـوذ على أكبر عدد ممكن من دول هذا العالم سواء بأسلوب مباشر أو غير مبـاشر وضم تلك المنطـاطق الى الفلك السوفيتى وان كانت هـذه

---

(١) توترت العلاقات السوفيتية السورية عقب تدخل سـوريا فى لبنـــان •

الاستراتيجية لا تستهدف بالدرجة الأولى اقامة نظم ماركسية لينينية فى دول العالم الثالث بقدر ما تستهدف اثارة العداء الايديولوجى والسياسى والاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكية والقضاء على نفوذها تماما فى هذه المناطق (١) ويواكب ذلك تحقيق غايات وأهداف ذاتية تخدم مصالحها القوميـــة .

وليس هناك شك أن تحليل الدور السوفيتى فى الصراع الدائر فى القرن الافريقى يمكن تتبعه فى اطار الصراع بين الدول الكبرى وأيضا فى اطار تغير وتبادل الأدوار الدولية التى سادت المنطقة منذ عام ١٩٦٩ عقب نجاح لانقلابات العسكرية فى كل من السودان والصومال .

ولقد بدأ السوفيت مناصرتهم العسكرية للصومال منذ ١٩٦٤ بكافة الوسائل الممكنة حتى تتمكن الصومال من مواجهة أثيوبيا بجيش قادر ومستعد ، ولم يكن الاتحا دالسوفييتى يريد للصومال أن تحقق نصرا على أثيوبيا بقدر ما كان يطمع فى تحقق مآربه فى المنطقة . واستمر الاتحاد السوفيتى يمد الصومال بالسلاح عشر سنوات كاملة حصل خلالها على تسهيلات بحرية فى ميناء بربره الصومالى الواقع على خليج عدن .

وطور الاتحاد السوفييتى علاقته مع الصومال وانعكس ذلك على عقد اتفاقية عسكرية سوفيتية صومالية عام ١٩٧٠ لتدريب وتجهيز القوات الصومالة التى أصبحت واحدة من أقوى وأحدث القـوات المسلحة فى أفريقيا اعتمادا على السـلاح السوفيتى (٢) . ومقد كانت الصـومال ساعية الى هذا التعاون لتخفف عنها الضغط والتحـدى الاثيوبى التى لا تستطيع دفعه بقوتها الذاتية .

الا أنه م عبداية عام ١٩٧٤ لاحت بعض المتغيرات ، كان من أبرزها الانقلاب العسكرى فى أثيوبيا والذى أطاح بالامبراطور هيلاسلاسى ووجد الاتحاد السوفييتى نفسه فى مأزق حقيقى فقد مال ميـلا الى النظـام

---

(١) سوسن حسين ، « تأملات حول التدخل السوفييتى فى العـالم الثالث » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٧٠) ، ص ٢٥٥ .

(2) Mayall, James, **Africa : The Cold War and After** (London :. Elek Books, 1971), P. 151.

— Drysdal, Joh, The Somalia Disputes (London : Pall Mall Press, 1964), P. 165.

الجديد ذات الاتجاهات الماركسية أملا فى احتوائه وخلق روابط قوية بينهما يستطيع من خلالها تحقيق استراتيجية خاصة وأن أثيوبيا بتركيبتها الاستراتجية الجغرافية تمكنه من تحقيق هذه الاستراتيجية ولعل مما زاد لهفة السوفيت الى أثيوبيا مجموعة التغيرات الدولية كقرب استقلال جيبوتى وطرد الخبراء السوفييت من مصر فضلا عن أهمية المنطقة استراتيجيا علاوة على زيادة القوى العسكرية البحرية للاتحاد السوفيتى التى كانت تغريه دوما بالسيطرة على الممرات المائية خاصة اذا ما كانت تلك الممرات هى الموصل للمواد الاستراتيجية للدول الغربية وساعد على تمكن السوفيت من الوصول الى أثيوبيا توتر العلاقات الأمريكية الأثيوبية فى اطار النظام العسكرى الأثيوبى حتى وصل الأمر لحد طرد البعثة العسكرية الأمريكية من أثيوبيا .

وعلى الجانب الآخر فترت العلاقات الصومالية بل وصلت الى حد التوتر نتيجة اتجاه السوفييت صوب أثيوبيا ووجد الاتحاد السوفيتى نفسه أمام خيار صعب اما التضحية بالصومال أو بأثيوبيا التى فتحت أبوابها له ولقد اختار الاتحاد السوفيتى أثيوبيا للاعتقاد بأنها تمثل قوة لا بأس بها فى المنطقة تساعدها على ذلك كثافتها السكانية ومساحتها ، ومن هذا المنطلق بدأت مساندة السوفييت للنظام الأثيوبى الجديد وامداده بالسلاح السوفييتى (١) .

وان حاولت القيادة السوفيتية الابقاء على علاقتها مع الطرفين المتنازعين ، وتلك سمة السياسة السوفيتية التى تعمل على المحافظة على وضع يدها فى أكبر عدد من القواعد العسكرية ، فهى ترغب فى البقاء فى الصومال بينما تنشط فى جلب الود الأثيوبى ، وهى لن تشجع اطلاقا أى من الطرفين بالقيام بالضربة الأولى بل تشجع على احداث تغيرات ثورية فى كل مكان فى القرن الافريقى (٢) .

ولعل السوفييت مارسوا هذا الخيار على أساس تمكين أثيوبيا من قمع ثورة اريتريا وفى هذه الحالة سيكون دخولهم البحر الأحمر تعويضا كافيا عن فقد الصومال على أساس الاحتفاظ بوضعهم فى اليمن الجنوبى

---

(١) د. نبيل احمد حلمى ، مرجع سابق ، ص ٨٢ — ٨٣ .

(2) Sheik, Abdi, Abdi«Somalia Nationalism» **Journal of Modern Africa Stadies,** Vol. 15, 4., Dec. 1977, P. 664.

بالمحيط الهندى (١) • كما أن السوفييت كانوا يخشون أن تقدم الصين على ملأ الفراغ الأمريكى فى أثيوبيا (٢) •

وبالرغم من انحصار أو انقضاء الوجود السوفيتى فى الصومال خاصة بعد سحب كل قوته والغاء معاهدة الصداقة الصومالية السوفيتية وطرد الخبراء السوفييت والكوبيين (٣) فقد حاول الاتحاد السوفيتى ربط الدول المتنازعة فى نوع من الروابط الاتحادية حتى يتمكن من السيطرة على المنطقة الا أن جهوده كللت بالفشل أمام اصرار القيادة الصومالية على الرفض والتى كانت ترى ربط الصومال مع جيبوتى واريتريا المستقلة واوجادين بعد تقرير مصيرها (٥) •

وكان نتيجة الفشل فى ايجاد الرابطة الاتحادية أن اتجه الاتحاد السوفييتى بتركيز امداداته العسكرية الضخمة لأثيوبيا عبر جسر جوى مع ليبيا وكذلك جسر جوى بحرى لنقل المعدات الكوبية وقوات من دول حلف وارسو ولم يكن أمام الصومال الا أن تقطع علاقتها الدبلوماسية بالسوفيت خاصة مع اغراء السعودية لها بمساندتها لدى قطع علاقتها مع السوفييت •

وعلى ضوء موقف الاتحاد السوفيتى تجاه كلا الطرفين المتنازعين وفى اطار المتغيرات الدولية يمكن توضيح أهم الدعائم الاستراتيجية لموقف الاتحاد السوفيتى فى التالى :

١ ــ نشر النفوذ الساسى والاقتصادى للاتحاد السوفييتى بأسلوب ينسجم ودوره باعتباره قوة عالمية ويعنى ذلك التخفيف من حدة النفوذ والسيطرة الأمريكية والأوربية الغربية •

---

(١) مجدى حماد . مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٢) د. جلال يحيى ، د. محمد نصر مهنا ، مشكلة القرن الافريقى وقضية شعب الصومال (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١) ، ص ٦٤٠ .

(3) «The Horn of Africa : Somalia-Soviet Relations. Repudition of Treaty of Friendship and Co-Operation Between Somali Democratic Republic and the USSR, «**African Contemporary Record 77-**1978, London, 1978, PP. C 80 - C 82.

(٤) Cervanka, **Zdenek &** Legum Colin, «Cuba : The New Communist Power in Africa», African Contemparary Record 77-1978, **Op. Cit** P. A 106.

٢ ــ ترويج السياسة والمصالح الاستراتيجية السوفيتية وخاصة من خلال تطوير شبكة عالمية من المرافق البحرية والجوية للتفوق على أنظمة الاطلاق النووية الغربية وخاصة الغواصات النووية حاملة الصواريخ وذلك كله يعكس حماية القوة السياسية السوفييتية ويعنى صيانة أمنه القومى •

٣ ــ استنزاف جزء متزايد من مواد الدول الغربية نتيجة احساسها بالخطر تجاه قوة الاتحاد السوفييتى المتزادة التى تسعى الى تضيق مجال حصول الغرب على الموارد الاقتصادية الحيوية من أفريقيا وكذلك المرور فى الممرات البحرية الاستراتيجية التى يود السوفيت جعله أمرا صعبا بتواجده •

٤ ــ مواجهة التحدى الايديولوجى والسياسى لجمهورية الصين الشعبية بعد اكتسابها مواقع جديدة فى القارة فى تنزانيا وزائير ولدى حركات التحرير فى أفريقيا الجنوبية وفى موزمبيق فى ذلك الوقت • لذلك كانت محاولات السوفيت لكسب جولة فى أثيوبيا للحد من النشاط الصينى (١) •

٥ ــ يعمل الاتحاد السوفيتى فى اطار سياسة الانفراج التى أبعدت الصراع عن أوربا وتركته مستقلا فى مناطق أخرى لعل افريقيا أكثرها ومن ثم فانه يتحرك داخل القرن الافريقى ذو الأهمية الاستراتيجية فى اطار من استراتيجية عالمية •

ويعتقد أن الاتحاد السوفييتى يسعى الى تحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية عبر سلسلة من التحركات التكتيكية التى قد تبدو غير منسجمة كل الانسجام لوجود بعض التناقض بها ذلك أن الاتحاد السوفييتى كان فى جزء كبير من تصرفاته يأتيها بحكم رد الفعل أكثر من اتباعه لمخطط مرسوم بعناية وليس هناك شك أن تدخل السوفييت فى منطقة القرن الافريقى قد غير ميزان القوى بشكل أساسى لصالح السوفييت

(1) Legum Colin, «The Africa Environment in the USSR and Africa», **Problems of Communism** (January-February, 1978), PP.1-5

ــ بيركيت هايتى سيلاسى ترجمة عفيف الرزاز ، الصراع فى القرن الافريقى (بيروت مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٨٠) ، ص ١٤٤ •

فى منطقة هى بمثابة الشريان للمصالح الاقتصادية الغربية ذلك أن هذه المنطقة تمتد الى منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية بثروتها النفطية والبحر الأحمر بممراته البحرية الهامة جدا •

٢ — الدور الكوبى :

الحديث عن التدخل السوفييتى فى منطقة القرن الافريقى يرتبط بالتدخل الكوبى أيضا الذى يمثل امتداد للدور السوفييتى • فمن المقطوع به أن التدخل الكوبى ليس لحماية المصالح القومية الكوبية لأن هذه المصالح ليست مهددة مباشرة فضلا عن غياب أى عامل تاريخى أو جغرافى يربط كوبا بالصراع فى القرن الافريقى سوى دعمها السابق للنضال الاريترى من خلال التدريب والتسهيلات الأخرى •

ولقد تباينت الآراء حول تفسير تدخل كوبا فى القرن الأفريقى فيرى اليمينيون المتطرفون أن كوبا كالسوفييت تتدخل للارتزاق (١) بينما ينقسم اليساريون فى آرائهم ويرى الكوبيون أنفسهم أن دورهم أتى من كونهم قوة أمنية ثورية تساعد الحركات الثورية وبرهنت على ذلك بتدخلها فى أنجولا لصد مؤامرة أمبريالية كان الهدف منها تدمير الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وان كان ذلك يخالف الحقيقة فالوضع فى القرن الافريقى ليس واضحا كما كان الوضع فى أنجولا كما أنه لا يمكن اجراء تقسيم واضح للقوى المتورطة فى الصراع بين معسكرين أحدهما موال للامبريالية والآخر معاد لها •

فضلا عن أن أبعاد الدور الكوبى وجعله مستقلا أو بمنأى عن الدور السوفييتى يجافى الحقيقة فلقد كانت هناك مجموعات كوبية كبيرة بالصومال لتدريب قواته المسلحة التى تعمل ضد أثيوبيا ولم تتحول كوبا الى أثيوبيا الا فى اطار التحول السوفييتى بعد عام ١٩٧٧ بالرغم من وجود مجموعات صغيرة بين الكوبيين فى أثيوبيا منذ ثورة ١٩٧٤ •

ولقد شاركت كوبا فى أثيوبيا بأعداد ضخمة من المقاتلين الكوبيين تراوحت أعدادهم بين ١٥ ، ١٨ ألف مقاتل (٢) •

---

(١) راجع : بيركيت هايتى سيلاسى ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ — ١٥٧ •

(2) Cervenka Zdenek, Legum Colin, OP. Cit, PP. A 108 - 109.

ويرى بعض المحللين أن الشخصية لعبت دورا ليس قليل الأهمية فمعالجة الرئيس الصومالى الأكثر احتراسا ربما تكون قد أحبطت الحماسة الثورية عند الزعيم الكوبى فى حين أن توق منجستو الأثيوبى للحصول على الاعتراف بثوريته وحماسته قد ألبسته ثوبا ثوريا وصادف اعجابا شخصيا من الرئيس الكوبى الذى كان يصفه بأنه « ثورى أصيل » [1] •

٣ ـ الدور الأمريكى :

منذ بداية صراع القرن الافريقى والنفوذ السوفيتى والكوبى متغلغل فى الصومال وكان السوفييت ينظرون لتسليح الصومال على أنه ضرورة لازمة لضمان أمن المنطقة خاصة وأنها مجاورة لكينيا ذات الميول الانجليزية والامريكية والى أثوبيا المضطربة داخليا ، الا أنه مع تغيير نظام الحكم عام ١٩٧٤ فى أثيوبيا وباتجاه السوفييت اليها تدريجيا ثم اتجاها كاملا فى عم ١٩٧٧ لم تكن أمريكا ابان هذه الفترة فى غيبة عن المنطقة فبعد أن كانت العلاقات وثيقة وراسخة بين أثيوبيا والولايات المتحدة الامريكية لمدة تجاوزت ربع قرن بدت الروابط تتحلل وان لم تقطع كليا فلقد استمرت أثيوبيا فى تلقى الأسلحة الامريكية من أجل احتياجاتها الدفاعية حتى فبراير ١٩٧٧ وبقت العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا • ولعل الجدول التالى يوضح المساعدات الأمريكية لاثيوبيا خلال سبع سنوات تبدأ قبل تغيير نظام الحكم فى أثيوبيا وبعد تغير النظام وحتى قرب طرد البعثة الامريكية العسكرية من أثيوبيا عام ١٩٧٧ •

---

(١) بيركيت هابتى سيلاسى ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ •

المساعدة العسكرية الأمريكية لأثيوبيا (١)

السنة			
١٩٧٠	١٠٤٩٤	٦	—
١٩٧١	١١٧٦٣	—	١٤٠
١٩٧٢	١٠٦٤٥	١٠	١٥٩
١٩٧٣	٩٤٣٩	—	١٥٦
١٩٧٤	١١٧١٩	٧٤٤٠	١٤٧
١٩٧٥	١٢٩٩٩	٢٢١٢٧	١٣٠
١٩٧٦	٧٢٧٧	١٣٥٣٣٩	١٩٢

ويوضح الجدول السابق أمرين هامين :

(أ) ان الولايات المتحدة تحولت عن الهبات الى المبيعات .

(ب) ان العلاقة بين الولايات المتحدة وأثيوبيا لم تفتر بالدرجة التى تصورها البعض فقد بلغ مجموع المساعدات والمبيعات خلال عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ حوالى ثلاثة أضعاف المجموع المماثل خلال خمس سنوات تتراوح بين ٧٠ ، ١٩٧٤ . بالرغم من الشعارات المعادية للامبريالية التى كان تطلقها القيادة الحاكمة فى أثيوبيا .

الا أن هذه العلاقة لم تستمر فبوصول تدفق الأسلحة السوفيتية بصورة مكثفة الى أثيوبيا فى مطلع عام ١٩٧٧ تحولت المعونة الأمريكية من خلال وكالة التنمية الدولية والبنك الدولى الى الميدان الاقتصادى . ولعل هذا الدعم ساعد بل مكن أثيوبيا من البقاء والاستمرار فى حروبها فى اريتريا والأوجادين . ولقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على عدم التخلى عن أثيوبيا ولعل ذلك يظهر بصورة واضحة فيما ذكره مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشئون الافريقية فى أغسطس ١٩٧٦ (١) .

(1) «United States Arms Polic ies in the Persian Gulf and Red Sea Area» in : Fyed Halliday «V.S. Policy in the Horn of Africa or Proxy Intervention», Review of African Political Economy, No. 10, Sept. Dec. 1978, P. 16.

(٢) راجع بيركيت هايتى سيلاسى ، مرجع سابق ص ١٤٥ — ١٥٢ .

« نعتقد أننا سنواجه انتقادا كبيرا يوجهه الينا أصدقاؤنا فى أفريقيا وفى مناطق أخرى لو أوقفنا الدعم عن الحكومة الأثيوبية فى مثل هـذا الوقت العصيب ، كما أن مثل هذا التصرف سوف ينسب الى النفور من الاشتراكية الأثيوبية » .

ومع هذ فقد أعلنت ادارة الرئيس الأمريكى كارتر فى مطلع عـام ١٩٧٧ أنها ستقطع المعونات العسكرية وليس المبيعات المقدمة لأثيوبيـا على أساس مبادىء وحقوق الانسان وتبنت الولايات المتحدة بحـذر سياسة (ترقب لترى) تقوم على المحافظة على العلاقات مع أثيوبيا وعدم قطع المعونة الاقتصادية بل تحقيق مستواها ولم تكن هذه السياسة قاصرة على السلطة التنفيذية ، فقد قام عضوان من الكونجرس الأمريكى بزيارة لأثيوبيا وقابلا السلطة الحاكمة فى نوفمبر ١٩٧٧ وأعلنت الولايات المتحدة فى أواخر فبراير ١٩٧٨ أنها تقوم بتزويد أثيوبيا ببعض سيارات الجيب وقطع الغيار كجزء من مبيعات عسكرية قيمتها ٤٠ مليون ودلار عقدت فى مايو ١٩٧٧ . وان لم يمنع كل ذلك الولايات المتحدة من ادانة الدور السوفيتى والكوبى فى القرن الافريقى .

وفى ذات الفترة أعلن الرئيس الأمريكى فى بيان له فى ١١ يونيو ١٩٧٧ الى أنه يتحدى بقوة وبطريقة سلمية الاتحاد السوفيتى وآخرين من أجل النفوذ فى مناطق العالم التى تشعر الولايات المتحدة بأهميتها لها كفيتنام والعراق والصومال والجزائر والصين وكوريا .

ومع ازدياد تحويل أثيوبيا الى مظلة النفوذ السوفيتى أصدر الرئيس الأمريكى تعليماته بالتحرك نحو جلب ود الصومال والحصول على صداقته وتقرر فى يوليو ١٩٧٧ تسليح الصومال ومن ثم تابع الصوماليون زحفهم عبر الاوجادين بأسلحتهم السوفيتانية ليجدوا أنفسهم أمام ضراوة القتال الأثيوبى المدعم تدعيما سوفييتيا مركزا بدون دعم أمريكى رغم الوعد به (١) حتى انتهى الامر بهزيمة الصوماليين دون معونة أمريكية ذات

(1) Borchgrave, Arnaud, «Crossed Wires», **Neweweek,** Sept. 28, 1977.
— Thompson, Scott, «The American Nexus in Soviet Strategy», **Paper Presented at The 1977 Annual Conference of the American ASS ociation for The Advarcement of Slavic Studies, Was hington,** 1977, P. 10.

قيمة تذكر ولقد واجه الموقف الامريكى نقدا شـديدا داخـل الدوائر الأمريكية ذاتها وخارجها بسبب ما يسمى بتقاعس الولايات المتحدة عن القيام بدور فى النزاع الدائر فى المنطقة ولتخليها عن الصومال وكان من المنظور أن تحل محل السوفييت فى الصومال ومع هذا ظل الموقف الأمريكى جامدا لفترة طويلة رغم ما يدور فى المنطقة واكتفت الولايات المتحـدة باصدار التصريحات التى تناشد الأطراف المتنازعـة حفظ السـلام مع تحذيرها لكوبا بأن زيادة تواجدها عسكريا فى المنطقة سيؤثر على علاقتها مع أمريكا (١) ولقد وجه السيناتور هنرى جاكسون الى كارتر اتهـاما بأنه يفتقد العزيمة اللازمة للعب دورا أكثر فاعلية فى أفريقيا وذهب البعض للقول بأن هناك اتفاقات بين الولايات المتحـدة الأمريكيـة والاتحـاد السوفيتى لتنفيذ مخطط متفق عليـه ولعله تقسيم المنطقة الى منـاطق نفوذ ، وقيل ، كذلك أن هزيمة الصومال أمر متفق عليه حتى لا يتحول البحر الأحمر الى منطقة عربية بالدرجة الأولى وذلك ليس فى مصلحة أى من القوتين (٢) خاصة مع الربط بين العلاقات الأمريكية الاسرائيلية . وان كان التخوف من تحول منطقة البحر الأحمر الى منطقة عربية بالدرجة الأولى أمر بعيد التحقيق حاليا فى غيبة استراتيجية عربية موحدة .

وقد فسر هذا الجمود الأمريكى مدرستان الأولى تركز على عـدم امكانية ترويض افريقيا ذلك أن القومية الافريقية تحدد السلوك الافريقى وهذه المدرسة تشير الى أن الاتحاد سيفشل فى اقامة منطقة نفوذ دائم له كما أن تدخله بالاضافة الى التدخل الكوبى بجانب أثيوبيا لتدعيم والحفاظ عل ىحدود استعمارية لن يخدم هذا غير تدعيم النظام القانونى الاستعمارى الجديد ، والنتيجة المنطقية لهذا هى أن الولايات المتحدة التى لا تملك بديلا للنظام السياسى الافريقى لابد لها أن ترحب بالدور الذى تلعبه موسكو وهافانا (٣) .

---

(1) «US Policy on the Conflict in the Horn : Statement by White House Spo-kesman, November 14, 1977», APrican Contemporary Record, 77-1978, OP. Cit., P.C. 88.

(٢) د. نبيل احمد حلمى ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٣)

والمدرسة الثانية التى تحلل الصراع فى القرن الافريقى من وجهة نظر التنافس القائم بين القوتين العظميين والتى ترى أن التدخل الســوفيتى انما جاء ليتصدى للنفوذ الغربى والصينى فى أفريقيا والمنطقة بالتــالى ولتحقيق مصالح قومة سوفييتية .

ومن ثم فان الاختلاف لا يدور حول أمور استراتيجية أساسية بل حول الرد التكتيكى على تزايد الدور السوفيتى فى أفريقيا بصفة عامة وفى القرن الافريقى بصفة خاصة .

وقد عكست وجهتا النظر هذه أزمة السياسة الامريكية فى مواجهة التحدى الجديد وامكانية السيطرة عليها أو الحد منها .

وبجانب هاتين المدرستين فان هناك محددات بارزة يمكن أن تفسر الموقف الأمريكى ومن أهمها :

١ ــ لم يكن فى وسع الولايات المتحدة الامريكية قطع المعونة كلية عن أثيوبيا تلك المعونة التى يستخدم جزء كبير منها فى اريتريا وبدونها قد تصبح اريتريا مستقلة ومن ثم تنضم للدول العربية مما يشكل خطرا اضافيا على اسرائيل وكذلك خطــرا أيضــا على ناقلات النفط والسفن الأخرى التى تمر من باب المندب .

٢ ــ ترى الولايات المتحدة أن تركيز مصالحها أفضل فى أثيوبيــا وترى أن الزمن وأفريقيا كفيلان بالسوفييت ولو ترك الصومال وحيدا .

٣ ــ لا تود الولايات المتحدة الامريكية اغضــاب كينيــا وذلك بتسليحها للصومال الذى قد يهدد منطقة الحدود الشمالية اذا ما انتصرت الصومال فى حرب الاوجادين ولا تستطيع الولايات المتحــدة التضحية بمصالح كينيا المرتبطة معها ومع بريطانيا ويعد ذلك فى الواقع نوع من نماذج التنمية الاستعمارية الجديدة .

٤ ــ تعمل الولايات المتحدة على التأييد المطلق لمبــادىء ومنظمة الوحدة الافريقية حتى لا تظهر بمظهر المناوىء لأهداف ومبادىء المنظمة الاقليمية ولذا فانها تؤيد احترام الحدود القائمة وعدم تعديلهــا وانهــا بمساعدة الصومال سوف تضعف من هذا الاحترام .

٥ ــ التدخل الدولى فى القرن الافريقى يعد بمثابة تبادل أدوار ، فاذا ما أتخذ طرف موقف معين فان الطرف الآخر يستطيع الرد فى مكان آخر ، فضلا عن أن القوتين العظميين تنظران لأفريقيا على أساس وحدة واحدة ، فاذا ما انهزم السوفييت فى زائير وفى الشرق الأوسط فانهم يحققون نصرا فى القرن الافريقى وأنجولا ، وهكذا فانه ليس ثمة خطر محدق بسياسة الانفراج الدولى نتيجة التدخل فى القرن الافريقى .

٦ ــ لم تتخل أمريكا كلية ع نالمنطقة فذلك يتنافى مع سياستها الا أنها لا تريد للصومال أن يحقق صوماله الكبير ويتحكم فى منافذ المنطقة ويسهم فى تعريب البحر الأحمر ، وذلك أمر لا تريده السياسة الأمريكية ، ومع هذا فانها تخلق حالة من التوازن تحقق بها ارادتها ولا تترك الطرف الآخر وهو الصومال ينسحب نهائيا من دائرتها فهى تتزرع بقواعد القانون الدولى ومبادىء الوحدة الافريقية من احترام الحدود الى عدم التدخل ، وتؤكد أنها تساند الصومال عن طريق أصدقائها الفرنسيين والسعوديين والمصريين والايرانيين فى ذلك الوقت .

وان كان الدور الأمريكى قد أصيب بالجمود لفترة معينة تأسيسا على ما أوضحناه من محددات جعلته يظهر فاترا أو جامدا الا أن ذلك لا يخل بأهمية المضمون الاستراتيجي لسياسة الولايات المتحدة فى أفريقيا عامة وفى القرن الافريقى بصفة خاصة والتى تتمثل فى أهم النقاط التالية :

١ ــ تسعى الولايات المتحدة الأمريكية بوضع وتنفيذ سياسة استراتيجية للحفاظ على أمن المنطقة ومواجهة الصراع الدولى بها من خلال ردع الاتحاد السوفييتى ، ومن ثم أصبحت القواعد والتسهيلات سواء فى قلب المنطقة أو فى أطرافها أحد أدوات تنفيذ السياسة الامريكية من خلال تثبيت الوجود الامريكى بالمنطقة (١) .

٢ ــ هذه المنطقة تشكل الجزء الجنوبى الغربى من منطقة انتاج وتصدير البترول ، بل تشكل همزة الوصل بين منطقة الخليج والبحر المتوسط والغرب فيما يتعلق بنقل البترول ومن ثم فانه من أجل سلامة

---

(١) جمال على زهران ، القواعد والتسهيلات العسكرية الامريكية فى الشرق الأوسط وأثرها على التوازن الدولى والاقليمى بالمنطقة ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٦٦ ، اكتوبر ١٩٨١) ، ص ١٠٢ .

نقل البترول خصوصا مع وجود اليمن الجنوبية المنفذة لسياسة الاتحاد السوفيتي يجعل واضع السياسة الامريكية يسارع لزيادة الوجود الأمريكي في المنطقة والحصول على تسهيلات عسكرية من دول المنطقة بل الى تأصيل النفوذ الامريكي بالمنطقة ولقد تمكنت الولايات بالفعل من الحصول على تسهيلات من جانب الصومال وكينيا والسودان [1] .

٣ ــ تعمل الولايات المتحدة على توسيع دائرة اهتمام حلف شمال الأطلنطي لتساعده على الخروج من حيزه المحدود في أوربا الى المشاركة بنصيب عادل في المناطق التي تطوم مصالح هامة للعالم الغربي بشكل جماعي وبالدرجة الأولى في المحيط الهندي والخليج العربي خاصة بعد أن وسع الاتحاد السوفييتي دائرة اهتمامه ودخل بكل ثقله الايديولوجي والاستراتيجي للمحيط الهندي [2] .

٤ ــ ادوار الدول الأخرى :

لعل أبرز مظهرين من مظاهر التدخل الأجنبي في القرن الافريقي يتمثلا في دور القوتين العظميين بالرغم من فتور الدور الامريكي ، الا أن ذلك لا يخل بأهمية مواقف وأدوار بعض الدول الأخرى .

(أ) دور الدول الغربية :

بدأ التغير في العلاقات الغربية الأثيوبية عقب انهيار حكم هيلاسلاسي والاتجاه الأثيوبي الجديد تجاه الاشتراكية ذات اللون الماركسي وكسمة طبيعية للدول التي تأخذ بهذا الاتجاه باتت العلاقات الاثيوبية الغربية فاترة بل كان هناك تشدد من الجانب الأثيوبي تجاه المصالح الغربية . وكان يمكن للغرب عندئذ أن يخلق وضعا متوازنا باهتمامه واتجاهه صوب الصومال ، مستفيدا من كافة الآثار السلبية في المنطقة لا سيما طرد السوفييت من الصومال ، خاصة وأن حكومات منظمة حلف شمال الأطلنطي أبدت رغبتها في ضرورة حماية المصالح الغربية في المحيط الهندي

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ ــ ١٠٦ .

(٢) حسن احمد البدري ، « الوجود العسكري الامريكي في الشرق الاوسط » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٦٦ ، اكتوبر ١٩٨١) ، ص ٧٩ .

وسواحله على أثر اختفاء السوفييت من الصومال (١) ، الا أن الغرب فى الواقع لم يكن جادا فى مساعدته للصومال واتسم موقفه عموما بالحذر والحيطة خشية التورط فى النزاع ولقد كان ذلك واضحا فى ترد كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربة فى الوفاء بوعودها التى قطعتها على نفسها قبل وصول العلاقة السوفيتية الصومالية الى مرحلة اللاعوة • الا أن الصومال لم تحصل الا على بعض المعدات الاليكترونية المضادة للطائرات من سويسرا ، وبعض المدافع البريطانية المضـــادة للدبابات ، وذلك عن طريق ايران والسعودية وباكستان ، كذلك بعض الأسلحة الخفيفة من ايطاليا وفرنسا (٢) • ولقد ذهبت الدول الغربيـــة الى تجميد ارسالها للأسلحة للصومال مشاركة للولايات المتحدة الامريكية ولعل ما يؤيد ذلك أنه فى ٢١ يناير ١٩٧٨ اجتمعت الدول الغربية الكبرى الخمس فى اجتماع بواشنطون وقررت عدم اذعانها للضغوط التى تطالب بتدخـــل عسكرى غربى مباشر فى القرن الافريقى ، ولعله من المفارقات أن تبلغ المعونة العسكرية السوفييتية لأثيوبيا فى نفس التاريخ تقريبـــا حوالى بلون دولار ، كما يبلغ عدد الجنود الكوبيين داخل القوات الأثوبية حوالى ١٠ بليون جندى • وكان الموقف الغربى يكاد أن يكون متمشيا مع موقف أمريكا سياسيا فهى ترى كذلك عرض أمر النزاع على منظمة الوحـــدة الافريقية فهى أولى الجهات بمعالجته (٣) ونفس التصريحات والتحذيرات التى أطلقتها الولايات المتحدة الامريكية نجدها فى موقف باقى الدول الغربية فقد حذرت من أى تعدى أثيوبى يتجاوز صحراء الاوجادين الى الأراضى الصومالية • ويحمل هذا التحذير فى طياته موافقة ضمنية من الدول الغربية لاستعادة أثيوبيا لاقليم الأوجادين وبصفة عامـــة يمكن ارجاع الموقف الغربى الى :

---

(1) Farer, Tom J., «Soviet Strategh and Western Fears», **Africa Report,** Vol. 23, No. 6., November-December 1978, P. 4.

(٢) وحيد محمد عبد المجيد ، « موقف اوربا الغربية تجاه صراعات القرن الافريقى » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٤ ، اكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٤١ — ٤٣ .

(3) Legum Colin and lee Bill, «Crisis in the Horn of Africa : International», African Contemporary Record : 77-1978, **OP. Cit.,** P. A 38.

(أ) تأييد الغرب لموقف أمريكا من النزاع خشية التورط فى النزاع مع الاتحاد السوفيتى وحتى تبقى بارقة الأمل فى استعادة أثيوبيا الى منطقة أوربا الغربية ، وان كان ذلك لا يمنع من مساعدة الصومال فى الاطار المناسب .

(ب) تمسك المنطق الغربى باقرار الوضع الحالى للحدود دون ما تغيير أو تعديل ، ونفور العقلية الغربية من مسألة تغيير الأمر الواقع .

يبقى تساؤل حول الدور الفرنسى الذى كان متمشيا فى نسق كامل مع الدور الغربى ككل وان كا نذلك أسلوب فرنسا ديستان الى حد كبير الا أن فرنسا على وجه الخصوص لها مصالح استراتيجية هامة فى المنطقة الافريقية محل النزاع ، فلفرنسا وجود بحرى فعال فى المنطقة وما فى شك أن التواجد العسكرى السوفييتى والكوبى يعطى آثارا وتأثيرات سيئة للتواجو الفرنسى ولعل فرنسا آثرت الانضواء تحت لواء أمريكا ودول الغرب خشية حدوث تورطات هى فى غير حاجة اليها ، وان كانت غير مرتاحة لوضع أمريكا تجاه التواجد السوفيتى .

ومما تجدر ملاحظته أيضا أن فرنسا التى تدخلت فى زائير خشية انشقاق شابا مما سيثير حركات انفصالية داخل القارة من نفس المنطلق لا تود مساندة الصومال حتى يتمكن من تعديل حدوده أو تنشق الاوجادين عن أثيوبيا ، وان كان التدخل فى زائير كان مبعثه بالدرجة الأولى مصالح فرنسا الاقتصادية فى زائير .

ويمكن القول بصفة عامة بأن موقف دول أوروبا الغربية تجاه النزاع الصومالى الأثيوبى كان متجانسا ومنسقا مع الموقف الأمريكى الى حد كبير ولعل مبعث ذلك خشية التورط وان اتسم هذا الموقف بالوهن وعدم الجدية .

(ب) موقف بعض الدول العربية :

ترى الدول العربية أن البحر الأحمر هو الباب الخلفى الذى يمكن لاسرائيل أن تنفذ منه لتضرب أمن العرب ، ولذلك فانه من الضرورى أن يمتد حزام الأمن العربى على طول سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية وحتى مضيق باب المندب ، كما يمتد ليحتوى منطقة الخليج العربى ، وعلى هذا فان أهمية النزاع القائم بين الصومال وأثيوبيا بالنسبة

للعرب ليس مبعثه أن الصومال دولة عربية فحسب ، ولكن ما يعنى العرب بالدرجة الكبرى هو أهمية المنطقة استراتيجيا وتأثيرها على أمنها القومى ، فليست الدول الكبرى فقط هى التى تحيط تلك المنطقة الهامة باهتمامها ولكن هناك قوى اقليمية ومحلية تحاول التصدى لأى سيادة عربية مشتركة على البحر الأحمر ، وتلك القوى تتمثل فى اسرائيل وفى أثيوبيا (١) علاوة على أن العرب يدركون تماما أن الدولتين العظميين لا ترغبان أبدا فى أن تصبح منطقة البحر الأحمر منطقة عربية حتى لا تخلق استراتيجية عربية قوية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى تهدد مصالحها .

ولقد لعبت بعض الدول العربية أدواراً متفاوته بحكم وجودها الاستراتيجى وعلاقاتها الدولية ، وذلك فى النزاع محل الدراسة وتلك الدول تكاد أن تنحصر فى المملكة العربية السعودية والسودان ومصر كانت متعاطفة مع الصومال وان كان تعاطفا محدودا بجانب الود والمد السوفيتى الكامل لأثيوبيا .

ومما تجدر الاشارة اليه أن دولتى ليبيا واليمن الجنوبية كان لهما دورا مؤيدا لأثيوبيا فالجسر الجوى لامداد أثيوبيا بالسلاح السوفيتى امتد الى ليبيا ، واليمن الجنوبية كانت تابعا للسوفييت ، فمجرد تحول الاتحاد السوفييتى من الجانب الصومالى الى الجانب الأثيوبى تبعته اليمن الجنوبية ، ولقد لقيت تلك السياسة عزلة لليمن الجنوبية داخل اطار العالم العربى الا أن تلك العزلة لم تثنيها عن اتجاهها (٢) ومن هنا يمكن القول أنها مصرة على سلوك المسلك السوفييتى وذلك يوضح مدى التزامها تجاهه .

وبصفة عامة فان المساعدات العسكرية العربية الى الصومال كانت محددة بالرغم من زيارات الرئيس الصومالى خلال عام ١٩٧٨ لعديد من الدول العربية منها السعودية ومصر والكويت ودول الامارات العربية(٣)

---

(١) د. السيد عليوه ، « سياسة اليمن فى البحر الاحمر » ، مجلة السياسة الدولية ، (عدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨) ، ص ١٠٢ .

(٢) توماس كوزنوفكسى ، « البحر الاحمر والتوازن الاقليمى » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠) ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) Legum Colin, Afro-Arab Relations after the Coiro Summit, African Contemporary Record : 77-1978, **OP. Cit.**, P. A 49.

علاوة على غياب الموقف العربى الجماعى المتمثل فى جامعة الدول العربية التى لم تتمكن من مساندة الصومال ، بل ان مؤتمر القمة العربى فى أبريل ١٩٧٧ ، أجل اتخاذ أى موقف قاطع وصريح ، ولعل مرجع ذلك التناقضات العربية الواسعة والتى يتعذر معها اتخاذ قرار ايجابى بمساندة الصومال . وتنحصر المواقف لعربية التى اتخذتها بعض الدول حيال الصومال تبعا لارتباطها ومصالحها فى المنطقة فى التالى :

الموقف السعودى :

تسعى السعودية جاهدة لمنع التغلغل السوفيتى فى المنطقة بأى صورة من الصور وذلك حتى تضمن استقرار نظم الحكم التقليدية المعتدلة فى المنطقة وبالتالى المحافظة على ثروتها الضخمة وكذلك على العقائد الدينية التى تضفى أهمية خاصة على السعودية . واذا أضفنا لكل هذه الاهتمامات العلاقات الوثيقة الأمريكية السعودية لأمكننا تلمس دواعى المساعدات المالية التى تدفعها السعودية لجبهة تحرير اريتريا وللصومال وللسودان وتشاد . وبنظرة على دور السعودية فى الصومال على وجه الخصوص يتراءى أن السعودية كانت جادة وجاهدة فى محاولتها لنصم عرى العلاقات السوفييتية الصومالية ، ولقد نجحت الى حد كبير فى ذلك وانتهت الى الغاء معاهدة الصداقة السوفيتية الصومالية ، وان كانت هناك عوامل أخرى أسهمت فى هذا الالغاء ، وفضلا عن مصالح السعودية فى ابعاد الوجود السوفيتى عن المنطقة فان مصالحها مرتبطة بمنابع البترول والطرق البحرية ، ومن منطلق هذه المصالح وبالتنسيق الامريكى كانت المساعدات السعودية للصومال التى تمثلت فى المساعدات المالية بقصد تغطية النفقات المتعلقة بشراء الأسلحة والمعدات (١) ، وان ادعت الصومال أنها لم تتلق مساعدات عسكرية من الغرب بعد طرد السوفيت الا أن ذلك يجافى الحقيقة ذلك أن ما وصل من سلاح محدود ومعدات غربية للصومال قامت السعودية بتغطيته ماليا (٢) .

---

(١) راجع : نائلة صبره ، « المساعدات المالية العربية الى دول البحر الافريقية » . مجلة السياسة الدولية ، (عدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠) ، ص ٣٢ .

(٢) عبد العاطى محمد أحمد ، « الدبلوماسية السعودية فى القرن الافريقى » ، مجلة السياسة الدولية ، (عدد ٥٤ ، اكتوبر ١٩٧٨) ص ٤٧ — ٥٠ .

وان كانت الصومال تأمل فى مساعدات سعودية أكثر الا أنها لم تحقق ولعل مرجع ذلك أن سياسة السعودية بصورة عامة تتركز على البعد عن استخدام القوة فى سياساتها الخارجية فضلا عن أن قدرة السعودية العسكرية للدخول الى ساحة النزاع المسلح فى القرن الافريقى تكاد أن تكون محدودة خاصة وأن هذا الصراع يحتاج الى أنواع متخلفة من الأسلحة المكثفة •

وبالاضافة الى الامدادات المالية السعودية فانها قامت بدور دبلوماسى داعية الدول العربية والجامعة العربية لمساندة الصومال والتصدى للتحرك الأتيوبى ولذا فان السعودية لم تنجوا من نقد الدول الافريقية التى اتهمتها بأنها تزكى نار العداوة بين الأشقاء الأفارقة بمساندتها للصومال لتعتدى على أثيوبيا •

وليس هناك شك أن الوضع الحالى بالنسبة للسعودية مؤرق كثيرا ذلك أن النفوذ السوفيتى ما زال قائما فى أثيوبيا وعدن علاوة على أن الدور الامريكى المطلوب للرد على التواجد السوفييتى محدودا ، وذلك يزيد قلق السعودية ويؤرقها تجاه ثروتها وأمنها الداخلى والخارجى •

الموقف الســوداني :

هناك شبه اتفاق أو تشابه كبير فى موقفى السعودية ومصر تجاه النزاع الأثيوبى الصومالى ، وان لم تتفق الدوافع كلها ، فالدافع المصرى بمساندة الصومال وان بدأ فى بدايته جذب الصومال بعيدا عن الفلك السوفيتى ذلك أن مصر لا تود للقوى السوفييتية أن تتواجد فى المنطقة العربية ، ولقد كان الاتجاه المصرى دائما منذ ثورة ١٩٥٢ وحتى قبل اندلاع مرحلة المعارك الثانية (٧٧ — ١٩٧٨) قائم على أساس توافقى يسعى للمصالحة بين الأيراف ، الا أنه مع التواجد السوفيتى المكثف فى أثيوبيـا ومـع المخاوف على أمن البحر الأحمـر ومع آثار سـوء العـلاقات المصرية السوفيتية ومع القلق من أن تتضافر تلك العوامل معا فتؤثر على الأمن المصرى وفى قمته الاستغلال المشترك لمياه النيل ، والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية المشتركة مع السودان (١) • ولضمان سلامة البحر الأحمر

---

(١) جهاد عوده ، « السياسة المصرية فى القرن الافريقى » • مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٤٤ — ٤٦ •

ولقد كانت امدادات مصر للصومال محدودة ، وكان الاتصال بين الرئيس الصومالى والقيادة المصرية مستمرا ودائما وان لم يخل ذلك من نقد بعض الأفارقة للدور المصرى تجاه النزاع (١) • ومع تصاعد العمليات العسكريه واتجاهها فى غير صالح الصومال ، رأت مصر أنه من الأصوب اتخاذ موقفا يعمل على تهدئة الحالة بين الطرفين وذلك بلا شك يحقق مكسبا للصومال المتقهقرية فأعلنت مصر رسميا فى ١١ فبراير ١٩٧٨ عدة مبادىء أساسية تحكم موقفها فى النزاع يمكن ايجازها فى :

١ — تأكيد مصر على عدم وجود قوات لها بالصومال ، ولكنها مستعدة لمساعدة الصومال فى الدفاع عن حقوقه المشروعة وحدوده الدولية (٢) •

٢ — مصر ضد التدخل الأجنبى عموما فى أفريقيا ولابد من أن تحل المشاكل الافريقية فى اطار أفريقى وبالوسائل السلمية كلما كان ذلك ممكنا •

٣ — مصر على استعداد للمساعدة فى الوصول الى الحل السلمى بين الأطراف المتنازعة ، وترفض مبدأ احتلال الأراضى بالقوة وتوافق على ضرورة حق الأقاليم المتنازع عليها فى تقرير مصيرها (٣) •

وفى الواقع يعد هذا الموقف المصرى مخرجا فى محاولة مساندة الصومال بعد أن تهددت حدوده بالعدوان من الجانب الأثيوبى ، ويلاحظ على البيان المصرى أنه كان بمثابة تقديم الوساطة بين الطرفين فضلا عن أنه دعوة الى الحل فى اطار منظمة الوحدة الأفريقية ، ومصر تعلم أن الحل فى اطار المنظمة يستند الى احترام الحدود القائمة وذلك يناسب أثيوبيا ولا يتناسب مع الصومال . الا أن تلك الدعوة التى قد تلاقى

---

(١) Africa. No. 76. December, 1977, P. 11.

(٢) كانت بعض المصادر قد ذكرت ان لمصر قوات فى الصومال مستعدة لمواجهة اى احتمال راجع :

Legum Colin. Lee Bill. OP. Cit., P. A38.

(٣) سبق أن اكد الرئيس المصرى الراحل محمد أنور السادات قبل هذا الاعلان بأيام قليلة وعلى وجه التحديد فى ٧ فبراير ١٩٧٨ بأنه « قلق للغاية ازاء الوضع فى الصومال ، وأنه عازم على مساندته بطريقة فعلية واتهم الاتحاد السوفيتى بانشاء ترسانة للأسلحة فى أثيوبيا وليبيا » .

ارتياحا لدى المنتصر فتحد من صلفه وتشـدده وتجعله يأنس للذهاب للسنظمة ، وبالفعل بدأت مصر فى الاتصـال بأطراف النزاع عن طريق سفرائها بالقاهرة وعواصم أفريقية أخرى .

ويتضح من هذا أن مصر بنت سياستها تجاه الصراع الصـومالى الأثيوبى على أساس تحقيق أمنها الوطنى ممثلا فى ضمان استغلال مصادر مياه النيل ورعاية مصالحهـا بالسـودان ، وكانت مصر تود لو تمكنت الصـومال من تحقيق نصرا على أثيوبيا لدحر الوجـود السـوفيتى فى المنطقة فذلك هدف آخر لمصر فى الصراع . ولقد طورت مصر سياستها وموقفها تجاه تحقيق الأهداف فلم تكن جامدة عند هزيمة الصـوماليين وانسحابهم من الأوجادين بل طوعت الهزيمة للخروج من المأزق عارضة وساطتها معلنة موقفها بجلاء ، منددة بالتدخل الأجنبى فى القارة وكان ذلك واضحا فى مؤتمر قمة الخرطوم الأفريقى ١٩٧٨ .

للسودان مصالح استراتيجية هامة فى منطقة النزاع . وتعكس تلك المصالح سياستها تجاه المتنازعين فالخلاف والتنافر بينها وبين أثيوبيا قائم على اتهام أثيوبيا للسودان بمساندتها لثوار اريتريا (١) ، فضـلا عن اتجاهات التقارب السودانى الامريكى والفتور تجاه الاتحاد السوفييتى . وطبقا للاستراتيجية شبه الموحدة التى تنتجها مصر والسعـودية كانت السودان كذلك فقامت بمساندة الصـومال بالقـدر الذى سمحت به امكانياته ، ولم تنجوا السودان أيضا من النقد الذى وجه لها والقائم على أساس أن الصومال وأثيوبيا شقيقتان وما كان ينبغى للسودان أن تشعل نار العداء بينهما والملاحظة على ساسة السودان تجاه الصراع بأنها كانت مترددة بين التعاون مع الصومال والحياد ، ولعل حيادها أحيـانا مبعث القلق من الاثارة التى بدأ يحدثها تعاونها الظاهر للصومال ضـد نظام الحكم فى أثيوبيا ، الأمر الذى يدفع نظام الحكم الاثيوبى لاثارة الحركات الانفصالية فى جنوب السودان ضد الحكم السودانى ، ولو أن هذا كان بعيدا فى ظل التراكمات القاسية التى تعيشها أثيوبيـا ما بين

---

(١) Sauidie, Madan, «Shifting Alignments in Racefor the Red Sea».**Africa,** No. 68. April , 1977. P. 48.

هزائم فى الأوجادين (وحتى عندما انتصرت تحملت ثمن النصر) وضغط داخلى ، وضغوط من ثوار اريتريا ، فليس لديها امكانيات لتأليب جنوب السودان . الا أن سوء العلاقات السودانية الأثيوبية يمكن أن يؤدى لذلك اذا ما تغيرت العوامل الضاغطة على أثيوبيا أو أى منها ويمكن أن تستثمر أثيوبيا مشكلة الجنوب وخاصة أن الاتحاد السوفيتى كان يزكى الخلاف بين السودان وأثيوبيا ، فقد أعلنت وكالة تاس السوفييتية فى ٥ يونيو ١٩٧٧ بأن السودان يعد العدة لعدوان مسلح ضد أثيوبيا لذلك أتت سياسة السودان بين المهادنة والحياد والمساندة للصومال بالقدر المستطاع ومع الوضع فى الاعتبار الخوف من تأليب مشكلة الجنوب وكذلك بضمان سلامة الحدود مع شمال أثيوبيا (١) •

وبجانب الدول العربية الممثلة فى مصر والسودان والسعودية ، فان هناك دول أخرى كالعراق وسوريا وان كان اتجاهها اشتراكى متعاطف مع السوفييت الا أنه لم يمنع من تدبير قطع غيار الطائرات والدبابات السوفييتية فى الصومال ، وكذلك تمويل مشترى بعض الأسلحة من الأسواق المفتوحة (٢) ، وان لم تتمكن تلك المساعدات مجتمعة من مجاراة تدفق السلاح السوفييتى والقوى البشرية المحاربة تجاه أثيوبيا •

الموقف الايرانى :

ظهر دور ايران فى النزاع حول الأوجادين بصورة واضحة مائلا ومتعاطفا تجاه الصومال أو بمعنى أوضح ضد الاتحاد السوفييتى وأثيوبيا وتحرك ايران يعكس ضمان تحقيق مصالحها الاستراتيجية فى المنطقة فالممرات البحرية تمثل أهمية بالغة لها خاصة مع مصالحها البترولية •

ولقد كانت واجهة ايران فى النزاع واضحة ابان المعارك الدائرة بين طرفى النزاع فقد صرح شاه ايران وقتئذ للرئيس الصومالى أثناء زيارته لطهران فى ١٩٧٧/١٢/٣٠ بأن ايران لن تقف مكتوفة ساكنة اذا ما قامت أثيوبيا بمهاجمة الحدود الدولية للصومال ، كما سبق أن أعلن الشاة أن ايران أمدت الصومال ببعض الأسلحة الزهيدة والامدادات الطبية ، وفى

(١) Enahoro Peter, «Ethiopia-Sudan-Somalia : War of Nerves», Africa, No. 66, February 1977, PP. 16-17.

(٢) Legum Colin, Lee Bill, OP. Cit., P. A38.

الحقيقة فان ايران قامت بشراء صفقة أسلحة سوفييتية كانت لها أهميتها للصومال .

ومما تجدر الاشارة اليه أن تصريح شاه ايران والذى أشار فيه الى الحدود الدولية للصومال وتخوفه من مهاجمة أثيوبيا لها ، كان تصريحا فضفاضا ، ذلك أن الحدود الدولية للصومال غير محددة أساسا أو غير متفق عليها والا لما نشب الخلاف أصلا .

وفى الواقع فان دور ايران كان منسقا تماما مع الولايات المتحدة الأمريكية ، الا أنه لم يخلو من نقد وشبه تحذير وجه للشاه من منظمة الوحدة الأفريقية مطالبة اياه بالامتناع عن التدخل فى النزاع الافريقى .

وقد يسأل سائل هنا لماذا لم يوجه هذا التحذير السوفيت أو للكوبيين ؟ والاجابة على هذا التساؤل تكمن فى أن المنظمة ترى أن السوفيت والكوبيين أتو الى المنطقة لمساندة دولة معتدى عليها وبناء على طلبها ، الا أنه فوق ذلك فان نقد ايران لم يكن لتدخله فى نزاع أفريقى بل ردا على امداده جنوب أفريقيا بالبترول فى ذلك الوقت .

ويتغير نظام الحكم فى ايران بانشغاله فى حربه مع العراق فان دوره فى منطقة القرن الافريقى بات واهنا ان لم يكن متلاشيا وان كانت تأثيرات الحرب العراقية الايرانية تعكس آثارا بالغة الأهمية فى لمنطقة كلها ومن بينها منطقة القرن الافريقى .

الدور الاسرائيلى :

منطقة القرن الافريقى بوجه عام تمثل المنطقة المسيطرة على المنافذ الاستراتيجية والتجارية لاسرائيل فى أفريقيا ، وقد عملت اسرائيل منذ انفتاحها على أفريقا على الربط بينها وبين الدول الافريقية ربطا وثيقا خاصة منطقة شرق أفريقيا ، فكانت هناك علاقات طيبة مع أوغندا وكينيا وتنزانيا بالاضافة الى علاقات طيبة وحيوية مع أثيوبيا ، وكان حرص اسرائيل الحفاظ على العلاقات الكينية والأثيوبية برغم قطع العلاقات الافريقية الاسرائيلية فى ١٩٧٣ (فى حرب أكتوبر بين مصر واسرائيل) ولعل ثبات ونمو العلاقات الأثيوبية الاسرائيلية مرجعه الاستراتيجية الاسرائيلية التى ترى أن أثيوبيا هى أقرب المقربين لها فى منطقة البحر الأحمر خاصة وأن الود بينها وبين العرب محدود ان لم يكن غير موجود

علاوة على أن اسرائيل تحيط أثيوبيا برعايتها تجاه مشكلة اريتريا التى تهدد اسرائيل أيضا اذا ما قويت شوكة العرب فى البحر الأحمر ، وما يعنى اسرائيل بالدرجة الأولى أمنها فى المنطقة ومصالحها ذلك أنه لو تحولت منطقة البحر الأحمر الى منطقة ينشط فيها النفوذ العربى فان ذلك يعنى عسكريا التحكم فى باب المندب فى جنوب البحر الأحمر فى أى وقت وذلك حدث فعلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بفضل القوات البحرية المصرية ، وذلك يعنى اقتصاديا سيطرة العرب على البحر الأحمر وتقليل أهمية ميناء ايلات خاصة بعد النفقات الباهظة فى انشاء خط الأنابيب البترولية من ايلات الى عسقلان (١) . لذلك فان الدور الاسرائيلى تجاه أثيوبيا فى نزاعها مع الصومال كان مكثفا رغم التواجد السوفييتى المتنافر مع السياسة الأمريكية التى تسير اسرائيل فى فلكها . وقد يكون التواجد الاسرائيلى فى أثيوبيا بتنسيق أمريكى ، فضلا عن أنها ترى أن مساعدتها لأثيوبيا حتى تتغلب على الصومال وتهدد حلمه الكبير الذى اذا ما تحقق فانه يعجل بعروبة المنطقة وذلك أمر غير مرغوب فيه ، وعلاوة على ذلك فان اسرائيل تعلم أن التواجد السوفيتى فى أثيوبيا لن يستمر طويلا وقد يعمل الوجود الاسرائيلى فى أثيوبيا على احداث تقارب أثيوبى — غربى .

وان تصدعت العلاقات الاثيوبية الاسرائيلية على أثر اعلان وزير الخارجية الاسرائيلى فى أوائل عام ١٩٧٨ أن اسرائيل تقدم العون العسكرى لأثيوبيا وأن البعثة العسكرية موجودة فى أثيوبيا ، وقد أثار هذا التصريح غضب الحكومة الأثيوبية فاتخذت قرارا بطرد البعثة العسكرية من البلاد (٢) . ولو أن تلك المشكلة مؤقتة ذلك أن أثيوبيا لا يمكنها الاعتماد الكامل فى حرب اريتريا بالذات على كوبا والسوفيت . فاسرائيل من أفضل المصادر للمساعدة فى هذا المجال خاصة فى ظل الظروف المتغيرة ومع اهتمامات اسرائيل بالقضاء على الثوار الارتيريين والقضاء على الطموح الصومالى ذلك أن هذه الاهتمامات قائمة على أمن اسرائيل ذاته .

---

(١) د. نبيل أحمد على ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) أمل الشاذلى ، « الاطماع الاسرائيلية فى القرن الافريقى » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٥٣ .

ختـــام
مدى استمرارية التدخل الأجنبى
فى القرن الافريقى

يعكس النزاع حول منطقة الاوجادين وماجره على المنطقة بأكملها من تدخل أجنبى بشكل ملحوظ بعض القضايا الهامة المتعلقة بفشل النظام القانونى الافريقى فيما بعد الاستعمار وتلك قضية من المناسب مناقشتها فى بحث مستقل وبافاضة كما يعكس النزاع أحد القضايا الهامة وهى التدخل الأجنبى فى القارة الافريقية وبصفة عامـة وفى منطقـة النزاع بصفة خاصة .

وان كان من المناسب أن نذكر أن التورط الأجنبى فى المنطقة لم يبدأ فى عام ١٩٧٧ عندما تحول الاتحاد السوفييتى الى الجانب الاثيوبى وانما يرجع تاريخـه الى الخمسينات عندما أبرمت الولايات المتحـدة الأمريكية معاهدة دفاع مشترك فى أثيوبيا أدى هذا التحالف الى دعم الامبراطورية الأثيوبية والى تحقيق أطماعها الى حد كبير فى ارتريا وفى الوقت نفسه كان الاتحاد السوفييتى يدعم علنا مطالب الشعب الارترى بالاستقلال ويسند الصومال ويعضده فى اطار معاهدة صـداقة سوفيتية صـومالية .

وأيا كان تاريخ التدخل الأجنبى فى المنطقة فانه كما وضح من سياق البحث أن التدخل الأجنبى فى القارة الافريقية وبالتالى فى منطقة الصراع (الأوجادين) هو تدخل مفروض على دول القارة . ولقد أبرزت هذا التدخل وأوضحت معالمه تلك الخلافات الافريقية ولقد اتضح أن وراء الصراعات والخلافات الافريقية عديد من العوامل الأجنبية التى تحرك الصراع وتزيده اشتعالا وليس هناك شك أن التحـرك الاجنبى لم يأت اعتباطا بل خطط له جيدا ، فهناك مصالح محققة للقوى المتدخلة تكمن وراء تدخلها ولقد ساعد المناخ الافريقى على تحرك تلك القوى داخله واستفادت القوى المتداخله من الصراع بين المعسكرين خاصة وأن الفكر الايديولوجى والصقل السياسى داخل أفريقيا ما زال مضطربا ولم يستقر وكثير من الدول تترنح تجاه أى اتجـاه .

ومن أجل هذا جاء التدخل فى بعض حالاته سافرا وان حكمته عوامل معينة لا تتعلق بأفريقيا بالدرجة الأولى بل يحركه التــوازن بين القوى المتدخله ومراعاة الحفاظ على الانفراج الدولى .

وفى الواقع استطاعت تلك القوى أن تقنع مناطق كثيرة فى أفريقيــا بأنها أداة الحسم دائما ، وأن الدول الافريقية سواء فى دائرة العلاقات الفردية أو فى اطار منظمة الوحدة الافريقية عاجزة دائما عن الحسم ، فلقد أثبتت تلك القوى أنها حسمت انفصال كاتانجا بتخلى بلجيكا عن قوى الانفصال وحسمت انفصال بيافرا بالسلاح السوفيتى والبريطــانى ولقد ساعدت تلك القوى على الاستمرار فى تدخلها ظروف عالمية وأفريقية أبرزهــا :

١ ــ كان لابد من وجود ميدان جديد للحرب الباردة ، خاصة بعد أن انتهت الجولة فى آسيا بهزيمة الطرف الأمريكى فى فيتنام .

٢ ــ لعل الخطر الأمريكى الذى فرضه الكونجرس على السلطات التنفيذية بعد هزيمة فيتنام وفضيحة وترجيت ، شجع الاتحاد السوفيتى على المغامرة فى أفريقا خاصة وقد حقق نصرا فى أنجولا .

٣ ــ سعت الدول الكبرى لملأ الفراغ الذى خلفه البرتغال بعــد انسحابه من أفريقيا فى ١٩٧٤ .

البترول المتفجر والثروة المعدنية والمواقع الاستراتيجيــة والصراع حول البحر الأحمر ذلك كله يسيل لعاب القوق الكبرى .

والحقيقة أن دول أفريقيا كغيرها من دول العالم الثالث ، لا تملك منفردة أو بمنظمتها دفع التدخل الأجنبى بسهولة ويسر ، فضلا عن المناخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى المهيأ للتدخل وأن الدول الأجنبية لها من الوسائل والأدوات ما يمكنها من تسهيل مهمتها .

ومنظمة الوحدة الافريقية كغيرها من المنظمات الدولية عاجزة عن أن تقوم بدور ايجابى فى مواجهة الدول الكبرى ، وهى بالتالى لا قدرة لها على دفع أو منع التدخل ، ولعل السبب وراء هذا الاخفــاق المزدوج فى عدم القدرة على التسوية وعدم القدرة على منع التدخل يرجع الى الحرب

الباردة الساخنة التى صبغت المنازعات الاقليمية بالصبغة العالمية بعدا وأثرا، ولو أنها بقيت جغرافيا اقليمية [1] .

ولقد ارتفعت أصوات داخل منظمة الوحدة الافريقية تندد بالتدخل الأجنبى وتطالب بضرورة اتخاذ خطوات عملية فى هذا الصدد ، وبلا شك فلن يصل الأمر الى حد العجز فى مواجهة مشكلة التدخل الأجنبى ، بل ان هناك أسس يمكن أن تكون نواة لاستراتيجية جديدة وهى ، العودة الى المبادىء التى قامت عليها سياسة عدم الانحياز ووضعت أسسها فى القاهرة عام ١٩٦١ [1]

ويرى الباحث بالاضافة لذلك ضرورة التأكيد مرة أخرى على أن النداءات التى توجهها المنظمة لا جدوى من ورائها ما لم يكن هناك اتفاق اجماعى من الدول الافريقية على سياسة موحدة تجاه التدخل الأجنبى . ولابد كذلك من سد الثغرات التى تتعلل بها بعض الدول وتدافع عن التدخل باعتباره يأتى للدفاع عنها . وذلك لن يتأتى بالخطابة والبيانات بل بالبحث والدراسة الجدة وعلى مستوى القمة حتى يكون النقاش مع صاحب القرار .

ولقد كان واضحا فى مؤتمرات القمة الافريقية خلال عامى ٧٨ ، ١٩٧٩ أن موضوع التدخل الأجنبى احتل الصدارة فى أعمال المؤتمرين ، ووضح كذلك الانشقاق الواسع بين الدول الافريقية حول تحديد مفهوم

---

(١) د. بطرس بطرس غالى ، الاستراتيجية والسياسة الدولية (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٧) ، ص ٢٣٣ .

(١) تتلخص تلك المبادىء فى :

- التعايش السلمى مع كل من المعسكرين .
- عدم الارتباط بأى حلف جماعى يكون من بين أعضائه احدى الدول الكبرى .
- عدم الارتباط بأى حلف ثنائى فيه دولة من الدول الكبرى أحد أطرافه .
- عدم السماح بقيام أى قاعدة عسكرية أجنبية فى اقليم أى دولة .
- مساعدة حركات التحرير .

راجع :

- د. بطرس بطرس غالى ، « الحرب الباردة تهدد أفريقيا بالانقسام » ، حديث صحفى أجرته جريدة الأخبار ، ١٩٧٨/٧/٨ ، ص ٧ .

التدخل • ومن هنا يجب التأكيد مرة أخرى على ضرورة الاجماع الافريقى ليتمكن من مجابهة تلك المشكلة ، وعليه أن يوحد أولا استراتيجيته وبعد ذلك تتخذ الخطوات داخل اطار المنظمة فى مؤتمر قمة أو داخل اللجان المهم الاتفاق على المبادىء باجماع لخطوة أولى • ولعل الأفرقة يستطيعون الاتفاق على الآتى :

ـ مقاومة أساليب القوى المتدخلة باستخدام المرتزقة سواء لمحاولة زعزعة استقرار سياسى أو لمساندة نظام انفصالى أو اتجاه مضاد •

ـ عدم تمكين القوى الأجنبية من استغلال الأقليات وتشجيعها على احداث فتن واثارة قلاقل فى البلاد يعقبها تدخل عاجل •

ـ الحيطة من تستر القوى الأجنبية وراء الانقلابات العسكرية كأداة تحسم الأمر وتمكنها من الدخول للبلاد فى اطار التغيرات الاجتماعية والاقتصادية •

ـ الحذر من استخدام الدول المجاورة لمناوئة نظام مستقر أو حتى مضطرب فى الدول الأخرى •

ـ الحيطة والحذر تجاة السياسة الخاصة بالمساعدات الأجنبية وعدم ارتباطها بما يهدد السيادة الافريقية ككل •

وان كانت تلك هى المقترحات فعلى الأفارقة أن يتخذوا قرارهم حاسما محددا يمكن تنفيذه ، حتى لا يضاف لقائمة القرارات الورقية العاجزة • ولذا فيجب أن يتخذ القرار ضمانات فعلية للتنفيذ ، كأن تفرض عقوبات على أولئك الذين يستعينون بالمرتزقة مثلا •

وبجانب ذلك كله فعلى الأفارقة أن يأخذوا بأسباب المتغيرات الدولية ويستفيدوا منها فاستمرار بقاء نفوذ الاتحاد السوفييتى فى أثيوبيا أمر مشكوك فيه ولعل أثيوبيا نفسها تدرك ذلك فهى تسعى للاستفادة على وجه أفضل من الأسلحة السوفييتية والأموال الغربية بما فيها المساعدات

الاقتصادية سواء من الولايات المتحدة الامريكية أو من السوق الأوربية المشتركة الا أنه مع فشل الحملة العسكرية فى اريتريا واستمرار حرب العصابات فى الأوجادين سيجد الاتحاد السوفييتى نفسه أمام تساؤل حول فعالية تقديم السلاح كأداة للسياسة الاستراتيجية القومية . ومن ناحية أخرى وباعتبار أن انتصار أثيوبيا يعنى التقليل من الحاجة الى الاعتماد على الوجود العسكرى السوفيتى .

وبالاضافة الى ذلك كله فان أحداث أفغانستان وتورط السوفييت فيها ستجعله يعيد النظر فى استنزاف موارده وعتاده فى وقت ينفق فيه الغرب موارد أقل نسبيا ليحصد الفشل السوفييتى نتيجة تورطه فى مساندة أثيوبيا وغيرها (١) .

وفى نفس الوقت فان استراتيجية الولايات المتحدة تجاه المنطقة لن تسمح بتحقيق المطامع السوفييتية وأن تغير الأسلوب ، ذلك أن جذور العلاقات الأثيوبية الامريكية الممتدة عبر أكثر من ثلاثين عاما لن تندثر سريعا كما يتصور السوفيت ، فضلا عن أن العودة السوفيتية للصومال على الأقل فى المرحلة الحالية أمر بعيد الاحتمال .

كذلك فان استثمار التعاون العربى والعربى الافريقى لا شك سيحد من التدخل الأجنبى فهناك مسائل أمنية مشركة بين العرب والأفارقة أوضحها أمن البحر الأحمر ومن المفروض أن يؤدى هذا الى عمل مشترك لمواجهة التهديدات الموجهة للعرب وللافارقة . وان كنا لا نقلل من أهمية هذا الاستثمار الا أنه لابد من ادراك حقيقة هامة وهى أن الانقسامات السياسية بين العرب والأفارقة وداخل كل مجموعة منهما تجعل الحديث عن المواجهة المشتركة للتهديدات الخارجية سذاجة سياسة (٢) فهل يمكن

---

(١) بيركيت هايتى سيلاسى ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٢) د. أحمد يوسف أحمد ، « سياسات البحر الاحمر والعلاقات الافريقية » ، مجلة السياسة الدولية (عدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠) ، ص ٢٨ .

مثلا تحقيق نوع من التنسيق العسكرى أو اقامة قوات بحرية مشتركة أو قيادة بحرية مشتركة فى البحر الأحمر وهل تستطيع الدول العربية أن تخرج المنطقة بقدر الامكان على ضوء ذلك من دائرة الصراع بين الدولتين العظميين ؟ ان تحقيق أى من هذه الأهداف أو بعضها يتطلب الاتفاق حول حد أدنى من مفهوم الأمن العربى فى البحر الأحمر وتحديد الأساليب التى يمكن انتهاجها لحمايته (١) .

وفى اطار التعاون الآسيوى الأفريقى فانه مطلوب على الأقل تحييد المحيط الهندى طبقا للحكمة السياسية التى تقول « اذ لم تستطع تحقيق فائدة عسكرية فى منطقة ما فاعمل ما استطعت لمنع أعدائك ومناهيضك أو منافسيك من الافادة من هذه المنطقة (٢) .

---

(١) د. على الدين هلال ، « الامن العربى والصراع الاستراتيجى فى منطقة البحر الاحمر » ، مجلة المستقبل العربى (عدد ٩ - سبتمبر ١٩٧٩) ص ١٠٧ .

(٢) د. بطرس بطرس غالى ، « السياسة الاستراتيجية فى المحيط الهندى » ، مجلة السياسة الدولية ، (عـدد ٢ - أكتـوبر ١٩٦٥) ، ص ١٩٧٢ .

النيـــل
دراسة فى السياسة المائية

أ.د. محمد عبد الغنى سعودى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعـــة القـــاهرة

الانهار ظاهرات جغرافية بالدرجة الاولى ، تدرس كاحدى ظاهرات سطح الارض كالجبال والهضاب والسهوال ، تدرس مجاريها وانحداراتها، ومظاهرها الجيمورفولوجية من حيث المساقط المائية والجبال ، درجـــة انحدارها والقطاعات المختلفة التى تضمها ، وتصريفها المائى ، وهى أيضا أصبحت تمثل ظاهرات سياسية بنفس الدرجة يدرسها أولئك الذين يعنون بدراسة الجيوبولتيك أو الجغرافية السياسية •

وقد دخلت الانهار ميدان الجغرافية السياسية نتيجة التطور الذى شهده العالم فى درجة الاستفادة من هذه الانهار أو تلك •

استغلت الانهار للملاحة منذ العصور الاولى لتاريخ البشرية ، وكانت الانهار هى المسالك الرئيسية فى كثير من الاحيان للكشف عن كثير من المنـــاطق المجهـــولة ، كما حـــدث فى حالة أنهـــار الويالات المتحـــدة الامريكية النـــابعة من الابلاش والمتجهة نحـــو الغرب ، وكما حـــدث فى حالة نهر الامزون فى أمريكا الجنوبية • وقد استغلت أنهار القـــارة الأوربية فى العصور القديمة لاغراض الملاحة بدرجة لا يتصورها الانسان فى الوقت الحاضر ، فكانوا يستعملون القوارب الصغيرة ، وكانت الانهار السريعة (تستغل تياراتها السريعة) فى تسيير السفن نحو الا جزاء الدنيا ، ولعلنا جميعا نعرف أن المصرى القديم استغل تيار النيل هبوطا مع النهر نحو الشمال ، على حين كان يستغل اتجاه الرياح الشمالية لتدفع بسفينته للاتجاه جنوبا صعودا مع النهر ، ومازالت الانهار ومازال النيل منهـــا يعطى هذه الفائدة مع تطور السفن •

وتستخدم الانهار أحيانا كحدود سياسية ، وهو موضوع قابل للنقاش والجدل وما اذا كانت صالحة لتؤدى هذه الوظيفة أم لا ، وهذا بعيد عن موضوعنا •

وفى المناطق الجافة وشبه الجافة نجد أن النهر هو شريان الحياة للدولة ، يترك طابعه وأثاره على تنظيماتها ، كما فى مصر القديمة والحديثة، وكما فى العراق ، وكما فى السند فى باكستان ، من ثم أطلق على هذه الدول دول الرى Irrigation State فقد أعتمد سكان تلك الجهات على الفيضان الطبيعى للنهر فى العصور القديمة ، ثم أقيمت عليه مشروعات الرى حديثا ، وكان التعاون والتفاهم ضروريا لتوزيع مياه الرى بحيث لا يتحكم سكان أعالى النهر فى سكان جزئه الادنى ، كذلك كان التعاون لصد قابل الرعاه المغيرة وكانت هذه الدول تستمر فى حالة انتعاش مادامت قادرة على صد المغيرين ، والكن ما أن ينتابها الضعف حتى تسوء أحوالها الاقتصادية وتنتابها الفوضى ، ويستولى عليها الغزاه كما كان الحال فى مصر والعراق •

ومنذ بداة القرن العشرين ظهرت للانهار وظيفة أخرى فى نشاط الدولة وهى أنه أصبح فى امكانها أن تمد بالقوى المائية ، ولكن لم تظهر هذه الطاقة كمنافس للزيت أو للفحم الا بعد معرفة الانسان كيفية توليد الكهرباء ، ونظرا لان مقدرة النهر على القيام بهذه المهمة تتوقف على كمية المياه وعلى سرعة التيار ، فان معنى هذا أن هذه الوظيفة التى يقوم بها النهر مستمدة من التضاريس والمناخ ، ولذلك نجد أن الدول ذات الطبيعة الجبلية والتساقط الغزير قد حبتها الطبيعة بهذه الطاقة كالنرويج ، والسويد وسويسرا ، فرغم فقرها فى البترول والفحم فان هذه الطاقة كانت لها خير عون •

ولكن هذه الطاقة المائية لم تعد مقصورة على المناطق الجبلية ، بل عمل الانسان مساقط مائية صناعية واستطاع أن يولد الكهرباء من الانهار فى الاقاليم السهلية باقامة السدود الصناعية وبعد أن كان سد دنيبر بتروفسك فى الاتحاد السوفيتى معلما رئيسيا لهذا النوع من توليد الكهرباء انتشر استخدام هذا المورد بهذه الطريقة فى أنحاء العالم المتقدم والنامى منه ولدينا فى مصر كهرباء خزان أسوان والسد العالى •

ويضاف الى هذا وذاك استعمال مياه الرى فى أغراض صناعية كتبريد المولدات الكهربائية ومثل هذه المياه لا تضيع كما هو الحال فى مياه الرى بل ترجع الى النهر ، وان كانت فى هذه المرة الاخيرة تحتوى على مواد كيماوية وقد تكون سامة فتقضى على الاسماك ، وتجعلها غير صالحة للاستخدامات الاخرى ، وهذا نموذج لمشكلة تلوث البيئة .

واذا كان استغلال وتنظيم الاستفادة من مياه النهر هى مسألة وطنية بحته ، لما كانت هناك مشكلات سياسية ولكن المشكلة تأتى من أن هناك الانهار دولية لانها تجرى فى دولتين او أكثر ، أو هناك مصلحة للجماعة الدولية فيه ، من ثم كان لابد من الاتفاق على طرق استغلال الانهار بين الدول الواقعة فى أحواضها حتى لاتضار أحداها . ولعل الاتفاقيات الخاصة بتنظيم الملاحة هى أسهل الاتفاقيات ، على اعتبار أنها لا توثر كثيرا فى مياه النهر ، بينما نجد الاتفاق على توزيع مياه النهر أو استغلالها بأى طريقة من الطرق أكثر صعوبة .

النيل بين أنهار الدنيا

اذا ما قورن نهر النيل مع نظائره من الانهار الكبرى الأخرى سواء من حيث الطول (*) أو حوض التصريف ، فأنه يختلف عنها فى كونه أقل هذه الانهار من حيث المياه التى تتدفق فيه . اذ يقدر حجم مياه نهر النيل على سبيل المثال ما يعادل ١/١٥ من حجم مياه نهر الكنغو ، ١/٣٠ من حجم مياه نهر الامزون . اضافة الى ذلك يختلف نهر النيل عن هذين النهرين من حيث طبيعة المناطق التى تشكل فى مجموعها أحواضها ، فبينما يجرى كل من نهرى الامزون والكنغو فى أقاليم تتمتع بالوفرة المائية ، وقلة اعتماد السكان من حولهما على مائيتهما ، الا أن نهر النيل على العكس من ذلك يخترق أقاليم مغايرة تماما حيث تتصف فى معظمها بالشح أو الندرة المائية فضلا عن اعتماد السكان من حوله على مائيته بشكل مباشر وأساسى ، ولكن يمكن القول أن أوجه التشابهة أو التناظر بين هذه الانهار الكبيرة تكمن بالدرجة الاولى فى ملامحها

(*) من اطول أنهار الدنيا بعد المسيسبى وروافده المسورى اذ يبلغ طوله ٦٦٧١ كم وينبع من درجة عرض ٤ جنوب خط الاستواء ، وينتهى ٣١ر٣٠ شمالا أى يمتد فى ٣٥ درجة عرضية .

الخاصة أكثر من ملامحها العامة ، وينفرد نهر النيل عن الانهار الكبرى كالامازون والكنغو والمسيسبى بتاريخه الطويل الحافل باهتمامات السكان من حوله وباستخدام موارد مياهه •

من ثم كان النيل ليس مجرد ظاهرة جغرافية فحسب ، بل هو ظاهرة جغرافية مهيمنة ومسيطرةعلىجميع مظاهر الحياة فى شمال شرقىافريقية . وتزداد سيطرة النيل وهيمنته على الحياة كلما اتجهنا شمالا ، من ثم ليس هناك أراضى تدين بوجودها أولا ، ثم بخصوبتها ثانيا كما تدين مصر ثم السودان لنهر النيل •

تقسيم حوض النيل الى أقاليم مائية

واذا قسمنا حوض النيل الى أقاليم مائية كانت هضبة البحيرات الاستوائية وهضبة أثيوبيا تمثل أقليم التصدير وكان السودان يمثل أقليم المرور بالدرجة الاولى واستقبال بالدرجة الثانية ، وكانت مصر أقليم استقبال بامتياز ، ولما كان النهر يجرى فى جزء كبير من حوضه (شمال العطبرة) فى أقاليم صحراوية وشبه صحراوية ولا يصيبها من المطر كما يعتمد عليه فى الزراعة ، ثم يزداد المطر كلما اتجهنا جنوبا ، كان هناك تباين فى أهمية الماء للزراعة والحياة ، ففى شمال السودان ومصر تصبح أهمية النهر حيوية وكانت الحاجة ماسة الى مياهه ، واستحال على أهلها العيش بغيره ، ومن هنا كانت قولة هيرودت الشهيرة « مصر هبة النيل » لا بسبب الماء وحده ، بل للتربة التى جلبها وكسى بها الوادى ، فأصبح شريطا مخضرا حيا بين فيافى وقفار ، بينما اذا اتجهنا جنوبا يقل الاعتماد على النيل ، حتى لتصبح الزراعة مطرية تماما فى جنوب السودان وأوغندا وأثيوبيا وبين هذا وذاك نجد التفاوت فى وسط السودان بسبب القرب أو البعد عن النيل ، واذا كانت هناك بعض جيوب تعانى من الجفاف فى أقاليم التصدير والارسال كما هو الحال فى شرقى أوغندا وغربى وشرقى السودان الاوسط ، فهى مرتفعات عالية تقع بعيدا عن النيل بحيث لا يمكنها الاستفادة منه ، والنيل فى أثيوبيا وأوغندا اذا أرادوا الاستفادة منه فهو للكهرباء لا للرى •

هذا التباين بين الاجزاء العليا فى حوض النيل والاجزاء الدنيا منه ، من حيث درجة الاهمية للزراعة ، أدى لى ارتباط المنافع وتشابك المصالح

من ناحية ، التفريط فى حق شمال الوادى فى مياه النيل ، هو تفريط فى الحياة ، وتفريط فى الوجود ، تفريط فى البقاء ، وكانت قضية الماء هى التى يمكن أن يستغلها العدو الدخيل ، وبغض النظر عن الخطأ العلمى الساذج ، حين تعاظم المد الثورى الوطنى ضد الاستعمار الفارسى فى القرن ٤ق٠م ، فكر أردشير الثالث فى تحويل مجرى السند الذى كانوا يعتقدونه حينذاك رافدا أو منبعا للنيل ليكون فى ذلك تأديبا للمصريين وردعا لهم ، ومع الاستعمار الحديث كان هناك خوف من الاستعمار الايطالى لاثيوبيا فى أن يخلق لمصر مشكلة مائية ، وأن ثبت علميا أنه مستحيل ، وأدلى الانجليز بدلوهم فى هذا المضمار أى العبث بمياه النيل بقصد الحاق الاذى بمصر وسكانها ، بل ومن الطريف أنه أثناء الازمات السياسية بين مصر وبريطانيا كثيرا ما ارتفعت أصوات فى مجلس العموم البريطانى نفسه تطلب منع مياه النيل عن التدفق الى مصر • كذلك عمدت بريطانيا قبل تركها لوحدات شرق أفريقيا الثلاث أوغندا وكينيا وتنزانيا التى استثارتها للمطالبة بحصص فى ماء النيل التى هى فى الأصل ليست فى حاجة اليها !!

مائيـــة النيـــل

تهدف دراسة مائية النيل الى دراسة حالة النهر من حيث موارده المائية من ناحية ، ومن حيث تصرفاته من ناحية أخرى ، مع بيان العوامل التى تؤثر فى هذه التصرفات بالزيادة أو النقص •

ويقصد بتصريف النهر ، كمية المياه التى تمر فيه ــ عند نقطة معينة، وقد يقاس التصرف فى الثانية الواحدة ، فيقال مثلا أن متوسط تصرف النيل عند حلفا هو ٢٨٠٠ متر مكعب فى الثانية كما قد ينسب التصرف الى السنة باجمعها ، ويسمى فى هذه الحالة بالتصرف السنوى الذى يبلغ عند حلفا ــ مثلا ــ نحو ٨٤ مليار متر مكعب •

ولمعرفة التغيرات التى تطرأ على موارد النهر ، أقيمت المقاييس على مجرى النيل منذ العصر الفرعونى ، كما أنشأ العرب مقياس الروضة فى القرن الاول الهجرى • على أن المقاييس فى تلك العهود ، كانت وظيفتها تقتصر على معرفة درجة ارتفاع مياه الفيضان ، دون حساب كمية التصرف

الفعلية . أما الان — وقد بلغ عدد المقاييس التى أنشئت على مجرى النيل نحو ٩٠ مقياسا . فان المقاييس تساهم فى معرفة منسوب المياه وتصرف النهر على مدار السنة .

هذا وتتأثر مائية النيل بعاملين رئيسيين هما :

١ — الامطار التى تسقط على حوض النهر ، ويأتى فى مقدمتها أمطار الهضبة الحبشية وأمطار المنابع العليا فى هضبة البحيرات وجنوب السودان .

٢ — ما يفقده النهر بفعل البخر أو التسرب ، ويشتد أثر هذا العامل فى المناطق التى تفيض فيها مياه النهر كونه المستنقعات التى تنمو بها السدود النباتية ، كما هو الحال فى حوض النزال والحوض الادنى لبحر الجبل ، وكذلك فى الصحراء ، كما هو الحال فى النيل النوبى .

ولتيسير دراسة مائية نهر النيل ، سنقسم موارده الى قسمين : المورد الدائم ومصدره هضبة البحيرات وبحر الجبل وروافده ، والمورد الموسمى وهو الذى تحمل مياهه الروافد الحبشية الى النهر ، أما الامطار التى تسقط فى وسط السودان ، فلا ينصرف منها الى النيل الا القليل ، اذ يتبخر أكثرها ، ويعزى هذا الى استواء سطح الارض السودانية وشدة حرارتها .

وقبل أن ندرس نصيب منابع النيل فى ايراده السنوى يصح أن نلقى نظرة على ايراد للنهر من حيث ذبذبة تصريفه السنوى ، وفى هذا المجال بلغ معدل الايراد الطبيعى السنوى للنيل عند أسوان .

٩٣ مليار متر مكعب للمدة من ١٨٧٠ — ١٩٥٠

٨٣ مليار متر مكعب للمدة من ١٩٠٠ — ١٩٥٠

٩٣ مليار متر مكعب للمدة من ١٨٧٠ — ١٩٥٠

ويتذبذب الايراد السنوى الفعلى حول معدله فى حدود ٥٠٪ تقريبا بالزائد أو بالناقص وكانت أسوا سنة صودفت منذ عام ١٨٧٠ الى الآن هى عام ١٩١٣ حيث هبط الايراد المائى الى ٤٢ مليار م٣ ، بل وبلغت ٣٤ مليار م٣ عام ١٩٨٤ وأعلى سنة كانت عام ١٨٧٨ حين ارتفع الايراد

الى ١٥٠ مليار م^{3} تقريبا ، وان كان هناك شك فى السنين السابقة لعام ١٩٠٠ ، ويحتمل حدوث الخطأ فى حدود ١٠٪ ، اذ أن التقدير المحتفظ لكمية المياه الواصلة الى أسوان يتراوح بين ٨٣ ، ٨٤ مليار متر مكعب .

أولا : المورد الدائم فى أعالى النيل :

ويشمل هضبة البحيرات وجنوب السودان ، وتتميز هضبة البحيرات بامطارها الغزيرة الدائمة والتى تزداد نوعا فى الاعتدالين ، على أن تصرف النيل يكاد منتظما طول العام لوجود البحيرات التى تعتبر بمثابة خزانات طبيعية تنظم تصرف المياه . ويبلغ متوسط التصرف السنوى عند بداية نيل فكتوريا نحو ٢١ مليار متر مكعب سنويا .

ويعادل هذا المقدار نحو ١/٤ ما يصيب البحيرات من أمطار وما يصب فيها من أنهار ، أما الباقى فيضيع بالبخر بسبب اتساع سطح البحيرة ، وينتهى نيل فكتوريا الى بحيرة البرت بعد أن يكون قد استمد بعض المياه من روافده العديدة ، وتجمع بحيرات البرت المياه الواردة من بحيرة فكتوريا والوارد من بحيرة جورج والروافد المختلفة ، المهم أنه يخرج منها ٢٢ مليار متر مكعب سنويا لتدخل السودان ، وبعد عمليات حذف للضائع بالتبخر والتسرب وعمليات اضافية من نهر السوباط يصبح الرصيد المائى الذى يسجل بعد نهر عطبرة من المورد الدائم أى من هضبة البحيرات والنيل الابيض نحو ٢٦ مليار متر مكعب سنويا .

ثانيا : المورد الموسمى فى هضبة أثيوبيا :

تمد الحبشة النيل الاعظم بمياه الفيضان ، كنتيجة لتركيز أمطارها الغزيرة فى فصل الصيف ، ويأتى هذا الفيضان من ثلاثة روافد رئيسية يأتى فى مقدمتها النيل الازرق ، يليه العطبرة ثم السوباط .

على أن أنهار الحبشة تتميز بارتفاع منسوب المياه فى مجاريها خلال فصل الامطار الصيفية وانخفاضه جدا خلال نصف السنة الشتوى ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح فى نهر عطبرة بصفة خاصة ، والذى يكاد يجف تماما خلال فصل الجفاف .

ويعتبر النيل الازرق أعظم الروافد الحبشية وأغزرها ماء ، ويبلغ أقصى تصرف له فى شهر أغسطس وسبتمبر (٥٨٠٠م^{3} فى الثانية) ، وأقل

تصرف له يكون فى شهر أبريل (١٠٠م٣ فى الثانية) ويبلغ ما يمد به النيل سنويا ٥٢ مليار متر مكعب فى المتوسط .

وليس من شك أن أهمية الحبشة أو أثيوبيا واضحة ، لو علمت أنه فى فترة الفيضان يكون نصيب أثيوبيا من جملة المياه الصافية التى تجرى فى النيل الرئيسى نحو ٧٠ مليار متر مكعب وأن كمية المياه التى ترد سنويا الى مصر (عند أسوان) فى المتوسط تبلغ نحو ٨٤ مليار متر مكعب ويصبح الموقف المائى بعد مصب العطبرة كما يلى :

من المورد الدائم :

هضبة البحيرات وبحر الجبل	+	١٤ مليار م٣

من المورد الموسمى :

السوباط	+	١٣٫٥ مليار م٣
مستنقعات مشار	+	٫٩ مليار م٣
النيل الازرق	+	٥٢ مليار م٣
عطبرة	+	١٢ مليار م٣
ضائع بالتبخر والتسرب فى النيل الابيض	—	٢٫٥ مليار م٣
ضائع بالتبخر والتسرب بين الخرطوم وعطبرة	—	٢ مليار م٣
ضائع بالتبخر والتسرب بين عطبرة واسوان	—	٤ مليار م٣

نخرج من هذا بأن نصيب أثيوبيا فى تصدير مياه النيل هو نصيب الاسد فعلا ، فهى مسئولة بوجه عام عن ٨٤٪ من مياه النيل ، واذا كان هذا هو نصيب أثيوبيا ، فالفضل فيه يرجع الى النيل الازرق بامتياز ، اذ يجب أن نشير الى نقطة هامة تغيب عن الكثيرين ، وهى أن بحيرة طانا لا تمد النيل الأزرق سوى بنحو ٦٪ من مياهه فقط ، بينما ٩٠٪ من مياهه ترجع الى دوران النهر والتفافه الكثير وعدم سيره فى خط مستقيم فيؤتى الفرصة ليجمع كما هائلا من المياه نتيجة اتصال الروافد العديدة به .

أما المورد الدائم أو هضبة البحيرات فنصيبها ١٦٪ من ماء النيل ويرجع هذا الى أن أمطار هضبة الحبشة أغزر من أمطار هضبة البحيرات ، كما يرجع الى أن الجزء الأدنى من بحر الجبل (حيث تشق قناة جونجلى الآن) يضيع فيه نصف ما يخرج من هضبة البحيرات نتيجة أن النهر

دخل سهلا فيضيا متسعا ، قليل الانحدار ، فتكثر المجارى الفرعية ، ويتلمس النهر طريقه وسط المستنقعات ، وتنمو على جوانبه نباتات البردى والغاب وحشيشة النيل ، وفى موسم زيادة التصريف المائى ترتفع المياه فى المجرى وتغمر الضفاف وتزيد مساحة المستنقعات فيزداد الفاقد بالبخر، ولما كان موسم ارتفاع منسوب المائى يتفق مع موسم زيادة المطر وهو فصل الصيف فمعنى ذلك اجتماع قمتى المطر والتصريف ، ويزداد الفاقد ، وتتمثل الخطورة فى أنه عندما تنخفض مياه المجرى الأصلى لا تستطيع المياه التى فاضت أن ترجع كليا الى النهر ، من ثم كان معظمها مفقود ولا أمل فيه (من ٢٧ مليار م٣ عند منجلا الى ١٤ مليار عند بحيرة نو) •

ورغم ضآلة الكمية الخارجة من هضبة البحيرات أو المورد الدائم ، فهى بالغة الأهمية لأنها بالاضافة الى مايرد من نهر السوباط تكاد تكون المورد الوحيد لنهر النيل فى أوائل الصيف ، اذا تمثل ٨٠٪ من مياه النهر خلال ذلك الصيف •

مدى مساهمة الروافد المختلفة فى مياه النيل فى كل من فصلى التحاريق والفيضان (١)

	فصل التحاريق		فصل الفيضان	
	مليار م٣	٪	مليار م٣	٪
النيل الابيض	١٠	٨٠	١٦	٢٠
النيل الازرق	٣ر٨	٢٠	٤٨	٧٠
عطبرة	ــــ	ــــ	١٢	١٠
المجموع :	١٣ر٨	١٠٠	٧٦	١٠٠

اتفاقيات مياه النيل

اتفاقية مياه النيل (مايو ١٩٢٩)

لم يكن هناك اتفاق رسمى قبل ١٩٢٩ على مايسحبه السودان من

(١) تنقسم السنة الى فترتين : فترة فائض فى المياه من ١٦ يوليو الى ٣١ ديسمبر ويسمح منها للسودان السحب فيها كما يشاء ويطلق عليها الفترة غير المقيدة unre stricted Period ، وفترة حاجة restricted Period وهى التى تقل فيها المياه عن طلب التحاريق وهى من أول يناير الى ١٥ يوليه ، من ثم كانت فترة مقيدة ، لا يسحب السودان فيه باستهلاك شىء من ايراد النهر الطبيعى ، عدا كميات ضئيلة سبق التصريح بها . (وكان هذا قبل استخدام مصر للسد العالى) .

مياه النيل ، ولكن كان من المعروف أن أية مياه يسحبها السودان يجب ألا تؤثر على احتياجات مصر ، وبمعنى آخر يمكن للسودان أن يسحب ما يشاء من الماء فى فصل الفائض وكانت اتفاقية مياه النيل سنة ١٩٢٩ والتى استمر بها العمل حتى ١٩٥٩ حينما عدلت باتفاقية آخرى راعت الظروف الجديدة والتطورات الحديثة التى مر بها كل من القطرين الشقيقين ، وكان الذى دعا الى ضرورة عقد اتفاقية مياه النيل الأولى ، هى الأبحاث التى بدأت لزراعة أرض الجزيرة فى أوائل هذا القرن .

لقد ظن أول الأمر أن أرض الجزيرة يمكن أن تزرع تحت الشرط السابق وهو عدم المساس بمياه النيل فى فترة حاجة مصر اليها ؛ ولذلك بدأ التفكير فى ريها بعمل قناطر لرفع المياه الى مستوى القناة المزمع حفرها فى الجزيرة ، دون أن تدخل فى وظيفة سد سنار عملية التخزين ، ولكن هذه الفكرة أعيد النظر فيها لسببين هامين :

أولهما : : ادخال زراعة القطن الطويل التيلة .

ثانيهما : : حدوث فيضان ١٩١٣/١٩١٤ الذى كان شديد الانخفاض.

فالعامل الأول وهو ادخال القطن كان معناه اطالة موسم الرى بحيث يمتد الى فترة الحاجة والعامل الثانى وهو الفضيانات الشديدة الانخفاض يمكن أن تقلل من فترة الفائض أو عدم الحاجة ، لذلك رؤى أنه لا بد من تعديل التصميم بحيث يمكن للسد أن يقوم بعملية التخزين الى جانب رفع مستوى الماء ... وكان أن بنى سد سنار الذى انتهى العمل فيه فى يوليو سنة ١٩٢٥ والمهم فى الاتفاقية الاعتراف بحق مصر فى مياه حوض النيل وتتلخص النصوص المتعلقة بهذا الموضوع فيما يلى : —

« بدون موافقة سابقة من الحكومة المصرية ، لا يجوز القيام واتخاذ الاجراءات للقيام بمنشآت أو أعمال للرى أو لتوليد القوى على نهر النيل وروافده والبحيرات التى يتغذى منها فى السودان أو فى البلاد الخاضعة للادارة البريطانية ، يكون من شأنها أن تقلل من كميات المياه المارة الى مصر ، أو تحول تواريخ وصولها أو تخفض من مناسيبها على نحو يترتب عليه الاضرار بمصالح مصر ، واذا نشأ خلاف فى أى وقت من الأوقات أما على التفسير الصحيح لنص من النصوص المتعلقة

بالمبادىء أو على التفاصيل الفنية أو المسائل الادارية ، ولا تجد الحكومتان سبيلا لتسويته فيما بينهما يحال الموضوع الى لجنة تحكيم محايدة للفصل فيه » .

فى أعالى النيل :

قبل عام ١٩٣٩ كانت هناك ادارة فى وزارة الأشغال (الرى) تسمى ادارة النيل الجنوبى مهمتها دراسة مشروعات ضبط النهر فى أحباسه العليا ، وكان يشرف عليها بوتشر ، وقد تقدم عام ١٩٣٨ أى قبل الحرب بمشروع كامل لسد البرت وقناة السدود (جونجلى الآن) واعتمدت وزارة الأشغال المشروعين ، الأول للمفاوضة مع أغندا والكنغو (زائير) والثانى للمفاوضة مع حكومة السودان ، كما حدثت اتصالات مبدئية مع حكومة أثيوبيا بشأن سد طانا خلال الحرب العالمية الثانية ، لكن لم يحدث تقدم يذكر فى تلك المباحثات .

وقررت بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتخاذ أوغندة قاعدة حربية فى شرق أفريقيا ، وكان توليد الكهرباء هو أول ما يلزم تلك القاعدة وتقدمت حكومة أوغندا الى الحكومة المصرية عام ١٩٤٦ بمشروع لاستخدام بحيرة فكتوريا كمقر رئيس للتخزين فى البحيرات الاستوائية لخدمة أغراض توليد الكهرباء ومن المفيد أن نشير الى أن الرى المصرى كان فى رأيه البدء ببحيرة البرت كخزان طويل المدى وذلك بحكم عدم اتساعها نسبيا ، ولانها بحيرة اخدودية ذات حوائط عالية مما يقلل من نسبة الفائض بالبخر فضلا عن سهولة الموازنات عليها ما يدعو الى البدء بها وكان المنسوب الذى يراد جعله حدا للتخزين على درجة ٢٠ متر بمقياس بونيابا ووصل الأمر بمصلحة الرى الى حد وضع خرائط تفصيلية لخط كنتور ٢٠ متر حول شواطىء بحيرة البرت بموافقة حكومة أوغندا والكنغو مشروع التخزين على مستوى ٣٥ مترا اعتراضتا بحجة ازدياد السكان وحاجتها للارض للتوسع الزراعى والرغبة فى اقامة مشاريعها الصناعية ، والرغبة فى الانتفاع بمساقط نيل فكتوريا لتوليد الكهرباء .

وقد اختير هذا الموضع بحيث يمكن الاستفادة من الجنادل التى تمتد على هيئة حواجز صخرية صلبة وشيدت محطة توليد الكهرباء على الضفة

اليسرى لتوليد طاقة كهربائية قدرها ١٥٠ ألف كيلو وات ساعة وافتتح المشروع عام ١٩٤٥ ، ودفعت مصر مبلغ ٤ر٥ مليون جنيه لحكومة أوغندا نصيبها فى انشاء السد فضلا عن التعويضات التى طلبتها أوغندا نظير رفع منسوب التخزين مترا واحد ، أما طاقة التخزين فهى ٢٠٠ مليار متر مكعب .

ونظراً لأ مشروعات الرى السابقة لن تعالج فى الواقع الا المياه الزائدة وتترك مياه الفيضان تشل نحو ٦/٧ ايراد النهر ، فقد اتجه البحث وجهة جديدة ، اذ اتجه البحث الى أن التخزين المستمر لا بد وأن يتم فى موقع الى الشمال من اتصال النيل الأزرق والعطبرة بالنهر الرئيسى حتى يمكن التحكم فى مياه الفيضان والملاحظ أن فكرة التخزين القرنى أو المستمر ليست جديدة بوجه عام ، فقد سبقه واقترحت للتخزين فى البحيرات الاستوائية بحيرة طانا .

وانتهى الرأى الى أن يكون داخل الحدود المصرية لعدة أسباب منها :

١ ـ لم تظهر منطقة صالحة من فم العطبرة ، حتى حلفا من الوجهة الهندسية .

٢ ـ رغبة مصر فى عدم الاعتماد على تخزين مستمر خارج حدودها حتى لايستغل كأداة للضغط عليها من وجهة النظر السياسية أو التلاعب فى كمية المياه فكان السد العالى الى الجنوب من سد أسوان بنحو ٥ر٦ كيلو متر .

وبدأت مفاوضات مع حكومة السودان بهذا الخصوص ، وكانت فكرة تقسيم المنفعة بين البلدين هى المحور الذى دارت حوله المفاوضات التى انتهت باتفاقية ١٩٥٩ .

اتفاقية نوفمبر ١٩٥٩ :

بعد ما يقرب من ثلاثين عاما من اتفاقية ١٩٢٩ ، ونظراً لحاجة القطرين الى استغلال مياه النيل والانتفاع بايراده ، رأى الجانبان ضرورة عمل اتفاقية جديدة للاتفاق على عمليات ضبط النهر ، وتضمنت الاتفاقية عدة جوانب : ـ

أولا : الحقوق المكتسبة الحاضرة :

١ ــ ما تستخدمه جمهورية مصر من مياه حتى هذا الاتفاق (وهو ٤٨ مليار من الامتار المكعبة عند أسوان) هو حق مكتسب لها •

٢ ــ ما تستخدمه جمهورية السودان مـ نمياه النيل حتى هذا الاتفـــاق (وهو ٤ مليارات من الامتار المكعبة مقدرة عند أسوان) هـــو حق مكتسب لها •

ثانيا : توزيع فوائد مشروعات ضبط النهر :

١ ــ توافق الجمهوريتان على أ نتنشيء جمهورية مصر العربية خـــزان السد العالى كأول حلقة من سلسة مشروعات التخزين المستمـــر على النيل •

٢ ــ توافق الجمهوريتان على أن تنشيء جمهورية الســـودان خـــزان الروصيرص أو أعمال أخرى تراها جمهورية الســـودان لازمة لاستغلالها لنصيبها •

٣ ــ يحسب صافى فائدة السد العالى على أساس متوسط ايراد النهـــر الطبيعى عند أسوان سنويا (٨٤ مليار) ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين (بند أولا) مقدره عند أسوان كما يستبعد منها متوسط فاقد التخزين المستمر فى السد فينتج عن ذلك صافى الفائدة التى توزع بين الجمهوريتين •

٤ ــ يوزع صافى فائدة السد العالى بين الجمهوريتين بنسبـــة ١٤٫٥ مليار م^3 للسودان ٧٫٥ مليار م^3 الجمهورية مصر العربية فى ظل الايراد فى المستقبل فى حدود المتوسط (٨٤ مليار) واذا ظلت فواقد التخزين المستمر على تقديرها الحالى بعشرة مليارات ، فان صافى الفاقدة فى هذه الحالة ٨٤ ــ (٤٨+٤+١٠) = ٢٢ مليارا •

ويصبح نصيب السودان منها ١٤٫٥ مليار ونصيب جمهورية مصر العربية ٧٫٥ مليار ويضم هذين النصيبين الى حقما المكتسب فى البنـــد الأول يصبح :

نصيب السودان = ٤ + ١٤٫٥ = ١٨٫٥ ملياراً •

نصيب مصـــــر = ٨٤+٧٫٥ = ٥٥٫٥ ملياراً •

ويصير هذا بعد تشغيل السد العالى بالكامل ، أما اذا زاد المتوسط عن هذا فان الزيادة فى صافى الفائدة تقسم مناصفة .

٥ ــ توافق حكومة الجمهورية العربية المتحدة على دفع مبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات لحكومة السودان كتعويض شامل عن الاضرار التى تلحق بالممتلكات السودانية نتيجة التخزين فى السد العالى ١٨٢ .

٦ ــ من المسلم به أن تشغيل السد العالى الكامل للتخزين المستمر سوف ينتج عنه استغناء جمهورية مصر عن التخزين فى جبل الأولياء .

ويبحث الطرفان المتعاقدان ما يتصل بهذا الاستغناء فى الوقت المناسب .

ثالثا : مشروعات استغلال المياه الضائعة فى حوض النيل :

١ ــ يتولى السودان الاتفاق مع جمهورية مصر على انشاء مشروعات لزيادة ايراد النيل بمنع الضائع فى مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف والنيل الأبيض ويوزع صافى الفائدة مناصفة كما يساهمان فى تكاليفهما مناصة وتتولى جمهورية السودان الاتفاق على المشروعات السابقة من مالها وتدفع جمهورية مصر نصيبها من التكاليف .

٢ ــ اذا دعت حاجة جمهورية مصر الى البدء فى أحد المشروعات السابقة بعد اقرارها من الحكومتين فى وقت لا تكون حاجة جمهورية السودان قد دعت الى ذلك ، فان جمهورية مصر تخطر السودان بالميعاد الذى يناسبها للبدء فى المشروع ، وفى خال سنتين من تاريخ هذا الاخطار تتقدم كل من الحكومتين ببرنامج للانتفاع بنصيبها فى المياه ، وبعد انتهاء السنتين يمكن لمصر التنفيذ بتكاليف من عندها على أن تدفع حكومة السودان نصيبها من التكاليف عندما تتهيأ لاستغلال نصيبها .

رأينا أن الغرض من السد العالى هو تأمين مخزون مائى لمصر فى داخل حدودها ولا يبقى ماء الحياه فى مصر تحت رحمة الآخرين ولكن ثبت أن السد العالى وان كفى حاجة مصر فلابد مع المشروعات المختلفة لمواجهة الزيادة السكانية والنمو الحضرى المتزايد الذى بلغ ٤٥٪ من السكان .

ان تستخدم مصر كل حصتها المائية مرة واحدة فى السنة ، ولا يستثنى من ذلك الا كميات صغيرة تجد طريقها الى البحر المتوسط . ويحدث هذا الانسياب المائى نحو البحر نتيجة للتسرب الذى يتم عبر بحيرات شمال الدلتا ، وعن طريق كل من قناطر ادفينا على فرع رشيد ، وقناطر فارسكور على فرع دمياط . وعلى الرغم من ضآلة كمية الأمطار الساقطة ، وعدم وجود أى مصدر مائى اضافى يغذى النيل فى مصر ، الا أن حصة مصر من موارد المياه قد زادت بنحو ٤ر٥ مليار متر مكعب نتيجة لاعادة استخدام مياه الاستخدمات المنزلية والصناعية ومياه صرف الأراضى الزراعية هذا فضلا عن اضافة ما يقرب من نصف مليار متر مكعب من المياه نتيجة لتزايد ضخ المياه الجوفية فى منطقة الدلتا . وقد أدى استخدام هذه المصادر البديلة الى زيادة حجم موارد المياه المستخدمة الى نحو ٦٠ر٥ مليار متر مكعب .

قدرت كل من وزارة الرى المصرية ، وادارة الزراعة بالولايات المتحدة الأمريكية (U.S.D.A.) الطلب على المياه فى منصف السبعينيات بنحو ٦٠ر٥ ، ٥٥ر٢ مليار متر مكعب على الترتيب فى منتصف السبعينيات وهذا معناه أن العرض والطلب فى مياه النيل الآن يتقابلان تقريبا ولكن ماذا عن المستقبل ؟؟

وعلى أى حال ، فان مستقبل استهلاك موارد المياه لا يمكن التنبؤ به بشكل واضح ، اذ لو تمكنت الحكومة المصرية من تنفيذ مشروعاتها الطموحة فى استصلاح ما يقرب من ٢ مليون فدان من الأراضى الصحراوية فى الفترة من منتصف السبعينات وعام ١٩٩٦ ، فان البلاد ستواجه لاشك عجزا فى مواردها المائية ، ولو أن ما الصعب تقدير حجم هذا العجز المائى نظرا للدرجة العالية من عدم التأكد من وقف الكثير من بنود استخدام موارد المياه . فمثلا التقديرات الرسمية لوزارة الرى تشير أن الفدان يستهلك سنويا (رى + فاقد فى المزرعة + نقل وتوزيع) فى حدود ٨٠٠٠م^{٣} .

على العموم تذهب التقديرات المعتدلة الى أن حاجة مصر من المياه فى منتصف التسعينات تصل الى ٦٧ر٦ مليار متر مكعب سنويا (على افتراض اصلاح ٢ مليون فدان) وحجم الاستهلاك المنزلى والصناعى يقرب من

٥ مليار متر مكعب ، وان كان لم يدخل فى الحساب تعمير شرق قناة السويس) ونقل المياه الى سيناء ، وحاجات مشروعات تعتمد المدن الجديدة (مدينة السادات على طريق مصر الاسكندرية الصحراوى) ، (العاشر من رمضان على طريق القاهرة الاسماعيلية) هذا فضلا عن فرض تتابع عدد من السنوات فيضان منخفضه •

اذن المطلوب فى التقديرات المعتدلة فى التسعينات نحو ٧٠ مليار متر مكعب •

المتــاح = ٥٥ من السد العالى
+ ١ من المياه الجوفية
٥ مياه المصارف والمياه العائدة لمجرى النيل وفروعه
٦١

المطلوب = ٧٠ — ٦١ = ٩ مليار متر مكعب •

من ثم لابد من الرجوع الى أعالى النيل •

وستمدنا مشروعات أعالى النيل العديدة ، والتى يخطط لها من جانب مصر والسودان بموارد مياه اضافية جديدة مستقبلا • اذ ستقاسم كل من مصر والسودان عائد المياه المكتسبة من تنفيذ هذه المشروعات طبقا لاتفاقية مياه النيل لعام ١٩٥٩ • وتنفذ فى الوقت الحاضر المرحلة الأولى من برنامج قناة جونجلى(*)، وهو أحد مشروعات ضبط مياه أعالى النيل ويقدر أن تنفيذ هذه المرحلة سيعطى اضافة مائية تبلغ حوالى ٧ر٤ مليار متر مكعب عند مدينة ملكال على النيل الأبيض والتى تمثل المخرج الشمالى لمنطقة مستنقعات السد ويخصم حجم الفاقد بالتبخر على طول

(*) تتمثل المرحلة الاولى لمشروع جونجلى فى حفر قناة يبلغ طولها حوالى ٢٨٠ كيلو مترا ، تبدا من جونجلى على بحر الجبل على الحافة الجنوبية لمنطقة السد (٢٥٠٠ كيلو متر مربع) وتنتهى بالقرب من مصب نهر السوباط عند مدينة ملكال على الحافة الشمالية لمنطقة السد وتبلغ قدرتها على تمرير المياه بنحو ٢٠ مليون متر مكعب / يوم ، وتقدر تكاليف هذه المرحلة بما يقرب من ٣٥٠ مليون دولار ستدفعها كل من مصر والسودان مناصفة . وقد بدأت أعمال الحفر الفعلية فى أبريل ١٩٧٨ وتقوم به بعض الشركات الفرنسية .

المجرى (من ملكال حتى أسوان) فان حجم هذه المياه يقل عند أسوان ليبلغ حوالى ٣ر٨ متر مكعب وعلى ضوء اتفاقية ١٩٥٩ والتى تتخذ من حجم المياه المقدرة عند أسوان أساسا للتقسيم المائى بين مصر والسودان، فان الحصة المائية الاضافية لكل منهما بعد اتمام هذه المرحلة الأولى من قناة جونجلى ستبلغ ١ر٩ بليون متر مكعب وحتى فى المرحلة الثانية ستضيف نحو ١ر٥ مليار آخرى لذلك لابد من مشروعات أعالى النيل خارج حدود السودان .

والآن بعد هذه الجولة مع النيل ومياهه ، تصريفه ومشروعاته وما كنا لنستطيع الاجابة عن أمن مصر ومنابع النيل دون هذا العرض ، تطل علينا عدة استفسارات ، ما هى الدول التى يمكن أن تؤثر فى مياه النيل الواصلة الى مصر ، وهل هى على درجة واحدة من حيث الأثر والتأثير وما مدى هذا التأثير ودرجة خطورته ان كان ذاك ؟

والواقع أن الدول المؤثرة فى مياه النيل بترتيب أهميتها هى :

أولا : أثيوبيا : فمنها تخرج ٨٤٪ من مياه النيل التى تصل الى مصر .

ثانيا : أوغندا : اذ أن بها مخرج النيل الرئيسى من بحيرة فكتوريا . ولها نصف بحيرتى البرت وادوارد .

ثالثا : تنزانيا وكينيا : على اعتبار انهما يشتركان مع أوغندا فى بحيرة فكتوريا .

رابعا : زائير : على اعتبار انها تشترك فى بحيرة البرت مع أوغندا .

خامسا : رواندا وبوروندى حيث يأتى رافد رئيسى وهو نهر كاجيرا .

وكما نعلم أنه لم يكن هناك اتفاق جماعى بين هذه الأقطار على مياه النيل على اعتبار أنها دول تعتمد على المطر ، ولم يعد للنيل أهمية ، الا فى مصر والسودان .

ومع ذلك اذ ظهر أن هناك حاجة من جانب هذه الدول الى الاستفادة من مياه النهر فلا مانع على الاطلاق ، ويكون هذا فى جلسات مشتركة من الفنيين ، ولا تكون هـذه الجلسـات للمزايدة ، بقـدر ما تكون فهما للاحتياجات الفعلية ويراعى فيها دون الدخول فى التفاصيل ، وهى المتروكة لهذه اللجـان .

أولا : متوسط المطر فى الدولة ، ومدى اعتماد الزراعة على المطر أو الرى وأقول متوسط المطر لأن حالة الجفاف الحالية هى حالات طـارئة ولا يمكن الاعتماد عليها فى رسم سياسة مائية طويلة الأمد على سـبيل المثال فالجفاف الطارىء فى أقاليم الساحل له نفس الأثر على مياه النيـل الواردة الى مصر ، ويكفى أن متوسط ٨٤ مليار م٣ المتوسط الذى يأتى الى مصر انخفض هذا العام الى ٣٤ مليار م٣ أى أن ما يحدث فى افريقية له نفس الأثر فى مصر ، وأن المصلحة واحدة .

ثانيا : مساحة الدولة .

ثالثا : عدد السكان فى كل دولة ، والزيادة المتوقعة على الأقل حتى نهاية هذا القرن .

هذه خطوة رئيسية قد يضاف اليها اعتبارات ، ولكن هذا من شأن اللجان التى تدخل فى تفصيليات أكثر ، هذا مع الأخـذ فى الاعتبـار أن بدءا بخزان أسوان فى أوائل هذا القرن الى السد العالى ، وبينهما خزان مشروعات الرى الكبرى التى نفذت وزاولت نشاطها منذ أوائل هذا القرن سنار وغيرها يعطيها العرف الدولى صفة الحقوق المكتسبة لا فى طبيعتها ، بل فى مزاولتها نشاطها بالطاقة التى أنشئت من أجلها بمعنى أن أى اتفاق يمكن أن يتم بعد استبعاد الحقوق المكتسبة سابقا .

مشكلة الحدود الصومالية والأراضي المقتطعة

أ.د. محمد عبد الغني سعودي
عميد معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

أحداث ثلاثة تمثل معالم الطريق فى تاريخ الصومال المعاصر أولهما فى نوفمبر عام ١٩٤٩ ، حين أقرت الأمم المتحدة فى ذلك الشهر ، منح سوماليا استقلالها بعد عشر سنوات من موافقة الجمعية العامة على شروط اتفاقية الوصاية ، على أن تتولى ايطاليا ادارة البلاد ، وتأهيل سكانها للاستقلال بعد تلك الفترة ، وكان هذا حدثا فى تاريخ الأمم المتحدة بتحديد تاريخ مسبق للاستقلال تلتزم به الدولة التى تدير الأقاليم ، كما كان فيه تجاهل الاتجاه الغربى (الاستعمارى) الذى ينادى بالتدرج فى منح الاستقلال ، وان الاستقلال التام لا يصبح مستقرا وآمنا الا بعد فترة طويلة من النضج الدستورى والوعى الشعبى وهى حجج لتعطيل هذا الاستقلال ، وثانيها : ظهور جمهورية الصومال كدولة مستقلة فى غرة يوليو ١٩٦٠ ، نتيجة توحيد الصومال الشمالى (البريطانى) والصومال الجنوبى (الايطالى) وبذلك خرجت الى الوجود دولة افريقية ، ودولة عربية جديدة . وثالثها : حدوث انقلاب عسكرى فى أكتوبر ١٩٦٩ ، وتشكيل مجلس لقادة الثورة برئاسة اللواء محمد سياد برى ، وزيادة حدة مشكلة الحدود مع الجيران .

متميزون عن حولهم :

عرف سكان الصومال بأسماء متعددة خلال التاريخ ، فقد أطلق عليهم الاغريق القدماء والرومان لفظ البربر ، وما زال الاسم يذكر الى اليوم ممثلا فى بلدة بربرة فى شمالى الصومال ، كما أن بعض الأسماء القبلية التى ذكرها العرب فى العصور الوسطى ، ما زالت ممثلة فى بعض القبائل مثل هاوايا ، وما زالت تطلق على بعض القبائل الصغيرة ، ولكن تسمية الصومال حديثة نسبيا .

ولم يتفق الرأى على أصل التسمية ، وبعض التفسيرات ترجعها الى كلمة مكونة من مقطعين (صو) بمعنى اذهب أو بذهب ، و (مال) بمعنى اللبن ، وتشير بذلك الى ما يلقاه الغريب حين يحل ضيفا على العشيرة الصومالية ، ويأمر المضيف الولد أو المرأة باحضار اللبن للضيف • ومن التفسيرات ما يذهب الى أنها مشتقة من (سوماح) وهى كلمة أثيوبية بمعنى غير متخضر ، أما تفسير الصوماليين أنفسهم ، وهم الحجة فى هذا المجال ، فيرجعونه الى اسم أسلافهم ، فهم من سلالة عربى غنى يدعى (ذومال) أى الثرى •

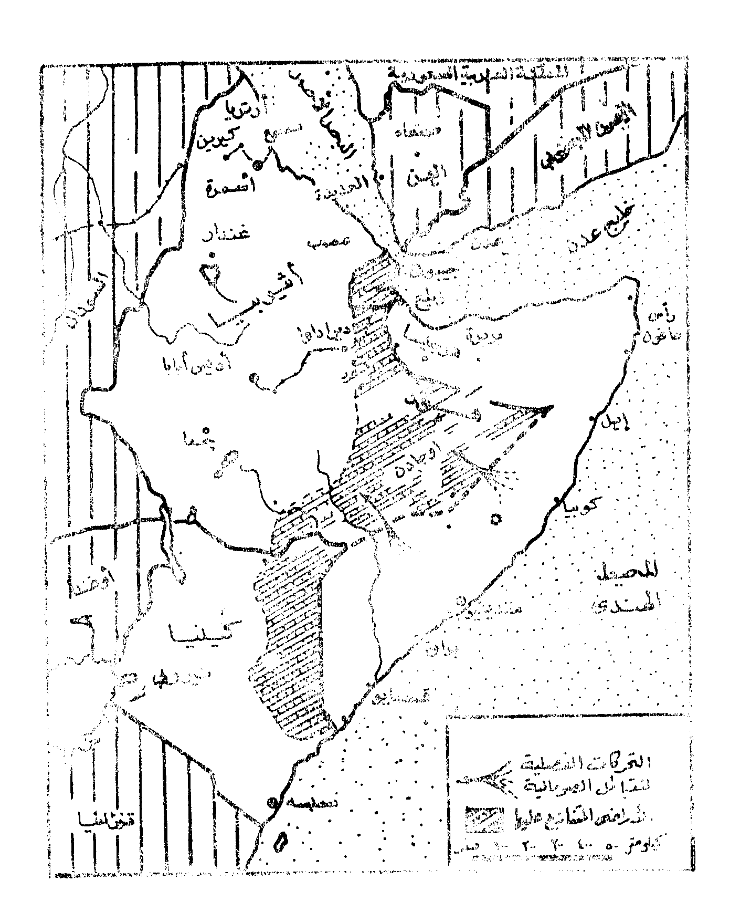
وسواء كان تفسير كلمة الصومال هذا أو ذاك ، فليس هناك أدنى شك فى الوجود لعربى منذ تاريخ قديم غاية فى القدم على السواحل الصومالية ، وهو بطبيعة الحال سابق للاسلام ، وترجع كثير من القبائل فى أصلها الى الجماعات العربية التى هاجرت من الجزيرة العربية ، فقبيلة الدارود ترجع فى أصلها فى الأرجح الى داود وهو أحد القادمين فى العصور الوسطى من اليمن ، ويقال انه ابن الشيخ الاسماعيلى بن ابراهيم الجبرتى المدفون فى زبيد باليمن ، وكذلك الحال فى قبيلتى الهاوايا والدر ترجعان بأصولها الى بيت الرسول •

ولم يكن الصومال مستقبلا لبعض سكان الجنوب العربى ، بل كان مرسلا لهم ، وما زالت أكبر جالية لهم فى عدن تبلغ قرابة العشرين ألفا أو قد تزيد ، وتدل الصفات المشتركة بين سكان الجنوب العربى والصومال على وحدة الأصل ، فمعظم الصوماليين يتميزون بالقامة المتوسطة الأقرب الى الطول والبنية الرقيقة والرأس الطويل والتقاطيع الدقيقة ، وهذا ما جعلهم يتميزون عمن جاورهم كشعب الحالا فى جنوب أثيوبيا ، أو القبائل شبه الزنجية فى كينيا •

وكان من الطبيعى أن تتحرك القبائل فى بيئة شبه جافة بحثا عن ماء وكلأ فاتجهت غربا وجنوبا حتى عبروا نهر جوبا لأول مرة فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتوسعوا فى كينيا (الآن) فى أوائل القرن العشرين ، بذلك أصبح الصوماليين ينتشرون فى مساحة ٣٧٤ ألف ميل مربع من جيبوتى شمالا ، الى نهر تانا فى الجنوب ، ومن المحيط الهندى الى الهضبة الأثيوبية شرقا ، خارج حدود جمهورية الصومال •

القومية الصومالية :

يقوم النزاع الصومالي الأثيوبي الكيني على أساس مطالبة حكومة الصومال بالوحدة القومية وتكوين الصـومال الـكبير الذى يضـم الصوماليين جميعا ، أو بمعنى آخر يضم الأمة الصومالية ، على اعتبار أن الصوماليين يكونون أمة متميزة ، مما يؤهلها الى تجميع أشتاتها ، والتى دخلت أجزاء منها داخل دولة أخرى نتيجة الفترة الاستعمارية التى مرت بها القارة لافريقية عامة ، والقرن الافريقى على وجه الخصوص . وهنا تصح مناقشة القومية الصومالية ، ومقوماتها ، واذا كان الكتاب قد اختلفوا فى تعريف جامع مانع للقومية ، فان هنـاك عنـاصر ترتبط بالقومية ، وتعتبر دعائمها الأساسية كاللغة المشتركة ، والثقافة المشتركة ، والعادات والتقاليد المشتركة ، وعلى رأسها التاريخ المشترك ، وبهـذا المقياس يمكن للصوماليين سواء كانوا فى الصومال أو فى أثيوبيا أو فى كينيا أن يكونوا أمة متميزة ، فلغتهم جميعـا الصـومالية وان اختلفت اللهجات أحيانا ، وعاداتهم وتقاليدهم مشتركة ، وهى عادات وتقـاليد البداوة ، وطريقة حياتهم مشتركة ، عمادها الاقتصاد الرعوى باستثناءات ضئيلة ، ويلتقون حول دين واحد وهو الاسـلام ، فنسـبة المسلمين بين الصوماليين ٩٩٫٥ بالمائة ، لا توجد سوى نسـبة ضئيلة من المسيحيين تبلغ ٧٠٠ نسمة ، ممن تمكنت الارساليات الكاثوليكية الايطـالية من احتضانها من اليتامى ولديهم تراثهم الأدبى الشفهى ، فاشعار المـلا بن عبد الله حسن يعرفها جميع الصوماليين ، فاذا أضفنا تاريخهم وجهادهم ضد الجالا الوثنين والمسيحيين الأثيوبيين ، واحساسهم باختـلافهم عن جيرانهم ، كل هذا يجعلنا نسلم بأنهم أمة واحدة وقومية واحـدة على أساس علمى ، لأن القوميـة الصـومالية قوية للغـاية ، ولا يسـعنا الا الاستشهاد بأحد الباحثين فى الشئون الافريقية وهو دافيد لاتين حين يقول « على عكس كل الدول الجديدة فى افريقيا ، كان الصومال أمة قبل أن يكون دولة ، فهناك نحو خمسـة ملايين نسمة فى القـرن الافريقى يشتركون فى اللغة والدين والثقافة ... وفوق هذا احسـاسهم بأنهم جماعة قومية ، وفى أوائل الستينات حينما كانت معظم الدول الافريقية الجديدة تتبنى سياسة بناء الأمة ، وخلق هوية جديدة تتفق مع الحدود التى ورثتها عن العهد الاستعمـارى كانت هوية الصـوماليين واضحة وبناؤها متماسكا .



حدود سياسية مصطنعة :

وهكذا مع توفير مقومات الأمة الصومالية فى القرن الافريقى ، ينكر الصوماليون الحدود المصطنعة التى تقسم هذه الأمة ، فتضم جمهورية الصومال الآن تلثى الصوماليين فقط ، والباقى يعيشون أقليات فى أقليمى الاوجادين وهود فى أثيوبيا ، وشمال شرقى كينيا (اقليم الانفدى) فضلا عن جيبوتى ، ومن ثم تشير النجوم الخمس فى العلم الصومالى الى هذه الأقسام الخمسة للأمة الصومالة ، قسمان منها تم اتحادهما وهما الصومال البريطانى (سابقا) والصومال الايطالى (سابقا) ، وترى جمهورية الصومال أن الاقتصاد الرعوى فى منطقة القرن الافريقى اقتصاد متكامل وأن القبائل لا تعترف بالحدود السياسية ، من ثم كانت كل الاتفاقيات التى عقدتها الدول الاستعمارية فى القرن الافريقى (بريطانيا ، ايطاليا) مع أثيوبيا تنص على حرية القبائل فى الحركة عبر الحدود ، ومن ثم لابد من تعديل الحدود لضم تلك الاقليات التى تعش خارج دولة الصومال الآن وخلق الصومال الكبير .

كيف تم ترسيم الحدود ؟

الكل يعرف أن بريطانيا فى أوج سطوتها . كانت تتحسس المواقع الاستراتيجية ، فكما احتلت عدن والجنوب العربى عام ١٨٣٩ ، اتجهت الى الصومال عام ١٨٨٦ ، بعد أن برزت أهميته الاستراتيجية للبحرية والامبراطورية البريطانية ، نتيجة لحفر قناة السويس عام ١٨٦٩ ، ولكن القوى الكبرى فى ذلك الحين كانت لهم بالمرصاد ، فعقدت فرنسا معاهدة صداقة مع سلطان (قبة الخراب) فى خليج تاجورا (جيبوتى) ، ثم تمكنت من احتلال تاجورا بعد أن جلت عنها مصر ، هى وزيلع وبربرة تحت الضغط البريطانى . وكانت احتلال بريطانيا لهرر بداية لانشاء مستعمرة الصومال البريطانى عام ١٨٨٥ ، وأسس الفرنسيون قاعدة لهم عند رأس جيبوتى ، وتقرر اتخاذ ميناء جيبوتى عاصمة للمستعمرة الفرنسية ، وهى الصومال الفرنسى عام ١٨٩٠ ، وذلك بعد أن أعلنت بريطانيا حمايتها على بلاد الصومال المواجهة لعدن الى رأس جيبوتى الى بندر زيادة (الصومال البريطانى) وتقدمت ايطاليا بدورها لتحصل على نصيب عام ١٨٨٩ فأعلنت حمايتها على سلطنة ميجورتين وفرضت حمايتها على ساحل بنادر (الصومال الجنوبى) بعد الاتفاق مع بريطانيا ، ثم

شاركت أثيوبيا فى اقتطاع الوطن الصومالى بضمها اقليم الاوجادين نتيجة معاونتها بريطانيا فى اخماد الثورة المهدية •

الاوجـادين :

يمتد خط الحدود الأثيوبية الصومالية لمسافة ٩٩٤ ميلا ، فيتجه شمالا بشرق عند خط ٥ شمالا من التقائه بحدود كينيا ، ويتجه الى نهر شبيلى ، ويعبره متجها بشرق لمسافة ٥٠٩ أميال كحد دولى وان كان يعرف باسم الحد الادارى المؤقت حتى خط عرض ٨ شمالا ، ويقطعه عند خط طول ٤٨ شرقا ، وبذلك يعطى فرصة لنزاع لا ينتهى على الاوجادين •

والاوجادين اقليم شبه صحراوى ، تبلغ مساحته نصف مساحة جمهورية الصومال الآن ، ويعيش فيه صوماليون ، ومن ثم فأى اضطراب فى الاوجادين ، يقوم به الصوماليون الذين يعيشون فيه تحت الادارة الاثيوبية ، ويحسون بالغربة ، سيجدون مقابله دعما من حكومة الصومال • وقد نتج هذا عن الحدود الاستعمارية التى وضعتها القوى الأجنبية فى القرن الافريقى ، فكما قال رئيس الصومال السابق عبد الرشيد شارماركى :

« ان جيراننا الذين نسعى لاقامة علاقات منسجمة وارتباطات بناءة معهم ، ليسوا جيراننا فى حقيقة الأمر ، فجيراننا هم أقرباؤنا من الصوماليين الذين حدث تزوير فى مواطنتهم بواسطة حدود اصطناعية » •

وأشار عبد الرشيد شارماركى أيضا « ان جيراننا من الصوماليين عليهم أن يعبروا الحدود الاصطناعية الى مراعيهم ، وكذلك الصوماليين لدينا أن يعبروا الى الاوجادين ، فكلانا يحتل نفس الأرض ، ويتبع نفس النظام الاقتصادى القائم على الرعى ، ويتكلمون نفس لغتنا ، نشترك فى العقيدة والثقافة والتقاليد ، فكيف اذن نعتبرهم غرباء عنا ؟ ان لدينا الرغبة الأكيدة للاتحاد معهم » •

من حضر القسمة فليقتسم :

تدعى أثيوبيا أن اقليم الاوجادين كان جزءا من الامبراطورية الأثيوبية منذ عصور موغلة فى القدم ، ولكن الواقع أن أثيوبيا لم تظهر فى هذا الاقليم الا فى زحمة التكالب الاستعمارى فى أواخر القرن

الناسع عشر ، شأنها فى ذلك شأن القوى الأوروبية ، فلم تحتل هـذه الأقاليم الا فى عهد منليك الثانى امبراطور اثيوبيا ، فضمت الاوجادين كمكافأة لها على معاونة بريطانيا فى اخماد الثورة المهدية فى السودان وكان ذلك عام ١٨٨٩ ، بل وتنازلت بريطانيا أيضا عن اقليم هود ، وفى نفس الوقت نصت اتفـاقية مايو ١٨٩٧ بين بريطانيـا وأثيوبيـا على حقـوق الصوماليين فى الرعى والتجارة عبر الحدود فى اقليمى هود والاوجادين .

وبدأ اقليم الاوجادين يأخذ وضعا فى القانون الدولى حيث أشارت المادة الرابعة من البروتوكول الايطـالى الاثيوبى لعـام ١٩٠٨ الى أنه « طبقا للخط الذى وافقت عليـه ايطاليـا عـام ١٨٩٧ ، فان كل اقليم الاوجادين وقبائله سوف يظل تابعا للحبشة » .

وحدة الأراضى الصومالية :

شب نزاع على الحدود بين ايطاليا وأثيوبيا عام ١٩٣٤ ، وتقدمت القوات الايطالية وحتلت الاقليم ، وبدأت ايطاليا فى غزو أثيوبيا كلها ، وأعلن موسولينى فى أول مايو عام ١٩٣٦ انتهاء الحرب مع أثيوبيا وادماج اقليم الاوجادين فى الصومال الايطالى ، وفى عام ١٩٤٠ دخلت القوات الايطالية الصومال البريطانى أيضا ، وحتى بعد طرد القوات البريطانية للايطاليين من الصومال فى مارس ١٩٤١ ، وعودة الامبراطور هيلاسلاسى الى حكم أثيوبيا فى يناير ١٩٤٢ ، فقد ظل اقليم الاوجادين تحت الادارة البريطانية بمقتضى اتفاقية ١٩٤٢ ، والتى جددت عام ١٩٤٤ ، واستمر الاوجادين جزءا من الصومال حتى عام ١٩٤٨ حين تنازلت بريطانيا عن مسئولية الاشراف عليه لأثيوبيا فى سبتمبر من ذلك العام .

لماذا تنازلت بريطانيا عن الاوجادين ؟

حينما كانت قضة المستعمرات الايطالية ضمن ما عرض على مؤتمر وزارة خارجية الدول الكبرى عام ١٩٤٥ ، حاولت بريطانيا ، نظـرا لانفرادها بالسلطة المطلقة منذ الحرب العالمية الثانية على كل الصومال ــ أن يستمر نفوذها ، من ثم كان رأى مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا حينذاك ضم الأراضى الصومالية جميعا وتوحيدها ووضعها تحت وصاية الأمم المتحدة باشراف بريطانيا على الاقليم المشمول بالوصاية ، وكانت حجة بريطانيا أن الاثيوبيين يحتلون المنطقة الداخلية من الصومال وهمـا

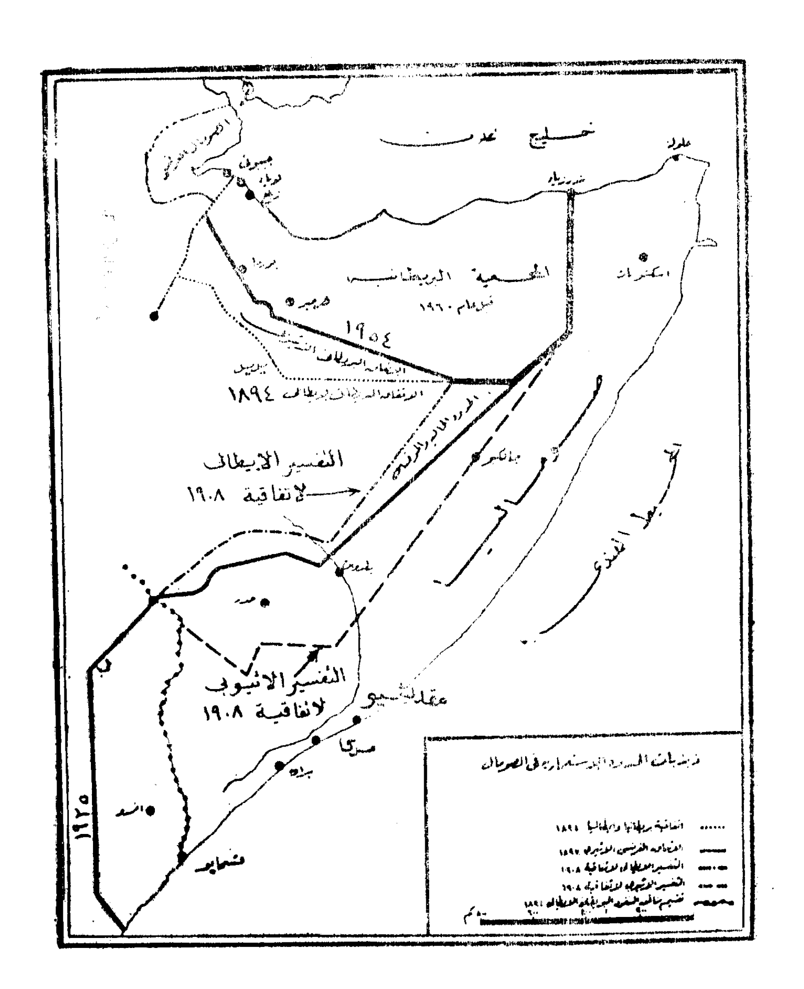
اقليما الاوجادين وهود حيث المراعى التى يؤمها ما يقرب من نصف السكان الرحل الذين يعيشون داخل أراضى الصومال مدة ستة أشهر بالكامل . ولكن الاقتراح لقى معارضة شديدة من جميع الأطراف ، ولا غرابة فقد انتهت الحرب ، وبدأ الصراع بين الحلفاء ، فرأت الولايات المتحدة أن تكون الوصايا جماعية أى تدويل الوصاية عليه ، وعارضت روسيا . بينما كان من رأى فرنسا عودة الصومال الجنوبى (الايطالى) الى ايطاليا وهكذا .

لجنة تقصى الحقائق :

ولما لم يصل وزراء الدول الأربع الى حل قرروا ارسال لجنة تقصى للحقائق لمعرفة رأى الشعب الصومالى نفسه ، وبعد عودتها من مقديشو وتقديم تقريرها ، لم يتفق أيضا وزراء الخارجية على حل ، وقرروا فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ رفع الأمر برمته الى الأمم المتحدة ، فلما رأت بريطانيا أنها لن تفوز بالاقليم كما كانت ترجو تنازلت بعد تسعة أيام من رفع الأمر الى الأمم المتحدة عن اقليم الاوجادين لأثيوبيا فى ٢٤ سبتمبر من العام المذكور . وبذلك انسلخ الاوجادين عن بقية الصومال .

الخط الادارى المؤقت الذى تحول الى خط دولى :

صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ بأن تنال صوماليا (الصومال الجنوبى أو الايطالى) استقلالها بعد فترة عشر سنوات ، توضع خلالها تحت الوصاية الدولية ، وتتولى ايطاليا ادارتها أثناء هذه الفترة . ونظرا لامتناع أثيوبيا عن التعاون فى مسألة تعيين الحدود رسمت بريطانيا قبل تسليم صوماليا للوصاية لايطالية خطا للحدود بين الصومال وأثيوبيا وسمته الخط الادارى المؤقت Provisional Administration Line وهو الخط الدولى الآن ، وقد قبلته ايطاليا بتحفظ ورفضته أثيوبيا ، واستمرت معارضة أثيوبيا بين عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥٦ لموافقة الأمم المتحدة على اجراء تخطيط للحدود ، وأنكرت وجود اتفاقات للحدود يمكن اتخاذها أساسا للمفاوضات ، وأن الحدود الحقيقية الوحيدة بين صوماليا وأثيوبيا هى الخط الادارى المؤقت .



خليج عدن
الحماية البريطانية
١٩٥٤
١٨٩٤
التفسير الايطالى
لاتفاقية ١٩٠٨
التفسير الاثيوبى
لاتفاقية ١٩٠٨
مقديشيو
مركا
١٩٢٥
المحيط الهندي

تنازل آخــر من بريطانيا :

عادت وحدة الشعب الصومالى تتفكك مرة أخرى حينمـا تعهدت بريطانيا بسحب قواتها العسكرية من اقليم هود على أن تتولى الحكومة الأثيوبية ادارتها عتبارا من ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، وان كانت قد أكدت على حفظ حق القبائل الصومالية فى المراعى على جانبى الحدود مما زاد من حـدة النزاع .

الاتفاق الايطالى الأثيوبى:

حينما تعقدت مشكلة الحدود الصومالية قررت الجمعية العامة ارسال لجنة تقصى حقائق عام ١٩٥٧ الى صوماليا ، وبعد زيارة اللجنة للاقليم ، أوصت بحرية انتقال الأفراد والماشية فى منطقة الحـدود ، كما أوصت بضرورة الوصول الى حل عملى للمشكلة وأصدرت الجمعية العامة قرار توصى فيه بالاسراع الى تسوية نهائية عن طريق التحكيم ، وانها ترى أنه من المصلحة المشتركة لأثيوبيا والاقليم موضـوع النزاع المشمول بالوصاية ضرورة تسوية نهائية لمسألة الحدود ، قبل أن يصبح الاقليم المشمول بالوصايا مستقلا عام ١٩٦٠ ، لذلك اتفقت ايطاليا وأثيوبيا على قبول الخط الادارى المؤقت الذى وضعته بريطانيا عام ١٩٥٠ ، على أنه الحد الفاصل بين أثيوبيا وأراضى الصومال الواقعـة تحت الوصـاية الايطالية ، وذلك بصفة مؤقتة حتى تسوى مشكلة الحدود بصفة نهائية .

حق تقرير المصير :

لذلك ترى حكومة الصومال أن النزاع الصومالى الأثيوبى قضية نزاع على الحدود ، أو قضية انفصالية ، وانما هو قضية وطن مستعمر ، وانه وفقا للتعريف الدولى ، فان تعبير استعمار انما يقصد به « قيـام شعب أو قومية ما ، باحتلال أراضى شعب أو قومية أخرى ، واخضاعها لسيطرته ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دون أن يكون لهذا الشعب أو ذاك اختيار حر فى نوع ونظام الحكم الذى يقبله ، مهما كانت هوية هذا النظام ، وأن هذا النظام بالتالى ينطبق على الوضع فى كل من أوغادين ، وفى شمال شرقى كينيا ، فالحدود المصطنعة هى التى فرضت فرضا على الصوماليين الذين يعيشون فى تلك المناطق ، وأن معهم الحق شرعا فى حق تقرير المصير وفقا لمبادىء القانون الدولى ، ومبادىء

منظمة الأمم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، اذا تقرر جميعا حق الشعوب المحكومة قسرا فى تقرير مستقبلها .

مؤتمرى جميع الشعوب الافريقية ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ :

وتستند الصومال فى دعواها أيضا الى قرارات مؤتمرى شعوب افريقيا اللذين انعقدا فى أكرا عام ١٩٥٨ ، وفى تونس عام ١٩٦٠ حيث تقرر « أن الحدود التى تفصل بين مجموعات شعوبية أو تفرق بين شعوب من سلالة واحدة هى حدود غير طبيعية ، ولا تؤدى الى السلام والاستقرار ، وحيث أن زعماء الدول المتجاورة يجب أن يتعايشوا لايجاد حل دائم لمثل هذه المشكلات ، حل يتفق مع المصالح العليا للشعب الذى يعنيه الأمر ، ويزيد من تحقيق المثل الأعلى ، ألا وهو كومنولث افريقى من جميع الدول الحرة ، لذلك عقد العزم على التنديد بالحدود الصناعية التى أقامتها الدول الاستعمارية ، وعلى الأخص تلك الحدود التى تفصل بين الجماعات الشعوبية وتفرق شعبا من سلالة واحدة ، والمطالبة بتعديل مثل تلك الحدود فى موعد قريب ، وأكد مؤتمر شعوب افريقيا المنعقد فى تونس عام ١٩٦٠ تأييده لكفاح شعب الصومال فى سبيل الاستقلال والجودة لكى يخرج اصومال الكبير من حيز الوجود .

كيف يتكون الصومال الكبير ؟

ينشأ الصومال الكبير باتحاد المقاطعات الصومالية ، وهذا فى رأى الصومال ليس معناه ضم أرض ، بل أن الاتحاد سوف ينشأ بعد حصول المقاطعات الصومالية الخاضعة حاليا للسيطرة الأجنبية على الاستقلال والسيادة كما حدث من قبل فى اتحاد محمية الصومال البريطانية سابقا ، واقليم الوصاية الايطالى سابقا عام ١٩٦٠ ، وظهور جمهورية الصومال حاليا ، وسيكون هذا الاتحاد قائما على روح الاخوة وروابط الدم والميراث المشترك ، وسيحدث ذلك بمحض ارادة وبروح الود التى تجمع بين أخوة كانوا مفترقين لمدة طويلة .

وجهة نظر لصومال :

تدفع الصومال أيضا بعدم شرعية الاتفاقيات التى عقدت بين أثيوبيا والدول الأوروبية ، الاستعمارية ، وذلك على أساس :

ــ ان القوى الاستعمارية الحامية لا تتمتع بالملكية القانونية للقطر ، وعلى ذلك فهى لا تملك السند الصحيح لنقله الى دولة أخرى (أثيوبيا) فمن لا يملك ليس له الحق فى اعطاء ما لا يملك •

ــ ان هذه الاتفاقيات تتناقض مع معاهدات الحماية التى عقدتها كل من بريطانيا وايطاليا وفرنسا والتى تعهدت بمقتضاها بالمحافظة على سلامة أراضيه •

ــ أن الشعب الصومالى لم يكن على علم بهذه الاتفاقيات التى بموجبها استولت أثيوبيا على أجزاء من القطر الصومالى •

أن هذه الاتفاقيات تناقض مبدأ حق تقرير المصير الذى جاء فى ميثاق منظمة الأمم المتحدة ، ذلك أن المادة ١٠٣ من الميثاق تنص على أنه حالة تعارض التزامات أعضاء الأمم المتحدة ، بناء على هذا الميثاق ، والتزاماتها بموجب أية اتفاقية دولية أخرى ، فان التزاماتها طبقا لهذا الميثاق هى الراجحة ، وانه على ذلك فان معاهدتى ١٨٩٧ ، ١٩٠٨ باطلتان بسبب مخالفتهما للمادة ١٠٣ من الميثاق •

أن المملكة الحبشية حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر كانت تنحصر فى المرتفعات الوسطى ، وطوال هذه المراحل كانت تقطن شعوب مستقلة على حدودها شرقا وغربا وجنوبا ، من ثم لم يصبح الاوغادين جزءا من أثيوبيا الا بعد التقسيم الاستعمارى للقرن الافريقى •

الموقف الاثيوبى :

ترفض أثيوبيا رأى الصوماليين بأن أثيوبيا استولت على مساحة كبيرة من الأراضى الصومالية وذلك دون ارادة أو رغبة سكانها ، ويدعى رئيس وزراء أثيوبيا فى خطابه فى مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ بأن الصومال تعمل بالمثل المعروف : اذا قذفت الوحل بما فيه الكفاية ، فقد يلتصق شىء منه ، وان أثيوبيا كانت ولقرون عديدة فى وضع دولة مستقلة ، على حين لم تكن هناك دولة صومالية قبل عام ١٩٦٠ ، وأن أثيوبيا كانت من أوائل الدول التى طالبت باستقلال الصومال ، وان الدول الاستعمارية وهى بريطانيا وفرنسا وايطاليا حينما وقعت معاهدات حماية مع القبائل الصومالية ، تم ذلك مع كل قبيلة على

حدة ، بل انها كانت تضطر أحيانا الى عقد أكثر من معاهدة مع أبناء القبيلة الواحدة بسبب انقساماتها الداخلية ، وان كلمة الصومال لم ترد فى مثل أى من هذه المعاهدات ، واذا كانت مكونات الأمة هى اللغة والجنس والدين والتاريخ والوجدان المشترك ، وأردنا أن نطبقها على الدول الحديثة ، فقلما تجد دولة تتطابق فيها حدود الجنس واللغة والدين مع الحدود السياسية ، واذا كان هناك اضطرار لاعادة تقسيم افريقيا الى وحدات سياسية جديدة واضعين هذه الأسس فى الاعتبار فسوف تختفى دول كثيرة من الوجود ، لذلك تتبنى أثيوبيا مبدأ ترسيخ الحدود القائمة فعلا Status Quo وهذا المبدأ الذى أخذت به منظمة الوحدة الافريقية (عدا الصومال والمغرب) على أساس أن الحدود لا يمكن تعديلها بحجة أنها من عمل الاستعمار ، فأثيوبيا وان كانت تؤيد حق تقرير المصير ، فان هذا ينطبق على الشعوب التى لم تحصل بعد على الاستقلال من الحكم الأجنبى ، ولا تجوز ممارسة هذا الحق فى دول مستقلة كأثيوبيا ، فالتكامل الاقليمى Regional Integration يقوم على حق تقرير المصير .

وقد عرض مجلس الثورة الأثيوبى Dergue فى برنامجه الصادر فى ٢٠ ابريل ١٩٧٦ لمفهوم حق تقرير المصير حيث نصت الفقرة الخامسة من البرنامج على ما يلى :

اعترافا بحق كل قومية موجودة فى أثيوبيا فى تقرير مصيرها . على أساس أنه ليس لأى قومية الحق فى السيطرة على أخرى ، فانه سيحترم تاريخ كل قومية وثقافتها ولغتها ودياناتها وفقا لروح الاشتراكية ، وستقوم وحدة القوميات الأثيوبية على أساس الكفاح المشترك ضد الاقطاع والرأسمالية البيروقراطية ... وسيعطى اهتمام خاص من أجل الاسراع بعملية التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للقوميات الصغيرة المبعثرة على طول مناطق الحدود ، وفى المناطق المتطرفة من البلاد ، وسيكون لكل قومية حق التقرير فى الأمور السائدة فى محيطها سواء كانت ادارية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو لغوية ، وأيضا بالنسبة لانتخاب زعمائها واداريها ..

ومن أجل تعزيز الوحدة القومية ، لابد من تعزيز الرابطة التى تحكم الصلة بين مختلف الثقافات والجماعات ، وطرح مجلس الثورة الأثيوبى فكرة التعاون مع دول شرق افريقيا المجاورة ، من أجل اقامة اتحاد

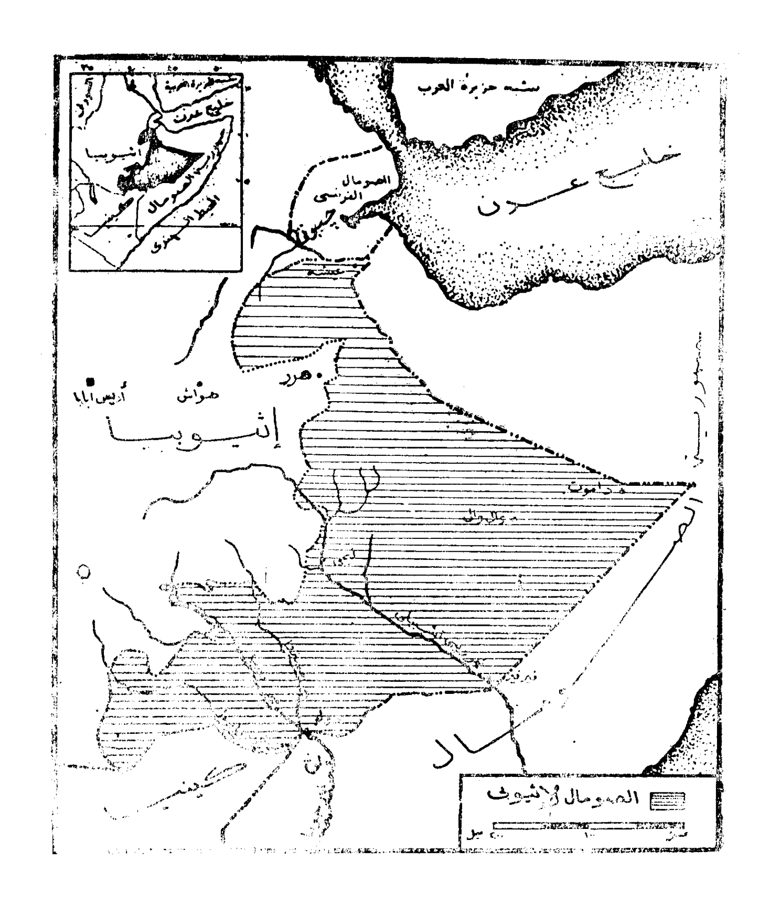
كونفدرالى قوى أو جماعة قومية من الدول ، من أجل تخطى مشكلة القوميات •

وهكذا قوبل ادعاء الصومال بالرفض والمعارضة سواء من حكومة هيلاسلاسى ، أو مجلس الثورة الأثيوبى الحالى ، وكلاهما حشد أعدادا كبيرة من العسكر على الحدود ، وحتى عام ١٩٧٧ حينما اكتسحت قوات جبهة تحرير الصومال الغربى الاوجادين ، كان هناك نحو عشرة آلاف جندى أثيوبى فى الاوجادين •

النزاع المسلح فى الاوجادين :

استمر النزاع الصومالى الاثيوبى لا يتعدى الاذاعات والمنشورات منذ الاستقلال حتى عام ١٩٧٧ ، وكان التوتر فى بعض الأحيان يشتد على الحدود فى اقليم الاوجادين وينشب بعض القتال وما يتبعه من اعلان التبعية الجزئية أو الكلية كما حدث فى فبراير عام ١٩٦٤ ، واتهام أثيوبيا لحكومة الصومال بتدريب وتنظيم وتجهيز بعض العناصر التى تطلق عليها (العصابات) لتقوم بأعمال السلب والنهب فى أراضى أوجادين ، وفى نفس الوقت تتهم الصومال الطيران الأثيوبى بضرب القوى ومعسكرات الرحل ، قرب الحدود ، محدثة بذلك خسائر فى السكان المدنيين والممتلكات •

وبطبيعة الحال أن ما تطلق عليه أثيوبيا لفظ العصابات ، ما هم الا ثوار الصومال الغربى أو الاوجادين فهم الذين يقومون بالدور المباشر ، وكونوا جبهة تحرير الصومال الغربى ، غير أن الموقف العسكرى فى اقليم أوجادين وصل حد الاصطدام المباشر بين النظامين الأثيوبى والصومالى فى صيف وخريف عام ١٩٧٧ ، واستطاعت جبهة تحرير الصومال من التوغل فى الاوجادين واستولت على ما يقرب من ١٥ ٪ من مساحته ومعظم مدنه ما عدا هرر وديرداوا ، وقطع الثوار الخط الحديدى بين أديس أبابا وجيبوتى ، ورغم أنه قد يكون فى بيانات جبهة تحرير الصومال الغربى بعض المبالغة ، ولكن تصرفات أثيوبيا دل على الموقف فى أوجادين قد خرج من يدها فأعلنت التعبئة العامة ، وشكلت ما أسمته « كتائب الفلاحين » أو الميليشيا الشعبية ، وتقدمت حكومة أثيوبيا بالشكوى ضد ما أسمته بالعدوان الصارخ الذى تشنه الصومال ، حيث أضافت الحكومة الأثيوبية ، أن القوات المسلحة النظامية لجمهورية



شبه جزيرة العرب
خليج عدن
الصومال الفرنسى
جيبوتى
هرر
هواش
أديس ابابا
إثيوبيا
الصومال الإثيوبى

الصومال قد بدأت عملياتهـا رسميا فى ٢٣ يوليو ١٩٧٧ بغزو الأراضى الأثيوبية بقوات مؤلفة من الدبابات وغيرها من الأسلحة الثقيلة ، فضلا عن غطاء جـوى » •

رد فعل الدعم السوفييتى لأثيوبيا :

بدأت المساعدات العسكرية السوفييتية تتدفق على أثيوبيا نتيجـة لحرج موقفها فى ارتريا والاوجادين ، وكان رد الفعل هو قطع الصومال علاقتها الدبلوماسية مع كوبا وطرد الخبراء السوفييت والكوبيين وسحب التسـهيلات الجوية والبحـرية من الاتحـاد السـوفيتى فى الاراضى الصـومالية •

وكان رد فعل الاتحاد السوفييتى هو تضخيم المساعدات العسكرية لأثيوبيا ، التى تدفقت جوا وبحرا ، واستخدم النقل الجوى ابتداء من منتصف ديسمبر ١٩٧٧ بكثافة شديدة ، فقد حمل هذا النوع من النقل ما قيمته بليون دولار أسلحة ومعدات عسكرية للقوات الأثيوبية والكوبية فعلى سبيل المثال حملت طائرات الانطوفوف ٦٠٠ عربة مدرعة ، ٤٠٠ مدفع ثقيل ، ٦٠ طائرة ميج ــ ٢٠ وسربين من طائرات ميج ــ ٢٣ ، هذا غير دبابات ت ٥٤ ، وكان هذا الحشد الضخم له أثره فى اعلان حـكومة الصومال انسحاب قواتها من الاوجادين فى أواخر مارس ١٩٧٨ ، وان كانت جبهة التحرير استمرت فى حرب الاستنزاف التى تقوم بها •

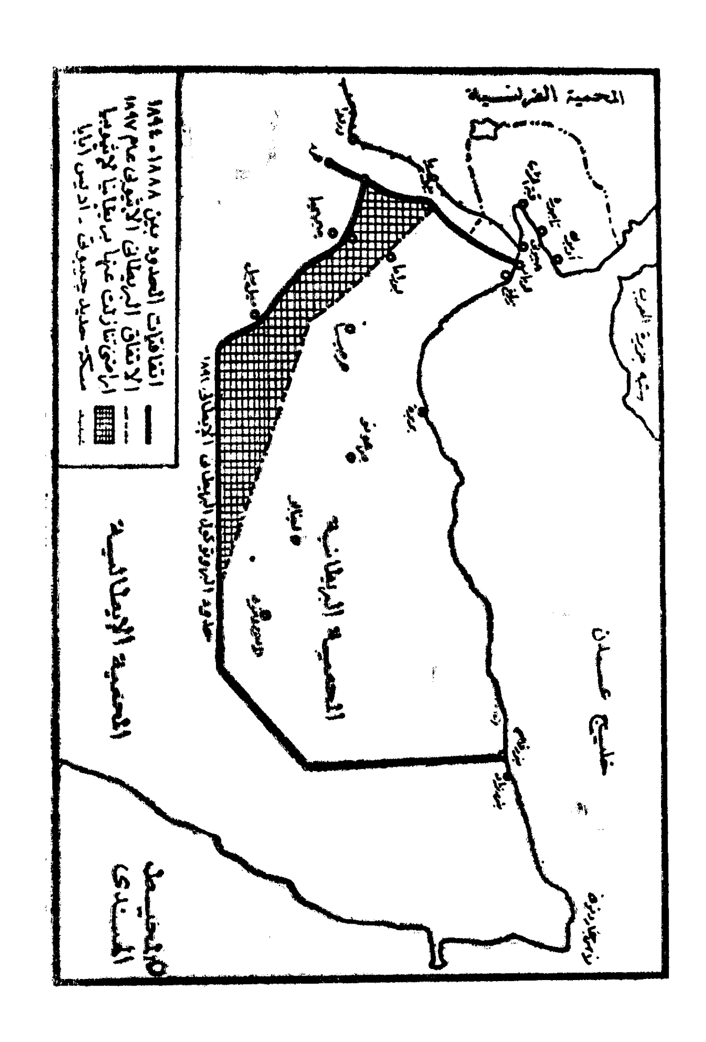
شروط اثيوبيا للسـلام :

بعد انتصار أثيوبيا فى حرب الاوجادين ، وضعت قائمة بشروطها قبل المفاوضة مع الصومال تتلخص فى :

ــ أن يعلن النظام الصومالى تخليـه غير المشروط عن كل مطالبـه الاقليمية فى أثيوبيا وكينيا وجيبوتى •

ــ أن يلعن عن قبوله لكل مبادىء وقرارات الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية بما فى ذلك مبدأ عدم التـدخل فى الشئون الداخليـة للدول الأخرى •

ــ أن يعلن النظام الصومالى أنه سيراعى دائما الاتفاقات الدولية ، بما فى ذلك مبدأ عدم استخدام العنف فى تسوية المنازعات الدولية •



المحمية الفرنسية
خليج عدن
المحمية البريطانية
المحمية الإيطالية
المحيط الهندى

— أن يلتزم بتغيير علمه الوطنى بنجومه الخمس الى ما يسمى بالصومال الكبير .

هل هى مؤشرات لحرب جديدة ؟

بعد انسحاب القوات الصومالية ازدادت حدة الاتهامات ، والاتهامات المضادة بين كل من الصومال وأثيوبيا ، مما يزيد من احتمال مواجهة أخرى فى القرن الافريقى ، وخاصة بعد زيادة التصريحات الحادة بين الجانبين وقد يكون هذا مؤشرا لجولة عسكرية أخرى ، بعد تلك الجولة التى تمت فى ١٩٧٧ — ١٩٧٨ . ومما يدل على خطورة الموقف اتهام الصومال للطيران العسكرى الأثيوبى فى مايو ١٩٨٠ بضرب عدة مدن صومالية ، ولكنها طردت قبل أن تحدث آثارا مدمرة ، وأعلنت الصومال أن هذه المرة الثانية عشرة التى حاول فيها الأثيوبيون وحلفائهم مهاجمة الصومال وقد نتج عن الهجمات السابقة قتل تسعين صوماليا ، وجرح ستين ، فضلا عن هلاك أعداد كبيرة من الماشية والممتلكات .

وقد حذرت الصومال من أنها مارست ضبط النفس ، ولكن استمرار أثيوبيا فى هجماتها قد يؤدى الى مواجهة مسلحة ، وتعكير السلام الدولى ، وستكون أثيوبيا وحلفاؤها المسئولين الوحيدين عن هذا .

وقد جاءت التصريحات الصومالية بعد عدة أيام من تقديم الصومال لشكواها لهيئة الأمم المتحدة ولمنظمة الوحدة الافريقية عن استمرار الاغارات الاثيوبية على الأهداف المدنية الصومالية وجاء فى مذكرة الصومال للمنظمتين أيضا بأن على أثيوبيا أن تتحمل المسئولية كاملة عن أعمالها « الاجرامية » وعن النتائج الرهيبة التى تترتب عليها .

وتنكر أثيوبيا ادعاءات الصومال (على حد قولها) ، وتتهم حكومة الصومال بدعم الانفصاليين الذين يمارسون حرب العصابات ضد القوات الاثيوبية فى اقليم أوجادين ، وكرر الرئيس منجستو هيلى مريام تحذيره للنظام الصومالى بأنه سيرد على الصومال اذا لم توقف القوات التى تسربها الى الاقليم .

ويمكن أن نضيف الى هذه الاتهامات والاتهامات المضادة ، عوامل أخرى ذات أهمية ، فقد صرح الرئيس سياد برى فى أواخر مارس ١٩٨٠ بأن حكومته قد وافقت على منح الولايات المتحدة الأمريكية تسهيلات

بحرية وجوية بعد تطور الأحداث فى ايران وأفغانستان ، الأمر الذى أدى الى زيادة الوجود العسكرى الاميركى فى المحيط الهندى .

وفى مقامل هذه التسهيلات التى تقدمها الصومال بما فيها قاعدة بربرة البحرية التى سبق أن أعدها السوفييت ، ستزود الولايات المتحدة الأمريكية الصومال بالسلاح .

على العموم ما زالت البيانات الصومالية تذيع الى اليوم عن حشود عسكرية أثيوبية كينية على الحدود الصومالية ، فهل هذا مؤشر حرب جديدة ؟

النزاع الصومالى ـ الكينى

كينيا للصومانين

« اذهبوا أنتم وابلكم الى الصومال »

« اذا كان من الممكن فصل المناطق التى يسكنها الصوماليون ، فمن المستحسن تشكيل حكومة منفصلة لهم على أساس أنهم يختلفون من حيث السكان والظروف الاقتصادية والطبيعية عن بقية أقاليم كينيا ، ولكن لسوء الحظ أنهم قليلون جدا ، لتشكيل ادارة منفصلة خاصة بهم ، والاقاليم المجاورة لهم غير خاضعة للحكم البريطانى » .

(من كتاب للحاكم البريطانى لمحمية شرق افريقية عام ١٩٠٥) .

الانفــدى NFD :

الصومال الكينى أحد أجزاء الصومال الخمسة ، ويقع فى شمال شرقى كينيا مجاورا للحدود الصومالية ، بمساحة تبلغ ٤٥ ألف ميل مربع ، أى نحو خمس مساحة كينيا ، ومعظمه شبه صحراوى وصحراوى وبذلك فهو أقرب طبيعيا الى الصومال منه الى كينيا ، ويعيش فى هذا الاقليم الشمالى من كينيا والمعروف باسم الانفدى « اختصار North Frontier District نحو ٢٠٠،٠٠٠ نسمة معظمهم رعاة صوماليون من القبائل التى تنتمى الى الاوجادين ، والهاويا ، فضلا عن قبيلتين تعتبران نصف صومالية هما الاجواران والجورى ، وكلاهما كان من أوائل القبائل التى وصلت الاقليم ، بل وحتى هؤلاء يميلون الى التميز بأنهم صوماليون .

ولا يقتصر الصوماليون فى كينيا على أولئك الذين يعيشون فى الاقليم الشمالى وهو منطقة النزاع ، فهناك توطن صومالى فى ايزيلو فى الطرف الجنوبى للمقاطعة الشمالية ، وكانوا قد جلبوا من الصومال بواسطة السلطات الانجليزية . وعاشوا فى مرتفعات كينيا ، وحينما انتهت مدة خدمتهم ، وطنتهم السلطات فى تلك الجهات وهناك أيضا الذين عاشوا فى نيروبى والمدن الأخرى بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد أن تم تسريحهم من الجيش وعملوا فى التجارة وخاصة تجارة اللحوم ، وعندما احتكرت حكومة كينيا هذه التجارة ، هاجر عدد كبير منهم الى أوغندا أو تنزانيا .

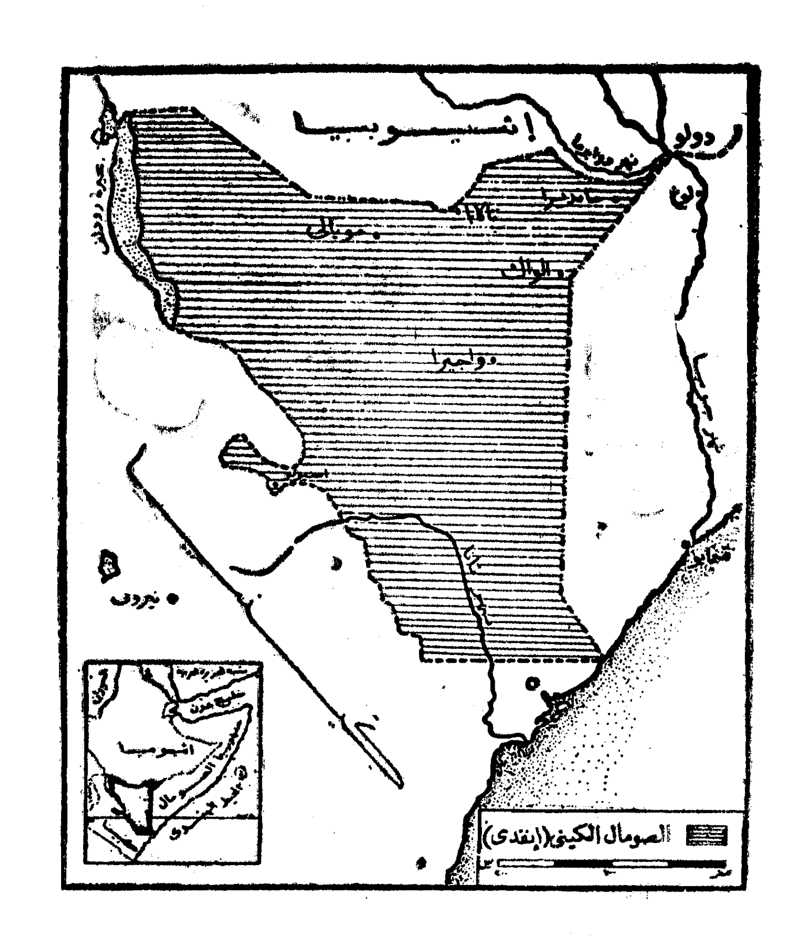
رابطة شباب الصومال :

لم يكن تعاطف صومالى كينيا مع الحركة الوطنية الصومالية بعد استقلال الصومال ، وانما بدأ قبلها بكثير . فقد أحس الصوماليون فى اقليم الانفدى بهويتهم الخاصة ، وذاتيتهم المتميزة ، فتألفت رابطة شمالى الصومال فى ذلك الاقليم ، فى أوائل الاربعينيات وتعددت أغراضها الثقافية والاجتماعية ، فلما ازداد نشاطها أحست السلطات البريطانية فى كينيا بخطورتها من النواحى السياسية ، فأصدرت قرارا بحل الرابطة عام ١٩٤٨ . واغلاق فروعها واعتقلت زعماءها وحددت اقامة بعضهم ، ونفت البعض الآخر ، لأن السلطة البريطانية خشيت انتشار الأفكار التحررية بين هؤلاء الصوماليين . ولم يفرج عن زعمائهم الا فى عام ١٩٦٠ حين استقلت الصومال .

ولم تظهر نشاطات قومية أخرى بين صومالى كينيا لمدة عقد عقب وقف نشاط رابطة شباب الصومال ، اللهم الا فى المدن حيث كانت هناك رابطة اتحاد الصومال ، وتمثل بصفة خاصة فى أبناء قبيلة الدارود ، ورابطة الاسحاقيين ، وكانتا تمثلان المصالح الصومالية ، وتدافعان عنها لأنها كانت مهضومة ، فقد كان الصوماليون يعانون من الاهمال فى الخدمات وعلى رأسها الصحة والتعليم ، بل كان وضعهم أسوأ من وضع الهنود . فكانتا تسعيان للحصول على بعض الامتيازات حتى تتساوى على الأقل بالآسيويين .

الرابطة الوطنية الصومالية :

وظهرت الرابطة الوطنية الصومالية عام ١٩٥٩ فى المدن أيضا تدافع عن الأهداف القومية للشعب الصومالى ، وتهدف الى تحسين أوضاع


إثيوبيا
دولو
مانديرا
موبالى
الواك
واجير
نيروبى
خليج عدن
إثيوبيا
الصومال
الصومال الكيني (إنفدى)

الصوماليين ، وتمثل مصالحهم ، وان كانت صلتها بصومال الاقليم الشمالي قوية ، نظرا لتطرف الاقليم وضعف وسائل الاتصال وكان الصوماليون في الاقليم الشمالي يفضلون تمثيل أنفسهم أمام السلطات .

احياء القومية الصومالية فى الاقليم الشمالى لكينيا :

ولم يكن هناك نشاط سياسي منظم بين الصوماليين فى الاقليم الشمالي لكينيا بعد وقف نشاط رابطة شبا بالصومال التى ذكرناها حتى عام ١٩٦٠ ، حين بعث استقلال الصومال واتحاد شطريه أمل صومالى الاقليم الشمالى فى الاتحاد ، الجمهورية الجديدة الناشئة ، بدلا من أن يكونوا رعايا أو أقلية فى دولة افريقية ، وهى كينيا ، وقد ظهرت هذه الروح فى الالتماسات العديدة التى قدمت للسلطة البريطانية فى كينيا طالبين ضم الجزء الصومالى من كينيا ، ويبدو أن التوتر بدأ فى الاعلان عن نفسه فى الاقليم الشمالى مما أدى الى قيام السير باتريك ويندسون بزيارة الاقليم الشمالى فى ربيع عام ١٩٦٠ ، وأكد للصوماليين بأنه « لابد وأن يأخذ رأيهم فى أى تغيير يحدث فى ادارة الاقليم » .

الحزب التقدمى لشعب الصومال :

فى ذلك العام تكون حزب الشعب التقدمى للاقليم الشمالى ، وكانت له فروعه فى جميع المراكز الشمالية وكانت نواته النشطة تتكون من الشباب الذى تلقى تعليما واستقر فى المراكز الادارية ، وتقدم الحزب بمطالب خاصة بتحسين التعليم ، والغاء الاحتكار الحكومى لتسويق اللحوم الأمر الذى يسبب ضررا بالغا بالقبائل الصومالية التى تربى الماشية ، ولكن كان هدفه الرئيسى قوميا بالدرجة الأولى اذ طالب الحزب بفصل الاقليم الشمالى الذى يسكنه الصوماليون عن كينيا ، وضمه الى الصومال على اعتبار (كما جاء فى البيان الصادر عام ١٩٦٢) انهم أعضاء فى أمة صومالية واحدة تتحدث اللغة الصومالية من خليج عدن الى شمالى كينيا ، وتراثهم الاسلام ، وحرفتهم الرعى ، وأن الاسلوب الادارى الوحيد الذى يصلح لهم هو الادارة الصومالية ، ومن الخطأ حرمانهم من شىء مقدس لديهم وهو حق تقرير المصير ، والذى يعنى الاتحاد مع باقى فئات الشعب الصومالى .

وفى حقيقة الأمر كان الصوماليون فى كينيا كما رأينا يعاملون معاملة دنيا . وكانت منطقتهم تعتبر منفى ، اذ لم تستقبل سوى المسجونين السياسيين والمنفيين وحظرت الادارة البريطانية عليهم زيادة أى منطقة فى كينيا الا بتصريح خاص ، ولم يكن نصيب منطقتهم سوى مدرسة واحدة، بينما كان نصيب بقية كينيا ستمائة مدرسة ، وترك هذا الاقليم ليكون حاجزا يحمى منطقة المستوطنين البيض فى كينيا ، وكانت مشاركة الصوماليين فى الحياة السياسية لبقية كينيا محدودة ، فلم يكن هناك من يمثلهم فى المجلس التشريعى فى كينيا حتى عام ١٩٥٩ ، حينما سمح لأول مرة لأحد الصوماليين وهو أحمد فرح اليا ليمثل الاقليم ، وقاطع الصوماليون انتخابات المجلس عام ١٩٦١ خشية أن يؤخذ هذا على أنه اعتراف منهم بكونهم مواطنين كينيين ، من ثم لم يسجل منهم فى قوائم الانتخابات سوى ١٦٢٢ فردا ، وحتى هؤلاء لم يقوموا بعملية التصويت الفعلى لأنه لم يكن هناك سوى مرشح واحد ، وبالتالى فاز بالتزكية .

على أن الانتخابات أظهرت للقادة الافريقيين ، أن هناك تنافرا صوماليا كينيا ، وحاول كل من حزب كانو Kenya African National Union وحزب كادو Kenya African Democratic Union كسب أصوات الصوماليين فى الاقليم الشمالى ، ولكنهما فشلا لأنهما لم يقدما مرشحا يرضى عنه الصوماليون ، ولكنهما أحسا يقينا بالقومية الصومالية .

وأعلن ممثلوا الصومال بحقهم فى الانسحاب من كينيا فى المؤتمر الدستورى الذى عقد فى نيروبى عام ١٩٦١ ، وعندما لم يقبل طلبهم تركوا المؤتمر ، وعاد طلبهم يتكرر ثانية فى المؤتمر الدستورى الذى عقد فى لندن عام ١٩٦٢ ، ووافق المؤتمر بناء على طلب الصوماليين على ارسال بعثة تقصى حقائق فى الاقليم الشمالى ، واكتشفت البعثة أن ٨٧٪ من مجموع سكان الاقليم يطالبون بالوحدة مع الصومال .

بريطانيا تجامل كينيا على حساب الصوماليين :

رغم أن بعثة تقصى الحقائق أوضحت أن غالبية سكان الاقليم يرغبون فى الوحدة مع الصومال فقد صرح دنكان سانديز وزير الكومنولث بأن الاقليم الشمالى سيكون أحد الأقاليم السبعة التى تكون كينيا وقد قوبل هذا باحتجاج الصومال ، بل وقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا فى مارس ١٩٦٣ هذا رغم أن الحكومة البريطانية قد سبق وأكدت

لحكومة الصومال بأنها سترجع اليها قبل اتخاذ أى قرار نهائى بشأن مستقبل الحدود الشمالية ، وعلى أن يكون ذلك قبل اعلان قيام الدستور الكينى ، وكان هذا الموعد قبلها بشهر فقط ، فى فبراير ١٩٦٣ .

لماذا نكثت بريطانيا بالعهد ؟

يمكن أ ن نجمل أسباب اخلال بريطانيا بوعدها للصومال ومجاملة كينيا فيما يلى :

ــ وجود الأقلية البيضاء المستوطنة فى كينيا ، وكان وضع هــذه الجالية والاطمئنان عليها من العوامل التى أدت الى تأخير استقلال كينيا (١٩٦٣) بينما سبقتها أوغندا (١٩٦٢) وتنزانيا (١٩٦١) وكانت الدول الثلاث تكون شرق افريقيا البريطانى .

ــ الابقاء على القاعدة العسكرية البريطانية ، فى عصر اشتدت فيه الحركات الوطنية ، مطالبة بازالة القوعد العسكرية الأجنبية من أراضيها ، فقد تم جلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس وبدأت الثورة القومية فى عــدن .

الاتفاق ضد عــدو مشترك :

تتفق حكومة كينيا مع حكومة أثيوبيا فى عدم التفريط فى بوصة من أراضيهما .. وتتهمان حكومة الصومال بمحاولة خلق حرب أهلية فى كينيا ، وان الحركة الصومالية هى حركة قبلية قائمة على تجانس جميع الصوماليين ، وان اقليم الحدود الشمالية لم يكن فى وقت مــا جــزء من الصومال ، بل ان الانجليز أعطوا الصومال اقليم جوبا لاند وهو جزء من شرقى كينيا عام ١٩٢٤ ، ومع ذلك لم تطالب حكومة كينيا به .

اذهبوا انتم وابلكم وارحلوا الى الصومال :

وقد عبر الرئيس السابق جوموكينيــاتا ، وعن تفسيره لحق تقرير المصير الذى يريده صوماليو كينيا بقوله : ان الاقليم الشمالى جزء من كينا ، واننا نعتبر الصوماليين الذين يعيشون فيه وبقاع أخرى من كينا اخوانا لنا ، انهم جزء من كينيا ، ونحن نرغب فى أن يعيشوا معنا على هذا النحو ، فاذا رفضوا فكرة الاندماج الوطنى ، فعليهم أن يرحلوا هم وابلهم ويذهبوا الى الصومال .

وحينما اتفقت المصالح الأثيوبية والكينية ، عقدت معاهدة تعاون ودفاع مشترك بينهما فى يوليو ١٩٦٣ وذلك لتهديد الصومال ، وأعلنت كينيا حالة الطوارىء فى الاقليم الشمالى الذى تسوده الاضطرابات بسبب الخلاف مع الصومال عليه .

شروط كينيا للتفاوض مع الصومال :

ومن وجهة نظر كينيا يجب أن تتوافر المتطلبات الآتية قبل الدخول فى أى مفاوضات مع الصومال وهى :

ـــ أن تتخلى جمهورية الصومال عن تطلعاتها الاقليمية فى كينيا .

ـــ أن تعترف بأن اقليم الحدود الشمالية قانونا جزء من كينيا .

ـــ أن تحل علانية حركة القيادة العليا لتحرير اقليم الحدود الشمالية .

ـــ أن تتعهد بعدم تسريب الأسلحة والذخيرة الى كينيا .

ـــ اغلاق مراكز تدريب الشفتا الموجودة على الحدود بين الدولتين .

ـــ حينئذ ستكون حكومة كينيا مستعدة للانضمام مع حكومة الصومال لوضع تقرير مشترك متفق عليه بين الدولتين يقدم الى منظمة الوحدة الافريقية متضمنا أن النزاع الذى قام بين الدولتين الأعضاء قد تمت تسويته بالوسائل السلمية .

نداء الى الدول بمنع السلاح عن الصومال :

هذا وصدر بيان مشترك عن الحكومتين الأثيوبية والكينية بعد اجتماع تم فى كينيا فى مايو ١٩٨٠ ، يطلبان فيه من الدول الأخرى عدم مد الصومال بالسلاح نظرا لسياستها التوسعية ، كما يتهم البيان الصومال بأنها تمارس نشاطا هداما خارج حدودها ، مشيرا بذلك الى دعم الصومال لجبهة تحرير غرب الصومال .

تمتد جمهورية الصومال فى مساحة تقرب من ٢٤٦ ألف ميل مربع محتلة بذلك البروز الشرقى من افريقيا المعروف بالقرن الافريقى ، ذلك القرن الوحيد الذى برز وفرض نفسه على الساحة الدولية كأرض صراع داخلى ، وساحة للمناقشة بين القوى الأعظم فى العقد الأخير بوجه خاص .

والقرن الافريقى بما يضمه من ثلاث وحدات أساسية الصومال ممثلة حافة هذا القرن وجيبوتى عند نهاية البحر الأحمر ، وأثيوبيا فى ظهرهما . ليس له من أهمية اقتصادية تذكر ، بل هو اقليم فقير ، متخلف ، والأمل ضعيف حتى الآن فى ظهور ثروة معدنية تبدل حال أهله من بعد عسرهم يسرا ، قاعدته الاقتصادية الأساسية هى الزراعة والرعى ، ويضرب الجفاف الطارىء لسنوات متتالية هذه القاعدة بين الحين والحين ، فيخيم شبح المجاعة ، ويلقى بظله الثقيل على الملايين من البشر .

بذلك تصبح أهمية الاقليم الاستراتيجية فى الجغرافيا لا فى الاقتصاد . فالقرن الافريقى يبرز فى المحيط الهندى على شكل حربة جنوب شبه جزيرة العرب ، وتحتل الصومال من هذا القرن أفضله استراتيجيا ، فهى تطل على جبهتين بحريتين على المحيط الهندى ، وهى جبهة ، طويلة للغاية من جنوب خط الاستواء عند رأس كامبونى الى رأس جوارد فوى بمسافة تبلغ ١٣٠٠ ميل ، والثانية أقل طولا تطل على خليج عدن بمسافة ٦٥٠ ميلا ، ومن ثم تصبح أهميته خطيرة على المستوى الاقليمى بالنسبة لافريقيا والعالم العربى ، وعلى المستوى الدولى بالنسبة للقوى الأعظم لأنه يقع على مدخل البحر الاحمر الجنوبى ، وتلاطم مياه المحيط الهندى شواطئه ، ويمر النفط العربى منه على كثب .

الولايات المتحدة الاميريكية وأثيوبيا :

ظلت الولايات المتحدة الاميركية تلعب الدور الأول فى القرن الافريقى عن طريق تواجدها فى أثيوبيا بين عامى ١٩٥٣ ، ١٩٧٤ ، وقدمت الولايات المتحدة الاميركية الى أثيوبيا حتى عام ١٩٧٠ ما يقرب من نصف مجموع ما قدمته للدول الافريقية جمعاء من مساعدات عسكرية ، وسمحت أثيوبيا لها نظير ذلك باقامة قاعدة كجنيو بالقرب من أسمرة عام ١٩٥٣ ، وشملت

هذه القاعدة محطة لتتبع الأقمار الصناعية ، ومحطة للاتصالات العسكرية ، ومحطة استماع لاذاعات شرق أوربا والشرق الأوسط ، وظلت قاعدة كجنيو حتى عام ١٩٧٤ هي القاعدة الاميريكية الرئيسية للولايات المتحدة في هذا الجانب من القارة ، حتى أغلقت في ذلك العام ، وانتقلت القاعدة العسكرية الاميريكية الى دييجو جارسيا في المحيط الهندى • ومما زاد من أهمية القاعدة الاثيوبية أنها كانت تضم بعثة عسكرية قوامها ٣٢٠٠ أمريكى ، كذلك كان للولايات المتحدة فرق لمقاومة حركات التمرد ، وكانت هذه تساعد الحكومة الأثيوبية في حربها لحركة التحرر الارترية ، هذا فضلا عن تدريب الجيش الأثيوبى والطيران والبحرية منذ الخمسينيات •

هكذا ، مكنها موقعها الجغرافى الاستراتيجى ، من الحصول على المساعدات الأمريكية العسكرية ، في مقابل الحصول على قاعدة قريبة من مدخل البحر الأحمر ، أو قرب منطقة التقائه بالمحيط الهندى ، وكانت تحس بالاستقرار في أثيوبيا بسبب استقرار النظام الاثيوبى لمدة طويلة تحت قيادة هيلاسلاسى •

الاتحاد السوفييتى والصومال :

ازدادت المساعدات العسكرية الامريكية لأثيوبيا في الستينات كنتيجة لزيادة المساعدات السوفييتية للصومال ، فقد وقعت اتفاقيات للمساعدات العسكرية عام ١٩٦٣ بين الحكومة المدنية في الصومال والاتحاد السوفييتى ، يحصل بمقتضاها الصومال على مساعدات عسكرية وهبات وقروض قيمتها ٣٥ مليون دولار ، وحينما اعتلت السلطة العسكرية الحكم في الصومال عام ١٩٦٩ وتولى سياد برى رئاسة مجلس الثورة ، زادت الروابط السوفييتية الصومالية ووافق السوفييت على مد الصومال بمعونة قدرها ٥٥ مليون دولار • بالاضافة الى تحصين في ميناء بربرة القريب من مدخل البحر الأحمر ، وقد تمت هذه التحصينات عام ١٩٦٩ ، واتخذ السوفييت منها قاعدة بحرية عسكرية عام ١٩٧٢ كما اتخذ من مطار هرجيسا قاعدة جوية •

وبلغ مجموع ما حصل عليه الصومال من السوفييت في أكتوبر ١٩٧٧ ما يزيد عن ٢٥٠ مليون دولار من المساعدات العسكرية ، هذا فضلا عن تواجد ألفى سوفييتى ، منهم ثلاثمائة من الخبراء العسكريين وكان هناك

١٧٢٥ من العسكريين الصوماليين للتدريب فى روسيا فى منتصف ١٩٧٤ . وأصبح لدى لجيش الصومالى ١٥٠ دبابة ت ٣٥ ، ١٠٠ دبابة ت ٥٤ مزودة بمدافع عيار ١٠٥ مم ومائتا بطارية ساحلية ٥٠ طائرة ميج ، ٢٨ قاذفة قنابل ، ووحدتا صواريخ أرض جو ، هذا فضلا عن بعثة سوفييتية قوامها ٣٦٠٠ روسى . بحيث يمكن القول أن السوفييت كانوا مسئولين عن تحديث الجيش الصومالى .

ولا شك أن هذا كان يمثل تهديدا خطيرا للاستراتيجية الأمريكية فى فى منطقة البحر الأحمر . فسيناء بربرة مقابل لعدن حيث تسهيلات البحرية السوفييتية ، وهذا بطبيعة الحال فى صـالح الاستراتيجية السوفييتية ، واستخدام هذه التسهيلات بالنسبة للسوفييت معنـاه اخـلال بالتوازن الاستراتيجى فى منطقة خليج عدن والبحر الأحمر والقرن الافريقى بعامة لصالحهم ، اذ يمكن التحكم فى المسـارات النفطية المتجهـة عبر بوغاز باب المنـدب .

مرحلة التحـول :

كانت الولايات المتحدة الاميركية تحتفظ بوجود رئيسى فى القرن الافريقى كما ذكرنا نتيجة وجودها فى أثيوبيا ، فيمكنها بفضل قاعدتها فى أثيوبيا وقواعدها فى اليونان وايطاليا ، استخدام القوة الجوية لوقف أى عمل سوفيتى فى الاقليم ، ولكن هذه الامكانية اختفت بعد عـام ١٩٣٧ فقد أعلنتها اليونان صريحة بأنها تتعاطف مع الدول العربيـة ، ورفضت التصريح للولايات المتحدة بأن تستخدم أراضيهـا كمحطات ضد اسرائيل بالسلاح أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم كان لاشتداد الحركة الارترية أثره فى تركها لقاعدتها فى أثيوبيا والانتقـال الى قاعدة دييجو جارسيا على بعد نحو ١٥٠٠ ميل من الساحل الافريقى .

مرحلة جديدة فى السياسة الامريكية :

وفيما يختص بالبحر الاحمر والقرن الافريقى بدأت مرحلة جديدة من السياسة الاميريكية وذلك بسبب زيادة الوجود السوفيتى فى الصومال والجنوب العربى ، وضعف الوجود البحرى الاميركى ، الحظر البترولى ، والحرب الداخلية فى أثيوبيا مع الحركة الارترية ، فضلا عن قيام حكومة فى أثيوبيا معادية للولايات المتحدة الامريكية ، وأدى هذا الى اعادة تقييم

ليسياستها فى منطقة القرن الافريقى ، ونتج عنها شبه تجمد فى العلاقات الأثيوبية الاميركية .

وكانت بداية اعادة النظر فى السياسة الاميركية فى القرن الافريقى عام ١٩٧٥ ، عندما طلب مجلس الثورة الاثيوبى معونة عسكرية من الولايات المتحدة الاميركية ، قيمتها ٢٥ لميون دولار لمجابهة الثورة الارترية ، ولكن وزارة الدفاع الاميركية لم تسمح سوى بما قيمته ٧ ملايين دولار فقط وكان هذا بداية اعادة تقييم للسياسة الاميركية فى المنطقة على ضوء اعتبارات متعددة غير سياستها لبحرية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فقد بدأت فى أثيوبيا الحركات الانفصالية وبدا للولايات المتحدة الاميركية أن أثيوبيا سوف تتفكك ، فقد أصبحت أديس أبابا مركزا للعنف كما كان اقليم غندرا مركز للحزب الديمقرطى الاثيوبى ، المرتبط بنظام هيلاسيلاسى ، وهناك الحركة الانفصالية الارترية ، وأخيرا وليس آخرا الصراع بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ، من ثم قررت حكومة الرئيس فورد الحد من برنامج المعونة المقدم لأثيوبيا ، فلم يعد لها نفس النفوذ السابق فى عهد هيلاسلاسى ، واستمرت هذه السياسة فى عهد الرئس كارتر .

وبدأت تبحث عن حلفاء جدد فى القرن الافريقى . فى نفس الوقت الذى كان الاتحاد السوفييتى يبحث فيه عن نفس الهدف ، فمنذ عام ١٩٧٥ ، وكلاهما يركز الجهد لتحقيق الهدف وزيادة السيطرة والنفوذ فى لمحيط الهندى .

واذا كانت السياسات قد تضاربت فى القرن الافريقى ، فقد أصبحت الولايات المتحدة الامريكية فى الجانب الدفاعى معزولة بالنسبة لهذا الاقليم ، من ثم حاولت الولايات المتحدة اتباع سياسة بناءة لاعادة نفوذها ومعادلة مكسب الاتحاد السوفييتى .

تبادل الاحلاف :

عندما اختزلت الولايات المتحدة الامريكية معونتها العسكرية لأثيوبيا . انتهز الاتحاد السوفييتى الفرصة ، ولبى واستجاب بسرعة لطلب مجلس الثورة الاثيوبى ، وكانت السلطة الاثيوبية فى أمس الحاجة الى تلك المساعدات فى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ نظرا للتقدم الملموس الذى أحرزته

الثورة الارترية ، وجبهة تحرير غرب الصومال فاندفاع الصومال في الاوجادين فتح جبهة ثانية أمام القوات الاثيوبية ، مما أظهر عجزها ، كما أصبحت الموانىء الارترية عرضة للهجمات المتعددة من حركتى الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا ، وحركة تحرير ارتريا اللتين احتلتا معظم ارتريا ، وأصبح ميناء عصب فى خطر دائم مما يترتب عليه شلل وانقطاع فى الداخل ، خاصة وأن الخط الحديدى الوحيد الذى يصل أديس أبابا بجيبوتى قد قطع ، ولم يعد فى الامكان استخدامه .

تقدم الاتحاد السوفييتى ليملأ هذا الفراغ العسكرى ، وبدأ فى ديسمبر ١٩٧٧ فى تسليم معونة عسكرية قدرت بنحو ٣٨٥ مليون دولار من الأسلحة ، يضم ٤٨ طائرة ميج مقاتلة ، ٢٠٠ دبابة ت ٥٥ ، وعددا من صواريخ سام ٣ ، وسام ٧ المضادة للطائرات ، وصواريخ مضادة للدبابات ، ووصلت أثيوبيا مجموعة من الخبراء الكوبيين لاسداء النصح فى العمليات العسكرية فى صيف ١٩٧٧ ، فضلا عن تكوين وتدريب جيش من الفلاحين يستخدم فى قمع الثورة الارترية .

موسكو اختارت أثيوبيا لأنها الأضمن

حينما اندفع الاتحاد السوفييتى فى سياسته الداعمة لأثيوبيا ، لم يكن متوقعا أن تعكر هذه السياسة صفو العلاقات السوفييتية ــ الصومالية ، وكانت رحلة فيدل كاسترو الى كل من أثيوبيا والصومال عام ١٩٧٧ بغرض تسوية الخلاف بين الدولتين ، يكون السوفييت قد كسبوا العصفورين معا ، أو جمعوا زوجين فى بيت واحد ، ولم يتوقعوا أن يكون رد فعل الصومال قويا بالنسبة لامداد أثيوبيا بالسلاح ، ورغم تحذير الصومال للسوفييت فيما يختص بامداد أثيوبيا بالسلاح فى نوفمبر ١٩٧٧ ، فقد اعتبر السوفييت هذا التحذير مجرد احتجاجات تعبيرية ، وأستمروا فى دعمهم المسلح لأثيوبيا .

واعتقد السوفييت أنهم بزيادة نفوذهم فى أثيوبيا ، يكونون قد وضعوا أيديهم على مفاتيح دولتين فى القرن الافريقى ، وطردوا النفوذ الاميركى من أثيوبيا ، فيخلو لهم الجو فى القرن الافريقى ، واذا نجحت اثيوبيا فى قمع الثورة الارترية فسيكسب السوفييت ميناءين جديدين هما عصب ومصوع ، يضافان الى ميناء بربرة فى الصومال كقواعد بحرية

للأسطول السوفييتى ، أو على الأقل يجدون فيها الترحيب والتسهيلات ، هذا فضلا عن التسهيلات التى يجدونها فى عدن كل هذا يحول البحر الأحمر الى بحيرة روسية .

أثيوبيا الأضمن :

ولكن من جانب آخر اعتقدت حكومة الصومال ، أن الروس سوف يكونون مجبرين على مساندة سياسة الصومال الخارجية ، نظرا لارتباطاتهم الضخمة بها ، ولحاجتهم للتسهيلات البحرية والجوية الصومالية . ولكن حينما بدأت سحب الحرب تتجمع فوق الاوجادين وكان الروس يبحثون عن وسيلة للارتباط بالنظام الأثيوبى الجديد ، وحانت الفرصة ، لم يسمحوا لها أن تقفز من بين أيديهم ، فكان الاتفاق العسكرى مع أثيوبيا فى ديسمبر ١٩٧٦ ، ورغم رحلة سياد برى الى موسكو لوقف الامدادات العسكرية لأثيوبيا ، فقد استمر الروس فى سياستهم مما أدى الى اعلان مجلس الثورة الصومالى طرد الخبراء السوفييت فى نوفمبر ١٩٧٧ .

وكان التحول الى أثيوبيا له ما يبرره فى نظرهم ، مادام من المتعذر الاحتفاظ بالاثنين معا ، فأثيوبيا أكبر من الصومال مساحة وسكانا ، وأكثر غنى ، ولها موانيها الجيدة على البحر الأحمر مصوع وعصب ، ولا ننسى أنها مقر منظمة الوحدة الافريقية ، هذا فضلا عن ضرب المصالح الاميركية فى أثيوبيا ، التى كانت تعتبر من قبل ركيزة أميركية فى القرن الافريقى .

دروس من التدخل السوفييتى :

وقد اتضح التدخل السوفييتى فى صراع الاوجادين قدرة الاتحاد السوفييتى الفائقة على نقل أسلحة ثقيلة من دبابات ومدفعية وعربات مدرعة لآلاف الأميال من شرق أوروبا وليبيا ومن الاتحاد السوفييتى نفسه مما كان له أثره فى انقاذ أثيوبيا ، وثبت أيضا أن الاتحاد السوفييتى ، أصبح يضمن بأبنائه فى مثل هذه الصراعات ، مع ما قد يتعرضون له من عنف ، فعملوا على تقليل أعدادهم ، وحل محلهم بالوكالة الكوبيون فى أفريقيا ، وقد قدر عدد هؤلاء عام ١٩٧٩ بما يتراوح بين ٨ آلاف الى خمسة عشر ألفا وكانت تجربة استخدامهم فى أنجولا ناجحة ، فكررها مرة ثانية فى القرن الافريقى ، وعمل الكوبيون بصفة خاصة فى قيادة

الطائرات حين تقل الكفاءات الافريقية عن تشغيل طائرات الميج ، وفى نفس الوقت يرسل الطيارون الروس الى كوبا ، ليحلوا محل الكوبيين الذين أرسلوا الى أفريقيا ، فالمخاطرة فى نشوب حرب أو انقلاب فى كوبا أقل منه فى الدول الافريقية بكثير • ومن المظاهر التى تميز بها التدخل السوفييتى فى القرن الافريقى أيضا ، ذلك الحشد من القيادات العسكرية على مستوى عال كزيارة وزير دفاع السوفييت د•ف• أو ستينوف وكبار قادة السوفييت لأديس أبابا فى يناير ١٩٧٨ ، وكذلك الاجتماع الذى ضم جنرال كوليكيانوف وراؤول كاسترو وزير دفاع كوبا فى أديس أبابا فى ذلك العام • كذلك أصبح السوفييت يعملون حسابا للتطورات المضادة لمصالحهم ، فمن أهم الانجازات التى قاموا بها فى بربرة اقامة حوض جاف عائم ، يمكن تحريكه بسهولة ، وهذا ما حدث عندما ساءت علاقته مع الصومال •

هل تعود السياسة الأمريكية لدعم الصومال ؟

نتيجة التدخل السوفييتى الكاسح فى أثيوبيا ، ونشاطهم الناجح فى القرن الافريقى ، فى الوقت نفسه الذى عزلت فيه الولايات المتحدة الامريكية ، ضغط الرئيس كارتر على الزر الأخضر لنائبه والتر مونديل ووزير خارجيته بالتحرك بكل وسيلة ممكنة لارجاع الصومال الى زمرة الأصدقاء وذهب دكتور كفين كاهيلى كمبعوث غير رسمى الى الصومال فى يونيو ١٩٧٧ ليوحى بامكان المساعدة العسكرية اذا ما انفض التقارب السوفييتى الصومالى ، وفى نفس الشهر صرح الرئيس كارتر بأن الولايات المتحدة الامريكية لم تقطع الأمل فى اخراج الصومال من المحور السوفييتى (نيويورك تايمز ١٢ يونيو ١٩٧٧) كما قابل منفردا سفير الصومال فى واشنطن ، وفى الشهر التالى صرح وزير الخارجية الأمريكى بأنه يمكن للصومال الوصول الى مصادر أسلحة غير المصادر السوفييتية (نيويورك تايمز ٢٧ يوليو سنة ١٩٧٧) ، ويعتقد البعض أن هذه كانت القشة التى قصمت ظهر البعير فى السياسة الصومالية ، ذلك أنها قضت على خوف المعارضة من ترك أو تخلى الاتحاد السوفييتى عن الصومال •

ولكن الذى حدث بعد ذلك أخذ يثير تساؤلا ، فرغم الاشارات الخارجية من البيت الأبيض والخارجية الامريكية بمعونة الصومال

ومساعدتها عسكريا ، ورغم المبعوث غير الرسمى دكتور كاهيل فقد تحفظت الولايات المتحدة حينما نشب القتال ، وخرجت تصريحات أخرى من الخارجية الاميركية بأنه يمكن مد الصومال بالأسلحة الدفاعية اذا ما توقفت اعتداءاتها وصرح المتحدث الرسمى فى سبتمبر ١٩٧٧ بأن حكومة الولايات المتحدة ترى أن تزويد الصومال بالسلاح معناه اضافة وقود للنيران المشتعلة فى القرن الافريقى ، والتى يهم الولايات المتحدة اطفاؤها • وصرح سفير الصومال فى واشنطن بأن الولايات المتحدة الاميركية قد تركت فرصة فريدة فى القرن الافريقى •

بماذا يفسر الموقف الأميركى ؟

اتصفت السياسة الاميركية فى عهد الرئيس كارتر بالتردد ، وعدم اللجوء الى سياسة المواجهة السافرة مع الاتحاد السوفييتى •

أن أثيوبيا على مبدأ احترام وقدسية الحدود التى تدين به منظمة الوحدة الافريقية ، ولا تريد الولايات المتحدة الاميركية أن تخالف المنظمة الافريقية •

ان لأثيوبيا أهمية استراتيجية وتاريخا من العلاقات القوية مع الولايات المتحدة الاميركية من ثم لا تريد الولايات المتحدة الاميركية قطع حبل الاتصالات معها ، بل العكس ترغب فى عودة العلاقات معها ، فرغم طرد أثيوبيا للبعثة الاميركية فى أبريل ١٩٧٨ وأنهت جميع التسهيلات الاميركية ، ومع ذلك فقد عين سفير أميركى فى أديس أبابا •

التخوف على مصير الحليف الأساسى فى المنطقة وهو كينيا . ذلك أن للصومال ادعاءات مماثلة فى اقليم « الانفدى » فى كينيا •

قد تكون هناك مخاوف مشابهة لمخاوف اسرائيل من أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية •

من ثم كانت سياسة الولايات المتحدة التى رأيناها والتنسيق مع دول غرب أوروبا فقد صرح سياد برى بعد رحلة لألمانيا الغربية وبريطانيا فى يونيو ١٩٧٨ لمندوب « لوموند » بأنه لم يتلق سوى اجابات مترددة وغامضة بشأن الحصول على السلاح من الغرب •

ولكن يبدوا أن البرود الذى أصاب العلاقات الاميركية فى طريقه الى زوال ، فقد أعلن الرئيس الصومالى فى مارس ١٩٨٠ لأول مرة ، أن حكومته قد وافقت على السماح بتسهيلات للبحرية الاميركية والقوة الجوية الاميركية بعد أحداث ايران وأفغانستان مما تطلب زيادة للوجود الاميركى فى المحيط الهندى ، وفى مقابل هذه التسهيلات التى تشمل القاعدة البحرية التى أنشأها السوفييت فى بربرة ، ستزود الولايات المتحدة الصومال بالسلاح ٠

والصومال لا شك فى أشد الحاجة اليه بعد أن نفذ السلاح السوفييتى فى معارك الاوجادين فى ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ٠

فهل يكون هذا مؤشرا بدوره لجولة أخرى ؟ ٠

عجز الأمم المتحدة :

كان أول عرض لموضوع الصومال على الأمم المتحدة حين اختلف وزراء خارجية الدول الكبرى على وضع الصومال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتصفية أملاك ايطاليا ، ومن ثم قرروا رفع الأمر الى الجمعية العامة فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ كما سبق أن ذكرنا ، وبدأت قراراتها تتوالى بعد ذلك فيما يختص بمسألة الحدود حين قامت مشكلات الحدود بين بريطانيا وأثيوبيا فيما يختص بالصومال البريطانى ، وبين ايطاليا وأثيوبيا فيما يختص بالصومال تحت الوصاية الايطالية ، وكما هى العادة كانت كل قراراتها تتلخص فى ضرورة تحديد أجزاء الحدود التى لم تحدد بعد ، وأنها تلاحظ بقلق التوتر على الحدود ، وأنها تحث الحكومات على بذل مزيد من الجهد فى سبيل الوصول الى تسوية نهائية لمسألة الحدود بالمفاوضات المباشرة أو تطلب من الأطراف انشاء لجنة تحكيم أحيانا ، ثم تأسف الجمعية العامة لأن الحكومتين لم تتوصلا حتى الآن الى اتفاق بشأن اختصاصات محكمة التحكيم ، وتحث الطرفين مرة أخرى على مضاعفة الجهود لتنفيذ قراراتها من الكليشيات التى أظن أنها مطبوعة ومعدة أمام الأمين العام ، تستخدم فى جميع المشكلات ، وما على الأمين العام الا أن يوقعها ويضع أسماء الأطراف المعنية مع شىء من التغيير الطفيف الذى يناسب كل حالة ، ويتفق مع كل موقف ٠

بعد استقلال الصومال وظهور منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ ، اعتبرت الأمم المتحدة أن هذه المنظمة هى المسئولة عن حفظ السلام والأمن فى القارة بالدرجة الأولى • وتركت لها حل هذا النزاع الاقليمى •

وكان أول قرار لمؤتمر رؤساء ودول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية المنعقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ فيما يختص بموضوع الحدود السياسية هو :

« نظرا لأن مشكلة الحدود تشكل عامل انقسام خطير ودائم ، ونظرا لأن المناورات الخارجية عند افريقيا تهدف الى بث الفرقة بين الدول الافريقية ، ونظرا لأن حدود الدول الافريقية تشكل واقعة ، فان المؤتمر يعلن جادا أن تتعهد كل الدول الأعضاء باحترام الحدود الموجودة عند حصولها على استقلالها القومى » •

وفى الحق ، تقوم سياسة المنظمة الافريقية تجاه مشكلات الحدود السياسية فى أفريقا بصفة عامة ، على رفض حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب بعد نيلها للاستقلال ، وترى ضرورة تقبل الحدود كما هى موروثة عن العهد الاستعمارى ، على أساس أن غالبية الدول الافريقية تتداخل فيها التركيبات العرقية والدينية والقبلية ، مما يؤدى الى زيادة الانقسام وزيادة حدة الخلافات من ثم ألزمت دولها بالمحافظة على الوضع القائم فيما يتعلق بالحدود ، والعمل على حلها بالطرق السلمية ، عن طريق التفاوض وتكوين « لجنة الوساطة والتوفيق والتحقيق » وان لم يكن لهذه اللجنة صفة قضائية ، وليست لها قوة فرض العقوبات •

ويلاحظ أن موقف المنظمة هذا يساند موقف كينيا وأثيوبيا ، ويخالف سياسة الصومال ، من ثم حظيت أثيوبيا وكينيا بتأييد الدول الافريقية ضد الصومال •

وخلاصة القول أن المنظمة الافريقية لم تزد صلاحيتها عن صلاحية أمها الكبرى الأمم المتحدة فى التوصية بالمفاوضات ولجان التحكيم ، والمناداة بوقف اطلاق النار ، والمناشدة بوقف الدماء المسفوكة ، فضلا عن التأكيد على قدسية الحدود وهو ما لا تعترف به الصومال •

لذلك سيظل الوضع متوترا طالما اعتبرت الصومال فى أن خلق الصومال الكبير يعتبر هدفا قوميا لابد من تحقيقه •

ويوضح الجدول التالى الاراضى الصومالية التى تطالب باعادتها جمهورية صوماليا :

المناطق المغتصبة	الدولة الداخلة فى حدودها	المساحة التقريبية	طول الحدود	حالة الحدود
هود وأوجادين والمنطقة المحجوزة	أثيوبيا	٦٥ر٠٠٠ ميل مربع	٩٩٤ ميلا	تم تعيين de marcation جزء منها والباقى متنازع عليه أو محدد كحدود ادارية وهى نقطة تقاطع بين ٨ شمالا ٤٨ شرقا
جميع أراضى (جمهورية جيبوتى)	اقليم الساحل الصومالى (الصومال الفرنسى) (جمهورية جيبوتى)	٨ر٤٩٤ ميل مربع	٣٦ ميلا	حدود معينة
الاقليم الشمالى الشرقى لكينيا	كينيا	٥٠ر٠٠٠ ميل مربع	٤٢٤ ميلا	حدود معينة

مراجع اجنبيــة

— Abir, mordechai, «The Contentious Horn of Africa», Conflict Studies, London, June 1972.

— Bouyer Bell, J., «The Horn of Africa, Strategic magnet in the Seventies» New York 1973.

— Clapham, Christopher, «Ethiopia and Somalia» in «Conflicts in Africa», Adelphi papers, London, No. 93.

— Drysdale Jhon, «The Somali Dispute Landon 1964.

— Feraidoon Shams B. «Conflict in the African Horn» Current History December 1977.

— Gitelson, Susan Aureila, «Escalating Conflicts in the Horn of Africa» Middle East Reviex, Summer 1978.

— Greenfold Richard, «The Ogaden-Province or Colony» The Scramble and after», West Africa, 3 October 1978.

— ——— The Fate of Harar and the Bogaden. West Africa, 5 December 1977.

— ———, The Crises in the Horn, The Eritreans, The Somalis and the Powers, West Africa, 17 Ostober 1977.

— Latin, David, D., «The Political Economy of Military Rule in Somalia Jour. mod. Af. Studies, 14, 3, 1976 PP. 449-468.

— Lewis, I.M. Peoples of the Horn of Africa» London 1955.

— Lewis I.M., Recent development in the Somalia Dispute, African Affairs, vol 66, No. 263, London 1967.

— Ndege, William, «Climate of Confrontation in the Ogaden», Africa, No. 105, London May 1980.

— Touval Saadia, Somoli Nationlism, Harvard U.P, 1963.

— Payton, Gary, D. The Somali Coup of 1969», Jour. Mod. Af. Studies 18, 3, 1980, 493-508.

— Wornon off, «Arica's Expanding Crisis», Africa Report, March April 1979.

مراجع عربية

- ابراهيم توفيق آمال : مشكلات الحدود فى القرن الافريقى « رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة » . ١٩٧٧ .

- سعودى محمد عبد الغنى « الاقتصاد الافريقى والتجارة الدولية » ، القاهرة ١٩٧٣ .

- سعودى محمد عبد الغنى : الصومال ، عضو جديد فى جامعة الدول العربية ، مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد الخامس ١٩٧٤ .

- سعودى محمد عبد الغنى : افريقية ، دراسة فى شخصية الاقاليم القاهرة ، ١٩٧٦ .

- سعودى محمد عبد الغنى : الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

- عبد المنعم يونس : الصومال القاهرة ١٩٦٢ .

- مجلة السياسة الدولية : ملف خاص عن النزاع الصومالى . عدد ١٩ يناير ١٩٧٠ .

العلاقات الدولية فى قرن افريقيا

د. محمود على توريارى
أستاذ ورئيس قسم القانون الدولى
بجامعة الصومال الوطنية

ان قضية القرن الأفريقى هى اليوم من أهم قضايا الساعة ، بل هى فى نظرنا محور العلاقات الدولية فى هذا الجزء من القارة الافريقية ، وهى تشمل مجموعة قضايا متفرعة فى المنطقة تتفاعل فيما بينها ، وتتأثر بها سياسات دول المنطقة بصورة مباشرة وغير مباشرة وبالتالى تنعكس على صراعاتها فى السياسة الخارجية والعلاقات الدولية فضلا عن السياسات الاقليمية للقارة الافريقية .

وأركز فى هذا البحث على هذه القضية بصورة رئيسية ، لاننى — أولا — أرى القضية لا كمجرد عرض مصلحة الجانب أو طرف من القضية فحسب بل كعامل رئيسى من العوامل التى تلعب دورا هاما فى تكوين أو تحديد اطار العلاقات الدولية فى المنطقة سواء كانت العلاقات ايجابية أو سلبية ، اقليمية أودولية . ولاننى — ثانيا — أرى أن القضية لا تصور معالم العلاقات الدولية فى المنطقة فحسب ، بل تتحكم الى حد ما على أبعاد هذه العلاقات ومصيرها أيضا ، كما نوجه اهتمامنا الى القانون الدولى ومبادئه الأساسية التى تحكم قدرا كبيرا من هذه العلاقات ، ولاننى — ثالثا — أرى أن القضية ، بالاضافة الى أن لها واقعا اجتماعيا دوليا له اعتباره فى المقام الأول فى العلاقات الدولية ، تعيش فى موقع استراتيجى له أهميته فى توسيع نطاق هذه العلاقات وتعقداتها .

القضية وخلفياتها التاريخية

نرى ، تاريخيا ، أن القطر الصومالى وجد منذ القدم فى أيام الفراعنة القدماء والاغريق ، وأنه كان لهذا القطر ذاتيته حيث كان يعرف أرض الصومال بأرض « بونت » والشعب الذى كان يقطنه كان يعرف بالشعب

الصومالى • وأن حدود هذا القطر هى : البحر الأحمر وخليج عدن شمالا، والمحيط الهندى شرقا وجنوبا وهضبة الصومال غربا • وعلى ذلك فان الامبراطورية الاثيوبية كما نراها اليوم تكونت حديثا ، وأنه حتى وقت قريب كان الاقليم الحبشى مقصورا على المرتفعات الاثيوبيــة ، وكان يطلق عليه « مملكة أكسوم » وكانت الحبشة محصورة فى شمال أثيوبيا الراهنة حتى أوائل الخمس الأخير من القرن التاسع عشر عندما توسع الامهريون فى اتجاه الجنوب ، وبذلك انتقل مركز السيطرة السياسيــة الحبشية من « اكسوم » الى المرتفعات الوسطى • وحتى الجزء الأخــير من القرن التاسع عشر كانت المملكة الحبشية تنحصر فى المرتفعات الوسطى : أمهرا ، وجوجام ، وشوا الشمالية ، وتيجرى الجنوبية • وكانت جــوندر عاصمة للحبشة لفترة من الزمن ، وأخيرا تركزت العاصمة فى أديس أبابا فى عام ١٨٨٩ م • وانه طوال هذه المراحل كانت شعوب مستقلة تقطن فى حدود المملكة الاثيوبية شرقا وغربا وجنوبا • ومن ذلك يتضح أنه لم يكن ثمة جزء من الاقليم الصومالى فى أى وقت كان تابعا للحبشة قبــل التقسيم الاستعمارى •

وفى أواخر القرن التاسع عشر فقط بدأت المملكة الحبشية تتوسع الى الشرق والى اتجاه الجنوب ، وذلك عندما قسم الاستعمار أرض الصومال (١) •

وبظهور الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القرن الافريقى نتيجــة لشق قناة السويس وافتتاحها عام ١٨٦٩ م • بدأت عملية التنافس الاستعمارى الاوربى فى تلك المنطقة بين كل من بريطانيا وفرنسا ، فقد استترت هــذه الدول تارة باسم المعاهدات مع السلاطين والامراء ورؤســاء القبــائل الصومالية ، وتارة أخرى باسم استئجار الموانى أو التجارة كمنطقة انطلاق الى أجزاء أخرى من الاراضى الصومالية ، فمثلا عقدت فرنسا عقــدا تجاريا مع أعيان منطقة « أوبخ » وتحول ذلك العقد بعد مدة الى احتلال فرنسى مباشر حتى أصبح القطر كله جزءا لا يتجزأ من فرنسا بمقتضى دستور سنة ١٩٤٦ م (٢) •

واحتل الانجليز المنطقة الصومالية الشماليــة عام ١٨٨٤ م بصفــة تجارية بعد انسحاب المصريين منها وفرضــوا الحماية عليها فيما بعــد

فاطلقوا « محمية الصومال البريطانى » (سابقا) . وجاء المستعمرون الايطاليون الى الصومال الجنوبى عام ١٨٨٦ م باسم تلك الوسائل المذكورة ، واصبحت هذه المنطقة أيضا مستعمرة ايطاليه .

أما الحبشة التى كانت ، كما ذكرنا ، فى حدود ضيقة قبل دخول الاستعمار الى هذه الأراضى فقد انتهزت فرصة هذا التنافس الأوربى . واستوردت من مختلف الدول الأوربية كميات ضخمة من الاسلحة التى مكنت منيليك ، ملك الحبشة آنذاك — من تحقيق حلمه فى تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف ، حيث وجه قادته العسكريين لتوسيع الحدود الحبشية نحو الجنوب والغرب من الأراضى الصومالية قبل أن يسبقه اليها منافسوه الأوربيون (٢) . ولجأت هذه الدول الاستعمارية الى اسلوب المساومة السلمية مع الحبشة ، وذلك باشتراكها فى عملية التوزيع الاقليمى فى المناطق التى يسكنها الصوماليون (فى القرن الافريقى) وفقا لمعاهدات أبرمتها كل من هذه الدول الأوربية الثلاث مع أثيوبيا . وقد تم ذلك على مراحل حتى اكتملت صورة الخريطة السياسية الحالية لاثيوبيا .

بدأت هذه العملية عام ١٨٨٧ م عندما احتلت أثيوبيا منطقة « هرر » ثم غزت منطقة « أوجادين » فى عام ١٨٨٩ م بموافقة من بريطانيا ، كما ضمت الحبشة اليها منطقة « هود » .

وفى عام ١٩٣٠ م قام نزاع بين ايطاليا واثيوبيا حول الحدود الفاصلة بين المنطقتين الصوماليتين المحتلتين منهما ، وأدى هذا النزاع فى نهاية عام ١٩٣٤ م الى قيام ايطاليا بغزو أثيوبيا ، وأسفر الغزو عن ضم الأخيرة الى ايطاليا فى مايو عام ١٩٣٦ م ، كما أصبحت منطقة أوجادين جزءا من الصومال الايطالى (١) .

وقد أدت نتائج الحرب العالمية الثانية الى تعديلات جديدة فى أوضاع منطقة القرن الافريقى بصفة خاصة والعلاقات الدولية فى المنطقة بصفة عامة ، فقد أعيدت الى أثيوبيا سيادتها ، ووضع « الهود » واقليم الصومال الغربى المعروف سابقا بـ « اوجادين » تحت اشراف عسكرى بريطانى وكذلك كان الحال بالنسبة للصومال الايطالى ، بصفة مؤقتة .

وقد شهدت الخمسينات أكثر من نزاع على الحدود ، لأن الخط الفاصل المؤقت الذى اتفقت عليه كل من اثيوبيا وبريطانيا فى عام ١٩٥٠ م لم يكن يشمل سوى جزء من الأراضى الصومالية • وفى عام ١٩٤٥ م تنازلت بريطانيا من جديد لاثيوبيا عن منطقتى « هود » والصومال الغربى (أوجادين) (٢) •

نرى بعد هذا الاستعراض التاريخى القصير أن نلفت النظر الى بعض سمات الاستعمار أو السيطرة الاثيوبية على المناطق الصومالية ، وذلك بأن طبيعة الحكم الاثيوبى يختلف تماما ، فى بعض الأوجه ، عن الحكم الاستعمارى الاوربى فى الاراضى الصومالية ، ومن ذلك ، أولا ، أن الاستعمار أوبسط النفوذ الاثيوبى يحمل فى طياته روح عقلية القرون الوسطى ، تلك الروح التى قادت الاحباش القدامى الى الجزيرة العربية لهدم ما توصلت اليه الحضارة الانسانية فيها • فقد شنت الحبشة حروبا صليبية على شعوب المنطقة المسلمة (٣) • وقد تركت هذه الحروب الصليبية أثرها المميز للحكم الاثيوبى ، على هذه المناطق ، عن أثر الاستعمار الأوربى ، فكانت الحبشة تمارس التفرقة الدينية فى الحياة الاجتماعية ، وأبت أن تنشىء مدارس ومستشفيات فى هذه المناطق ، وكانت تفرض على سكان المنطقة ما عرف فى الحروب الدينية القديمة « بالجزية » التى تختلف عن الضرائب لا فى القواعد العامة فحسب بل على كيفية معينة لأخذها التى تمثل ابشع ضروب الاهانة للمعاملة الانسانية وهى وسائل عفى عليها الزمن منذ وقت بعيد • فالتفرقة الدينية التى مارستها السلطات الحبشية فى جميع المجالات عمقت آثار الحروب الصليبية وحرمت الأهالى من ممارسة حقوقهم الاساسية فى الامبراطورية الحبشية ، كما شجعت اقامة مستوطنات حبشية فى الأراضى الصومالية على حساب طرد السكان الأصليين واخلائهم الى البلاد المجاورة كلاجئين مثل ما تفعل اليوم الحكومة الاسرائيلية فى الأراضى العربية •

الفرق الثانى بين الاستعمار الحبشى والاستعمار الأوربى هو أن الدول الاستعمارية الأوربية عقدت اتفاقيات مباشرة مع الزعماء الصوماليين وأعيانهم لتجعل تلك الاتفاقيات مسوغا قانونيا لاحتلالهم كما أشرنا سابقا ، غير أن سلطات الاحتلال الاثيوبية التى شاركت المستعمرين

الأوربيين فى تقسيم وتجزئة الأراضى الصومالية لم تعترف بأى وجـود صومالى فى المنطقة وبعبارة أخرى لم تعترف بوجود أمة صوماليةفىالمنطقة تستحق فى نظرهم المفاوضة معهم فى شئون تخصهم أو تمس بمصالحهم بل بمصيرهم •

وخلاصة القول ان احتلال الحبشة لاقليم الصومال الغربى والمناطق المتاخمة له ، ووجودها الفعلى يختلف عن الاستعمار الأوربى من حيث المضمون ، اذ أن استعمارها يتأصل الى جـذور الحـرب الصليبية ذات الخطورة البالغة كما يختلف أيضا عن الاستعمار الأوربى من حيث الشكل، اذ أن المسوغات المبررات القانونية الشكلية التى اتبعتها الدول الاستعمارية قبل الاحتلال فى المناطق التى احتلتها هذه لدول ، وبالتالى كانت أيضـا تعترف ضمنيا بأن الاحتلال والوجود الأوربى فى الأراضى الصوماليـة أنه مؤقت بينما الاسـتعمار الحبشى ــ وهـو ينـكر حقوق الشعب الصومالى ــ يستند وبصفة رئيسية فى احدى مسوغاته على الاتفـاقات الاستعمارية التى بموجبها تنازلت أو اعترفت لها الدول الأوربية مناطق شاسعة من الأراضى الصومالية •

الاتفاقيات الاستعمارية والقانون الدولى

أن الاتفاقات الاستعمارية يمكن تقسيمها من أجـل التبسيط الى قسمين لا من حيث طبيعتها أو ملابساتها الاستعمارية فحسب ، ولـكن أيضا من حيث الأولوية والاستراتيجية •

فالاتفاقات ذات الاستراتيجية قصيرة المدى مثل اتفاقات الحمـاية تمثـل تخطيطا اسـتعماريا لايجـاد نقطة ارتكاز فى البلاد ، ومنها ينطق لبسط نفوذه على سائر الاجزاء المتبقية وعلى البلاد المجاورة كنقطـة الوثوب اليها • أما الاتفاقات ذات الاستراتيجية بعيدة المدى مثل اتفاقات التجزئة المبرمة مع الحبشة فهى تمثل تخطيطا استعماريا مماثلا وللمدى البعيد لضمان تنفيذه فى المنطقة ككل • وتفصيل ذلك هو :

١ ــ اتفاقيات الحماية :

ان الاستعمار يستخدم دائما وسائل مختلفة ومتعددة يتوصل بهـا الى هدف معين من أهـدافه ، ويتكيف حسب ظروف البـلاد الداخلية والموضوعية لتنفيذ خطة ذات الاولوية • فعلى أسـاس هـذه الظروف وما ترتب عليها بدأ الاسـتعمار يتفاوض ويعقـد مع أعيان السـكان الصوماليين اتفاقات مختلفة كانت تحددها تلك الظروف من جهة والمفاهيم المحدودة للقومية الصومالية فى اطار اتفاقات الحماية الاستعمارية من جهة أخرى ، وقد أثبت فى هذه الاتفاقات علاقة وجود كيان الشعب بأرضه وقدسية هذه الأرض ، ويعنى هـذا أن أوجزنا ، انعكاس حق سيـادة الشعب على الارض كان واضحا فى اتفاقية الحماية البريطانيـة وبقيـة سائر اتفاقات الحماية للدول الاستعمارية الأخرى • ومهما كانت لهـذه الاتفاقات طابع الضغوط الاستعمارية بأشكالها المختلفة على شـعوب المنطقة الا أنها أثبت فيها ممارسة هذا الحق الشرعى على ملكية أراضيهم خلال قرون طوال مرت عليهم دون أى منازعات فيها ودون أن تحظى أية قوة اقليمية أن تنتزع هذا الحق •

ولما جاءت قوة أجنبية متفوقة على قوة السكان المـادية أصبحـوا مضطرين أن يخضعوا لها على شروط معينة ، وأهم هذه الشروط هى حمـاية أراضيهم من أى قوة أجنبيـة أخـرى مقـابل ادارة المستعمرين على شئونهم بصورة مؤقتـة ، وترى الصـومال ــ من وجهـة النظر القانونية ــ بأن اتفاقات الحماية تؤكد وتعترف بحقوق السكان المشروعة على أراضيهم وتثبت الواجبات التى حملت الدول الاستعمارية على عاتقها لحماية هذه الأراضى الى أن تستقل شعوبها غير أن مناوئى هذه الحقوق ، وبعبارة أدق ، مناوئى وجهة النظر الصومالية ــ وان اختلفوا فى أساليب آرائهم ، سياسية كانت أم قانونية أم مزدوجة منهما ــ يرون بأنه ليس لرؤساء القـبائل الصوماليـة الذين وقعوا تلك الاتفـاقات مـع الدول الاستعمارية أهلية أو شخصية قانونية فى مفهوم القانون الدولى ، وذلك لسببين فى نظرهم :

أولهما أن السكان قد تنازلوا للمستعمرين عن حقوقهم على ممارسة شئوونهم الخارجية • ثانيهما وقع اتفاقات الحماية من جانب السـكان

الصوماليين عدد كبير من رؤساء القبائل الصومالية مما يدل على أنه ليس هناك وحدة سياسية أو كائن سياسى يبرهن على تلك الاهلية (٤) •

أن هذه الآراء لا تستند كلية فى نظرى ــ الى قواعد القانون الدولى الحديث المعترف بها بقدر ما تستند الى قواعد العرف الاستعمارى التى تقسم شكليا المحميات على نوعين فى وضعها القانونى على الآتى :

١ ــ الحماية الاتفاقية وهى تنشىء ــ حسب العرف الاستعمارى ــ علاقة معينة غير متساوية بين الدول الاستعمارية الحامية وبين الدول والشعوب •

٢ ــ والحماية التى تفرض عادة على الشعوب غير المسيحية وهى تتم اما باعلان من الدول الحامية أو باتفاق بينها وبين رؤساء القبائل والشيوخ العشائر والصنف الأول من الحماية تتمتع الشعوب حسب العرف الاستعمارية بشخصية دولية أما الثانى لا تتمتع بالشخصية القانونية ، وتتيجة على هذا فان اتفاقات الحماية الاستعمارية بين الدول الحامية وبين رؤساء القبائل الصمالية لا تعتبر اتفاقات دولية ذات أثر قانونى (٤) •

أن حججا كهذه لا يمكن ان تكون مقبولة كسند قانونى يمكن على أساسه انكار حقوق الشعوب والأمم ، وهى حجج يستند أصحابها الى القواعد العرفية الاستعمارية دون أن يكون لها أية صلة بالقانون الدولى الحديث ، بل تناقضه تناقضا بينا • لأن هذه القواعد هى التى أباحت للدول الاستعمارية الاستيلاء على أقاليم مختلفة فى قارات : آسيا وأفريقيا وغيرها وأعتبرت على هداها أقاليم مباحة لكونها مسكونة لشعوب أو دول لاتعترف لها الدول الأوربية حقوق السيادة على أراضيها •

أن قواعد الاستيلاء الاستعمارية وما يترتب عليها من انكار الحقوق الأساسية للانسان أنشأتها الدول الاستعمارية وجعلتها عرفا دوليا استعماريا منشؤه وسنده تكرار تصرفات وسوابق استعمارية أتبعتها الدول الاستعمارية فى علاقاتها الدولية المتبادلة فيما بينها الحماية مصالحها المبنية على النهب والسلب والظلم والاستبداد والتمييز العنصرى وغير ذلك من أعمال بربرية •

والتمييز بين حقـوق الشـعوب والأمم وانكـارها لهـو جـزء من هـذه القـواعد العرفية الاستعمارية لم يسمح ولن يعترف القانون الدولى الحديث بتكرراها واستمرارها واستقرراها حتى فيما بين الدول الاستعمارية التى أنشأتها كعنصر مادى لوجود قاعدة عرفية ، كما أن هذه القواعد فقدت عنصرها المعنوى كشرط آخر لوجودها ، وهو أن الدول الاستعمارية التى تفرق بين وسـائل الاستيلاء الاستعمارى على أراضى الالزام القانونى مثلا •

ان قواعد القانون الدولى الحديث لا تعترف بتلك القواعد العرفية الاستعمارية التى تفرق بين وسائل الاستيلاء الاستعمارى على الأراضى الغير بضغط وبقهر من السلطات الاستعمارية من جهة ، وتميز أيضـا بين حقوق مواطنى المحميات فى الأثر القانونى على أساس تقسيمها الشكلى من جهة أخرى •

فالحكومات الاستعمارية عندما اتصلت بشعوب المنطقة وتفاوضت مع رؤساء قبائلها أو عشائرها بصرف النظر عن المقاصد والمطامع الاستعمارية كان اعترافا ضمنيا بالأهلية القانونية لمن كانت تتفاوض معه وبحقهم على ملكية أراضيهم التى بشأنها ومن أجلها جرى التفاوض من الجانبين على أساس حماية هذه الأراضى مقابل تنازلهم عن بعض شئون البـلاد ، كما ذكرنا سابقا ، للادارة الاستعمارية ، وتحولت هذه العلاقة السياسية بين الطرفين الى علاقة قانونية عندما صيغت فى احدى اتفاقات الحماية •

وليس من المنطق أو المبادىء العامة للقانون انكار الأثر القانونى لهذه الاتفاقات مهما أختلفت درجة تفاوت هذا الأثر فى القانون الدولى والقانون الداخلى •

من المسلم به أن حق الشعوب ، مهما كان نضوجها السياسى ، ان تدخل فى علاقات ثنائية ذات طابع قانونى مع أشـخاص القانون الدولى كما تثبت عمليا ، فضلا عن الجانب النظرى ، سوابق قانونية فى المـاضى والحاضر • فقد عقدت حكومات أمريكا اتفاقات عديدة مع رؤساء قبائل الهنود فى أمريكا وأعتبرت المحاكم الامريكية جميع الاتفاقات المبرمـة مع تلك القبائل قبل ٣ مارس ١٨٧١ اتفاقات بالمعنى الصحيح حتى اليوم(٦) كما أن محـاكم بريطانيا أعتبرت فى كثير من الحالات ، اتفاقات أبرمتها

الحكومة البريطانية مع رؤساء قبائل وعشائر فى مستعمرات فيما وراء البحار ، اعتبرتها اتفاقيات دولية كالتى دخلتها مع الدول الأجنبية ذات السيادة الكاملة (٧) .

ونلاحظ هـذه الحقيقة فى رأى مجلس البلاط البريطانى فى قضيـة هاونى توكينو ضد لجنة مقاطعة فاروى ، حيث عقدت بريطانيا اتفاقيـة وتانجى مع قبائل ماورى فى نيوزيلاندا سنة ١٨٤٠ (٧) واعتبرتها اتفاقية دولية حقيقية ذات أثر قانونى بين الدول . كما أن لحركات التحرير اليوم علاقات ثنائية مع الدول المختلفة مثل حركة التحرير لفلسطين ، وأريتريا وحركة الصومال الغربى وغيرها .

أن وجهة النظر الصومالية تفرق بين اتفاقات الحماية التى دخل برضى أو بغير الرضى أهالى المنطقة مع الدول الاستعمارية الحامية التى استعرضناها بايجاز وبين اتفاقات التجزئة والضم التى سنتكلم عنها .

اتفاقيات التجزئة والضم

انه من الاتفاقات الاستعمارية التى جزأت الوطن الصومالى وشعبـه الى أجزاء وأقسام يخضـع كل منها لدولة من دول الاسـتعمار الأربع المشتركة فى التقسيم الاتفاقية الايطالية الحبشية لسنة ١٨٩٧ التى بموجبها تنازلت ايطاليا للحبشة عن جزء كبير من القطر الصومالى بما فى ذلك المنطقة المعروفة عندئذ بأوجادين ، والاتفاقية الايطالية الحبشية الأخرى لسنة١٩٠٨ التى على أساسها تقرر الخط الراهن الفاصل بين الحبشة والصـومال (الايطالى سابقا) وكلاهما يناقض معاهدة الحماية الايطالية المعقودة بين ايطاليا والسلاطين الصوماليين .

ومن بين هذه الاتفاقات البريطانية الحبشية المبرمة سنة ١٨٩٧ بشأن تحديد الحدود ، وكذلك الاتفاقات البريطانية الحبشية لعامى ١٩٤٨ و ١٩٥٤ التى سلمت بريطانيا بموجبها للحبشة الاجزاء الكبيرة المتبقيـة تحت يدها (٨) .

واتفاقات التجزئة والضم هذه قد ناقضت تماما اتفـاقات الحمـاية البرطانية التى بمقتضاها تعهـدت بحمـاية الشعب الصـومالى وحماية أراضيه من أية دولة أجنبية أخرى (٨) .

هناك ادعاءات قانونية ترمى الى شرعية اتفاقات التجزئة وضم الأراضى الصومالية الى الحبشة على أساس صحة هذه الاتفاقات من جهة ، حيث انعقدت بين دولتين مستقلتين ، الحبشة وبريطانيا ، وعلى أساس انتقال هذه الاتفاقات الى دولة ثالثة عن طريق الارث الدولى التلقائى من جهة أخرى .

أنصار هذه الآراء يقولون أن الجمهورية الصومالية فى الجنوب ورثت تلقائيا من ايطاليا جميع الالتزامات المترتبة على اتفاقات عقدتها ايطاليا مع دولة أجنبية أخرى باسم الصومال قبل استقلالها . وتدخل فى ذلك الاتفاقيات الايطالية الحبشية المذكورة الخاصة بالحدود كما أن القسم الشمالى من الجمهورية ورث أيضا بعد استقلاله التزامات مماثلة من الحكومة البريطانية قبل الوحدة الشاملة للاقليمين ، وأنصار هذه الفكرة يقسمون اتفاقات الميراث الدولى الى نوعين أساسيين : نوع لا ينتقل الى الدولة الوارثة ، وهى اتفاقات ذات طابع شخصى التى تترتب عليها ، حسب نظرهم ، حقوق سياسية واقتصادية ، كاتفاقات الوحدة والحياد وغيرها . والنوع الثانى يطلقون عليه « اتفاقات غير ذى طابع شخصى»(١٠) وهى مرتبطة ارتباط وثيقا بالارض أو الاقليم وتنتقل الحقوق المترتبة عليها تلقائيا واستنادا على هذا يقول مثلا يونس كبيدى فى بحث حول النزاع الصومالى الاثيوبى من وجهة نظر قانونية « ليس من المفاجىء لنا بأن الأحكام الاتفاقية ١٨٩٧ واتفاقية ١٩٥٤ الخاصة بالحدود الاثيوبية الصومالية والاراضى المحجوزة تدخل ضمن فئة الحقوق العينية التى يجب أن تنتقل تلقائيا الى الجمهورية الصومالية حسب الميراث الدولى فى نظرهم (٢) و (١) .

قبل الاجابة على مسألة الميراث الدولى هناك مسألة أخرى أكثر أولوية وهى ما مدى شرعية اتفاقات التجزئة والضم نفسها قبل انتقالها الى الميراث الدولى ، لاشك بأن الدول التى عقدت هذه الاتفاقات فيما بينها هى أشخاص القانون الدولى ، ولكن الموضوع الذى اتفقوا عليه أو بعبارة أخرى الاراضى الصومالية التى ضمت الى اثيوبيا حسب الاتفاق لم يكن موضوعا شرعيا ، لأن هذه الاراضى لم تكن ملكا لبريطانيا ولالها أيضا حسب القانون الدولى الحديث حق التصرف المطلق على الأراضى المستعمرة ، وقد ورد هذا فى الاعلان حول مبادىء القانون الدولى الذى

قبلته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٠ فى دورتها الخامسة والعشرين بأن الأراضى المستعمرة والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى لها ــ حسب ميثاق الأمم المتحدة ــ نظام ووضع مستقل يختلف عن وضع أرض الدولة التى تدير الأقاليم المذكورة • وعلى هذا فان الاتفاقات المذكورة التى بمقتضاها سلمت بريطانيا الاراضى الصومالية الى الحبشة فى مراحل مختلفة ليست باطلة من حيث الاساس فحسب ، بل هى عمل اجرامى وتصرف غير مشروع فى القانون الدولى • ولم تكن هذه الاراضى للحبشة أيضا بل هى أراضى صومالية بحتة تبرهنها شتى الادلة الضرورية للملكية ، ويقول فى هذا الصدد فرويد شامسى ، محاضر فى جامعة هاورد ان الادعاء بأن اقليم أوغادين كان ملكا لامبراطورية اثيوبيا القديمة ليس له أساس على الاطلاق (١٦) •

أما فيما يتعلق بالميراث الدولى ليس على مكانه هنا لأنه أولا أن موضوع الاتفاق نفسه باطل ، كما أشرنا اليه ، ولانه ، ثانيا ، انتقال الحقوق والواجبات من دولة الى أخرى يأتى مباشرة من دولة الوريثة الى الدولة الوارثة ، ولايأتى من ثالثة ، وهو رأى متفق عليه تقريبا (٩) • ولانه ، ثالثا ، ان أولئك الفقهاء الذين يرون فى تقسيم قواعد الميراث الدولى الاراضى بأنها حقوق عينية غير دى طابع شخصى (١٠) لا يمكن قبوله على الاطلاق ، لان الاتفاقات التى تنصب مباشرة على اقليم وحدود تدخل ضمن الفئة الاولى ، أى أنها اتفاقات ذات طابع شخصى ، لان لها صلة مباشرة ووثيقة بالدولة ولا يمكن الارض أن تفصل عن كيان الدولة وشخصيتها وهى أكثر الاشياء التصاقا بالدولة بل هى أهم العناصر الضرورية لوجود الدولة (١٣) •

ان القانون الدولى يستبعد كلية أن تستعار الحقوق العينية المدنية لتطبيقها فى قانون الأرض والاقليم للدولة ، لأنه ، رابعا ، ان الحقوق والالتزامات المترتبة على اتفاق معين لا يمكن أن تنتقلها تلقائيا حسب الميراث فى القانون الدولى المعاصر حتى لو فرض مشروعية تلك الاتفاقات•

وما دام لا يمكن أن تكون جميع الاتفاقات الدولية خالية من التناقض مع حقوق الدولة الوراثة أو القواعد العامة للقانون الدولى الحديث فلا بد أن يكون قبولها رهن بمراجعة الدولة الوراثة ، والا يكون العكس

هتكا سافرا على مبدأ السيادة والمساواة بين الدول ومبدأ حق التقرير المصير للدولة ذات السيادة •

فلو أن القانون الدولى الحديث اعترف بوجوب التمسك بهذا النوع من الاتفاقات كأساس للميراث الدولى لصار حق تقرير المصير للأمم المستقلة وسيادتها الكاملة أيضا بما فى ذلك حقها على مواردها الطبيعية تحت التهديد • وعلى سياق ما ذكرناه ، فان الاتفاقات الخاصة بتسليم الاراضى الصومالية بدون رغبات أهلها الى الامبراطورية الحبشية ـ كأداة لتقسيم أمة وتجزئتها وعدم مشروعية موضوعها للتعاقد بين الطرفين المذكورين ـ لاتجد لها سندا قانونيا ، وضعيا كان أم طبيعيا •

وعلى أساس عدم مشروعية هذه الاتفاقيات فليس للكلام عن الميراث الدولى محل هنا ، كما نؤكد ذلك أكثر من مرة ، لأى الالتزام الذى أخذته جمهورية الصومال على عاتقها ، وفقا لقواعد الميراث الدولى مرتبط بشرعية ما ترث به وقانونيته حسبما ورد فى المادة الرابعة لوثيقة الوحدة بين حكومتى الشمال والجنوب التى جاء فيها (بأن جميع الحقوق والواجبات القانونية التى حملتها على عاتقها الحكومات المستقلة أو حملها شخص دولى باسمها ستعتبر قابلة للانتقال الى الجمهورية وستكون مقبولة لديها) (١٦) ولذا أعلنت الصومال عدم قبول هذه الاتفاقات الاستعمارية للاسباب المذكورة •

وليست الصومال منفردة فى مجتمع الدول الحديثة الاستقلال . فقد أعلن كثير منها عدم الالتزام باتفاقات كهذه بقصد تخليص الدول الحديثة من الأوضاع الاستعمارية • فقد أفتى مجلس الدولة المصرية سنة ١٩٦٣ بعدم التزام مصر بما ورد فى معاهدة لوزان بشأن ديون الجزية التركية (٥) ، كما أن تنجانيقا المسماة الآن تنزانيا ، وجمهورية افريقيا الوسطى وجمهورية فولتا العليا وغيرهم وقفوا موقفا مماثلا لذلك (١٤) ووقفت اثيوبيا نفس الموقف عند ما احتج وصى عرشها ضد اتفاقية انجليزية ايطالية عقدت بينهما سنة ١٩٢٥ لتجزئة الحبشة وتقسيمها فيما بينهما مما اضطر نتيجة لذلك الاحتجاج الى تصدير اعلان مشترك لعدم سريان الاتفاقية الى الحبشة أو الى دولة ثالثة سواهما (١٣) •

قضية القرن الافريقى احدى القضايا المستعصية التى لم يقدر لهـا حتى الآن التغلب عليها ولعل السبب الرئيسى لهذا الاستعصاء ، بالاضافة الى تعقدها وتباين وجهات نظر أطرافها الاثيوبية والصومالية ، أن هناك عاملا دولية يعتبر العامل الحاسم والمسبب من بدء اندلاع الحروب فى هذه المنطقة وتطور احداثها وتعقداتها الى النحو الذى وصلت اليه الأزمة الحالية للعلاقة المحلية والدولية فى المنطقة .

ولا شك أن الصراع الذى يدور رحاه فى المنطقة للدفاع عن حقوق معينة تدعيها الاطراف المعنية ، وعلى الجنوب للبحر الاحمر يرتبط ارتباطا وثيقا بالصراع العربى الاسرائيلى فى الشمال ، ولا سيما بعـد عضـوية الصومال فى جامعة الدول العربية ، حيث تعتقد الدول العربية أن البحر الاحمر هو الباب الخلفى للعالم العربى الذى يمـكن أن تنفـد منـه اسرائيل لضرب الأمن العربى وكذلك فان حزام الأمن العربى الذى يمتد بامتداد سواحل البحر الاحمر الشرقية والغربية والى مضيق باب المندب ، كما انه يمتد أيضا ليشمل منطقة الخليج العربى وهو ما أدى من وجهـة نظر معينة الى تبلور فكرة اقامة حزام أمن عربى من كل من البحر الاحمر والخليج العربى يتصدى النفود السوفيتى وهذا هو الذى يجر الاهتمام العربى بالصراع الدائر فى القرن لافـريقى القريب من هـذه المنـاطق الاستراتيجية العربية ، بالاضافة الى أن اسرائيل كانت ولا تزال تربطها علاقات قوية بأثيوبيا ، وترى هى أن أى تحكم عربى على الصومال الغربى وارتيريا وقيام دولة صومالية قوية على المدخل الجنوبى خطر على أمنها .

ومما هو جدير بالذكر أن سياسة الوفاق الدولى فى أوروبا قد فتحت باب التنافس على مصراعيه أمام الدول العظمى فى مناطق معينة من العالم ومن بينها منطقة القرن الافريقى ، ويعد الصراع فى هذه المنطقة أحـد أشكال التنافس الدولى على المحيط الهندى المرتبط بعدد آخر من القضايا للصراع فى البحر الاحمر والخليج العربى ، كما أنه يمثل الباب الخلفى للشرق الأوسط ، لذلك فان هذا الصراع فى شرق القارة انما سيتجه الى الجنوب للسيطرة على رأس الرجاء الصالح الذى يتحكم فى مصـير

الصراع البحرى فى المحيط الهندى ، وعلى هذا فان التحالفات المحلية فى القرن الافريقى موضع اهتمام القوى الكبرى وتكالبها على المنطقة[1].

وهناك عنصر قديم للقضية لم يزل أثره — فى نظرى — ينعكس أحيانا فى السياسة والعلاقة الدولية الاوربية ، ويرجع تاريخه الى الحروب الصليبية ، وهذا التعاطف المسيحى مع الحبشة المسيحية ، ويظهر هذا العنصر غالبا عندما يشب صراع بين الشعوب المسيحية والشعوب المسلمة ، ولا سيما فى المناطق التى لها تاريخ فى صراع الاديان ، ويوكد هذا النقاش الذى دار حول مشاكل الحدود الاثيوبية الصومالية فى الأمم المتحدة فى أواخر الخمسينات حين قال مندوب لاحدى الدول العظمى فى أوربا وهو يرد على مندوب سوريا لدى الأمم المتحدة دفاعا عن اثيوبيا بأنها جزيرة مسيحية فى بحر اسلامى ، ونرى اليوم هذا العامل المتجدد فى مشكلة الشرق الأوسط وفى لبنان بالذات .

وعلى أى حال فان قضية القرن الافريقى ليست قضية صومالية فحسب ولكنها جزء لا يتجزأ من القضايا العربية والافريقية أيضا ، وهى فى آخر المطاف ستؤثر على أمن الوطن العربى والافريقى على السواء وتهدد على سلامته فضلا على شعوب أطرافها المحليين .

وعلى هذا تنتظر القضية والقضايا الأخرى فى المنطقة جهودا مشتركة لتأثير على مصادر القوى الدولية والمحلية لايجاد حل مناسب وعادل يخلق للمنطقة استقرارا وسلاما دائمين .

المصـــادر :

(١) دراسات افريقية عدد (١) ابريل ١٩٧٩ ــ قاهرة ٠
كذلك « الاقليم الصومالى الخاضـــع للاســـتعمار الاثيوبى »
مطبوعات جمهورية الصومال الديمقراطية مقديشو ١٩٧٤٠

(٢) قضية القرن الافريقى د٠ محمـــود على توريارى ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب قاهرة ١٩٧٩ ٠

(٣) دول اسلامية فى شرق افريقيا د٠ محمد المعتزم العدد ٣ قاهرة ١٩٦٤ ٠

(٤) مجلة قرن افريقيا العدد ٢١ امريكا يناير ــ مارس ١٩٧٨ ٠

(٥) مبادىء القانون الدولى العادى د٠ محمد حافظ غانم ــ قاهرة ١٩٦٨ ٠

(6) Mcnair, the law of treaties, Oxford, 1961.

(7) Annual Digest of Public International Law Case.

(8) The Somali Peninsula, Published by the Inhormation Service of the Somali Government 1962.

(9) Lauter Pach, State Succession and Agreement for the Inhertance of the Treaties 71. C. L. O. 1955.

(10) Impersonal or Dispositive treaties (Real Rights)

(11) The International Association, the Effect of Independence Treaties. 1963.

(12) A.P. Lestwe, State Succession to Treaties in the Common Wealth, «The International and Compartive law Quarterly» 1963.

(13) V.M. Shushov, the beses of International treaties, Moscow 1957.

(14) A. treaties of International Law, Vol. 1, Moscow 1967.

(15) Ian Browline, Principles of public of International law, Oxford 1973.

(16) The Somali Republic :
An experment in legal intgration Paolo Conbion. Frank Cass and Co. LTD. 1969.

(17) Mcnair. the low of treaties, Oxford, 1961.



الواقع المعاصر للثورة الاريترية

د. نجوى امين الفوال

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
بالقاهرة

دخلت الثورة الاريترية فى شهر سبتمبر ١٩٨٤ عامها الرابع والعشرين من النضال من أجل الاستقلال عن أثيوبيا ذلك النضال الذى اتخذ طريق الكفاح المسلح منذ بداية عام ١٩٦١ .

وتاريخ الثورة الاريترية حافل بالصراع .. صراع مع الحكومة الامبراطورية الاثيوبية على قمتها هيلاسيلاسى الاوتوقراطى ، ثم امتداده مع الحكومة العسكرية ذات الاتجاهات « الاشتراكية » المعلنة والتى ورثت السلطة فى أثيوبيا منذ سبتمبر ١٩٧٤ . وصراع ضد المصالح الأمريكية الاستراتيجية فى القرن الافريقى والمحيط الهندى ، ثم آخر ضد نفس المصالح للاتحاد السوفيتى ــ الحليف السابق للثورة الاريترية ــ منذ ١٩٧٧ . ولا تقتصر حلقة الصراعات التى تدور فيها الثورة الاريترية على تناقضاتها مع الاتجاهات الدولية المحيطة بها ، وانما هناك أيضا صراع تفرضه ظروف وملابسات تكوين فصائل وجبهات هذه الثورة واتجاهات كل منها العقائدية وارتباطاته الخارجية .

وقبل أن نخوض فى تفاصيل هذه الصراعات ينبغى لمن يتناول بالتحليل القضية الاريترية أن يجيب على سؤال مبدأى حول هوية هذه القضية وطبيعتها السياسية . فالتراث المطروح من الدراسات والتحليلات يتخذ اتجاهين لا ثالث لهما : الأول يتبنى فى تحليله لوقائع الثورة الاريترية وجهة نظر السلطات الأثيوبية باعتبار هذه الثورة حركة انفصالية اسلامية أو تمرد قبلى تحركه القوى العربية من أجل احكام السيطرة على البحر الأحمر . والاتجاه الثانى يؤكد على الطبيعة القومية للكفاح الاريترى وما يترتب على ذلك من حقه فى تقرير المصير كأمة متميزة .

ثورة قومية أم حركة انفصالية :

على الرغم من الروابط الحضارية والتاريخية التى تجمع بين اريتريا وأثيوبيا ، الا أن الأراضى الاريترية قد شـهدت تنوعا بشريا واجتماعيا هائلا نتيجـة العـديد من الهجـرات ومحـاولات السيطرة من جانب الامبراطوريات المختلفة المتعاقبة . وفى الوقت نفسه فإن اثيوبيا لم تشهد مثل هذا التنوع ولم تتعرض لمثـل هـذه الصراعات ، بل ظلت حبيسة المرتفعات منذ عهد مملكة أكسوم فى القرن الرابع الميلادى ، وحتى تكوين الامبراطورية الاثيوبية الحديثة . كما ظلت أثيوبيا طوال تاريخها تتمتع بوجودها المستقل ، فيما عدا بضع سنوات من الاحتلال الايطـالى فى الثلاثينيات من القرن العشرين .

فتاريخ المنطقة التى تعرف حاليا باسـم اريتريا حـافل بالصراعات ومحاولات السيطرة الخارجية على الاقليم . بدءا من عهد تحتمس الثالث الذى أمن الطريق لاسطوله فى البحر الأحمر بانشـاء (أووليس) على الساحل الاريترى متصـارعا مع الفينيقيين على المنطقة ، ثم تصـارع الاسكندر الأكبر مع الفرس على الساحل . كذلك بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وظهور الاسطول البرتغالى فى السواحل الشرقية للقارة . خشيت الدولة العثمانية على نفوذها فى البلاد العربية وساعدت شعوب تلك المنطقة على هزيمة أسطول البرتغال . وعقب افتتاح قنـاة السويس وزيادة الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ، امتـد النفـوذ المصرى الى المنطقة بادئا من مصوع ومقيما العلاقات مع المناطق الداخلية . الى أن احتلت ايطاليا الاقليم فى ١٨٨٥ وطردت الحـامية المصرية بعـد معارك عنيفة . وجدير بالذكر أن الامبراطور منليك قد اعترف بشرعية الاحتلال الايطالى واعتبار اريتريا أرضا غير أثيوبية . وذلك بعد عقد عدة اتفاقيات مع السلطات الايطالية (١) .

هذا التمايز فى تاريخ المنطقة الساحلية ــ المعروفة ــ باسم اريتريا الآن ــ عن المناطق الداخلية ، يدحض أية ادعاءات بأن هذه المنطقة قد مرت بذات التجارب التاريخية والاجتماعية على مر العصور .

---

(١) حلمى شعراوى : الثورة الاريترية وحق تقرير المصير ــ مجلة السياسة الدولية العدد (٥٠) اكتوبر ١٩٧٧ ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .
انظر أيضا : سعيد احمد الجناحى : « اريتريا على ابواب النصر » دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥ ، ص ٨١ ــ ٨٤ .

ومن ناحية أخرى يوضح تاريخ المنطقة أن اكسوم قد نشأت فى مقاطعة تيجرى الحالية ، والجزء الجنوبى من الهضبة الاريترية • كذلك فان مملكة الحبشة التى قامت فى القرن الرابع عشر قد اشتملت على الهضبة الاريترية فقط ولم تمتد الى باقى اقليم اريتريا الحالى • أما تاريخ اريتريا من القرن الخامس عشر حتى التاسع عشر فهو تاريخ منطقة كانت مستقلة أحيانا يحكمها الزعماء التقليديون فى مناطق عديدة ، أو محتلة من امبراطوريات مختلفة أو تابعة اسميا لاحداها • وهذا يسقط الزعم الاثيوبى بسيطرتها على الاقليم منذ عهد مملكة اكسوم (1) •

وقد أدى فرض الاحتلال الايطالى الى بدء عملية تجانس سياسى واقتصادى ــ اجتماعى بين الشعوب والقبائل المتعددة التى اشتملت عليها مستعمرة اريتريا ، حيث أنشأ الاستعمار الايطالى الصناعات الخفيفة وشبكة طرق ، نمت فى أثرها طبقة عاملة فى المرتفعات والمناطق الساحلية حول مصوع • كذلك أدى الاحتلال الى ما هو أهم بمعايير القيادة السياسية وهو نشأة البورجوازية الصغيرة • وأصبحت هذه الطبقات ذات ثقل فى المجتمع الاريترى وتجاوزت الواقع القبلى والطائفى نسبيا• ونتيجة نشأتها من بين طبقة المزارعين ، فان الشعور القومى الاريترى انتقل على يد هذه الطبقات من الحضر الى الريف • ونتيجة لاهتمام الاستعمار الايطالى باقامة شبكة من السكك الحديدية وتجهيز الموانىء واستخدام الاستثمارات الاوربية المتنوعة ، تدعم الاساس الاقتصادى ــ الاجتماعى للقومية الاريترية (2) •

لذلك فان بريطانيا عندما احتلت اريتريا عام ١٩٤١ واجهت فى الاقليم قوى اجتماعية متطورة ومجتمعا متعدد القوى السياسية ومن ثم متعدد المطامح والاتجاهات • وقد اشتعل النشاط السياسى فى نهاية فترة الوصاية البريطانية (٤١ ــ ١٩٥٢) وتركز حول وضع اريتريا فى المستقبل • ومنذ البداية ضمت الحركة الوطنية الاريترية عناصر مسلمة بجانب أخرى مسيحية • فقد كان من الطبيعى أن يعارض المسلمون ــ أيا كانت

---

(1) Pool, David. «**Eritrea : Africa's Longest War,**» a report for the Anti-Slavery Society, London, 1979. pp. 9-11.

(2) Johnson, M. & T., «Eritrea : The National Question and The Logic of Protracted Struggle,» in **African Affairs**, April. 1981. pp. 182-3.
انظر أيضا : حلمى شعراوى : مرجع سابق ص ١٣٠ .

الشريحة الاجتماعية التى ينتمون اليها ــ الانضمام الى اثيوبيا ليحكمهم امبراطور مسيحى • وفى الوقت نفسه فقد كان للمسيحيين من البورجوازية الصغيرة مصلحة مباشرة فى الاستقلال ، خوفا من أن يؤدى الاتحاد مع اثيوبيا الى اعادة توزيع الثروة بعيدا عن البورجوازية الاريترية (1) •

هكذا يوضح تاريخ المنطقة الطويل تمايز اريتريا عن الخبرات الاجتماعية والتجارب السياسية التى مرت بها اثيوبيا • كذلك فان اريتريا لاتشارك معظم الوحدات السياسية فى القارة فى كونها وحدات ذات حدود مصطنعة صنعها الاستعمار • بل انه بفضل سنوات طويلة من النضال ضد الاحتلال الايطالى والبريطانى ثم الاثيوبى ، استطاعت الثورة الاريترية أن تطور نوعا من ضمير الأمة أو الوعى بالشعور القومى ، لم تستطع اثيوبيا ــ منذ انهائها الاتحاد الفيدرالى من جانب واحد عام ١٩٦٢ ــ أن تضع له حدا • بل ان اندلاع الثورة الاريترية واستمراريتها منذ ٢٣ عاما لهو أكبر دليل على كونها ثورة قومية وليست حركة انفصالية أو مؤامرة خارجية مدفوعة من جانب جيران اثيوبيا •

الأبعاد المعاصرة للحركة الوطنية فى اريتريا :

أتى النصف الأول من السبعينات بتغيرات جذرية فى الاوضاع السياسية والاجتماعية فى القرن الافريقى •• تركت ظلالها كثيفة على واقع الثورة الاريترية ، ودفعت بها وسط أمواج الانقسام الداخلى تارة، والصراع الدولى المتجدد على القارة الافريقية تارة أخرى • ولكن مابقى ثابتا دائما هو الهدف الاستراتيجى لتلك الثورة مهما تعددت تياراتها ، فى الوقت الذى استمرت فيه اثيوبيا ــ رغم التحولات الشاملة التى مرت بها ــ فى موقفها الرافض لهذه الثورة والنظر اليها فى اطار قضية « القوميات والحركات الانفصالية » •

اولا : الثورة الاثيوبية والحركة الوطنية الاريترية :

لعل أبرز الأحداث التى مرت بها القارة الافريقية فى النصف الاول من عقد السبعينيات كان تفجر الثورة فى اثيوبيا فى فبراير ــ سبتمبر ١٩٧٤ ، وما ترتب على هذه الثورة من انهيار النظام الاقطاعى الاوتوقراطى

(1) Johnson, **Ibid**. p. 183.

للامبراطور هيلاسيلاسى الذى جثم على صدر أثيوبيا منذ الثلاثينيات . اذ تهاوى هذا النظام تحت ضغط الحركة الطلابية المتفجرة مع النشاط السياسى لاساتذة الجامعات ، وتحالفهما مع الحركة العمالية . ولكن افتقـاد هذه الحركات المعارضة للحكم الامبراطورى الى البناء المؤسسى، آتى بالمؤسسـة العسكرية الى قمة الثورة ، الى أن وصلت الى الحكم بعزل هيلاسلاسى وتشكيل المجلس العسكرى المؤقت ثم اللجنة العسكرية الحاكمة (الدرج) (١) .

واذا كانت القوميات والشعوب المقهورة تحت حكم « الامهرا » قد رأت فى سقوط نظـام هيلاسيلاى تحقيقا لآمالها فى الحكم الذاتى ، فان الحركة الوطنية الاريترية التى طالبت دوما بالاستقلال ــ والتى نظرت الى ذاتها كأمة فرضت عليها ظروف ما بعـد الحرب العالمية الثـانية أن تستعمرها دولة افريقية أخرى ــ كانت تتوقع أن تؤدى الثورة الاثيوبية الى الاعتراف بحقها فى تقرير المصـير .

ولكن الواقع قد أثبت عدم صحة هذه التوقعات ، اذ اثبتت تصرفات القيادات العسكرية ــ منذ بداية الثورة ــ ان الحكومة العسكرية ورثت من النظـام السـابق لها الافكار والنظرة التقليدية ذاتها نحو وحـدة التراب الاثيوبى وضرورة منع آية محاولات انفصالية مهما كانت حتى لا تسرى العدوى فى باقى الجسد الاثيوبى (٢) .

فحينما أتت اللجنة العسكرية الى الحـكم ، كان هناك وقف لاطلاق النار فى اريتريا فرضته الاحداث ، حيث انتظر الجانبان وضوح نية الآخر بعـد عزل الامبراطور . ثم آثبت الراديكاليـون العسـكريون أنهم لا يقلون فى التعصب القومى عن الامبراطور نفسـه . وتمثلت هذه الاتجـاهات المتشـددة فى موقف « الدرج » الذى أدى الى اسـتقالة الجنرال امان عندوم بعد رفضه التوقيع على قرار بارسـال ٥ آلاف جندى لقمع الكفاح المسلح فى اريتريا . فقررت اللجنة اعتقاله ، وحينما

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر « لكاتبة الدراسة » : اثيوبيا : تجربة العقد الأول بعد الثورة » . مجلة السياسة الدولية ــ العدد ٧٦ ــ ابريل ١٩٨٤ .

(2) Skurnik, W., «Revolution and Change in Ethiopia,» in **Current History**, May 1975, p. 209.

قاومهم قتلوه فى معركة القصر الرئاسى ، فيما عرف بأحداث السبت الدامى فى نوفمبر ١٩٧٤ (١) • وكان خلفه تيفرى باتنى يؤمن بضرورة الحل العسكرى لقضية اريتريا ، ففى بيان للحكومة العسكرية فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٤ ، قررت أن التاريخ المشترك يجمع بين اريتريا والاقاليم الاخرى فى الدولة ، وأن هدف الدولة تقوية ودعم الوحدة الوطنية (٢) •

وقد نشرت كل من جريدة التايمز اللندنية والجارديان والهيرالدييون خلال عام ١٩٧٥ و١٩٧٦ استمرار عمليات حرق القرى التى يحتلها الفدائيون ورجال العصابات الاريتريون ، وهو أسلوب كان يتبعه هيلاسيلاسى فى مقاومة الثورة • كما نشرت هذه الصحف وقائع الهجوم الوحشى الاثيوبى على القرى المحيطة بأسمرة والمذابح التى جرت هناك ضد المدنيين دون تمييز (٣) •

هذا فى الوقت الذى تحدث فيه النظام العسكرى عن الحل السلمى للمشكلة وصدور برنامج خاص باريتريا فى مايو ١٩٧٦ ، اعترف فيه بحق تقرير المصير للقوميات عن طريق توفير الحكم الذاتى الاقليمى، كما تحدث عن اعادة تقسيم الاقليم وفقا لحقائق التاريخ ، متجاهلا بذلك حركة الواقع السياسى الاريترى • وعلى الرغم من عدم توقع نجاح أى طرح اجتماعى اثيوبى فى اثناء الاريتريين عن مطلب الاستقلال الكامل الا أن التناول الاثيوبى للقضية أدى الى تباعد فرص الحوار • كما أن النظام الاثيوبى قد رفض مبادرة للحوار المشروط طرحتها السودان — قبل أن تسوء العلاقة بينهما — وكانت فصائل الثورة الاريترية قد قبلته مبدئيا • ولكن الاثيوبيين حاولوا شق وحدة الحركة الوطنية باجراء اتصالات مع بعض العناصر « الثورية » (٤) •

وقد مثل وصول الجنرال منجستو هايلى مريام الى الحكم فى اثيوبيا تدعيما للاتجاه المتشدد نحو القضية الاريترية ، خاصة بعد

(1) Legum, Colin, «Ethiopia: The Fall of Haile Selassie's Empire», Africana Publishing Co., New York, 1975, p. 161.

(٢) د. عبد الملك عودة : نحو حل سياسى لقضية اريتريا . مجلة السياسة الدولية ابريل ١٩٧٥ — ص ١٤٤ .

(3) Pool, op. cit., P. U.

(٤) حلمى شعراوى : مرجع سابق ص ١٤٠ — ١٤١ .

حصول نظامه على كميات ضخمة من الاسلحة والمعدات العسكرية السوفيتية عقب تحوله نحو اليسار فى ربيع ١٩٧٧ ، الأمر الذى أعطى دفعة قوية للقوات الاثيوبية فى حربها مع ثوار اريتريا • فبعد أن تمكنت جبهات التحرير الاريترية عبر صيغ التكامل والتنسيق العسكرى من أن تحرر ٩٠٪ من « الأرض المحتلة » فى الفترة ما بين أوائل ١٩٧٧ ومنتصف ١٩٧٨ ، أدى التحالف السوفيتى الى التخطيط لهجوم مضاد عام ١٩٧٨ بحيث تحول ميزان القوى لصالح الجيش الاثيوبى ، فاستعاد اجزاء كبيرة من الأراضى الاريترية المحررة (١) •

ولكن رغم الهجوم الكبير الذى شنته الحكومة العسكرية فى ١٩٧٨ فان الثوار تحصنوا بالمرتفعات التى لم تستطع القوات الأثيوبية أن تحتل منها موطىء قدم • بل استمرت الحركات التحريرية ــ وبخاصة الجبهة الشعبية ــ فى القيام بالهجوم على تلك القوات • وفى ٢٥ يناير ١٩٨٣ ، أعلن الجنرال مانجستو عن قيام عملية « النجم الأحمر » من أسمرة كعملية ثورية متعددة الجوانب تهدف الى القضاء على الانفصاليين الاريتريين ، كما تهدف الى اعادة بناء اريتريا • كما أعلن أن للحملة جوانبها الاقتصادية والادارية التنظيمية بالاضافة الى الجانب العسكرى • وعلى المستوى الاقتصادى وضعت الحكومة الاثيوبية خطتان أولهما قصيرة المدى تتضمن مشروعات اقتصادية سريعة لاصلاح البناء الاقتصادى الذى انهار بسبب الحرب ، والثانية خطة عشرية للتنمية الاقتصادية • أما الجانب التنظيمى فكان يشمل اقامة هياكل « اللجنة التأسيسية لحزب العمال الاثيوبى » فى اريتريا ، مثل تأسيس جمعيات الفلاحين لمساعدتهم على تحسين الانتاج ، وتسليحهم للدفاع عن أنفسهم ضد « رجال العصابات » • أما الجانب العسكرى من عملية النجم الاحمر ، فقد بدأ فى منتصف فبراير ١٩٨٢ حينما قام مائة ألف جندى اثيوبى بمساندة القوات الموجودة بالفعل فى اريتريا والتى يبلغ قوامها ٣٠ ــ ٤٠ ألف جندى • وكان هذا هو الهجوم السادس الذى تقوده أثيوبيا فى حكم الدرج منذ ١٩٧٥ • وفى البداية حقق الجيش الاثيوبى بعض الانتصارات ولكن بحلول شهر ابريل ظهر أن تقدم الجيش قد توقف ، وأنه من الصعب تحقيق انتصار حاسم على الثوار الاريتريين • وفى خلال

(1) Pool, D., **«Eritrea: The Armed Struggle for Liberation»**, Manchester University, Manchester, U. K., 1979, pp. 8-9.

أسبوع واحد تحطم الهجوم على جبهة (بركة) ووقع المئات أسرى على يد الارتريين ، وأدعت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا أن « العدو » قد خسر ٣٣ ألفا ما بين قتيل وجريح كما أعلنت فى سبتمبر نجاحها فى وقف الهجوم بل وفى شن هجوم مضاد • ومنذ نهاية أكتوبر ١٩٨٢ توالت الأنباء حول التمرد داخل الجيش الاثيوبى خاصة «ميليشيا الفلاحين» • ومع بداية ١٩٨٣ خفت حدة القتال ولزمت اثيوبيا الصمت حول نتائج عملية النجم الاحمر • كذلك فان الجهات الارترية لم تذع شيئا عن خسائرها (١) •

وهكذا أدت سياسة الحكومة العسكرية بالقضية الارترية الى ذات الباب المغلق الذى واجهته على يد الحكم الامبراطورى الاثيوبى ، دفاعا عن المصالح الاستراتيجية ــ التى تغلبت على الاتجاهات الايديولوجية ــ والتى تتمثل فى حصولها على منافذ البحر الاحمر ومنع تحوله الى بحيرة عربية اسلامية • وأثبتت الدرج أنها لا تختلف فى كثير عن سياسة الامبراطور هيلاسيلاسى القمعية والتى قامت الثورة أساسا كرد فعل لها •

ثانيا : الحركة الوطنية الارترية من ٧٤ ــ ١٩٨٤ :

دخلت قوى الثورة الارترية عقد السبعينيات وهى تواجه ميراثا مثقلا من الصراعات القبلية والطائفية والاقليمية ، دعمها أسلوب عمل جبهة التحرير الارترية التى تكونت فى القاهرة فى ١٩٦١ • فقد اعتمدت الجبهة فى كفاحها طوال الستينيات على العمل العسكرى ، وعلى الحركة العفوية للجماهير ، دون أن تعطى اهتماما يذكر للعمل التنظيمى السياسى ودون أن يكون لقياداتها العسكرية خبرة محددة فى تنظيم العنف الثورى ، أو وضع البرامج الاجتماعية للثورة التى تتيح الوحدة الفكرية والتنظيمية لقوى الثورة •

وقد دعم أسلوب عمل جبهة التحرير فى هذه الفترة الانقسامات القبلية والطائفية باعتماده على تقسيم اريتريا الى خمس مناطق عسكرية ــ على أساس اقليمى ــ ذات قيادات وأنشطة مستقلة • فبعد تدريب الثوار عسكريا ، يعود كل منهم الى منطقته الأصلية • كذلك أنشأت الجبهة وحدة منفصلة من المسيحيين فى المرتفعات الامر الذى أكد

(1) Legum, C., «Ethiopia ; Towards a People's Democratic Republic». in **Africa Contemporary Record 1982-3**, London, 1984, pp. B 146-8.

الاختلافات الموجودة منذ عهد الحماية البريطانية • وقد أدى وجود قيادة الجبهة خارج اريتريا ـ فى كسلا فى السودان ـ الى افتقاد فصائل الثورة للاتصال الفعال والالتحام الحقيقى بقيادتها • لذلك شهدت الثورة انقساما حادا ـ فى بداية السبعينيات ـ فى صفوف الجبهة . أدى الى وجود تنظيمين على الساحة الاريترية بعد أن تكونت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا ، منشقة عن الجبهة الأم • وتطور النزاع بين الجبهتين الى حرب أهلية دموية هدفت من ورائها جبهة التحرير الى تصفية العناصر المنشقة عنها •• وقد استمرت هذه الحرب طوال عامين حتى نهاية ١٩٧٤ (١) •

وقد تدعم الاتجاه الانقسامى داخل الحركة الوطنية الاريترية بظهور جبهة ثالثة هى « قوات التحرير الشعبية » التى تزعمها عثمان صالح سابى والتى كانت تتحالف مع الجبهة الشعبية رغم اتجاهاتها اليمينية باسم « البعثة الخارجية » • ولكن الخلاف دب بين هاتين الجبهتين بسبب محاولات سابى عقد اجتماع موحد بين كل الجبهات فى الخرطوم ، ورفض الجبهة الشعبية له : الأمر الذى نتج عنه انهاء التحالف بينهما فى ١٩٧٥ وحرمان الجبهة الشعبية من المساعدات التى كانت البعثة الخارجية تحصل عليها من خلال اتصالاتها بالعالم العربى والاسلامى • وبرغم ذلك فان الجبهة الشعبية استطاعت نتيجة لفعالية تنظيمها أن تستولى على المدن الرئيسية فى الشمال الاريترى فى ١٩٧٧ • وكرد فعل لتلك الانتصارات اتحدت جبهة التحرير الاريترية مع جبهة عثمان صالح سابى ولكن ما لبثت ان انهارت دعائمها فى ١٩٧٩ (٢) •

وبذلك فقد مضى عقد السبعينيات وعلى الساحة الاريترية ثلاث جبهات تتفق فى هدفها الاستراتيجى وهو الاستقلال الوطنى عن أثيوبيا، وفى أسلوب حرب التحرير الشعبية كطريق للنضال ، ولكنها تختلف فيما بينها فى عقيدتها واتجاهاتها الايديولوجية ، وفى شكل الوحدة الوطنية للثورة الاريترية •

وقد أدت هذه الاختلافات الى اهدار الكثير من الفرص التاريخية المتاحة أمام الثورة الاريترية لتحقيق هدفها الاستراتيجى ، كان آخرها فى

---

(١) حلمى شعراوى ـ مرجع سابق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .
Also, Pool, «Eritrea : The Armed Struggle —— », **op. cit.**, pp. 5-6.

(2) **Ibid.**, pp. 6-7.

عام ١٩٧٧ حينما سيطرت الجبهات على ٩٠٪ من الارض الارترية ، بينما ظلت مدن أسمرة وعصب ومصوع فقط تحت الحصار العسكرى الاثيوبى • وكانت تقارير المراقبين تشير الى أن سقوط المدن الثلاث سهل وممكن اذا ما تحالفت فصائل الثورة على تنفيذ خطة هجوم مشترك يستوعب قواتها وأسلحتها • كذلك كان المناخ المحيط بالثورة فى ذلك الوقت يهيىء أفضل الفرص من أجل تحرير ارتريا واستقلالها • اذ كان النظام العسكرى الاثيوبى يواجه الهزائم على الجبهتين الصومالية والارترية • ولم يكن حتى ذلك الوقت قد وجد الحليف الدولى بعد تجمد العلاقات مع الولايات المتحدة وتردد السوفيت فى اجراء تحولات جذرية فى تحالفاته مع دول القرن الافريقى — على النحو الذى سنبينه فيما بعد • ولكن قيادات الثورة الارترية فشلت فى الوصول بعد مؤتمر الخرطوم عام ١٩٧٧ الى الصيغة التوحيدية فى الوقت المناسب ، الأمر الذى أتاح للنظام الأثيوبى فترة كافية لالتقاط أنفاسه ، وسمح للتحويلات فى الانتماءات الخارجية لدول القرن الافريقى بخلق حالة من الاسترخاء العسكرى توقعا لحل القضية حلا سلميا (١) •

وقد أدى الهجوم الاثيوبى المكثف على جبهات التحرير الارترية خلال عامى ١٩٧٨ و١٩٧٩ الى آثار بالغة الخطورة بالنسبة للجبهة الام — جبهة التحرير الارترية — حيث أظهر هذا الهجوم مدى ضعف الجبهة التنظيمى وأدى الى تحطيم القوة القتالية لها نتيجة ضعف الصلة بينها وبين قاعدتها الجماهيرية •• الأمر الذى نتج عنه حدوث انقسامات جديدة داخل جبهة التحرير وتكوين كل من « اللجنة الثورية لجبهة التحرير الارترية » و« المجلس الثورى لجبهة التحرير الارترية » . بالاضافة الى خروج قوات هذه الجبهة من الاراضى الارترية بعد مواجهة مع الجبهة الشعبية وتمركزها على حدود السودان • ويعتبر انهيار جبهة التحرير الارترية كقوة قتالية فعالة على الساحة الارترية نتيجة للأسس الهشة التى قامت عليها الجبهة منذ نشأتها والتى اعتمدت على التنظيم الاقليمى ، والمحافظة على الانماط التقليدية الاجتماعية والسياسية فى ارتريا ، وعدم تطوير قنوات اتصالات مع الجماهير فى قلب ارتريا (٢) •

(1) Pool, «Africa's Longest —— » **op. cit.**, pp. y-z.

(2) Johnson, **op. cit.**, p. 192. Also, Bearman, M., Eritrea: Freedom Fighters Bury the Hatchet. «in **New African**, August 1984, p.32. And. Pool, «Africa's Longest War. «**op. cit.**, p. x.

وقد استفادت الجبهــة الشعبية لتحرير ارتريا من التجــارب التى خاضتها الجبهة الام • فوضعت برنامجا اجتماعيا يهدف الى نقل الثورة الى قلب الجماهير الارترية ، وحققت درجة عالية من التطابق بين النظرية والتطبيق ، الامر الذى منح نضالها درجة أكبر من الفعالية والثورية عن باقى حركات التحرير الارترية • فقد اتجهت الجبهة الشعبية الى تنمية قاعدتها فى الريف مؤكدة على التعليم السياسى والتطبيق الديمقراطى . وربطت ذلك بالاصلاح الزراعى وبتوفير الخدمات الطبيــة والبيطرية والتعليمية وغيرها • وقد اعتمدت الجبهة فى تطبيق الاصلاح الزراعى على الفلاحين الذين خضعوا مسبقا للتوعية السياسية ، وعلى دراســات ومعلومات تفصيلية عن نظم الملكية التقليدية فى كل قرية • وبعد أن تم عملية اعادة توزيع الارض بالتساوى يشكل مجلس للقرية من صغار الفلاحين وتتكون بها « ميليشيا شعبية » • كذلك اعتمدت عملية تسييس الحياة الريفية على جمعيات الفلاحين والجمعيات النســائية وتنظيمــات الشباب • وعلى الرغم من وقوع بعض الأخطاء فى البداية ، الا أنه فى النهاية يتعود الفلاحون على طبيعة الثورة الاجتماعية وطبيعــة دورهم فيها • وتحتل عملية تسييس المرأة الارترية وتحريرها جزءا هاما من الثورة الاجتماعية فى ارتريا • اذ تشكل المرأة ثلث أعضاء الجبهــة الشعبية ، وتشارك فى أعمالها القتالية بعد أن اختفى تقسيم العمل على أساس الجنس • والى جانب مدارس الكوادر فان الجبهة الشعبية قد وجهت اهتمــامها الى نشر التعليم ومحو الامية حتى تحت ظل أقسى الظروف القتالية وبعض المدارس تقام فى العراء أو داخل المخابىء • كذلك حققت الجبهة الكثير من التطــور فى خــدماتها الطبية بانشــاء المستشفيات والعيادات وتكوين كادر طبى متحرك • وقد فرضت الظروف السياسية على الجبهة الشعبية الالتجاء الى استراتيجية الاعتمــاد على الذات ، نتيجة قلة التمويل الخارجى لها • ولذلك يشكل الدور الانتاجى للمقاتلين فى الجبهة جزءا لا يتجزأ من ســياسة الجبهة الاقتصادية ، حيث يشــارك المقــاتل فى انشاء الطرق وفى أعمــال الزراعة والحصــاد مع الفلاحين (1) •

وهكذا استطاعت الجبهة الشعبية أن تستفيد من مجمل التجــربة السياسية للثورة الارترية ، واستطاعت كسب تأييد المسلمين والمسيحيين

(1) Johnson, **Ibid., pp.** 189-91. Also, Pool, **Ibid.,** P. z.

على حد سواء ، وأزالت أسس الفرقة والانقسام من خلال السلوك اليومي وتلاحم الجنود مع الفلاحين فى اريتريا ، كما استطاعت أن تقضى على الأفكار الاقطاعية العشائرية والانقسامات الدينية عن طريق التوعية السياسية (١) .

ومن ناحية أخرى فقد أدى ارتفاع مستوى القدرات التنظيمية للجبهة الشعبية ، وقيادتها لتنمية البناء الداخلى لاريتريا ، الى صمودها أمام الهجمات المتتالية للجيش الاثيوبى على الاراضى المحررة . بعكس جبهة التحرير الاريترية . فقد استطاعت الجبهة الشعبية أن تصمد أمام الهجوم الاثيوبى الذى دعمه السوفييت عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ ، ونجحت فى أن تحول الموقف الى حرب استنزاف على جبهة طولها ٦٠ كيلومترا . كذلك فانه فى أعقاب عملية النجم الاحمر — التى قادها الرئيس منجستو بنفسه — استطاعت قوات الجبهة أن توقف تقدم الجيش الاثيوبى وأن تتحول من موقف الدفاع الى موقف الهجوم بعد معارك ضارية ، كما استطاعت أن تشن هجوما مكثفا على معسكرات تدريب ميليشيات الفلاحين التى سعت أثيوبيا الى تكوينها فى الجنوب الاريترى ، فأجهضتها الجبهة الشعبية مع بداية ١٩٨٤ . وتشير تقارير المراقبين الى أن الحكومة الاثيوبية تعانى — منذ ذلك التاريخ — اسوأ نكسة لقواتها أمام القوات الاريترية منذ ٢٣ عاما . ففى الشهور الخمس الاولى من عام ١٩٨٤ ، حققت الجبهة الشعبية عدة انتصارات مفاجئة وملموسة فى « تيسفاى » فى غرب اريتريا ، وعلى الساحل الشرقى الشمالى وفى السهول شرقى « ناكفا » وفى نهاية مايو ١٩٨٤ انهارت مقاومة الجيش الاثيوبى فى تلك الجبهات ولم يستطع أن يمنع قوات الجبهة الشعبية من الاستيلاء على عدة نقاط ذات أهمية استراتيجية . ولعل أكثر الهجمات التى قادتها الجبهة شراسة كان الهجوم الذى شنته على قاعدة أسمرة الجوية فى ٢٠ مايو ١٩٨٤ وشكل ضربة قاصمة للقوات الجوية الاثيوبية فى العاصمة الاريترية . وادعت الجبهة الشعبية أن حصيلة هذه المعارك كانت قتل ما يزيد عن أربعة آلاف جندى أثيوبى ، وأسر حوالى ثلاثة آلاف آخرين ، بينما فر ما يقرب من ألف جندى تاركين وراءهم معدات حربية ومدرعات ودبابات استولت عليها الجبهة (٢) .

---

(١) سعيد الجناحى — مرجع سابق ، ص ١٨ و ص ٥٣ .

(2) «Ethiopia ; The Eritrean Challenge, «in **Africa Now**, July 1984, pp. 21-2.

وبذلك فان النصف الاول من عقد الثمانينات قد أتى باعادة ترتيب فى مراكز ومواقع جبهات التحرير من الحركة الوطنية الارترية • فقد استطاعت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا ان تثبت خلال هذه الفترة مدى فعاليتها وتفوقها على غيرها من الجبهات الارترية ، حيث تسيطر قواتها التى قوامها عشرون ألف مقاتل على ٨٠٪ من الاراضى الارترية ، وتترك بذلك باقى الجبهات على هامش الساحة النضالية ، بعضها — مثل المجلس الثورى لجبهة التحرير — يحاول اثبات وجوده من خلال عمليات موجهة من خارج ارتريا ، والبعض الآخر مثل قوات التحرير الشعبية يقوم بعمليات هجومية بهدف اثبات قدراتها العسكرية واقناع الدول الممولة لها بمدى فعاليتها (١) •

وعلى الرغم من كون الجبهة الشعبية أكبر الجبهات الارترية وأكثرها نجاحا ، الا انه يبقى أمامها حل التناقض الاساسى الذى يواجه حركة التحرير الارترية ، وهو تحقيق الوحدة الوطنية بينها وبين باقى الجهات• فبرغم الترحيب العلنى من جانب كل جبهات التحرير بالمبادرات العربية المتتالية من أجل تحقيق هذه الوحدة ، الا أن روح الشك المتبادل وخبرات التنازع والحرب الاهلية لازالت عائقا أمام حل هذا التناقض •

ثالثا — الاتجاهات الدولية نحو القضية الارترية :

أدى الموقع الاستراتيجى لارتريا على مدخل البحر الاحمر والمحيط الهندى الى جعلها منطقة جذب لمحاولات السيطرة عليها من الامبراطوريات المتعاقبة طوال تاريخها — كما رأينا من قبل • كذلك فانه بانتهاء الاحتلال الايطالى لها فى ١٩٤١ بدأت سلسلة أخرى من محاولات السيطرة وفرض النفوذ الاجنبى على المنطقة •

وقد زاد من حدة هذه المحاولات ، تفجر الثورة المسلحة فى ارتريا بعد الضم القسرى الاثيوبى لها فى ١٩٦٢ •• واحتياج هذه الثورة للمساعدات الخارجية • ومن ناحية أخرى فان تفجر الثورة فى اثيوبيا فى ١٩٧٤ واتجاه النظام الحاكم فى اعقابها الى اليسار ، قد أعاد ترتيب مواقف الاطراف الدولية من القضية ، على النحو الذى سيحاول الجزء القادم من الدراسة رصده وتحليله •

---

(1) Bearman, *op. cit.*, pp. 30-1.

١ - الموقف الأمريكى :

اذا كان الاستيلاء على اريتريا قد مثل أحد الأهـداف الرئيسية لأثيوبيا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فانه بدون التحالف مع الولايات المتحدة لما أمكن لهيلاسيلاسى أن يحول هذا الحلم الى حقيقة . فقد اتفقت الاهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة فى المنطقة فى تلك الفترة مع رغبة الامبراطور الاثيوبى من حيث رفض فكرة استقلال أريتريا ، خوفا من امتداد النفوذ الشيوعى الى المنطقة . ومن أجل تدعيم الدور الاثيوبى فى الدفاع عن الشرق الاوسط ، وحصول أمريكا على تسهيلات الاستخدام المطلق لمحطة الاتصالات فى كانيو بأسمرة الى جانب بعض التسهيلات العسكرية الاخرى فى ميناء مصوع . لذلك فقد احتضنت الولايات المتحدة المطلب الاثيوبى فى المحافل الدولية وهيأت **المناخ الملائم لقيام الاتحاد الفيدرالى لاريتريا مع أثيوبيا (١) .**

ولكن السبعينيات شهدت تغييرا فى العلاقات الاثيوبية الامريكية بعد أن فقدت قاعدة الاتصالات فى كانيو أهميتها نتيجة للتقدم التكنولوجى فى مجال الاقمار الصناعية ، وبعد أن قطعت أثيوبيا علاقتها مع اسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ وتناقصت فاعليتها كحليف فى الشرق الأوسط . كذلك أدت الأوضاع غير المستقرة فى أثيوبيا داخليا الى ابتعاد الولايات المتحدة عن مساندة نظام هيلاسيلاسى فى سنواته الأخيرة . وبعد سقوط هيلاسيلاسى ظلت العلاقات بين البلدين دون أى تغيير يذكر فى خلال المرحلة الأولى من الثورة الاثيوبية . وبالرغم من الخلافات الحادة داخل الادارة الامريكية الا أنه حتى بداية ١٩٧٧ ، كان الخط المتبع فى **السياسة الأمريكية هو عدم معارضة (الدرج) وذلك نتيجة للوجود** السوفيتى فى الصومال ، وعدم رغبة أمريكا فى انفصال اريتريا عن أثيوبيا لاعتبارات أمن البحر الأحمر . ولكن بعد وضوح الاتجاه الراديكالى للنظام الحاكم فى أثيوبيا ، اتجهت الولايات المتحدة الى تخفيض مساعداتها

---

(١) لمزيد من التفصيل عن موقف الولايات المتحدة فى هذه الفترة ارجع الى :

— **Marcus, Harold ; «Eritrea, Ethiopia, and America, 1949-53.» A paper submitted to the Fourth International Conference on the Nile Valley Countries, Khartoum, 1981.**

العسكرية لاثيوبيا بدعوى مخالفتها الصريحة لحقوق الانسان • ومنذ ابريل ١٩٧٧ ، تم اغلاق المصالح الأمريكية فى أثيوبيا وأوقفت شحنات الأسلحة الى أثيوبيا (١) •

وبالرغم من الوجود السوفيتى الكوبى فى أثيوبيا ، وتدفق الاسلحة السوفيتية بكثافة شديدة فى ٧٧ ــ ١٩٧٨ ، فان الولايات المتحدة لم تختف كلية من مسرح الأحداث ، فلا زالت تدخل أثيوبيا من باب المساعدات الغذائية والانسانية لمساعدة ضحايا الجفاف والمجاعة (٢) • كذلك تحاول الولايات المتحدة والغرب تغيير مواقفها من القضية الارترية كما حدث مع الصومال ، انتهازا لأية فرصة للنفاذ الى المنطقة بشكل أو بآخر ، مثل الاتصالات التى جرت بين بعض زعماء الجبهة الشعبية وبين دوائر السوق الأوربية المشتركة والمراسلات المتبادلة مع الدوائر الأمريكية ، واعلان كل من الحزب الاشتراكى الفرنسى وحزب العمال البريطانى تأييدهما للكفاح الارترى عام ١٩٨٢ (٣) •

٢ ــ موقف اسرائيل :

بينما كانت الولايات المتحدة تتولى امداد هيلاسيلاسى بالمال والسلاح كانت اسرائيل ــ عميلتها فى الشرق الأوسط ــ تتولى تدريب الجيش الاثيوبى وخاصة وحدات الكوماندوز • وحتى بعد ثورة ١٩٧٤ ، استمرت المساعدات الاسرائيلية العسكرية لأثيوبيا ، حيث اشترك بعض الضباط الاسرائيليين فى معركة نهر عنسيبا Anseba فى ١٩٧٦ ، حينما حاول الجيش الأثيوبى فك الحصار عن مدينة نكفا • وهناك أكثر من سبب للتورط الاسرائيلى فى ارتريا ، فاسرائيل ترى أن تحرير ارتريا معناه تهديد ميناء ايلات بالاغلاق نتيجة السيطرة العربية على باب المندب • ومن ناحية أخرى فان مساعدات اسرائيل تهدف الى توطيد علاقتها بالدول الافريقية ذات الثقل فى القارة ، من أجل منع تكوين وحدة اتجاه عربى افريقى تجاه مشكلة فلسطين والصراع العربى الاسرائيلى • ومن ناحية ثالثة فان هذه المساعدات كانت تهدف الى النفاذ الى الاعماق

---

(1) Brind, Harry; «Soviet Policy in the Horn of Africa, «in **International Affairs**, Winter 1983-4. p. 93.

(2) Pool, «Africa's Longest War.», op. cit., pp. n-c.

(٣) حلمى شعراوى : مرجع سابق : ص ١٤٦ ، انظر أيضا :
— Legum, «Ethiopia. Towards ——— », **op. cit.**, p. B 145

الجنوبية للوطن العربي • فعن طريق أثيوبيا كانت الولايات المتحدة تستخدم اسرائيل فى تقديم المعونات من الأسلحة الى حركة تحرير جنوب السودان (١) • لذلك فان اسرائيل ترى أن مصلحتها من التحالف مع النظام الحاكم فى أثيوبيا ، بغض النظر عن كون ذلك النظام رأسماليا أم ماركسيا •

٣ ــ الموقف السوفيتي :

حتى قيام الثورة الأثيوبية عام ١٩٧٤ كان الاتحاد السوفيتي هو الحليف التاريخي للحركة الوطنية فى الاريتريا • فقد أيد السوفييت مطالب الاريتريين عند عرض قضية مصير المستعمرة الايطالية على الأمم المتحدة (٤٨ ــ ١٩٥٠) وطالب بالاستقلال الفورى لاريتريا • ولكن مع تصاعد دور هيلاسيلاسى فى أفريقيا كان الاتحاد السوفيتي يتحفظ فى علاقته بالثورة الاريترية ، وكانت مساعداته لها تصل عن طريق الدول العربية الراديكالية الى جانب تدريبه للكوادر العسكرية منذ الستينيات (٢) •

وفى أعقاب الثورة الاثيوبية ، كانت العلاقات بين السوفييت وأثيوبيا حذرة فى البداية ثم ما لبث الاتجاه الراديكالى المعلن للقيادة العسكرية أن شجع على تدعيم هذه العلاقات تدريجيا • وفى مايو ١٩٧٦ ، أعلن الاتحاد السوفيتي تأييده لاقتراح الدرج بأعطاء اريتريا شكلا محدودا من أشكال الحكم الذاتى ، وقد رأت جبهات التحرير فى ذلك الموقف السوفيتي خيانة لقضيتها ، ومع ذلك فقد استمرت آمالها فى أن يعود الحليف الاستراتيجى الى الخط الأساسى للثورة • ولكن هذه الآمال ما لبثت أن تحطمت حينما حول الاتجاه السوفيتي اتجاه تسليحه الى ترسانات الدرج فى أديس أبابا منذ ١٩٧٧ • وحينما وصل المستشارون العسكريون السوفييت الذين خططوا لحملة الاوجادين الى أسمرة ، بدأت الدرج فى التحدث صراحة عن تحطيم المقاومة الاريترية (٣) •

---

(1) Pool, «Africa's Longest —— » **op. cit.,** p. n.

(٢) حلمى شعراوى : مرجع سابق • ص ١٤٥ • انظر أيضا : د. محمد نصر مهنا و د. جلال يحيى : « مشكلة القرن الافريقى وقضية شعب الصومال » القاهرة ــ دار المعارف ، ١٩٨١ • ص ٦٠٦ •

(3) Legum & Lee, B.: «Crisis in the Horn of Africa;» in **Africa Contemporary Record, 1977-8.** «Africana Pub. Co., London, 1979. p. A 39. Also, Brind, **op. cit.,** p. 93.

وخلال عام ١٩٧٧ ، قدم الاتحاد السوفيتى لأثيوبيا ما قيمته بليون من الدولارات من الأسلحة الى جانب المستشارين والضباط العسكريين ، الذين شاركوا فى قيادة وتنسيق الهجوم الاثيوبى فى ١٩٧٨ • وقد كانت المساعدات السوفيتية العامل الأساسى فى احتلال الجيش الأثيوبى لاريتريا مرة ثانية بعد أن حرر الثـوار ما يقرب من ٩٠٪ من أراضيها • حيث اشترك ما بين ١٥٠ ــ ٢٥٠ ضابطا سوفيتيا فى المعـارك جنوبى كيرن • وهكذا فان التحول الذى حدث فى مواقف الاتحاد السوفيتى نحو دول القرن الافريقى ، أدى الى تحول ميزان القوى فى اريتريا ضد مصالح جبهات التحرير ، التى كانت تعتمد الى حد كبير على المساعدات من دول المعسكر الشرقى (١) •

كذلك كانت المساعدات العسكرية السوفيتية وراء الهجوم الاثيوبى الذى اتخذ اسم عملية النجم الاحمر فى ٨٢ ــ ١٩٨٣ • فقـد تم هـذا الهجوم بساعدة المستشارين العسكريين السوفييت فى الجيش الاثيوبى • وتدعى المصادر الاريترية ، أن هناك ما يقرب من ألف مستشار عسكرى سوفيتى فى اريتريا (٢) • كذلك صرح الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير اريتريا بأن الاتحاد السوفيتى قد زود اثيوبيا مع مطلع عام ١٩٨٤ بمئات من الدبابات وسربين من طائرات الميج ٢٣ ، وسرب من طائرات السوخوى ، الى جانب قطع المدفعية الثقيلة والذخيرة (٣) • ويبدو أن هذه المساعدات كانت تهدف تدعيم مواجهة الجيش الاثيـوبى لحـرب العصابات المتنقلة التى تجيدها قوات الجبهة الشعبية ، ومحاولة لوقف الانتصارات العسكرية لها •

وهكذا فان المصالح الاستراتيجية للاتحاد السوفيتى فى منطقة القرن الافريقى وضعته وجها لوجه أمام رفاق السلاح ممن يجمع بينهم وبينـه وحدة المبادىء والايديولوجية • وأثبت الاتحاد السوفيتى أن المصلحة القومية قد تعلو أحيانا فوق الاعتبارات الايديولوجية • فقـد فضـل السوفييت مساندة نظام عسكرى أثيوبى يدعى الماركسية ويتبنى اتجاها

---

(1) Pool, «Eritrea ; the Armed Struggle ——— », op. cit., p. 8

(2) Legum, «Ethiopia, Towards ——— », op. cit., p. B 146.

(٣) « موسكو تزود اثيوبيا بكميات ضخمة من الأسلحة » الأهـرام القاهرية ، ١٩٨٤/١/٢٠ •

شعبيا فى الحكم ، على الاستمرار فى تأييد الثورة الاريترية ، بالرغم مما أثبتته احدى جبهاتها من تطبيق فعلى وعملى للمبادىء الماركسية – اللينينية .

٤ – الموقف الكوبى :

كانت كوبا تتولى تدريب الكوادر العسكرية الاريترية منذ ١٩٦٨ ، كما أظهرت منذ ذلك الحين فهما عميقا للثورة الاريترية . ولكن التحالف السوفيتى الأثيوبى منذ ١٩٧٧ ، استتبع تقاربا كوبيا أثيوبيا ، حيث دخلت القوات الكوبية الى أثيوبيا منذ ١٩٧٨ ، ولكن كوبا تبنت موقفا من القضية الاريترية مختلفا عن ذلك الذى تحول اليه الاتحاد السوفيتى . فقد أخذت كوبا المبادأة فى محاولة تهيئة أساس للاتفاق حول المشكلة ، حينما دعت منجستو الى هافانا فى أبريل ١٩٧٨ ، ورتبت للقائه بجورج حبش الذى يتمتع بعلاقات طيبة مع قادة الجبهات الاريترية . ولكن خطب منجستو بعد عودته أوضحت فشل كاسترو فى اقناعه بالحل السياسى (١) .

ومنذ منتصف ١٩٧٨ بدأت العلاقات بين أثيوبيا وكوبا تسوء ، منذ أن حاول السفير الكوبى سرا تسهيل عودة زعيم حزب « الحركة الاشتراكية لكل ثيوبيا » السابق الى أثيوبيا ، تهيئة لتوليه منصبا فى الحزب العمالى السياسى المرتقب وكان رد منجستو على ذلك هو طرد السفير الكوبى من أديس أبابا (٢) .

وفى نفس الوقت أكدت كوبا مرارا للاريتريين عدم اشتراك قواتها فى الحرب ضدهم ، وأن دور القوات الحكومية الموجودة فى أسمرة انما هو للدفاع فقط ، ولكن هذا التبرير لم يرض الاريتريين . كذلك أعلن كاسترو للصحافة الامريكية فى ١٩٧٨ ، أن مشكلة اريتريا مشكلة أثيوبية ، وليست مشكلة كوبا ، وأن الحكومة الاثيوبية على علم بموقف حكومته ، وتحترم هذا الموقف . وقد أعلن متحدث باسم الجبهة الشعبية أن القوات الكوبية توقفت عن القتال فى اريتريا ، مفضلة الحل السلمى السياسى للقضية (٣) .

---

(1) Legum & Lee, **op. cit.,** p. A 39.

(2) Ndovi ; «Cubans Withdrawing from Ethiopia. «in **New African** March, 1984. p. 32.

(3) Legum & Lee, **op. cit**. p. A 40.

وقد أعلنت المصادر الدبلوماسية الغربيـــة فى بداية ١٩٨٤ أن كوبا تخفض من قواتها العسكرية الموجــودة فى أثيوبيا الى ٣ آلاف جنــدى بعد أن وصل هذا العدد الى ١١ ألفا تقريبا • وطبقا للمصادر الامريكية فان هــذا الخفض قد بدأ منــذ سبتمبر ١٩٨٣ ، وان ذلك يرجع الى الأزمة الاقتصادية التى تمر بها أثيوبيا حيث يكلفها بقاء القوات الكوبية ستة ملايين دولار سنويا (١) •

٥ ــ الموقف العربى من القضية الاريترية :

أدى موقع اريتريا على مدخل البحر الأحمر والمحيط الهندى بساحل يبلغ طوله قرابة الألف كيلو متر بالاضافة الى ظروف نشأة حركة التحرير الاريترية فى القاهرة ــ مركز العالم العربى ــ الى خلق نوع من التوجــه الاريترى نحو الدول العربية جعلها تعتمد فى تأييدها وتمويلها وتسليحها على تلك الدول الى حد كبير •

ومن ناحية أخرى ، فان بعض الدول العربية نظرت للقضية الاريترية فى اطار مصالحها الاستراتيجية ، والبعض الآخر فرضت عليــه ظروف تحالفاته مع القوى العظمى تأييد الثورة الاريترية • ويمكن القول أن العلاقات العربيــة ــ الاريتــرية قد مرت بمنحنى متعرج من الصعود والهبوط ، طوال الربع قرن الماضى •

وجدير بالذكر أن أثيوبيا قد حرصت منذ تفجر الثورة الاريترية على تقديمها للعالم الخارجى باعتبارها مؤامرة عربية اسلامية ، تهــدف الى تفتيت وحدة شعب أفريقى وتهديد دولة مسيحية • وقد استغلت أثيوبيا فى ذلك ، الحساسيات الافريقية التاريخية تجاه العرب • وجدير بالذكر أيضا أن النظام الأثيوبى قد ظل يعزف على هذا النغم حتى بعد تحوله المعلن نحو اليسار ، فقد صرح بعض أفــراد ميليشــيا الفلاحين الذين سقطوا أسرى فى يد الثوار الاريتريين عام ١٩٧٧ ، بأن النظام الاثيوبى قد أقنعهم بأنهم متجهين نحو الشمال لصد « غزو عربى » (٢) • وقد نجحت أثيوبيا فى اثارة حفيظة بعض الدول الافريقية تجاه المساعدات العربيــة لجبهات التحرير الاريترية ــ خاصة تلك التى تعانى من مشكلات انفصالية

(1) Ndovi, **op. cit.,** p. 32.

(2) Pool, «Africa's Longest ——» **op. cit.** p. p.

مثل نيجيريا — اذ تعتبر هذه الدول أن تلك المساعدات من شأنها تفجير قضية تفتت القوميات فى أثيوبيا ، ومن ثم على مستوى القـارة ككل . وقد ظهرت هذه الاتجاهات فى افتتاحيات بعض الصحف الافريقيـة فى أعقاب مؤتمر القمة العربى الافريقى الأول فى ١٩٧٧ (١) .

وقبل أن نتناول بالتحليل مواقف بعض الدول العربية من القضية الاريترية ، فانه تجدر الاشارة الى أن الجامعة العربية منذ نشأتها قد حرصت على عدم معالجة هذه القضية كمسألة قومية عربية ، كما حرصت على عدم اتخاذ موقف واضح فى النزاع خلال مؤتمرات القمة العربية . أما قرار وزراء الاعـلام العرب فى ١٦/٢/١٩٧٥ « بضرورة ممـارسة الضغوط على أثيوبيا للاعتراف بحق الاستقلال وتقرير المصير للشعب الاريترى » فقد جاء نتيجة لضغوط الدبلوماسية العربية الجديدة للدول صاحبة النفوذ فى الجامعة والتى تتخذ موقفا خاصا من النظام الاثيوبى الجديد . ولكن تصاعد دور الجامعة فى تنسيق عملية التعـاون العربى الافريقى ، يحد من دورها فى القضية الاريترية (٢) . ويتركز هـذا الدور منذ بداية الثمانينيات فى المبادرات التى تقوم بها الجامعة من أجل توحيد جبهات التحرير الاريترية . فقد جمعت الجامعة العربية فصائل الثورة الاريترية فى تونس فى ١٩٨١ ، وترأس الاجتماع الشاذلى القليبى الأمين العام للجامعة ، ولكن تلك الجهود لم تسفر عن أى تقارب بين الجبهات ، خاصة بعد انفراد الدول العربية الخليجية بهذه المبادرات وما نتج عن ذلك من تعاملها مع الجبهات الأكثر اعتدالا ، ورفض الجبهـة الشعبية لهذه الجهود (٣) .

وأما فيما يتعلق بالمواقف المنفردة للدول العربية ، فقد كانت مصر من أوائل الدول العربية التى أمدت جبهة التحـرير الاريترية بالدعـم المادى والمعنوى فى الستينات . ولكن ظروف الحرب مع اسرائيل فى نهاية ذلك العقد أدت الى تخفيض مصر لمساعداتها للجبهة (٤) . كذلك أدى

(1) Legum, Afro-Arab Relations After the Cairo Summit,» in **Africa Contemporary Record, 1977-8».** Africana Publishing Co., London, 1979. p. A 49.

(٢) حلمى شعراوى : مرجع سابق . ص ١٤٢ .

(3) Legum, «Ethiopia : Towards ———,» op. cit. p. B. 144.

(٤) د. جلال يحيى — مرجع سابق ص ٦٠٢ .

ارتباط مصر بالسياسة الغربية فى القارة الافريقية فى عقد السبعينيات الى تفضيل السياسة المصرية للحل السلمى وحصـول اريتريا على نوع من الحكم الذاتى فى اطار اتحاد فيدرالى مع أثيوبيا .

وجدير بالذكر أن الخط الواضح « للدبلوماسية الهادئة » المصرية فى عدم التدخل فى الشئون الداخليـة لدول القـارة ، ورفض التورط العسكرى فى أى منها ، بالاضافة الى الاستراتيجية المصرية الخاصـة بالحفاظ على علاقات ودية مع أثيوبيا ــ دول حوض النيل بصفة عامة ــ كل هذه الاعتبارات دفعت الى اتخاذ موقف متحفظ من القضية الاريترية .

أما السودان فان وجود حدود مشتركة بينه وبين الاقليم الاريترى جعله أكثر انغماسا فى المشكلة الاريترية ، حيث يتحمل السودان عبء الآلاف من اللاجئين الاريتريين الذين تدفعهم اليـه ظروف الحرب مع أثيوبيا . وعلى الرغم من تأييد السـودان لحركات التحـرير الاريترية وسماحه لها بانشاء قيادتها فى كسلا ، الا أن قضـية التمرد فى جنـوب السودان ، والضغط الاثيوبى الممارس من خلالهـا ، يدفع السـودان أحيانا الى ايقاف التسهيلات التى يقدمها لتلك الجبهات . كذلك فان جهود السودان فى القيام بمبادرات من أجل تحقيق الوحدة الوطنية بين جبهات التحرير تعتبر محدودة [1] .

وتعتبر سوريا والعراق من أوائل الدول العربية التى ساندت حركات التحرير الاريترية عسكريا وماديا ومعنويا . ويمكن تفسير ذلك التأييد جزئيا من خلال وصول حزب البعث الى السلطة فى كلا البلدين ، اذ ينص دستوره على أن أرض الوطن العربى تمتد « حتى خلف جبال الحبشة ». وبعد انشقاق حركة التحرير الاريترية فى ١٩٧٠ ، أدخلت سوريا والعراق عدة تغييرات على تأييدهما للثورة الاريترية ، فقد أقامت سوريا علاقات قوية مع الجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا ، فى حين احتفظت العراق بروابط قوية مع جبهة تحرير ارتيريا . ويلاحظ أن العداء بين نظام حزب البعث فى كلا البلدين هـو الذى شجع هـذه الاختـلافات . وحاليـا تلعب الدبلوماسية السورية دورا فى محاولات التوفيق بين أجنحة الثورة ، فى حين تخص العراق جبهة قوات التحرير الشعبية بمساعداتهـا ، وقد

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠٥ .

استفاد عثمان صالح سابى من تعامل العراق مع قضية اريتريا كقضية عربية • ومنذ تورط العراق فى حربة مع ايران توقفت جميع مساعداته لجبهات التحرير الاريترية (١) •

ويرجع اهتمام المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى بالقضية الاريترية الى اعتبارات استراتيجية ، أكثر منها اسلامية أو عربية • فقد تعاملت المملكة السعودية مع الثورة الاريترية منذ الستينيات من واقع استراتيجيتها الوطنية الخاصة ، فاقتربت من الاريتريين فى ظل الفكرة الاسلامية • ولكن حينما واجهت تهديدا يساريا من عدن ، « ونفوذا شيوعيا » تبعا لذلك فى تقديرها : وثقت السعودية علاقاتها بأثيوبيا الامبراطورية ، وتحفظت عمليا على الاتجاهات اليسارية فى الثورة الاريترية بل وكفت عن أية صلة بها • ولم تعد الرؤية الاسلامية نشطة فى السياسة السعودية نحو اريتريا الا مؤخرا ، لاعتبارات استراتيجية وطنية مرة أخرى ، بالنسبة للنظام الاثيوبى الجديد (٢) •

وتركز السعودية ودول الخليج مساعداتها خلال السنوات العشر الماضية على جبهة عثمان صالح سابى ــ قوات التحرير الشعبية ــ باعتبارها حركة معتدلة ذات قيادة اسلامية ، لذلك فهى تمثل بديلا مقبولا للجبهة الشعبية ماركسية الاتجاه • ولذلك أيضا فان المساعدات الممنوحة للجبهة الشعبية ــ على ضآلتها ــ أصبحت مقيدة ومشروطة بتعاونها مع قوات التحرير الشعبية • وقد أعلن أحد المسئولين السعوديين الذى حضر للمؤتمر الصحفى للجبهة الأخيرة فى مايو ١٩٨٤ : أن السعودية ستمنح مساعدات لاحد لها للثورة الاريترية لو استطاعت جبهات التحرير أن تحل المشكلات فيما بينها وتحقيق وحدتها (٣) •

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠٤ . انظر أيضا ــ حلمى شعراوى ــ مرجع سابق ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

(٢) حلمى شعراوى : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(3) Bearman, **op. cit.**, p. 31. Also, «Ethiopia : the Eritrean Challenge,» **op. cit.** p. 22.

وقد اعترضت الجبهة الشعبية مرارا على محاولات دول الخليج والسعودية دفع حركات التحرير الأخرى الى الوحدة ، وأعلنت أن هذه المحاولات تهدف الى ضرب الحركة الشعبية والضغط عليها بوقف المساعدات عنها لقبول اتفاقيات للوحدة بشروط مجحفة فى حقها • وتضرب لذلك مثلا بالاتفاق الثلاثى الذى تم فى جده فى فبراير ١٩٨٣ ، الذى تجاهل الجبهة الشعبية • وردا على ذلك الاتفاق قامت الجبهة بعقد اتفاق آخر ثنائى مع جبهة قوات التحرير الشعبية فى الكويت فى ديسمبر ١٩٨٣، وآخر مع القيادة المركزية لجبهة التحرير الاريترية فى مارس ١٩٨٤ وتعتبر الكويت ودولة الامارات العربية أكثر دول الخليج انتظاما فى مساعداتها لجبهة التحرير الشعبية •

واذا كانت المساعدات القادمة من دول الخليج العربى المحافظة قد تأثرت بنمو الاتجاه الراديكالى داخل جبهات التحرير الاريترية •• فان الدول التى تعلن عن راديكاليتها فى العالم العربى ، قد عدلت من مواقفها من تلك الجبهات نتيجة لاعتبارات تتعلق بالصراع الدولى فى القرن الأفريقى •

فقد كانت كل من ليبيا واليمن الجنوبى مصدرا أسياسيا من مصادر الدعم المادى والمعنوى لجبهات التحرير الاريترية طوال الستينيات والنصف الأول من السبعينات ، وكانت عدن نقطة عبور شحنات الاسلحة والمؤن المتجهة الى اريتريا • ولكن فى أعقاب ثورة ١٩٧٤ فى اثيوبيا ، وماتبعه من تعديل الاتحاد السوفيتى لمواقعة فى القرن الافريقى : عدلت الدولتان من مواقفهما تجاه الثورة الاريترية • وعلى النقيض من مواقفهما السابقة طالبت الدولتان باجراء مفاوضات بين جبهات التحرير والحكومة الاثيوبية ، بل انهما اتخذتا موقف العداء السافر تجاه الثورة الاريترية ، والى حد المشاركة بالمال والسلاح فى هزيمتها عام ١٩٧٨ على يد الجيش الاثيوبى (١) •

---

(1) Legum, «Ethiopa ——,» **op. cit.** p. B 144. Also, Dearman, **Ibid.**, p. 30.

وهكذا ، فقد ادى الموقف العربى من القضية الاريترية الى تعميق الخلافات المطروحة على ساحتها الى حد كبير ، بمحاولة هـذه الدول التعامل مع أكثر الجبهات تحقيقها لمصالحها القومية • كذلك أدت تبعية بعض الدول العربية لاحد المعسكرين الشرقى أو الغربى الى اتخاذها بعض المواقف المتناقضة حيال قوى هذه الثورة •

وبصفة عامة فان المساعدات العربية المقدمة للثورة الاريترية ليست كبيرة أو فعالة بالدرجة التى تصورها أثيوبيا •• ويحد منها التناقضـات الموجودة على الساحة العربية ذاتها : : بالاضافة الى تحفظ العرب نحـو المساس بحساسية الا فارقة السياسية نحوهم •

٦ ــ موقف المنظمة الافريقية :

يثير الموقف فى اريتريا قضية تحاول منظمة الوحدة الأفريقية عـدم مواجهتها نتيجة خبرة الحرب الاهلية فى نيجيريا ، وما كاد يترتب عليها من انقسام شديد فى صفوف المنظمة • وفى داخل المنظمة ، يتصارع مبدءان :

الأول : هو حق تقرير المصير ، والثانى وهو مبدأ احترام السـيادة والوحدة الاقليمية لكل دولة من دول القارة والحفاظ على الحدود الموروثة عن الدول الاستعمارية فى أفريقيا • ونتيجة للدور القيادى للامبراطور هيلاسيلاسى فى القارة وعلى مستوى منظمة الوحدة الأفريقية ، فان المبدأ الثانى هو الذى كانت له الغلبة• وعن طريق الاتصال الشخصى للامبراطور نجحت اثيوبيا فى حجب المشكلة الاريترية عن ساحة المنظمة • ثم أدت خبرة الدول الافريقية بالمحاولات الانفصالية الى استمرار المنظمة فى النظر للمشكلة الاريترية على انها مشكلة داخلية لدولة عضو بها • وبهذا منعت القضية الاريترية من أن يصل صورتها الى كل من المنظمات الدوليـة أو الاقليمية ، ولم يبق امامها سوى مجال العلاقات الثنائية بينها وبين الدول الصديقة ، أو التعامل مع المنظمات الشعبية غير الرسمية مثل منظمة تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية : رغم تأثيرها العالمى المحدود (١) •

---

(1) Pool, **Ibid.**, p. p. Also, Ekpo, Smart; «Eritrea: The OAU andthe Secession Issue,» in **Africa Report, November, 1975, pp. 33-5.**
أيضا : حلمى شعراوى ــ مرجع سابق ص ١٤٤ .

رابعا : قضية اريتريا واحتمالات المستقبل :

ومن خلال التحليل السابق لمواقف الأطراف الداخلية والخارجية من القضية الاريترية ، نستطيع أن نرصد عدة مؤشرات حول الاحتمالات التى تواجهها فى المستقبل ٠

١ ــ أن النظام العسكرى الحاكم فى اثيوبيا قد وصل الى درجة من الاعياء والانهاك نتيجة لاستنزاف جهوده على عدة جبهات : فالى جانب الحرب الطويلة الا مد التى يخوضها ضد الثورة الاريترية ، هناك الحركات القومية المتفجرة فى اثيوبيا والتى ترفض استمرار سيطرة الامهرة عليها ٠ وقد تحالف بعضها مع فصائل الثورة الاريترية ــ مثل جبهة تحرير تيجرى ــ من أجل المزيد من الضغط على حكومة أديس أبابا ٠ ثم هناك حركات المعارضة المدنية المتعاقبة ، والتى يستثيرها ديكتاتورية الدرج وتفعيتها ، هذا بالاضافة الى مواجهة النظام لاخطار المجاعة الناتجة عن ظروف القحط والجفاف التى تهدد حياة سبعة ملايين مواطن ، والتى تستثير ذكريات المجاعة فى وولو عام ٧٣ ــ ١٩٧٤ تلك التى أسقطت حكم هيلاسيلاسى كل هذه المصاعب قد أفقدت النظام الاثيوبى القدرة على تحقيق نصر حاسم على الساحة الاريترية ٠

٢ ــ ومن ناحية أخرى ، فان الثورة الاريترية قد وصلت الى درجة عالية من النماء وتعميق الأسس الضاربة فى أعماق التربة الاريترية ٠ فقد نجحت هذه الثورة فى أن تكون ثورة شعبية صاعدة من القاع ، وأن تطور نوعا من الشعور القومى الناضج الذى يمنح قواتها درجة عالية من الروح المعنوية ٠ ان السلوك الفعلى للثورة فى فترة السنوات العشر الماضية ــ وبخاصة الجبهة الشعبية ــ بتأكيده على التطوع فى التجنيد والديمقراطية الداخلية ، وتعميق قنوات الاتصال بين الجبهة العسكرية وجماهير الفلاحين، يوفر الفرصة والمناخ الملائم لتشكيل صورة مجتمع ما بعد الثورة ، الامر الذى تفتقده الكثير من الثورات الافريقية ٠ ومن هنا فانه يصعب تصور امكانية القضاء على هذه الثورة قضاء نهائيا ٠

٣ ـ ومن ناحية ثالثة ـ وعلى الرغم مما سبق ـ فان الانباء تشير مؤخرا الى حشد النظام الاثيوبى لقوات قوامها (١٥٠ ألف) مقاتل فى محاولة لوقف تقدم قوات الجبهة الشعبية ، وانتصاراتها التى تحققت خلال النصف الأول من عام ١٩٨٤ • كذلك يعتقد النظام الاثيوبى ان الدعم الخارجى للثورة الاريترية ـ نتيجة ـ ظروف وتعقيدات الموقف الدولى ـ فى تناقص مستمر : خاصة مع عدم توافر الرغبة لدى أى من القوتين الأعظم فى أن تنال اريتريا استقلالها • واذا أضفنا الى ما سبق ظروف التصارع بين فصائل الثورة الاريترية ، وخبرات الحروب الاهلية التى جعلت الخلافات بينها مشكلة مزمنة منذ أكثر من ١٤ عاما ، الى جانب الفشل المتكرر فى التوصل الى صيغة ملائمة ـ تحقق بها الجبهات قدرا من التنسيق أو الوحدة فى مجابهتها للنظام فى أديس أبابا ، فان الاعتقاد بعدم قدرة الثورة الاريترية على حسم الموقف لصالحها يجد أسسا منطقية وواقعية تدعم صحته •

كل المؤشرات السابقة تدفع الى الاعتقاد بأن الحل العسكرى هو أعقد الطرق نحو حل القضية الاريترية ، ولكن الحل السلمى أيضا قد وصل الى طريق مغلق ، والنتيجة هى توقع استمرار حالة الجمود التى وصلت اليها القضية الاريترية لفترة قد تكون طويلة ، واستمرار وجودها كأحد ينابيع الصراع فى منطقة القرن الافريقى • وان كنا نعتقد أن خبرة الكفاح الوطنى تثبت دائما ان ارادة الشعوب هى التى تنتصر فى النهاية •

د• نجوى الفوال

المجموعة الثانية



الجفاف وأثره على الثروة الحيوانية في الصومال

د. السعيد ابراهيم البدوى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جـامعة القـــاهرة

اولا : اهمية الثروة الحيوانية فى الاقتصاد الصومالى

من الملاحظ أنه فى معظم دول العالم الثالث أن القطاع الريفى يقدم بعض الاحتياجات الاساسية للصناعة والخدمات • حيث يقدم الغذاء والمواد الخام والبشر والاموال المستثمرة • ولكن هـذا لا يعنى أن القطـاع الريفى لا يحتاج الى البشر المنتجين والاموال لتطويره (1) •

ويعتبر قطاع الثروة الحيوانية القطاع البارز فى الاقتصاد الصومالى حيث يعتبر المصدر الاساسى للصادرات الصومالية والحصول على النقـد الاجنبى ، وتعتبر تجارة الحيوانات الحية ذات أهمية أكبر من اللحوم المجهزة والجلود بالنسبة للصومال • ولا شك أن اعتماد الصومال على الثروة الحيوانية سوف يستمر لبعض الوقت فى المستقبل ومعنى هـذا أن الفرص الاساسية للتطوير سوف تتركز على تحسين انتاج وتسويق الثروة الحيوانية •

ويرجع هذا الى أن امكانيات التنميـة الزراعيـة محـدودة بسبب انخفاض كمية الامطار ونقص المياه الجوفية • وفيما يلى بيـان يوضح أهمية الثروة الحيوانية فى الصادرات الصومالية مقـارنة بالصـادرات الاخرى خلال الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥ بالمليون شلن صومالى •

---

(1) Economic Trans formation in a socialist Frameuork, An. employment and basic needs oriented development strategy for somalia p. 71.

السنة	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
الثروة الحيوانية	١٤٤	١٨٠	٢٦٨	٢٤٣	٢٨١	...
المـــوز	٦٨	٧١	١٠٢	٧٢	٨٠	١٠١
أخـــرى	١٦	٢١	٢٤	٤٣	٤١	...
المجموع	٢٢٨	٢٧٢	٣٩٤	٣٥٨	٣٠٢	—

ورغم هذه الاهمية فقد كانت الاستثمارات العـامة فى عـام ١٩٧٧ للثروة الحيوانية ٤٨٫٤ مليون شلن صومالى من مجموع الاستثمارات الكلية البالغة ١٫٣٠٠٫٦ مليون شلن ، ونلاحظ أن هـذا الرقم يبـدو ضئيلا الا أنه اذا ما قورن باستثمارات بعض القطاعات الاخرى يبـدو رقما أكثر ضآلة حيث وصلت الاستثمارات الخاصة بالزراعة والاسماك والثروة الحيوانية والغابات والمرعى ٤٢٦٫٤ مليون شلن ويبدو هـذا من البيان الآتى (بالمليون شلن صومالى) •

	الاستثمارات الفعلية من الاستثمارات	المخصص رسميا
الثروة الحيوانية	٤٨٫٤	٣٦٫٤
الزراعـــة	٢٧٥٫٧	١٥٥٫٥
الغابات والمراعى	٤٦٫٦	١٤٫٩
الأســـــماك	٥٥٫٨	١٩٫١
الـــكلى	٤٢٦٫٤	٢٢٦٫ــ

وبجانب هـذه الاهمية الخاصة للصادرات والاستثمارات بالنسـبة للثروة الحيوانية ، فان الاهمية الكبرى تنبع من النسبة العالية من السكان التى تحترف حرفة الرعى ، ويبدو ذلك من الدراسة التى أعـدها مكتب العمل الدولى (١) • (١٩٧٦) •

(1) International labour office, Jobs & skills programme for Africa. Addis Ababa. 976

القطـــــاع	التوزيع ٪	السكان بالألف	معدل النمو السنوى
الرعاة وشبه الرعاة	٦٥٪	٢٠١٢ر٢	٧ر١
الزراعة المستقرة	١٥	٤٨٩	٢ر٢
صـيد السـمك	١	٣٣	٢ر٢
الحضر (الصناعة والخدمات)	١٩	٦٢٠	٩ر٤

وبناء على ذلك فان قطاع الرعى يعتبر العمـود الفقرى للاقتصاد الصومالى ، حيث يضم ثلثى المجموع الكلى للسكان ويكون أيضا ثلثى قيمة الصادرات الزراعية ولهذا فان خطط التنمية ظلت لفترة طويلة تعتبر هذا القطاع بمثابة الخادم الاساسى للصناعة والقطاع الحديث • وبالاضافة الى ذلك فان الضرائب التى تفرضها الحكومة على الصادرات من الثروة الحيوانية تعتبر مصدرا أساسيا للدخل القومى • ولكن من المتناقضات أن هذا القطاع الحيوى يخصص له ٨ر٨٪ فقط من مخصصات خطة التنمية الثلاثية ٧١ ــ ١٩٧٣ وحوالى ٥ر٥٪ فقط فى خطة ٧٤ ــ ١٩٧٨ • كمـا أنه لم يستفد من الخدمات الصحية والاجتمـاعية الا بنسبة محـدودة للغاية • وربما يرجع هذا الى طبيعة هذا القطاع المعقدة •

ورغم أن ارتفاع نسبة صادرات الثروة الحيوانية قد أدت الى بعض الاستثمارات فى مصادر المياه ، والصحة الحيوانية ، ولكن ليس فى تحسين أحوال المراعى والرعاة أنفسهم •

وبناء على ذلك فانه لم يحدث نمو فى الانتاجية فى هـذا القطـاع الحيوى • ولقد كانت مسألة ارتفاع الصادرات من الثروة الحيـوانية بمثـابة خيـر مفاجىء Wind fall gain للتجـار وبصفة جزئيـة للحكومة الا أن هـذا كان على حسـاب الاستخدام الهـدمى المتزايد destructive exploitation للبيئة الرعوية والاقتصـادالرعوى الغذائى •

ثانيا : الجفاف والثروة الحيوانية

توجد عدة نطاقات رعوية فى الصومال تتمثل فى :

١ ــ نطاق الاعشاب والحشائش الملائمة لرعى الاغنام والماعز والماشية فى مناطق الكثبان الساحلية التى يسكنها أن تحتفظ بالمياه وأن تساعد على نمو الاعشاب والحشائش •

٢ ــ نطاق الشجيرات الدائمة الخضرة فى غرب الصومال حيث تزداد كمية الأمطار عن عشرين بوصة فى العام ، وهى صالحة لتربية الأغنام والضأن والابل والماشية •

٣ ــ النطاق الهضبى الممتد من الغرب الى الشرق فى الاقليم الشمالى حيث الاعشاب والنباتات الشوكية ، وهو صالح لتربية الاغنام والضأن والابل وبعض الماشية •

٤ ــ نطاق السهول الجنوبية للصومال حيث وفرة العشب والمياه العذبة والمراعى الغنية حيث تتكاثر الابقار والضأن والاغنام •

٥ ــ مناطق التلال الشمالية التى تصيبها أمطار شتوية بما فى ذلك الاراضى شبه الصحراوية وهى فى مناطق متفرقة ، وعلى جوانب الاودية السيلية والفصلية ، وتكثر هنا تربية الابل والأغنام •

ويعانى الصومال من تذبذب الامطار فى فترات متواترة وقد انعكس هذا على الاقتصاد الوطنى ، وخصوصا على الثروة الحيوانية التى تعتمد على الامطار اعتمادا كاملا سواء بالنسبة للنبات أو المياه التى يعتمد عليها الرعاة وحيواناتهم • وقد قدر عدد حالات القحط الشديد بنحو ٢٧ حالة فيما بين عام ١٨٨٤ وعام ١٩٦١ حتى بلغت الخسائر فى احدى سنوات القحط (١٩٥٣) نحو ثلث مجموع الماشية فى الصومال • وأحيانا تكون الامطار الغزيرة والفيضانات العالية سببا فى هلاك الكثير من القطعان وتدمير المراعى كما حدث فى عام ١٩٦١ حينما تعرضت البلاد لامطار غزيرة استمرت نحو ستة شهور كاملة ، وكانت الخسائر فى النبات والحيوان أكبر من أى عام حدث فيه قحط أو تأخير الامطار •

وتعانى المراعى الصومالية بالاضافة الى مشكلة المياه مشاكل أخرى متعددة منها السياسة الهـدمية التى يتبعهـا بعض الرعاة أو المزارعين أو التجار ، وهذه السياسة الهدمية تقوم على أساس الربح المباشر عن طريق الاشجار وتفحيمها وأحيانا لاشـعال النيران لارهـاب الحيوانات الضارية مما أدى الى تدمير مساحات كبيرة من النبات الطبيعى بالاضافة الى غارات الجراد المتتالية فى أعوام متقاربة من الشمال الى الجنوب حيث يقضى على كل ما هو أخضر (١) •

ولم تكن الصومال هى البلد الوحيد التى أصابها جفاف شديد فى عامى ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ كما أن الخسارة التى ترتبت عن هذا الجفاف لم تكن مقصورة عليها ، ولكن دولا كثيرة لا سيما فى أفريقيا قد تعرضت لمثل هذا الجفاف ، وخصوصا منطقة الساحل فى غرب افريقيا (٢) •

اذ أنه فى الربع الاخير من عـام ١٩٧٤ تعرضت الاقاليم الشـمالية والشمالية الشرقية من الصومال لحالة من الجفاف والقحط الشديدين ، اذ أنه نتيجة لقلة الامطار خلال الاعوام الثلاثة أو الاربعة السابقة لهذا العام تدهورت حالة المراعى تدهورا كبيرا وأصبح الماء أندر بكثير من أى وقت مضى ، وبالتالى بدأت مئات الآلاف من قطعان الماشية الضامرة الضعيفة تتجمع حول موارد المياه التقليدية التى أزيلت من حولها النباتات منذ أعوام طويلة • وهكذا تعرض أكثر من ٦٠٪ من سكان هذه الاقاليم الذين كانوا يعتمدون كلية على تربية الماشية فى كسب العيش ، تعرضوا لآثار الجفاف والقحط الشديدين ، وبدأت المواشى تنفق بالآلاف كل يوم بينما كانت أعراض سوء التغذية وانهاك القـوى العـام يودى بحيـاة الكثيرين من البدو الرحل وخاصة الاطفال والمسنين منهم •

وتذكر الاحصاءات الرسمية أن المـاشية التى أتى عليهـا الجفـاف والقحط خلال الفترة ما بين نوفمبر ١٩٧٤ الى نهاية يونيو ١٩٧٥ كانت مليون رأس من البقر ، ٧ر٥ مليون رأس من الاغنام والماعز ، ٥٢٠ ألف من الابل •

---

(١) حمدى السيد سالم ــ الصومال قديما وحديثا ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢) وزارة الارشاد القومى والاعلام الصومالى : سـياسة التوطين وأهدافها ص ١ .

أما بالنسبة للخسائر البشرية فقد بلغ عدد ضحايا هـذا القحط ٢٠ ألف نسمة معظمهم من الاطفـال والمسنين فى الفترة بين نوفمبر ١٩٧٤ ، مارس ١٩٧٥ .

أما المتضررون من القحط حتى آخر ابريل ١٩٧٥ وهم الذين كانوا يحصلون على المساعدة الحكومية فكانوا ٢٧٠ ألف نسمة فى معسكرات الاغاثة ، ٤٥٠ ألف نسمة يحصلون على مساعدة الحكومة .

أما الخسائر المادية الاخرى الناتجة عن القحط فقـد قدرت بحوالى ٣٢٠ مليون جنيه استرلينى(١) .

وقد أعطت كارثة القحط للمجتمع الصومالى درسا فحـواه أنه من الضرورى تنويع الاقتصاد والتصنيع للتخلص من التبعية الكاملة للثروة الحيوانية والمحصولات الزراعية باعتبارهما المصدر لاساسى للاقتصـاد الوطنى (٢) . خصوصا وأن هـذا الجفـاف لم يكن الاول ولن يكون الاخير ، وانما يحدث كل عدة سنوات ، حيث أصيب الصومال بمثل هذه الحـالة فى أعـوام ١٨١٧ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٥ ، ١٩١١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، الا أن جفاف وقحط ٧٤ ــ ١٩٧٥ قد اختلف عن المرات الاخرى ، اذ أنه بجانب فقدان الامطار كان هناك نقص فى المياه وعدم وجود النبات الى جانب انتشار الامراض . حيث لم يحدث فى تاريخ شعب الصومال أن أصبحت قرى كاملة فقيرة دون أن يبقى لها رأس واحد حتى الابل التى نفقت أيضا ، مما ضاعف عبء مشاكل الجفاف بنسبة كبيرة لجميع الرعاة ، وقد كانت قسوة الجفاف وضراوته لدرجـة جعلت كثيرا من الرعاة يهربون من مناطقهم الاصلية تاركين خلفهم ما بقى لهم من ماشية عندما تأكدوا من عدم جدوى بقائهم فى هـذه المنـاطق ولا أمل فى حياتهم فلجأوا فارين الى معسكرات الاغاثة (٣) .

---

(١) وزارة الاعلام والارشاد القومى الصومالى ــ صوماليا اليوم ــ حقائق ومعلومات عامة . ١٩٧٥ ص ١٦٧ ــ ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٣ .

(٣) سياسة التوطين وأهدافها مرجع سابق ص ٢ .

ولا شك أن نقص الامطار كان عامــلا من العــوامل التى أدت الى تدهور الاوضاع خلال فترة القحط المشار اليها لأن البيئة فى الصومال من البيئات الحديــة Marginal التى تتوازن فيها جميع عناصرها من المناخ الى النبات الى التربة الى استخدام الانسان والحيوان لهــذه البيئــة المتوازنة « الرقيقة » ، فلقد أدى نقص الامطار واستغلال البيئة استغلالا جائرا من جانب الانسان والحيوان الى تفاقم الكارثة ، ولذا كان لزاما علينا أن نلقى بعض الضــوء على الجوانب الطبيعيــة والبشرية للبيئــة الصومالية .

الظروف البيئية فى الصومال :

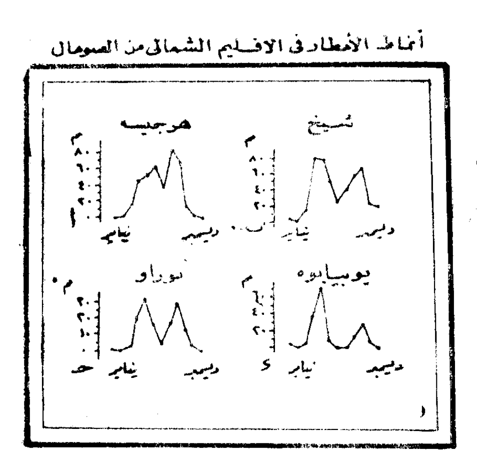
يعتبر المناخ بعناصره المختلفة من أهم العوامل التى تؤثر على فترات الجفاف والقحط الذى يعانى منه الصومال فى فترات متتالية .

المنــــاخ :

تعتمد المراعى والمياه السطحية اللازمة للثروة الحيوانيــة اعتمــادا مباشرا على الامطار . وفى الصومال يوجد فصلان مطيران :

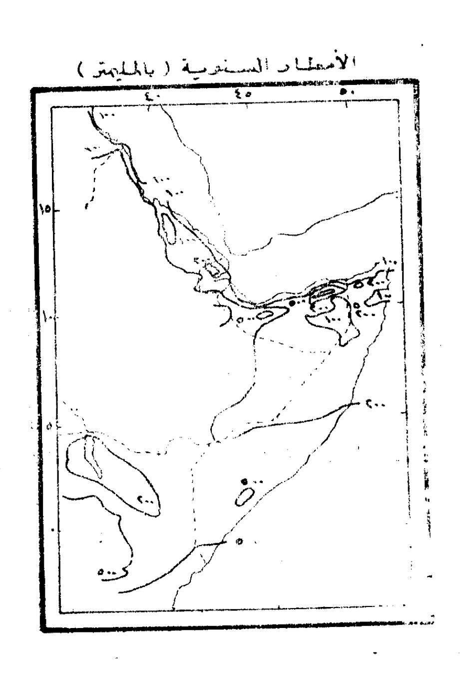
الاول : وهو المهم ويسمى (جــو) Gu ن ابريل حتى يونيو ، وتسقط الامطار فى هذا الفصل نتيجة للرياح الموسمية الجنوبية الغربيــة وتحرك الجبهة المدارية نحو الشمال . أما الفصل المطير (الثــانى) فهو ثانوى ويسمى دير Deyr خلال سبتمبر الى نوفمبر ويعتمد على الرياح الموسمية الشمالية الشرقية . ومع ذلك فانه تسقط أمطار أيضا على طول ساحل المحيط الهندى خلال الفترة بين يونيو ــ أغسطس وتعرف محليــا باسم هاجا Hagaa أما فترة الجفاف الصيفية التى تسمى هاجا أيضا فانها تختلف فى الطول فى الاجزاء الشمالية ، أما فى الاجزاء الجنوبية من أما فصل الشتاء Hgaio الصومال فتسقط أمطار صيفية تسمى هاجايو فهو جاف ونادرا ما تسقط أمطار باستثناء الاجزاء الشــمالية المطلة على ساحل البحر الاحمر (خليج عدن) حيث تسقط بعض الامطار فى ينــاير وفبراير وتعرف محليا باسم Hais وهذا الفصل الجاف يسمى Jilaal وتعتبر كمية الامطار السنوية وتوزيعها مكانيا وزمنيــا ، وتاريخ بداية الامطار المؤثرة بعد فصل الشتاء الجاف ، تعتبر من العوامل الرئيسية فى

أنماط الأمطار في الإقليم الشمالي من الصومال



أ، ب - الهضبة الشمالية
حـ - الهضبة الوسطى
ء - الحدود الجنوبية

الأمطار السنوية (بالمليمتر)



القرارات التى تتخذ بشأن حرفة الرعى ، وتحدد الامطار الضئيلة التى تستمر فترة طويلة — مكانيا — وزمانيا — الاختلافات التى تقف أمام أنساط التحركات الرعوية والسنوات الجيدة أو السيئة والقرارات التى تتخذ بشأن الرعى . كما أن بداية الامطار تحدد طول الفترة الصعبة فى نهاية فصل « جيلال » عندما تستدعى الضرورة اتخاذ القرارات الخاصة ببيع أو ذبح الحيوانات وفقا لما تراه الاسرة بشأن الرخاء الاقتصادى النسبى لفصل « جـو » .

وتعتبر هذه العوامل متغيرة فى الصومال بخلاف الحال فى مناطق أخرى جافة المناخ . وبالتالى تؤدى الى عدم الثبات فى الاطار الاساسى الذى يتخذ من خلاله الرعاة قرارهم [1] .

ويؤدى تذبذب الامطار الى عدم اعتماد الرعاة البدو عليها ، ويبدو عدم الاعتماد هذا واضحا كلما كانت المنطقة التى يعيشون فيها أكثر جفافا ، كذلك ميعاد بداية الامطار فى فصل Gu لا يعتمد عليه حيث أنه يختلف من عام الى آخر ، لمدة شهر أو أكثر لبداية الامطار ذات التأثير الفعال . كذلك يمكن أن نجد تغيرات ثانوية فى الامطار داخل الفصل الواحد بين الاماكن المختلفة التى لا تبعد عن بعضها الا أميالا قليلة .

وتسجل احصاءات المتيورولوجيا وذاكرة الشعب أيضا فترات جفاف وقحط حدثت فى الماضى — كما سبق أن أشرنا — وخصوصا فى الاجزاء الشمالية فى عام ١٩١١ ، ١٩١٤ Xaataama cune ومعناها أن القحط عندما يأتى يمنع الناس من أكل الغذاء المحرم أو الممنوع) ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٨ — ١٩٢٩ (حيث كان هناك ٢٢ ألفا من البشر الذين عانوا الفقر المدقع) ، ١٩٣٣ — ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ — ١٩٤٣ ، ١٩٥٠ — ١٩٥١ Siligacase —عاصفة التراب الاحمر) ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ثم الجفاف والقحط الاعظم الذى حدث فى ٧٣ — ١٩٧٥ . وتشير هذه التواريخ الى حدوث جفاف يختلف فى درجة القسوة يحدث كل ٣ — ٤ سنوات . ومع ذلك فانه من الملاحظ أنه يوجد دليل محدود

---

(1) ILO., JASPA. Economic transformationin a socialist Frame work op. cit., P. 259.


الأقاليم المناخية في القرن الأفريقي
١- شريحة ساحلية مطرها شتوي.
٢- شمالي غربي ذو قمة مطر صيفية.
٣- القسم الأوسط ذو قمتان للمطر ولكن الكمية تتفاوت بشكل واضح من ٥٠٠ - ٧٥٠ مم وتنخفض درجة الحرارة شتاء (غالبا من ديسمبر - يناير)
٤- شمال القسم السابق له قمتان تتراوح من ١٥٠ - ٥٠٠ مم ولكن الحرارة تنخفض صيفا (يوليو وأغسطس).
٥- يتأثر بالرياح الموسمية الهندية ونتيجة لذلك تسقط أمطار غزيرة في يونيو ويوليو ولكن هذا التأثير يضعف في الداخل على بعد عشرات الكيلومترات.
٤٠
٤٥
١
٢
٣
٤
٥

من أرقام كميات الامطار فى فترات قصيرة ، تؤكد حدوث تغير عام فى المناخ نحو ظروف أكثر جفافا .

ويرتبط الصومال بنفس نظام المناخ السائد فى نطاق غرب أفريقيا حيث ظهرت فترات أطول من تسجيلات الامطار التى يمكن الحصول عليها وحيث توجد تفصيلات أكبر من التحليلات ولكنها لم تستطع أن توضح لنا وجود أى اتجاه من التغيرات المناخية المتواترة على فترات واضحة من هذا النوع .

النبات الطبيعى :

درس النبات الطبيعى فى الصومال فى أكثر من تقرير . وقد وضح من هذه التقارير ملمحين أساسين لتخطيط قطاع الرعى فى المستقبل هما :

الاول :الاستخدام الجائر Over- use وتدمير المراعى Range destruction خصوصا فى الاجزاء الشمالية .

الثانى: امكانية وجود تفريط فى استخدام المراعى فى المناطق الاخرى Under used ranges وقد أشار كثير من الملاحظين الى تدهور فى أراضى الرعى فى الصومال degre dation of range lands. وقد حدث هذا فى كثير من مناطق الصومال وخصوصا فى الاجزاء الشمالية .

وقد أرجعت أسباب هذا التدهور الى عوامل كثيرة منها زيادة أعداد الحيوانات (بسبب نجاح البرامج البيطرية ، واتساع أسواق تسويق حيوانات الصومال) ، والتوسع فى حفر الآبار العميقة والمياه السطحية دون تخطيط ، وخصوصا فى المراعى التى كان من الصعب الوصول اليها فى الماضى فى اقليم هود Haud ، بالاضافة الى العملية المنتظمة ولكن ببطء فى الاستقرار غير المخطط حول الاماكن التى توجد فيها الآبار فى الاقاليم الشمالية .

ولكن على الرغم من أن أراضى المراعى تتدهور بسرعة بصفة عامة . الا أن هذا لا يعنى أن هذه العملية شائعة وعامة فى جميع أنحاء الصومال . فلقد لاحظت بعثة (الفاو) لتطوير الثروة الحيوانية التى بحثت ظروف المراعى فى جميع أنحاء الصومال خلال وبعد أمطار Gu عام ١٩٦٦ ، لاحظت وجود تفاوت كبير ، وقد أشارت فى تقريرها الى

النباتات الطبيعية في الصومال



حالة مراعى الاجزاء الشمالية رقيقة للغاية (هشة) Most delicate state.
ولقد أدى الرعى الجائر ، والاسواق المحلية للقطعان ، والنمو الحضرى ، وتسوير المراعى الخاصة ، أدى هذا كله الى ارغام الرعاة على الاتجاه نحو المراعى الحدية mar ginal ranges وتمثل منطقة Migiurtinia منطقة مثالية لتربية الاغنام ، والماعز والابل ، كما أنه يوجد بها احتياطى لانتاج المواشى ... ويمكن أن يؤدى استقرار ملاك المواشى هنا فى مناطق محدودة الى كارثة محققة . أما بالنسبة لمنطقة مودوج Mudug والاجزاء الموجودة فى هيران Hiran وبنادر Benadir التى تقع الى الشمال من ويبى شبيلى Webi Shebelli فانها تمثل واحدة من أكثر المراعى رقة ورداءة فى الصومال ... وبصفة عامة فان هذه المراعى ذات ظـروف أفضـل عن تلك التى توجـد فى الاجـزاء الشمالية.على الرغم من وجود شواهد تدل على سوء الاستخدام فى الماضى . أما المراعى التى توجد بين (وبى شبيلى) وجوبا فانها لا تنتج الى الدرجة القصوى كما أنها فى طريقها للتدهور . وبصفة عامة فان منطقة جوبيـا Guiba (جوبا) الدنيا توجد بها امكانات عالية لانتاج المواشى ، على الرغم من الحاجة الى عمليات تحسين المراعى مثل تنمية المياه واجتثاث الشجيرات بالاضافة الى الاشراف الدقيق على الرعى اذا تحقق وجود هذا الاحتياطى (١) .

وقد أشار تقرير حديث الى أن الانتاج الحيوانى فى الصومال أكبر مما هو متوقع فى ظروف المراعى الصومالية وقد قدمت أسـباب عديدة محتملة لهذا الافتراض منهـا :

١ ـ ينبغى أن تكون الأمطار أعلى مما يظن . (ربما من خـلال العاصفة الاستثنائية ذات الحدة العالية والتى نادرا ما تسجلها محطـات الارصـاد) .

---

(١) B.J. Hartley et al, 1967, Live stock development survey, FAo, Rome, see also T. Box 1968 : Range resources of somalia. Journal of Range Management, 21 (6) PP. 288-392.

٢ ــ ارتفاع نسبة الرطوبة •

٣ ــ تلاؤم القطعان الصومالية مع الظروف المحلية والتى لا تحتاج الى غذاء كبير كما يتوقع بصفة عامة فى المناطق الاخرى •

كذلك فان الابل تحصل على غذائها من ارتفاع فوق ما هو مقدر من كلأ فى المستويات الدنيا ، ومن ثم فانه يمكن أن تكون هناك امكانات لم توضع فى التقدير •

استخدام الارض :

يشير الجدول الآتى الى تقدير لاستخدامات الارض ودرجات استخداماتها فى الصومال • ـــ

التصنيف	المساحة بالألف هكتار	النسبة المئوية
كل المساحة	٦٣ر٨٠٠	١٠٠٪
الأقاليم الشمالية	١٧ر٦٠٠	٢٨٪
الأقاليم الجنوبية	٤٦ر٢٠٠	٧٢٪

الدرجة (النمط)	المساحة بالالف هكتار	النسبة المئوية
١ ــ ملائمة للمحصولات او صالحة كاحتياطى للزراعة	٨ر٠٠٠	١٢ر٥٪
(أ) محصولات أو بور	(٦٥٠)	(١ر٠٠)
(ب) غير صالحة للزراعة ولكنها مزروعة	(٧ر٣٥٠)	(١١ر٥)
٢ ــ صالحة للرعى	٣٥ر٠٠٠	٥٤ر٩٪
٣ــ غابات	٨ر٨٠٠	١٣ر٨٪
(أ) غابات فعلية	(٢ر٥٠٠)	(٣ر٩)
(ب) شجيرات	(٦ر٣٠٠)	(٩ر٩)
٤ ــ أراضى أخرى	١٢ر٠٠٠	١٨ر٨٪

والمصدر الاصلى لهذه الارقام غير معروف ، ولا يمكن اختبار مدى صحتها ، ومع هذا فان موظفى وزارة التخطيط يعتقدون أن الرقم الصحيح للاراضى الصالحة للرعى فقط أقرب الى أن يكون ٥٠ مليون هكتار أو حوالى ٨٠٪ من مساحة الصومال كله (١) .

وبناء على ما سبق فان نباتات الصومال — وهى العامل المهم للحياة الرعوية وتتاج المناخ والتربة — تعكس التوزيع العام للامطار وطبيعة أراضى البلاد ، ولذا فان جفاف أراضى الساحل الشمالى القاحلة يعزى الى حقيقة أنها تقع خلف سلسلة جبال (جولس) خلال فترة هبوب الرياح الجنوبية الغربية الموسمية ، وبذلك لا تهطل عليها أية أمطار فى ذلك الموسم ، بالاضافة الى تربتها الرملية التى تتشرب المياه ، كذلك فان أمطار ال « حيس » الشتوية خفيفة وقصيرة المدة . ومع ذلك فان منطقة (جوبن) توجد بها شجيرات قصيرة وأعشاب غليظة ولكنها تظل كامنة فى الجزء الاكبر من العام وعندما تسقط الامطار الشتوية تدب الحياة فيها وتستكمل دورة حياتها القصيرة .

وينطبق نفس الشىء على وادى « نوجال » واقليم « مودج » بعد أمطار الربيع (جو) والخريف (دير) وتتناقص الامطار كلما اتجهنا ناحية الشمال الشرقى . كذلك فان التربة الجصية لا تستطيع أن تغذى كثير من النباتات ، ومع ذلك فان اقليم « مودج » يتمتع بمراعى طيبة . وعلى جبال (جولس) والوديان الطمية لنهرى جوبا وشبلى غابات حقيقية . وتنمو أشجار الصنوبر على هضبتى « جعن لباح » و « دالو » ، وتوجد فى كثير من أجزاء الصومال وخاصة فى مجارى المياه الجافة ، كما تغطى أراضى سهل جوبا نباتات السفانا ، وكلما اتجهنا نحو الشمال الشرقى كلما كانت الأشجار أقصر والحشائش أخشن والأعشاب أجف حتى يتلاشى الغطاء النباتى فى المنطقة شبه الصحراوية فى الاقليم الشمالى الشرقى ، رغم أنها توفر مواسم رعوية للماشية ويعيش عليها عدد كبير من الحيوانات فى جميع الاوقات فى المواسم العادية .

أما فى المنطقة الساحلية الموازية لساحل المحيط الهندى فى الاجزاء الجنوبية من الصومال فتكثر الشجيرات والاعشاب وذلك بسبب الامطار الوفيرة التى تستمر حوالى سبعة شهور ، ومن الملاحظ أن النباتات

(١) Ilo, JASP. Economic Trans formation P. 269.

تختفى فى الصومال بسرعة مخيفة ، حيث أن المنـاطق التى كانت غابات وأحراش منذ عشرين عاما مضت فقط قد أصبحت اليوم أراضى جرداء ، وقد نتج ذلك عن الافراط الرعوى ، وتكاثر الحيوانات المذهل ، وحرق النباتات دون تمييز من أجل الحصول على الفحم النباتى ، حيث قدرت كمية الاخشاب والحطب التى تدمر سنويا بحوالى ١ر٧ مليون طن بما فيها ٣٥٠ ألف طن من الفحم تصدر للخارج .

ثالثا : توزيع واعداد الثروة الحيوانية :

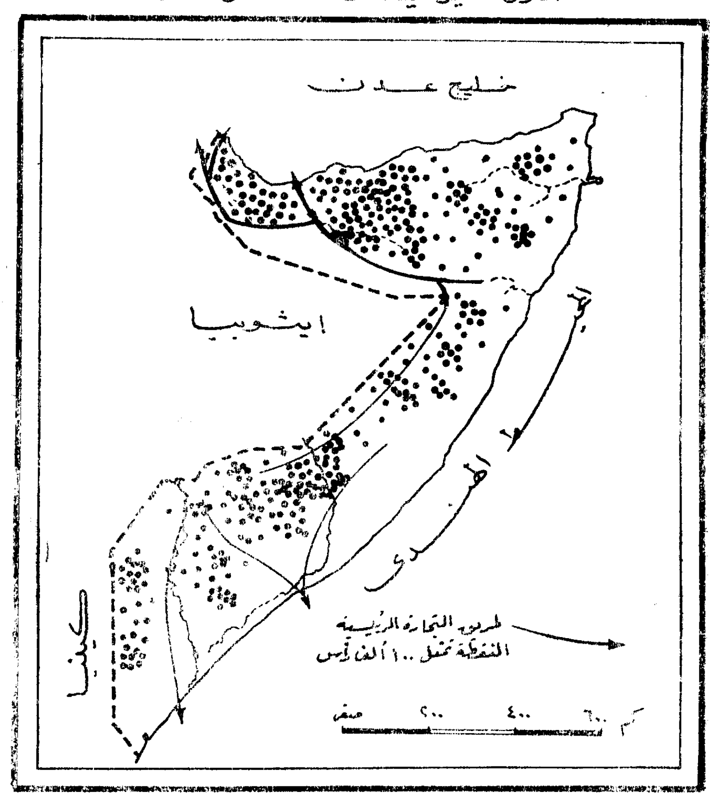
بعد أن استعرضنا الظروف البيئية السائدة فى البيئة الرعوية يهمنا الآن أن نلقى نظرة على توزيع وأعداد الثروة الحيوانية ، حيث أن هذا التوزيع والعدد يتمشى مع الظروف السائدة فى كل منطقـة ولو أنه فى بعض الاحيان يفوق الامكانات المتاحة فى بعض من هذه المناطق وبالتالى يؤدى هذا الى الرعى الجائر ويؤدى هـذا بالتالى الى تدهور الظروف البيئية السائدة .

وبداية فانه لم يتم تعداد للثروة الحيوانية فى الصومال . وبالتالى فان تقديرات الثروة الحيوانية تختلف بشكل واضح بين التقديرات المختلفة بسبب صعوبة اجراء التعداد . خصوصا عندما تتحرك القطعان من منطقة الى أخرى . وبالاضافة الى ذلك فان عدد القطعان يتأثر بعديد من العوامل منها مدى السيطرة على أمراض الحيوانات ، والسنوات ذات الامطـار الجيدة أو ذات الامطار الشحيحة [1] . ويعطى البنك الدولى التقديرات الآتية لتوزيع الثروة الحيوانية فى الصومال .

---

(١) توجد ارقام متاحة لتوزيع الحيوانات جغرافيا ، ولكن تسود فى الاقليم الشمالى الاغنام والماعز بصفة واضحة ، بينما نجد انه فى الاقليم الجنوبى تسود المواشى . والمعلومات ضئيلة بالنسبة لعمر ونوع القطعان .

الثروة الحيوانية فى الصومال



توزيع الثروة الحيوانية فى الصومال (فبراير ١٩٧٥) (١)

الاقليم	الثروة الحيوانية (بالألف)			
	الابل	المواشى	الأغنـام	المـاعز
غرب جلبيد	٦٠٦	١٤٥	٢٢٤٢	٣٠٧٦
توجود هير	٣٢٠	٤٤	٩١٧	٩٠٢
ســاناج	٢٠٥	٧٤	١٥٢١	٦٦٤
بـارى	٢٤٠	١٥	١٣٨٨	٢٠٩٥
نوجـال	١٥٥	١٢	٢٢٣	٦١١
مودوج	٧٥١	٣٤٠	١١٣٦	٢٧٤٤
جالجدونا	٣٩٥	٢١٨	٥٨٨	١٧٣٤
هـيران	٤٦١	١٧٠	٢٨٧	١١٥٩
شبيكى ديكسى	٢٣٦	٣٦٦	٣٢٥	٧٢٠
مقديشو	١	٢٢	٦	١٩
شبيلى هوز	٢٩٣	٤١٩	٩٠	٢٠٠
جوباهوز	٢٩٧	١٠٣٦	٨١	١٧٧
جـيدو	٧٨٤	٥٢٨	٥٠٠	٧٢٥
بيبى	٣٦٢	٢٥٥	٥٥	١٩٢
باكـول	١٩٢	١٠٠	٧٩	٢٧٤
المجمـوع	٥٢٩٨	٣٧٤٤	٩٤٣٨	١٥٢٩٢

ويبين هذا البيـان أعداد الحيوانات فى نهاية فترة جفاف ١٩٧٤/١٩٥٧ فى مناطق الصومال المختلفة . أما البيـان التـالى فيوضح توزيع أعداد الحيوانات فى أقاليم الصومال المختلفة قبل بدأ جفاف ١٩٧٥/٧٤ حيث أنه تقدير البيطريين الذين اشتركوا فى حملة مقاومة طاعون المواشى التى تمت فى عام ١٩٧٣ (٢) .

(١) World Bank ; Somalia country Economic Memorandum.

(٢) German planning and Economic Advisory Group 1973. A programme for the allocation of deep wells to the rural areas. Mogadishu Ministry of Planning and Coordination.

الاقليم	الابل	المواشى	الاغنام والماعز
الشمال الغربى	١٦٢ر٠٠٠	١٠٤ر٠٠٠	٧٤٢ر٠٠٠
الشمال الشرقى	٥٣٣ر٠٠٠	٢٧٧ر٠٠٠	٢ر٣١٩ر٠٠٠
بوســاسو	٤٤٦ر٠٠٠	١٥٣ر٠٠٠	١ر٦٤٢ر٠٠٠
مــودوج	٦١٨ر٠٠٠	٤٢٦ر٠٠٠	٢ر٦٨٢ر٠٠٠
هــيران	٢٢٩ر٠٠٠	١٦١ر٠٠٠	١ر٢٢٨ر٠٠٠
بنــادر	٣٢٥ر٠٠٠	٤١٩ر٠٠٠	١ر٤٢٩ر٠٠٠
جــوبا العليــا	٣٩٦ر٠٠٠	٤٩٧ر٠٠٠	٢ر٨٧٦ر٠٠٠
جوبا الدنيــا	٩٣ر٠٠٠	٨٨١ر٠٠٠	٢ر٣٦٤ر٠٠٠
الاجمــــالى	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠

وتشير بعض التقارير الى أهمية ذكر أنواع الاغنام والماعز ، وان كان هذا نادرا ما يحدث ، ومع ذلك فقد قدرت منظمة « الفــاو » هذا العدد عــام ١٩٦٧ حيث قدرت ثلاثة رؤوس من الاغنام مقابل كل رأس من الماعز فى الاقليم الشمالى ، وأن هذه النسبة تنخفض فى المنــاطق الاكثر جفافا وكذلك فى المناطق ذات الشجيرات الكثة (١) •

واذا قارنا بين التقديرين فى منطقة مودوج نلاحظ أن :

	عــدد الابل	عدد المواشى	عدد الاغنام والماعز
سنة ١٩٧٣	٦١٨ر٠٠٠	٤٢٦ر٠٠٠	٢ر٦٨٢ر٠٠٠
سنة ١٩٧٥	٧٥١ر٠٠٠	٣٤٠ر٠٠٠	٣ر٨٨٠ر٠٠٠

ورغم تسليمنا بأن هذه الارقام ليست دقيقة وأنها مجرد تقــديرات فاننا نلاحظ أن عدد المواشى تناقص فى نهاية فترة جفاف ١٩٧٤/١٩٧٥ وهذا شىء طبيعى بعد قسوة الجفــاف والقحط فى حين أن عــدد الابل والاغنام والماعز قد زاد وهذا شىء غير طبيعى •

كذلك لو قارنا منطقة أخرى وهى هيران نلاحظ الآتى :

(١) B.J. Hartely et al., 1967, Livestock Development survey, FAO, Rome.

See Also, Ilo, JASP, Economic transformation P. 263.

	ابل	ماشـية	اغنام وماعز
تقدير ١٩٧٣	٢٢٩ر٠٠٠	١٦١ر٠٠٠	١ر٢٢٨ر٠٠٠
تقدير ١٩٧٥	٤٦١ر٠٠٠	١٧٠ر٠٠٠	١ر٤٤٦ر٠٠٠

ونلاحظ أن عدد أنواع الثروة الحيوانية زاد فى عام ١٩٧٥ عن عـام ١٩٧٣ ، وهذا شىء غير طبيعى بعد فترة جفاف وقحط وان كنا نلاحظ أيضا أن عدد المواشى متقارب فى العامين المذكورين .

رابعا : ملامح الاقتصاد الرعوى :

الوحدة الاساسية فى الانتـاج الرعوى فى الصـومال هى الاسرة ، وتتجمع الاسرة مع غيرها من الاسر (نادرا ما تزيد عن أربع أسرات) فى جزء من السنة . وغالبا ما يقوم الشـباب غير المتزوج والأولاد بتكوين وحدات من القطعان المنفصلة ، تبعا للمكان والفصل ،(تاركين عددا قليلا من ابل الحمل واللبن مع بقية الاسرة) ويعيشون بعيدا لاستغلال المراعى البعيدة عن المياه .

وتخضع كل المراعى والاراضى الاخرى لملكية الدولة . وفى الماضى كانت لا توجد ملكية خاصة للمراعى أو للاراضى الزراعية ، على الرغم من أنه من المفترض أن تكون الاراضى التى تنمو فيها الاشجار ذات ملكية جماعية للعشيرة التى توجد فى المنطقة التى يعيشون فيها ، أما المناطق التى تنمو فيها أشجار الصمغ العربى والبخور والمـر على جوانب التلال فانها ذات ملكية شخصية ، ويمكن أن تباع (حقوق الحصاد) من جانب المالك . ولقد كانت العشائر الفردية ترتبط ــ بلا نظام ثابت ــ ببعض مناطق الرعى الخاصة . دون أية حقوق نوعية للملكية . أما الاحتلال الفعلى، وفى المستقر الاخير ، فان التفوق العسكرى هو أساس الوصول الـى المرعى .

ومع ذلك فهناك بعض الافتراضات لوجود مناطق رعـوية واضحة للعشائر الرعوية فى الأجزاء الشمالية من الصـومال فى الفترة السابقـة للاستعمار ، ولكن الحدود بين هذه المناطق اختلطت بعـد ذلك نتيجـة

للتنافس على الرعى وكذلك بسبب الادارة الاستعمارية • وعلى الرغم من استقرار الرعاة ، فان الارض ما زالت على المشاع بالنسبة للعشيرة ، وعلى الرغم من توزيعها على المزارعين فانه لا يمكن نقل الملكية •

وعلى الرغم من عدم وجـود دليل واضح على وجـود تنظيم قطرى نوعى لأراضى الرعى فى الاقتصاد الرعوى التقليدى ، الا أنه من المفترض أن الزعماء التقليديين فى المنطقة الشمالية كان لهم السلطة والقوة لاعلان مناطق مغلقة (Hirmo) (أو محرمة) وهى مراعى خاصة محرم الرعى فيها لفترة معينة من الزمن ، وكانت هناك عقـوبات لمن لا ينفـذ هـذه التعليمـات • وكان القصـد من ذلك هو اعطـاء الفرصـة للاعشـاب والحشائش للنمـو •

وتعتبر المياه مفتاح الموقف بالنسبة للمراعى • ففى موسم أمطار جو Gu ، والى حد ما فى موسم امطار دير Deyer فان الحيوانات وخصوصا الابل تعتمد على المياه السطحية ، أو على النبات نفسـه ، ولهـذا فانه لا توجد مشكلة خلال هذه الفترة حيث تنتشر القطعان فى جميع أنحـاء المرعى ، وتقوم الابل بجعل النباتات يمكن استغلالها خلال هذه الفترة من السنة • أما فى مواسم الجفاف فان القطعان ترغم على الرجوع للشرب من الآبار التى توجد فى الموطن الاصلى بصـفة منتظمة والتى تمتلكهـا الاسرة ، أو مجموعة من الاسر ، أو مجموعات تقوم بحفـرها • وتعطى المياه للغير من هذه الآبار خلال فترة الامطار ، أما أثناء موسم الجفـاف أو سنوات القحط فليس للآخرين الحق فى ذلك • ولقد أتاح هذا النظـام التقليدى لانتشار الحيوانات فى مناطق الحشائش والاشجار خلال الموسم الرطب ، ولكن كلما اقترب موسم الجفاف تعود الحيوانات تدريجيا الى المناطق المجاورة لهذه الآبار على أساس أن تشرب الحيوانات منهـا كل بضعة أيام •

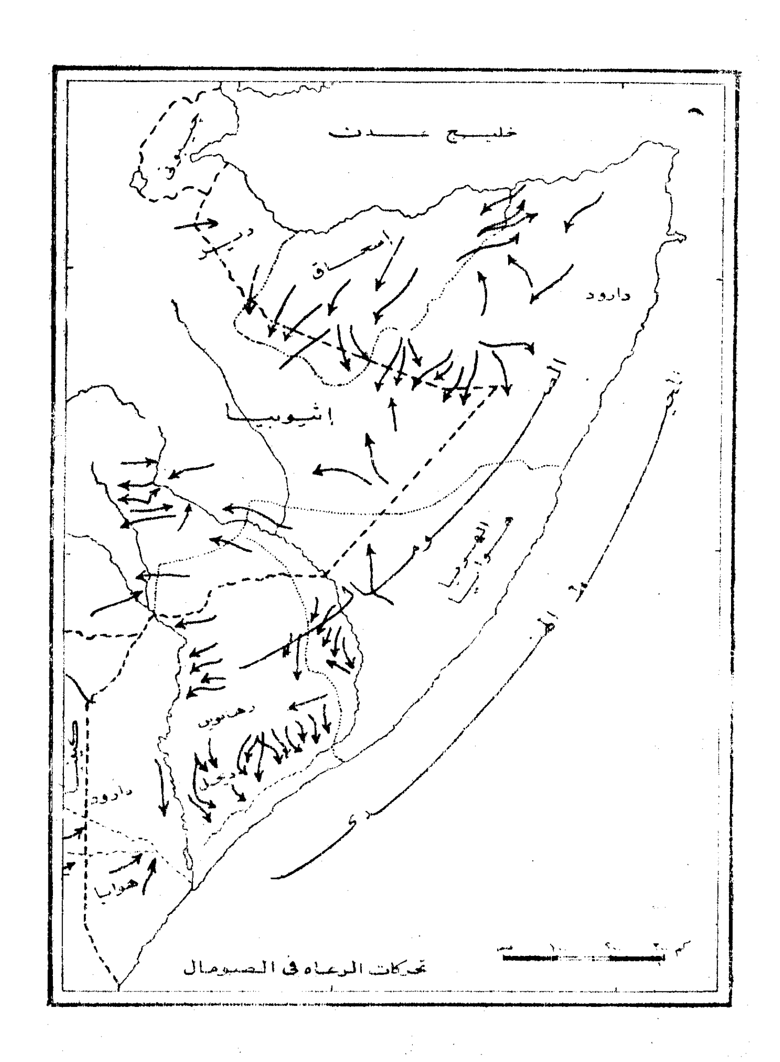
ومنذ الخمسينيات أنشئت مصادر جديدة للمياه حيث قامت الحكومة بحفر الآبار وفتحت للجميع • كذلك أصبحت تباع الخزانات المصنوعة من الاسمنت (Barkas) التى تخزن فيها الميـاه ، كذلك تبيع اللوريات براميل المياه بعيدا عن الآبار • وحيث أن المياه هى مفتاح الموقف بالنسبة للرعى فقد ظهرت مجموعات اجتماعية جديدة (مثل الرعاة الرحل الذين

ليس لهم حق الرعى فى المنطقة ، والتجار الذين لهم قطعان فى السـوق ، والمزارعين المستقرين بمواشيهم) ، وأصبح لهذه الجماعات حق الرعى . واختفت ضوابط استخدام المرعى التى كانت منتشرة فى الماضى وأصبح الامر الواقع هو الاساس . وتمتلك الحيوانات بصفة فردية ، وكذلك فى الوراثة والتصرف . ومن الناحية النظرية فان للمرأة حقوقها الفردية فى الحيوانات كما جاء فى القرآن الكريم ، وان كانت قد تعدلت عن طريق قانون الاسرة الجديد . ومع ذلك فانه يبدو أن الابل لها نظام يختلف بعض الشىء عن الحيوانات الاخرى . ويفترض بعض الملاحظين أنه على الرغم من أن الابل تعتبر ملكية للافراد فأنها كانت فى الماضى ينظر اليها على أنها مسئولية جماعية للعشيرة ، حيث لا يكون للمـالك الفردى الحـرية الكاملة للتصرف فى ابله خصوصـا فى أوقات الشـدة كما هو فى وقت الجفاف والقحط ، حيث يتوقع من هذه الحيوانات أن تسـاعد أعضـاء العشيرة الذين ليس لديهم قطعان من خلال اعـادة توزيع الميـكانيزم (حركة الرعاة) . ويبدو أن المرأة نادرا ما تمتلك الابل . كذلك فان الابل توسم أيضا بعلامة العشيرة وليس بعلامة فردية للمـالك كما هو الحـال بالنسبة للأغنام والماعز (١) .

خامسا : الحركة الرعوية :

يتحرك الرعاة أساسا لأن الاحتياجات الايكلوجية للقطعان من الغذاء والمياه والملح لا يمكن أن توجد فى مكان واحد طيلة العام . ففى فترة ما بعد موسم الامطار تستطيع الابل أن تتغذى على النبـاتات الخضراء الغضة لمدة شهرين أو ثلاثة ، كذلك يستطيع الشباب من الرعاة أن يعيشوا على شرب الالبان من الابل بكميات تغنيهم عن الحاجة الى المياه ، أما فى موسم الجفاف فان الابل لابد أن تشرب كل ١٠ — ١٤ يوما . أما بالنسبة للأغنام والماعز فانها أكثر حاجة للمياه من الابل ، وعلى الرغم من أنهـا تستطيع أن تقضى بضعة أسابيع بين كل سقيا اذا ما وجدت المراعى الغضة فانها تحتاج للمياه كل ٤ — ٨ أيام فى جيلال Jilaal . أما بالنسبة للماشية فانها الاكثر حاجة للمياه حيث تحتاج للشرب كل يومين أو أربعة أيام فى جيلال . كذلك فان كل أنواع الحيوانات تحتاج الى بعض الملح

(١) Ilo, JASP; Economic Trans formation P. 266.



تحركات الرعاه فى الصومال

والتى تحصل عليه عادة من الشجيرات الملحية ولعق الاملاح الطبيعية ، وفى هذه الحالة فان الحيوانات تحتاج الى الشرب بصفة دورية .

وتحدد امكانية العثور على المرعى والمياه والاملاح اتجاهات الحركة الرعوية . ففى جيلال يتمركز رعاة الشمال حول الآبار التى توجد فى مضاربهم Home wells فى السهل الساحلى أو فى الجبال والهضبة الشمالية . ومع أمطار الربيع يبدأ الرعاة فى الانتشار على نطاق واسع ، حيث يتجه هؤلاء الذين كانوا يحتلون الجبال والهضبة الشمالية نحو الجنوب الى الـ (هود) Haud . أما الجماعات التى كانت تستقر فى نطاق الساحل فتتجه صاعدة الى الهضبة . كذلك فان الابل فى رعاية الرجال غير المتزوجين والشباب تتجه بعيدا نحو مناطق المرعى وغالبا ما يتم هذا فى صحبة الاقارب المقربين بابلهم أيضا . أما الاغنام والماعز فتظل فى رعاية النساء ، والبنات والاطفال ، اللاتى لا يذهبن بعيدا ومعهن الازواج الذين غالبا ما يبقون فى معسكراتهم . وفى هاجا Hagaa ، يمكن أن تبدأ فى العودة نحو الآبار التى توجد فى مضاربهم . ولكن اذا ما كانت أمطار الدير Dever طيبة فانهم يظلون فى الخارج فى المراعى البعيدة حتى ترغمهم بداية الجيلال Jilaal على العودة الى مضاربهم .

أما فى الجنوب فان حركة الرعاة مشابهة أيضا يحكمها الحاجة الى المراعى والمياه والملح ، وكذلك الحاجة الى تجنب الحشرات مثل ذباب تسى تسى . وتكون الحركة من مناطق المياه الدائمة فى نهرى جوبا وشبيلى الى المناطق الداخلية الجافة بعد أمطار جو Gu مع عودة الى النهرين فى هاجا Hagaa ، ثم التحرك مرة أخرى بعيدا عن النهرين فى الدير Deyer ثم العودة النهائية فى جيلال Jilaal . ومن الملاحظ هنا أن الماشية لا تتحرك بعيدا جدا الى المناطق الداخلية ، ولكن توجد أيضا فى الجنوب حركة بعيدة للابل حيث تتحرك عديد من مئات الكيلو مترات . ورغم أنه توجد جماعات شبه رعوية Semi-nomads ومزارعين يمتلكون قطعانا ضخمة فى الاجزاء الشمالية ، الا أن مثل هذه القطعان الضخمة تتركز أساسا فى المناطق الجنوبية من الصومال ، حيث يمكن هنا أن يكونوا مستقرين فى موسم الزراعة ، ويتحركون بعيدا بعد الحصاد مع قطعانهم . ويوجد هذا النمط من التحرك بصفة أساسية فى منطقة ما بين النهرين This pattern of trans humance is characteristic

of the inter-river area. كذلك توجد اجراءات متفق عليها من الرعاة والمزارعين المستقرين حيث يقدم الرعاة اللبن وروث الحيوان وفى بعض الاحيــان النقود فى نظير اطلاق القطعان على بقايا المحصولات ،وكذلك السقيا من الآبار وبرك المياه فى فصل الجفاف • ولقد قدر فى عــام ١٩٦٧ أن ٣٨٪ من الماشية و ٢١٪ من الابل يمتلكها المزارعون فى منطقة مــا بين النهــرين ومنطقة جنوب نهر جوبا (١) •

ويشير الجدول الآتى الى حيازة الاسر للثروة الحيوانية ذات الانواع المختلفــة (٢) • وتتضح الســمات الاقليمية المختلفــة للرعاة المتجولين (الرحل) بشكل واضح من خلال هذا الجدول ، ففى الشمال وجد أن حوالى نصف العائلات فى منطقة المسح يربون الابل والاغنام والمــاعز ، وحدها ، وعدد قليل جدا يربى الابل فقط ، وعدد لا يذكر يربى الماشية وحــدها •

أما فى منطقة جوبا فاننا نجــد أن أكثر من نصف العــائلات الرعوية الرحل يربون الماشية وحدها ، وتوجد نسبة مرتفعة نسبيا تربى الابل وحدها (أكثر مما هو موجود فى الشمال) ، وعــدد لا يذكر يربون الاغنام والماعز • وعلى الرغم من أكثرية الماشية فى اقليم جوبا ، الا أن الجدول الآتى يشير الى التنــوع النسبى لما يربيــه الرعــاة من أنواع الحيوانات • وفى كل مناطق المسح توجد نسبة أساسية (كبيرة) من الرعاة تربى أكثر من نوع واحد (على أساس عــدد المــاعز والاغنــام باعتبارهما نوعا واحدا) •

---

(١) (٢) : Ilo, JASP. economic trans for matin PP. 267-8 See also
FOA 1967, Agriculture and water survey, Somalia - Final Report Vol. I, General. Rome, FAO.

تركيبه أنواع الحيوانــات	العائلات بالنسبة لتركيبه أنواع الحيوانات					
	الصومال الشمالى ـ منطقة جوبا				الصومال الجنوبى	
	بوراو		أفمادو		بارديرى	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الابــل	٢٧١	٥.٩	١٣٧	١٣.٤	٢٣٠	٢٧
الماشيــة	٩	٠.٢	٥٦٦	٥٥.٥	٤٢٩	٥٠
الاغنام والماعز	١٥٤٠	٣٣.٤	٥	٠٠.٥	—	—
الابل والماشية	—	—	١٨٢	١٧.٩	١٤١	١٧.٠٠
الابل والاغنام والماعز	٢٤٠٦	٥٢.٣	٥٨	٥.٧	—	—
الماشية والاغنــام والماعز	٨٨	١.٩	١٥	١.٥	٤١	٥.—
الابل والماشية والاغنام والماعز	٢٩٠	٦.٣	٥٦	٥.٥	٦	١.—
المجموع	٤٦٠٤	١٠٠	١٠١٩	١٠٠	٨٤٧	١٠٠

واذا ما لخصنا الجدول السابق بسرعة نجـد :

ــ التنوع فى حيــازة الحيــوانات فى منطقــة بوراو وأفمادو ، ولو أنها محدودة (حوالى ٦٪) وضئيلة فى بارديرى (١٪) •

٢ ــ الابل تهتم بتربيتها العائلات فى بارديرى (الصومال الجنوبى) ثم أفمادو (منطقة جوبا) •

٣ ــ تتركز تربية الماشية وحدها بنسبة مرتفعة فى منطقة أفمــادو تليها منطقة بارديرى •

٤ ــ تتركز تربية الاغنام والمــاعز فى منطقــة بوراو (الصــومال الشمالى) •

٥ ــ تتركز تربية الابل والماشية فى منطقتى أفمادو ، بارديرى •

٦ ــ تتركز تربية الماشية والاغنام والماعز فى منطقة بارديرى •

مع ملاحظة أن المسح الذى تم فى أفمادو تم فى مارس ١٩٧٤ ــ بعد أمطار جــو الاولى ولذا يمكن أن نفهم وأن نلاحظ أن العدد المذكور أقل من العدد الفعلى فى عدد الابل • أمــا مسح بوراو فقــد تم فى فبراير ١٩٧٤ ، ومسح بارديرى فقــد تم فى أغسطس ١٩٧٣ (١) • ومع ذلك يمكن أن يقال بصفة عامة أن الابل تتركز فى الشمال فى حين تتركز الماشية فى الجنــوب •

وعموما فان الحركة الرعوية تسير فى محورين اساسيين :

١ ــ محور أفقى وفق الامطار •

٢ ــ محور رأسى وفق درجات الحرارة •

وان كانت هذه القاعدة ليست ثابتة الا أنها الصفة العامة فى الحركة الرعوية فى الصومال • ويمثل هذا النظــام الرعوى فى حــد ذاته حركة اقتصادية وحيوية للشعب الصــومالى • وأن « الضــابط » Control الاساسى لهذه الحركة هو الامطار ، فالعثور على المــاء والمرعى الطيب هى بؤرة العمـــل ونقطة الاهتمـــام الاولى للادارة الممتــازة لأى حركة رعوية (٢) • وعلى ضوء دراسة الحركات الرعوية العــامة فى الصــومال صنف بعض الباحثين هذه الحركات صنفين :

١ ــ الحركة الرعوية الطويلة :

وهى حركة موسمية طويلة وفق الظروف المناخية ، حيث تبدأ عادة فى شهر ابريل حيث يتحرك رعاة السهول الشمالية الى الاراضى الهضبية وقد يستقر البعض عليها ، فى حين يتجه البعض الآخر نحو الجنوب الى مراعى هود وذلك بعد سقوط الامطــار فى ابريل ومايو ويونيو ، وقد تمتد الحركة الى الجنوب من هود ، وقد يستقر البعض الآخر فى مراعى

(١) Ilo, JASP. Ibid P. 269.

(٢) الصومال قديما وحديثا ــ مرجع سابق ص ١٤٩ .

الشتاء . وقد يتحرك بعض سكان الهضبة فى منـاطق برعو وهرجيسة مع جماعات الاوجادين والماجرتين فى أودية هود أو فى مراعى (مدج) .

واذا كانت أمطار (جو) غير جيـدة فان آبار وبرك هود تجف فى العادة فى شهر أغسطس ، وبالتالى فقد تعود الجماعات الرعوية الى مراكز استقرارها حول الآبار ، أما اذا كانت بعض الامطار المناسبة قد سقطت فى الغرب فان الجماعات الرعوية تفضل الاتجاه اليها ، على العودة الى أماكن استقرارها .

وفى شهر أكتوبر ومع سقوط أمطار « دير » فان الحركة الرعوية تنزل الى السهول الساحلية أو الى هود .

أما شهرا ديسمبر ويناير فهما فى العادة وقت التجمع للرعاة حـول مراكز استقرارهم حول الآبار ، ومعنى ذلك أن هذه الحركة الطويلة تتفق مع بداية موسم الامطار حيث تتجه الى هود وفى نهايته تعود الى الهضاب والسهول الشـمالية ، وقد ينتظر البعض الى أن تجف الآبار والبرك تماما .

٢ ــ الحركة الرعوية القصيرة :

وهى حركة قصيرة غير منتظمة قد تكون بسبب انتشار الامراض فى الحيوان أو الانسان أو لسبب سياسى أو اجتمـاعى وأكثرها وضـوحا هو السبب المناخى المتعلق بدرجة الحرارة كما يتضح ذلك من حركة رعاة السهول الشمالية الى الهضبة فى شهرى ابريل ومايو كل عام للرعى على الهضبة خوفا من الحرارة الشديدة القـاسية فى السـهول وقد تستمر حركتهم الرعوية على الهضبة الى سبتمبر ثم يعودون الى السهول (١) . ولا شك أن فترة الجفاف التى حدثت فى ١٩٧٥/٧٤ ، وما تلى ذلك من فترات أدت الى عدم انتظام هذه الحركات الرعوية ، حيث أن انحباس الامطار أدت بالرعاة الى الاستقرار حول الآبار العميقة دائمة الميـاه ، الأمـر الذى أدى الى زيادة الحركة فى هذه المناطق وبالتالى تفتيت التربة وتدهورها ومن ثم تزداد الاحوال سوءا لأنها تصبح غير صالحة للانبات بعد ذلك وتتحول الى Bad Lands ، كذلك فان عمليات الاغاثة

---

(١) الصومال قديما وحديثا المرجع السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

التى قامت بها الحكومة والهيئات الدولية لتوطين البـدو الرحل سـواء باحتراف الزراعة أو صيد السمك ــ وهذا سوف نشير اليه فيما بعد ــ كان له أثره الواضح على تخفيف حدة المشكلة بالنسبة للبشر والقطعان •

سادسا : حجم وتوزيع حيازة الحيوانات الاساسية :

Size and distribution of basic animal holdings

أعطت المسوح الاستطلاعية الثلاثة التى قام بهـا قسم الاحصـاءات المركزية فى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ فى الصومال بعض المعلومات عن حجم وتوزيع حيازة الحيوانات الاساسية فى الاقتصاد الصومالى الرعوى • ومع هذا فان هذه المسوح لا تعطى توزيع العائلات وفقا للحيازات الكلية لـكل نوع من الحيوانات •

ويلخص الجدول الآتى نتائج هذه المسوح (١) •

توزيع العائلات وفقا لحجم وحيازات مختلف أنواع الحيوانات من خلال المسوح الثلاثة التى اجريت فى عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤

نوع الحيوانات وحجم الحيازة	العائلة House hold					
	الصومال الشمالى (بوراو)		منطقة جوبا (أفمادو)		الصومال الجنوبى	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الابـل						
صفر	١٦٣٧	٣٥.٥	٥٨٦	٥٧.٥	٤٧٠	٥٥
١ ــ ٥	٨٥٦	١٨.٦	١٥٨	١٥.٥	١١٩	—
٦ ــ ١٠	٨١٨	١٧.٨	٦٠	٥.٩	٤٨	٦,٠
١١ ــ ٢٠	٤٨٠	١٠,٤	٩١	٨.٩	٥٩	٧,٠
٢١ ــ ٥٠	٥١٩	١١.٣	٩٠	٨,٨	١٢٤	١٥,٠
٥١	٢٩٤	٦,٤	٣٤	٣,٤	٢٧	٣,٠
المجموع	٤٦٠٤	١٠٠	١٠١٩	١٠٠	٨٤٧	١٠٠

(1) Ilo, JASP, Economic Trans formation opcit. P. 270-1.

نوع الحيوانات وحجم الحيازة	العائلة					
	الصومال الشمالي (بوراو)		منطقة جوبا (افادو)		الصومال الجنوبي	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الماشية						
صفر	٤٢١٧	٩١,٦	٢٠٠	١٠,٦	٢٢٩	٢٧,٠٠
١ — ٥	١٥٦	٣,٤	٣٦	٣,٥	٩٤	١١,٠٠
٦ — ١٠	١٢٧	٢,٧	٨٨	٨,٦	١٥٨	١٨,٠٠
١١ — ٢٠	١٠٤	٢,٣	١٠٤	١٩,١	١٤٢	١٧,٠٠
٢١ — ٥٠	—	—	٣٣٢	٣٢,٦	١٦٦	٢٠,٠٠
٥١+	—	—	١٦٩	١٦.٦	٥٨	٧,٠٠
المجموع	٤٦٠٤	١٠٠	١٠١٩	١٠٠	٨٤٧	١٠٠
الاغنام والماعز						
صفر	٢٨٠	٦.١	٨٨٥	٨٦,٨	٨٠٠	٩٤,٥
١ — ٥	٣٤٣	٧,٥	٢٧	٢.٦	٥	٠٠,٦
٦ — ١٠	١٧٢	٣.٧	٢١	٢.١	٨	١.٠٠
١١ — ٢٠	١٠٧	٢.٣	٢٣	٢,٣	١٤	١.٦
٢١ — ٥٠	٥٤٥	١١,٨	٣٨	٣.٩	٦	٩.٧
٥١ +	٣١٥٧	٦٨,٦	٢٣	٢,٣	١٤	١,٦
المجموع	٤٦٠٤	١٠٠	١٠١٩	١٠٠	٨٤٧	١٠٠

ويظهر من الجدول نمط واضح لحيازة الاغنام والماعز فى الصومال الشمالى • كذلك توضح الارقام وجود حيازات قليلة لقطعان أقل من ٢١ رأسا بينما الاغلبية العظمى من الحيازات أكثر من ٥٠ رأسا • ومن هذا يمكن أن نستنتج أن ما بين ٥٠/٦٠ رأسا من الاغنام والماعز تعتبر الحد الادنى الضرورى لاعاشة الاسرة ، وان ما بين ١٥٠/٢٠٠ رأس تمثل زيادة بعض الشيء فوق الحد ، ربما لسبب العمالة المتاحة • ويتجاوز هذا الحد لدى بعض الاسر الغنية المحدودة • والتى تستخدم عمالة اضافية من

خارج الاسرة • وتتوافق هذه النتيجة مع ما هو معروف عن حجم القطيع من الماعز والاغنام فى افريقيا والشرق الاوسط وغيرهما • ويلاحظ أن نسبة عالية من العائلات فى منطقتى المسح فى جوبا ليس لديها ماعز أو أغنام على الاطلاق •

وربما يعزى هذا الى الظروف السائدة فى بيئة منطقتى المسح حيث ظروف الجفاف كذلك توضح الارقام أن قطعان الابل تزيد عن ٥٠ رأسا لدى بعض العائلات ، بينما نجد أن أكثر من الثلث فى الاقليم الشمالى وأكثر من النصف فى منطقة جوبا والصومال الجنوبى ليس لديهم ابل على الاطلاق •

ففى الشمال نجد أن الذى يربى الماشية من البدو الرحل عدد محدود للغاية ، أما هؤلاء الذين يعيشون فى الجنوب فانهم يربون الماشية على نطاق واسع ، على الرغم من أن حوالى ١٠ — ٢٧٪ فى منطقتى أفمادو Afmadow ، بارديرى Bardere ليس لديهم ماشية على الاطلاق • وحجم القطيع السائد فى هذه المناطق يتراوح بين ٢١ — ٥٠ رأسا •

سابعا : بعض الملامح الديموجرافية فى المجتمع الرعوى :

لابد من القاء نظرة سريعة على الملامح الديموجرافية للمجتمع الرعوى المترحل لما لهذا من أهمية فى فهم الاقتصاد الرعوى ولتخطيط حلقات مستقبلة مع كل من الاقتصاد الزراعى والصناعى • ولقد اجريت عدة مسوح منذ استقلال الصومال ، وحللت نتائج هذه البحوث (أما بالنسبة لتعداد السكان والحيوان الذى أجرى فى عام ١٩٧٥ فليس متاحا) •

ويوضح الجدول الآتى متوسط حجم الاسرة والمعدلات الحيوية للقطاعات الثلاثة :

الحضر ، والزراع المستقرون ، الرعاة الرحل • ويوجد اختلاف واضح فى معدلات الزيادة الطبيعية بين القطاعات الثلاثة حيث يأتى الحضر فى المرتبة الاولى فى التزايد فى حين يأتى البدو فى المرتبة الاخيرة • ويعتبر هذا النمط وما يرتبط به من معدلات المواليد والوفيات فى كل قطاع ، ويعتبر هذا فى اطار النمط الافريقى العام ذى الظروف المشابهة •

المعدلات الحيوية لسكان الحضر والريف المستقرين والبدو والرحل (١)

السـكان	متوسط عدد الاسرة	معدل المواليد فى الالف	معدل الوفيات فى الالف	معدل الزيادة البيعيطة فى الالف
الحضر	٤ر٤	٦٧	١٨	٤٩
سكان الريف المستقرين	٧ر٤	٥٦	٣٤	٢٢
البدو الرحـل	٩ر٥	٣٧	٢٠	١٧

ومن الواضح أن ارتفاع معدلات المواليد فى الحضر بالاضـافة الى نقص معدلات الوفيات نتيجة لانتشار الخدمات الصحية وتوفر التسهيلات كان له الاثر الاكبر فى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بعكس الحال لكل من سكان الريف والبدو الرحل الذين ترتفع بينهم معـدلات الوفيـات بسبب نقص الخدمات وانخفـاض التسهيلات المعيشـية بسبب ظروف بيئتهم القاسية • ويلاحظ أيضا انه يبدو أن عـدد الرجـال فى المجتمع الصومالى الرعوى أعلى من النساء على خلاف ما هو موجود فى القطاعين الآخرين ، ويشابه هذا الموقف بعض المجتمعات الرعوية الافريقية • حيث وضحت المسوح الثلاثة الاستطلاعية أن نسبة عدد الذكور بين البـدو الرحل (أى عدد الرجال لكل ١٠٠ امرأة) • كانت فى بارديرى ١١٠ ، وفى بوراو ١٠٦ ، وفى أفمادو ١١١ •

بينما نجد أن هذه النسبة فى ٢١ مدينة تم مسحها بين ١٩٦٢ ، ١٩٦٩ • كانت ٩٦ فقط • ولـكن لم يوضـع المسح معلومات عن نسبة تعـدد الزوجات •

---

(١) **ويلاحظ الآتى :** Ilo, JASP, IBID P, 273.

١ ــ ارقام الحضر من ١٠ مدن اكبر من ٥ آلاف ساكن مسحت بين ٦٧ ، ١٩٦٩ وواحدة ١٩٦٢ .

٢ ــ ارقام الريف من مسحين استطلاعيين بين ٦٧ ، ١٩٦٩ .

٣ ــ ارقام البدو الرحل من مسحين استطلاعيين أجريا عام ١٩٧٤ .

واذا كانت هذه النسبة موجودة فانها يمكن أن تكون عاملا هاما فى تفسير الخصوبة النوعية ، كما أن هذه النسبة تعتبر ذات أهمية فى تفهم الاقتصاد الرعوى المعيشى Subsistence Pastoral economy (حيث تعتبر كل زوجة نواة الوحدة المستقلة فى الانتاج الرعوى) •

ثامنا : الملامح الاجتماعية والعمليات الديناميكية فى المجتمع الرعوى
Social Features and dy namic processes.

يهمنا الآن أن نشير باختصـار الى بعض العمليـات الديناميكية فى الاقتصاد الرعوى وعلى وجه الخصوص عمليات التغير الناتج داخليـا وخارجيـا ، التراكم ، الانتـاجية المتزايدة ، والتغـاير أو التفـاوت الاقتصادى •

In Parlicular at Processes of exsternally and internally generated change, accumalation increased productivity and ecenomic differentiation.

فعند المولد يعطى الأب لابنه ناقة أو حيوان آخر لكى يكون نواة لقطيعه المنتظر فى المستقبل • وعن طريق الحظ والتصرف الحسن العاقل يمكن أن تنمو هذه الأعداد سـواء عن طريق الهـدايا أو الشراء أو التزايد الطبيعى عبر السنين •

وعند الزواج تخصص نسبة من حيوانات الأسرة للابن المتزوج على الرغم من تزايد ثروته الحيوانية مع بقية حيوانات الأسرة •

وعند وفاة الأب يقسم العدد الباقى بين الورثة ويبدأ تكوين مجموعة جـديدة من الأسر ذات الثروة الحيوانيـة ، ومع ذلك فانه يمكن أن يعيش الأخوة معا وتربى الحيوانات وترعى معا •

وتزداد قطعـان الأسرة بطريقة عـادية أو بالتنـاسل Reproduction حيث تتناقص بسبب البيع أو الاستهلاك ولكن العوامل البيئية environ - mental factors تلعب دورا خطيرا وخصوصا الجفاف والأمراض • فحتى حملات المقاومة الحديثة كان يعتبر الطـاعون القـاتل الأسـاسى للحيوانات ، حيث أنه يمكن أن يقضى على قطيع كامل خـلال بضـعة أسابيع • وهناك مجموعة أخرى من الأمراض ما زال لها تأثيرها الخطير أيضا وان كان ذلك ليس بنفس الخطورة التى كانت فى المـاضى • وقد

سبق أن أشرنا الى الظروف المناخية والملامح الأساسية لنظام الأمطـر وخصوصا الذبذبة الواضحة (عدم الانتظام) زمانيـا ومكانيـا • وان الجفاف يمكن أن يحدث كل ٣ أو ٤ سنوات واذا اجتمعت الأمراض مع الجفاف فان هذا يشكل خسارة فادحة ليس باعتبار الحيوانات هى مورد المعيشة فقط ولكن أيضا باعتبارها رأس المال المنتج أيضا ، ولابد أن يحتاط الرعاة الرحل ازاء هـذا الخطر بقـدر ما يستطيعون • وهم يحتاطون لذلك بطرق مختلفة أهمها التراكم والاحتفاظ بأعداد من الثروة الحيوانية تفوق احتياجاتهم المعيشية المباشرة السريعة • ورغم أن هـذا ينطبق على جميع أنواع الحيوانات الا أنه من الملاحظ أن التركيز يكون على الابل ، ويفسر لنا هذا ضخامة أعداد قطعان الابل والتى يتوق الى ذلك كل راع صومالى •

وتخدم القطعان الكبيرة الحجم (العدد) هدفين :

١ ــ عن طريق الحجم الكبير وحده يمكن أن تعيش بعض القطعان بعد الجفاف أو المرض الوبائى •

٢ ــ تجعل من الممكن وجود نظام من التأمين والمعـاونة الذاتيـة Self - help insurance فى اطار الاقتصاد الرعوى التقليدى •

حيث أن الاسر التى لا يوجد لديها من حيوانات النقـل أو اللبن الكفاية فانها تستعير الحيوانات المرضعة (أو ذات اللبن) أو حيوانات الحمل من الأصدقاء • وترجع هذه الحيوانات « المقترضة » Loaned animals عندما تنتهى الحاجة اليها دون دفع أى مقابل • وعنـدما تخسر أى أسرة حيوانااتها فانها يمكن أن تعـاون (تعـان) من الأقرباء والأصدقاء بالطريقة الآتيـة :

يقدم الى الأسرة المنكوبة بعض الماعز والنياق ذات اللبن (المرضعة) وكذلك بعض الخراف السمينة للذبح السريع لتقديم اللحوم للمساعدة فى تجاوز الصدمة الناتجة عن الكارثة • وبعد بضعة أيام يتم الاتفاق على اجتماع عام تناقش فيه الحقائق المتعلقة بالكارثة ، هل هى بسبب الاهمال من جانب المالك ، أو نتيجة لعوامل خارجة عن ارادته • ثم يختار مجموعة من الرجال هى التى تقرر مقدار المساعدة التى سـوف تقـدم للأسرة المنكوبة ، وغالبا ما تكون هذه المساعدة شاه عمرها عامان ، ماعز عمرها

ثلاثة أعوام أو أربعة رؤوس عن كل مائة رأس من الأغنام أو الماعز • واذا كانت الخسارة ناتجة عن خطأ ارتكبه المالك فان أقل مساعدة هى التى تعطى مع توجيه تحذير قوى اليه ، أما اذا لم يكن خطؤه هو السبب فتقدم المساعدة بحيث تغطى نصف أو كل الخسارة بالطريقة المشار اليها •

ويمكن أن يقال أن هناك نسبة غير كبيرة من العمل المؤجر فى الاقتصاد الرعوى التقليدى ، حيث نجد فى مختلف أنحاء الصومال أن الرجال الذين لا يوجد لديهم عدد كاف من الحيوانات يبحثون عن العمل كرعاة لدى هؤلاء الذين لديهم ثروة كبيرة سواء أكانوا من الرعاة الأغنياء ، أو الذين يسكنون المدن ويمتلكون ثروة حيوانية • ومن المعتاد أن الاتفاق على هذا العمل يدفع نقدا أو من الحيوانات (وخصوصا صغار الماعز الذكور) • مثلا نجد أن الرجل المؤجر من الرعاة فى منطقتى بوراو Burao وهرجيسة Hargeisa يحصل من المالك على غذائه اليومى (الحبوب ، الشاى ، السكر) ومرتين فى السنة من الثياب ، بالاضافة الى اللبن من القطيع وكذلك ٣٠٠ شلن كل ستة شهور وذلك نظير رعاية ٥٠ رأسا من الابل ، أو ١٠٠ رأس من الماعز والأغنام أو ٥٠ رأسا من البقر • أما فى الاقليم الجنوبى فان الرجل المؤجر يعامل وفقا للاتفاق على أساس أن يأخذ حسابه من الحيوانات ــ ناقة ، أو رأسان من البقر فى السنة one she - camel or one two - year cow. على حسب الحالة ، بجانب اللبن من القطيع والملابس مرتين فى العام ؛ أما هؤلاء الرعاة المؤجرون الذين يستقرون فى القرى ، ولا يرعون الحيوانات فى الجبل فانهم يحصلون على أجورهم نقدا ٥ر١ ــ ٢ شلن عن البقرة أو ٥ر٠ ــ ٦ر٠ شلن عن الماعز أو الرأس من الأغنام (١) •

وعلى الرغم من أن وجود مثل هذه التنظيمات يمكن أن تفتح الطريق لاستغلال القوى العاملة وخلق طبقة دائمة من الرعاة المؤجرين class of hired herdsmen ، الا أن هذه النتيجة لم يتوصل اليها فى المجتمع الرعوى التقليدى فى الصومال ويرجع هذا الى أنه فى كثير من

---

(١) Ilo, JASP Economic trans formation P. 276, See also. ILo, Report to the government of the Somali Democratic Rep. on the integrated develop ment of the nomadic zone. 1972, Ceneva ILo/OTA/Somalia/R. 6.

الحالات يأخذ الراعى المستأجر حقه على شكل حيوان كما ذكرنا ، وبالتالى فان هذا يؤدى الى تحويل العائلات الفقيرة الى رعاة مستقلين بأنفسهم بعد أن يتجمع لديها عدد معقول من الحيوانات وتصبح وحدة انتاجية مستقلة أيضا .

ونظرا لطبيعة الأخطار الموجودة فى البيئة الصومالية ، وأشكال اعادة التوزيع المستمر للثروة الحيوانية بين الأسر الصومالية فان هذا يمنع أى عملية مستمرة لتراكم الثروة وبالتالى التفاوت الاقتصادى . فالثروة مركزة فى الحيوانات وخصوصا فى شمال الصومال حيث لا نجد امكانات متاحة للتوسع الزراعى ويؤدى هذا الى عدم وجود اتجاه (ميل) لدى الأثرياء هنا (بثروتهم الحيوانية) ــ فوق حد معين ــ الى استثمار ثروتهم فى زراعة الأرض . وحيث أن الثروة هنا مركزة فى الحيوانات ، فانها تظل معرضة للأخطار سواء لسبب الجفاف أو الأمراض . أما عن السلطة السياسية فى هذا المجتمع الرعوى التقليدى فى الصومال فانها كانت قبل الثروة لا تعبأ بالغنى والثروة ولكن على القدرة والنظام الديمقراطى والذى على أساسه يصبح الرجل القادر (الكفء) وخصوصا المستنير ــ يصبح زعيما .

ولقد أدت الاستراتيجية الاقتصادية الخاصة بالرعاة والتى تعتمد على الاحتفاظ بأكبر عدد من القطعان كضمان وتأمين ضد الأخطار سالفة الذكر ، أدت هذه الاستراتيجية الى عدم قابليتهم لبيع مزيد من الحيوانات عما هو ضرورى لتغطية حاجاتهم الأساسية النقدية لشراء الحبوب . والأغذية الأخرى ، والملابس ... الخ ، ولا تباع الابل التى تعتبر الاحتياطى الأساسى ، والى حد ما الأبقار فى هذا المجتمع الاقتصادى التقليدى ، الا فى الحالات الضرورية الملحة ، ولقد أسىء فهم هذه الحقيقة على نطاق واسع كعلامة على السلوك الاقتصادى غير العقلانى على أساس أن هؤلاء الرعاة يفضلون المظهر والمكانة (عن طريق ضخامة القطعان) أكثر من النقود والسلع التى يمكن الحصول عن طريق بيع بعض من هذه القطعان ولكنه يبدو واضحا بعد فهم طبيعة البيئة الصومالية الرعوية المعرضة للأخطار والتعرف على استراتيجية الرعاة لمجابهة هذه الأخطار وعدم الاطمئنان ، عن طريق هذا الفهم يمكن أن نقول انه لا يوجد سلوك غير عقلانى ازاء هذه الاستراتيجية . وفيما يلى بيان تفصيلى

يوضح المعدلات الحيوية فى كل من المناطق الحضرية والريفية (المستقرة) والبدو الرحل من حيث عـدد السكان ومتوسط عـدد أفراد الأسرة ، ومعدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية • وذلك لمقارنة معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى المجتمع الرعوى بكل من مجتمع الريف (المستقر) والحضر • وكذلك لمقارنة منـاطق المجتمع الرعوى المختلفة كل منها بالأخرى •

احصاءات حيوية فى بعض مناطق مجتمعات الصومال المختلفة

المدينة والإقليم	تاريخ المسح	السكان	متوسط عدد افراد الاسرة	معدل المواليد %	معدل الواليد %	معدل الزيادة % الطبيعية
المناطق الحضرية						
بيدوبا	١٩٦٨	١٤٩٦٢	٤,٥	٧٠	٣٠	٤٠
بيليت — وينى	١٩٦٩	١١٤٦٢	٤.٨	٤٤	٢٢	٢٢
برافا	١٩٦٨	٦١٦٧	٤.١	٣٤	٢٣	١١
بولو — برتى	١٩٦٩	٥٢٤٧	٥.٢	٤٨	١٦	٣٢
خمعامى	١٩٦٨	٥٤٠٨	٤.٦	٥٥	٢٥	٣٠
جوهر	١٩٦٩	١٣١٥٦	٤,٠	٤٨	١٨	٣٠
هرجيسة	١٩٦٢	٤٠٢٥٤	٣.٨	٤٣	٢٤	١٩
كسمايو	١٩٦٨	١٧٨٧٢	٤.٠	٧١	٢٧	٤٤
مركا	١٩٦٧	١٧٧٠٨	٣.١	٦٣	١٧	٤٦
مقديشيو	١٩٦٧	١٧٢٦٧٧	٤.١	٧٧	١٥	٦٢
المجموع	—	٤٠٣٨٧٧	٤.٤	٦٧	١٨	٤٩
المناطق الريفية (المستقرة)						
افمادو	١٩٦٨	٣٥٩٩	٥,٠٠	٥٤	٢٥	٢٩
بيدوبا	١٩٦٨	٥٠١٢٥	٥,٤	٤٤	٢٣	٢١
بيليت وينى	١٩٦٩	١٢٧٠٨	٥,٨	٣٧	١٩	١٨
بولو — برتى	١٩٦٩	١٠٠٦٢	٤,٦	٤٧	٢٧	٢٠

المدينة أو الإقليم	تاريخ المسح	السكان	متوسط عدد أفراد الأسرة	معدل مواليد ٪	معدل وفيات ٪	معدل الزيادة الطبيعية ٪
خمعامى	١٩٦٨	٢٣٨٢٨	٤,٣	٤٦	٢٩	١٧
جوهر	١٩٦٩	٤٠٩١٥	٤,٢	٤٩	٣٣	١٦
كسمايو	١٩٦٨	١٥٠٢٤	٤,٥	٥٥	٣٩	١٦
مركا	١٩٦٧	٤١٩٦٨	٤,٧	٦٩	٤١	٢٨
المجموع	—	١٦٨٢٢٩	٤,٧	٥٦	٣٤	٢٢
السكان الرحل						
بوراو	١٩٧٤	٢٦٤٥١	٥,٨	٣٩	٢١	١٨
أفمادو	١٩٧٤	٦٣٥٨	٦,٢	٣٠	١٤	١٦
بر ديرى	١٩٧٣	٥١٤٩	٦,١	—	—	—
المجموع	—	٣٧٩٥٨	٥,٩	٣٧	٢٠	١٧

المصدر : ILo, JASP. Economic Transformation P. 278.

١ – من بين المدن التى مسحت فى الفترة بين ٦٢ – ١٩٦٩ (التى يتراوح حجمها بين ١٢٢٦ ، ١٧٢٦٧٧) كان منها ١٢ مدينة يزيد سكانها عن ٥ الاف نسمة . من هذه الـ ١٢ مدينة كانت الاحصاءات الحيوية غير متوفرة عن بربرة وبوراو والعشرة الباقية محللة فى هذا الجدول .

٢ – حسبت معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية على اساس بوراو وافمادو فقط .

وواضح من الجدول السابق أنه على غير المنتظر فى الاطار العام للنمو السكانى نجد هنا أن معدلات الزيادة الطبيعية فى المراكز الحضرية أعلى منها فى المناطق الريفية (المستقرة أو البدو الرحل) وربما يرجع هذا الى ارتفاع معدلات الوفيات فى المناطق الريفية عنها فى المراكز الحضرية ، بسبب نقص الخدمات الصحية وصعوبة البيئة الريفية التى يعيش فيها هؤلاء السكان خصوصا وأن المسح لهذه المناطق كان قد أجرى فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات أى وقت اشتداد أزمة الجفاف خصوصا بالنسبة للرعاة الرحل . كذلك نلاحظ انخفاض معدلات المواليد لدى البدو الرحل (٣٧٪) فى حين أنها مرتفعة للغاية لدى سكان المراكز الحضرية والقرى (٦٧ ، ٥٦٪ على التوالى) وربما يكون ذلك أيضا راجعا الى سوء ظروف الجفاف وتشتت الأسرة ، كذلك من الغريب أن تجد أن معدلات الوفيات لدى المجتمع الريفى المستقر (القرى) أعلى منها المجتمع الرعوى المتنقل (٣٤ ، ٢٠٪ على التوالى) .

تاسعا : جهود الحكومة الصومالية

نتيجة لفترات الجفاف المتواترة فى الصومال وتأثيرها على الثروة الحيوانية بدأت حكومة الصومال فى النظر الى تحسين الاوضاع بالتعاون مع صندوق التنمية التابع للأمم المتحدة لاعداد مسح كامل لمراعى الاقاليم الشمالية فى عام ١٩٧١ ، كما أنشأت ١٣ مرعى محجوزا خلال مواسم الامطار لادخارها لأوقات الجفاف . كذلك وضع مخطط لاعادة زرع الغابات فى المناطق العارية ويغطى هذا البرنامج ١٣٠٠٠ هكتار من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ فى جنالى ، جعن لباح ، بربرة . كذلك تم ادخال برامج منسقة للرعى الدورى فى المناطق الأكثر حرجا more critical من الناحية الايكلوجية ، وتم تنفيذ برنامج لاستكمال تنمية هذه المناطق الاحتياطية

فى موسى (جو ، دير) من أجل اعطاء الاشجار فرصة للتجدد والازدهار .

كذلك أعطيت أهمية تامة لادارة المراعى للمحافظة عليها وحمايتها . وفى اطار هذه الجهود يتضمن البرنامج تخطيط حدود ٢١٤٠٠ كم من الأراضى الاحتياطية للمراقبة والرعى الدورى واقامة حواجز لتسطيح أكثر من ١٤٠٠٠ هكتار من الاراضى لتقليل اندفاع تدفق المياه والمحافظة على التربة ، وتنفيذ تعميم المياه واعمال الضبط بواسطة سدود تشمل مساحة ٢٠٠٠ هكتار ، هذا بالاضافة الى تأسيس مراعى بها حظائر تعاونية لتربية الحيوانات ، تتسع لتربية أكثر من ٣٠ ألف رأس قرب أفمادو ويشمل المشروع وحدة لمراقبة الأمراض ووحدة تسويق ، وتنمية « نقط » المياه فى حظائر التربية قرب كسمايو .

وتهدف هذه الاجراءات أيضا الى موازنة رعى المراعى طوال العام ــ حيث خصصت مساحة ١٧٦٠٠ كم^{٢} كاحتياطى فى الاقاليم الآتية :

الاقليم	المساحة بالكم٢	النسبة المئوية
١ ــ بوصاصو	٣٧٠٠	٢١ ٪
٢ ــ نجال	٣٩٠٠	٢٢ر١ ٪
٣ ــ تج دير	٣٥٠٠	١٩ر٩ ٪
٤ ــ الاقليم الشمالى الغربى	٢٠٠٠	١١ر٤ ٪
٥ ــ سناج	٤٥٠٠	٢٥ر٦ ٪
المجموع	١٧٦٠٠	١٠٠ ٪

كذلك اتفقت الحكومة الصومالية مع جهات دولية خارجية على اقامة مشروع لتحسين المراعى بوسط الصومال فى محافظات هيران ، جلجدود ، مدج ، بحيث يساهم هذا المشروع فى تنفيذ السياسة العامة للحكومة للنهوض بالمراعى فى جميع أنحاء الصومال وخاصة فى وسط الصومال فى المحافظات المشار اليها ، للوصول الى الهدف الرئيسى وهو تحسين الأحوال المعيشية للمجتمع الرعوى عن طريق :

١ ــ ادخال التكنولوجيا الحديثة لادارة وتنظيم المراعى •

٢ ــ انشاء شبكة من الآبار وأماكن شرب الحيوانات •

٣ ــ العناية البيطرية للحيوانات •

٤ ــ عقد ندوات وتدريب جميع المشتغلين سواء أكانوا رعاة أو مزارعين •

٥ ــ ارسال بعثات تعليمية للخارج للحصول على التدريب العملى والأكاديمى •

٦ ــ تقديم الخبرات الفنية العالية للمشروع بصفة خاصة أو الوكالة الوطنية للمراعى بصفة عامة •

٧ ــ تمويل قسم لادارة المراعى بكلية الزراعة التابعة للجامعة الصومالية لتخريج الجامعيين الذين سيتولون العبء فى المستقبل كما سيساهم المشروع فى عمل مسح جوى للمحافظات الشمالية والجارى تنفيذ تحسين المراعى فيها بواسطة صندوق النقد الكويتى (١) •

ويقع المشروع بين خطى عرض ١٠َر٣° ، ٤٠َر٧° شمالا ، ويغطى ١٤٩ ألف كم٢ ويعيش فى هذه المنطقة وفقا لتعداد سنة ١٩٧٥ = ٥٤٣ر٧٠٠ نسمة منهم ٤٠٠ ألف يحترفون الرعى • ويختلف النبات فى هذه المنطقة وفقا للطبوغرافيا والامطار التى تتراوح بين ١٠٠ ــ ٢٥٠ مم بجوار Bules-Burti فى الجنوب والتربة فى منطقتى جلجدود ، مدج غالبا من الرحل فوق الحجر الجيرى بعمق متفاوت • أما فى هيران فرغم أن معظمها رملية الا أنه توجد بها ارسابات نهر شبيلى فى أقصى الجنوب (٢) •

---

(١) وزارة الانتاج الحيوانى والغابات والمراعى ــ الوكالة الوطنية للمراعى بالصومال (باللغة العربية) •

(٢) National Range Agency. Somalia, Central Range land development project By. Y.R. Bahaa El-Din.

أما بالنسبة لجهود الحكومة لاغاثة وتوطين الذين أضيروا من جفاف ١٩٧٥/٧٤ فقد عبأت حملة قومية ، والموارد الداخلية والخارجية المتاحة لاستيعاب حوالى ربع مليون نسمة فى أقاليم توج دير ، وسناج والشمالى الشرقى ، نوجال ، مدج ، جلجدود ، بكول ، وفى نفس الوقت عينت لجان اغاثة على المستوى القومى والاقليمى لتنظيم وادارة معسكرات الاغاثة ، وقامت أيضا بالتدابير الاضافية التالية :

١ ـ توزيع الاغذية الرئيسية على المناطق المتأثرة بالجفاف بمبلغ يزيد عن ١٤٠ مليون شلن •

٢ ـ توفير وسائل النقل مجانا للسكان المتأثرين بالقحط • ومواشيهم •

٣ ـ توفير الماء مجانا للسكان ومواشيهم فى المناطق المتأثرة وقد صرفت على هذه المرحلة ٩٠٠ مليون شلن •

ومع هطول أمطار ربيع ١٩٧٥ بدأت الحكومة بالاستعداد للمرحلة التالية وذلك باختيار مناطق مناسبة لتوطين الآلاف من مربى الماشية الرحل الذين فقدوا كل أو معظم ما يمتلكونه من الحيوانات •

وتم اختيار السهول الفيضية من نهرى جوبا وشبيلى لتوطين هؤلاء البدو فى مناطق زراعية (منطقة دوجوما على نهر جوبا ومنطقتى سبلالة وكورتن وارى على نهر شبيلى) ، أما مناطق جراعد ، ايل وبراوة فقد أختيرت لتوطين مجتمعات صيادى السمك وكلها تقع على المحيط الهندى •

ونتيجة لبرامج التوعية اختار حوالى ١٢٠ ألف شخص حرفتى الزراعة والصيد (الاستقرار) واختار حوالى ١٥٠ ألف شخص مواصلة حياة الرعى والبداوة •

جدول يبين مراكز التوطين الجديدة وانواعها

المركز	عدد السكان	نوع المركز
١ ـ دوجوما	٤٨ر٠١٤	زراعى
٢ ـ سبلاله	٢٩ر٩٣٧	زراعى
٣ ـ كورتن وارى	٢٦ر٦٢٠	زراعى
٤ ـ براوة	٦ر٣٧٠	صيد سمك
٥ ـ جراعد	٥ر٠١١	صيد سمك
٦ ـ ايل	٣ر١٥٦	صيد سمك
الجملة	١٤٥٣٧	

وحتى تضمن الحكومة نجاح برنامج التوطين اتخذت قرارا بتحويل دوجوما الى عاصمة اقليمية لجوبا الوسطى وسبلالة وكورتن وارى مراكز نواحى ادارية بالاضافة الى توفير المال والمعرفة الفنية اللازمة (١) •

وقد وضعت ضمن الخطة ١٩٧٨/٧٤ أهداف لتحسين أحوال المراعى وفقا للطرق والأساليب العلمية ووضعت أولويات للمناطق التى تطبق فيها هذه الطرق والأساليب (٢) •

---

(١) صوماليا اليوم ـ مرجع سابق ص ١٧١ ـ ١٧٢ •

(٢) UNCSTD National paper of somalia 1979 PP. 40-41.

اهم المراجــع

باللغة العــربية :

١ ــ د. السعيد ابراهيم البدوى : الانتاج الزراعى فى الصومال .

فى مجلد المسح الشامل لجمهورية الصومال ص ٤٠٣ الى ص ٤٦٠ ــ

نشرة منظمة اليونسكو العربية ــ معهد الدراسات العربية ببغداد ١٩٨٢ .

٢ ــ د. حسن حسين الخولى ــ انماط تحركات السكان فى الصومال ــ نشرة البحوث والدراسات الافريقية .

٣ ــ د. حمدى السيد سالم : الصــومال قديما وحديثا ــ جــزءان ــ مقديشيو ١٩٦٥ ــ طبع وزارة الارشاد القومى الصومالى .

٤ ــ وزارة الارشاد القومى الصومالى ــ سياسة التوطين واهدافها ــ مقديشيو ١٩٧٧ .

٥ ــ وزارة الارشاد القومى الصــومالى ــ صوماليــا اليوم ــ حقــائق **ومعلومات عامة ــ مقديشيو ١٩٧٥ .**

باللغة الانجليزية :

1) Baha Eldin, y : Central Range Land Development project. National Range Agency Seminar 15 - 24 th January 1980.

2) Box, T : Range resources of somalia - Journal of Range Management 21 (6) 1968.

3) F.O.A. Agriculture and water survey, somalia, final report vol. 1.

4) German Planning and Economic Advisory group for the allocation of deep wells to the rural areas. Mogadishu, Ministry of planning and coordination.

5) Griffiths (editor - J.F) : climates of Africa 1972. PP. 133-165.

6) Hartley, B.J. et al 1967. Livestock development survey. FOA. Rome..

7) Hulton (Publisher) An advanced georaphy of Africa, 1975 PP. 74-117.

8) International Labour office. (ILO). Report to the government of the Somalia. Democratic Republic on the integrated development of the nomadic zone. 1972.

9) ILO : Economic transformation in socialist framework. An employment basic needs oriented development strategy for somalia. Addis Ababa 1977.

10) Lockwood, J. world climatology, An environmental approach. 1974 PP. 287 - 293.

11) UNCSTD : National Paper of Somalia 1979.

12) World Bank Somalia country economic memorandum.



الايــواء فى الصومــال

د. حسن حسين الخولى

تمهيـــد :

الصــومال أمة ، ليس فى مرحلة القبلية تماما ، وان سادته القبائل (١) ولعل أبرز ســماته اللغة المشتركة ، والوحــدة الأرضـية والعرقيـة والتاريخية ، كما يبدو متجانسا أنثرويولوجيا ، كعنصر خاص «كوشى» . ويتألف الوطن الصومالى التاريخى من شبه جزيرة الصومال المتسعة ذات الحدود لواضحة ، كما تســوده وحــده فزيوغرافية معقولة وعلى قدر اتســاع الجبهات البحرية فان ظهور الكثبان الرملية الساحلية ،وأنتشار الجزر الرملية ، وكذا البحيرات الساحلية ، مع جفاف الظهير فقد أدى الى ضعف النظــير وعدم أمكان قيام موانيها بوظيفتها الحيوية .بل أدى الى ندرة الموانى الطبيعية مع أمتداد هذه السواحل . (٢)

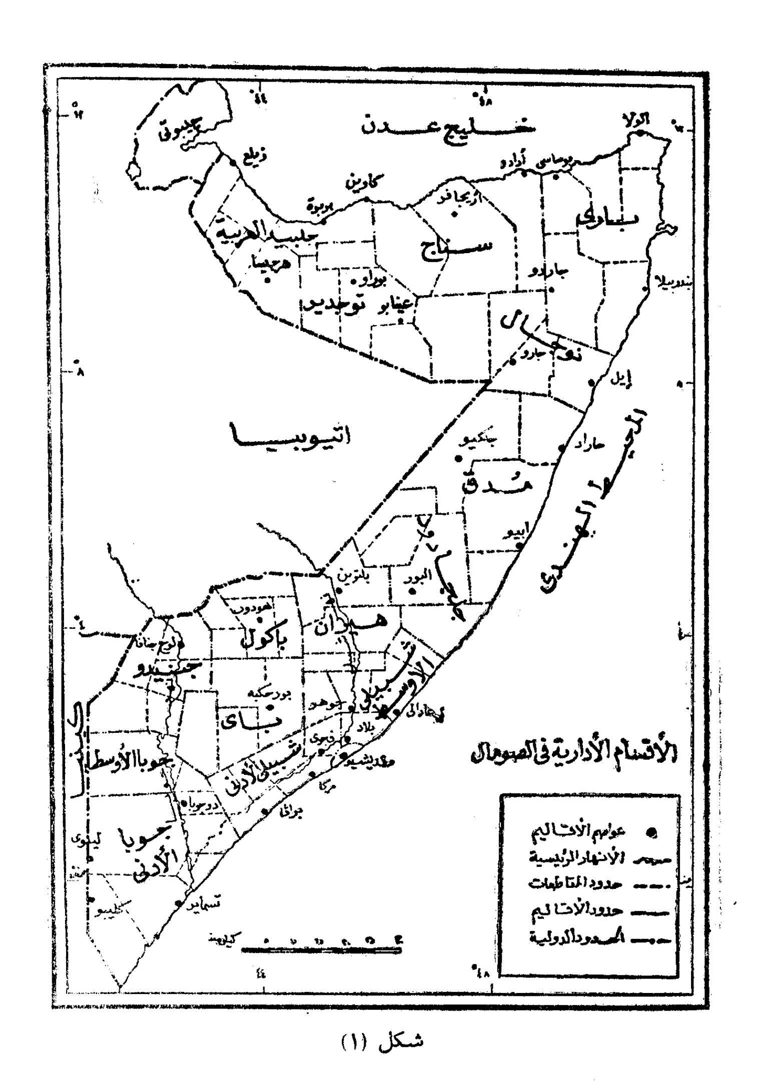
أنتشــار السكان فى الصومال خفيف للغاية ، يكاد يخلو من نواة ديموغرافية قوية رغم بعض التركز فى اقاليم الزراعة الساحلية الجنوبية ، واذا كان شعب الصــومال يحتل وطنه منذ القدم . الا أن تعميره للركن الجنوبى الغربى الأقصى حديث نســبيا ، حيث بدأ الانتشار منذ قرنين ومازال ينساح فى توسع عبر نهر جوبا جنوب كينيا ، كما يضغط فى اتجاه بحيرة رودلف .

ان توزيع السكان فى الدولة ــ هو فى الحقيقة نتاج سلسلة متصلة زمنيا ، متباينة مكانيا ومحصلة تحركات تيارات بشارية مئاتالسنين ، ويرجع ذلك فى الاصل الى نوع مناشط السكان والذى يتمثل بصورة رئيسية فى الرعى ، حيث الترحال والتنقل وراء المرعى ، أو مصادر الماء فى غياهب الصحراء .

---

(١) جمــال حمدان / أفريقيا الجـديـدة ، دراســة فى الجغرافيا السياسية / القاهرة ١٩٦٦ . صص . ٣٢٦ ــ ٣٢٧ .

(٢) محمد عبد الغنى سعودى / « الصومال ، عضو جديد بالجامعة العربية » / مجلة البحوث والدراســات العربية / العدد الخامس / يونيه ١٩٧٤ . ص ٢٧ .



خليج عدن
اثيوبيا
المحيط الهندي
الأقسام الأدارية في الصومال
عواصم الأقاليم
الأنهار الرئيسية
حدود المقاطعات
حدود الأقاليم
الحدود الدولية
كيلومتر
جيبوتي
زيلع
بربرة
هرجيسا
بورما
عيناب
توجدير
سناج
ارجافو
بري
بوساسو
نوجال
جارو
ايل
مدق
جلكيو
هيران
بلدوين
باكول
جدو
باي
بيدوا
شبيلي الوسطى
مقديشو
شبيلي السفلى
مركا
جوبا الوسطى
جوبا السفلى
كسمايو

شكل (١)

تتعدد الاجتهادات حول النشأة وتأصيلها ، ودروب انتشار سـكان الصومال فى القرن الافريقى، من الأراء من أرجع منبتهم الى قبائل شبه الجزيرة العربية (١) ، وقد ضغطت هذه العشائر فى مسارتها على العناصر المتزنجه فى اتجاه الجنوب ونحو الغرب وقد دفع الصوماليون « الجالا » نحو الجنوب الغربى عبر نهر جوبا وكذا شـبيلى ليحتلو الأجزاء الجنوبية الغربية من اثيوبيا وشمال كينيا • (٢) وهناك من يرجع أهل الصومال الى صميم القارة الافريقية ، على اعتبار أن كلا من الصوماليين والجالا منبتهم الجنوب الاثيوبى ، على اعتبار أن كليهما تتـابع فى التحرك والانتشار صوب الشمال وفى اتجاه الشرق ، وان كانت تفند هذه الأراء اعتراضات ، لعل أبرزها غموض دوافع ترك الصومالى لموطنه الى بيئة صعبة ، وكذا الرد على اكتساب الشعب مهارة الرعى مما يقوى الاعتقاد بان شعب لصومال حامى الأصل ، وان كانت دخلتهم الدماء العربية • ان شعب الصومال ذا جذور واضحة ، وأمة بالمعنى القومى ، ولكنة شتات ممزق ، كما لم تعرف قومية فى افريقيا • (٣) لا يقتصر توزيع سكان الشعب الصومالى على حدود جمهورية الصومال ، بل يمتد فى القرن الافريقى ، حيث يستحوذ على نصف تراب جيبوتى فى الشمال حتى نهر تانا فى كينيا ، كما ينتشر داخل حدود أثيوبيا ، علاوة على تواجدهم بنسـب متفاوتة خـارج القرن الافريقى ، على امتـداد موانى ومدن الشرق الأفريقى وعدن ، وبعض دول شبه لجزيرة العربية •

جمهورية الصومال الديمقراطية بمساحتها التى تبلغ ٦٣٨ألف كيلو متر مربع وموقعها الاستراتيجى داخل القرن الافريقى ، تنقسم الى سته عشر اقليما اداريا وكذا اثنتان وثمانين قسـما محليا • ويقدر عدد السكان بما يزيد على خمسة ملايين نسمة ويقترب معدل النمو السنوى من ٢ر٣٪

---

(١) محمد السـيد غلاب / تطور الجنس البشرى / القـاهرة . ١٩٧ • ص • ٢٨٣ •

(٢) Prothero, R.M., North East African ; Apattern of Conflict», in A Geography of Africa ; Regional Essays on Fundemental Characteristics Issues Problems, edited by : Protrero, R.M. London, 1973. P. 160.

(٣) — Drysidale, J. The Somalia Dispute, London. 1946. P. 148.

ويصنف ٦٠٪ من جملة السكـان فى حرفة الرعى أو اشـباه المرتحلين ، كما يسـتقر حوالى ٢٠٪ فى حرفة الزراعـة ، والنسبة الباقية سكان للمسـتوطنات الحضرية باحـجامها المختلفة • يمثل الجـزء الجـنوبى من الجمهورية مجموعة الأراضى الخصبة ، أما الشمالى فهو يمثل ٦٠٪ من مساحة الصومال وحوالى ٣٠٪ من جملة السكان مديريات الشمال يتصف قاطنوها بالرعى والتنقل المستمر • حرفة الزراعة تستحوذ على ٨٠٪ من القوى العاملة المنتجة ، وحوالى ٦٠٪ من جملة الناتج القومى •

تعد الصومال من أشد دول العالم النامى تأثرا بالعوامل الطبيعية . وكذا فقدان التوازن الصـارخ بين الموارد والسـكان ، مما جعلها تقع فى أدنى مستويات للمعيشة بل أفقر دولة فى العالم ، حيث يتراوح متوسط نصيب الفرد بين ١٠٠ الى ٢٠٠ دولار — سنويا ، بل أصبحت دولة أسيرة للمساعدات ترتق بها اقتصادها ، وزاد الطين بله تقلبات عناصر المناخ ، وأثر ظاهرة نوبات الجفاف المتكـرره ، ثم نير سـعير حرب اشتعلت مع جارتها ، وكذا طبيعة نشـاط السـكان الرئيس الا وهو الرعى ، ومما ترتب من آثـاره فى التنقل والترحـال وعدم الاستقرار ، وتيارات الوفود ، واعاده التوزيع السكانى غـير المخطط ، وما يحمله من أعباء مدمرة على الوضع الاقتصادى ومستوى المعيشة وتفاقـم مشـكلات التنمية ، وتطور المجتمع الشمولى •

عوامل الايواء ومتغيراته :

اذا كـــان الوفود والنزوج عاملان مؤثران فى نمو الســـكان فان بصماتهما مباشرة على خصائص لسكان ، سواء من الناحية الديموغرافية أو الاجتماعية وكذا الاقتصادية (١) • كما أن انتقال تيارات الهجرةأنما يمثل اعادة لتوزيع السكان وكثافتهم ، ومما يترتب عليها من نتائجبالسلب أو الايجاب ، قـــد تؤدى الى زيـــادة عـــبء الاعالة ، وخـــلق الكثير من المشكلات للوافدين ،من أبرزها صعوبات الاسكان ، ومدى توافر الخدمات الصحية والتعليمية ، وقصور المواصلات ، خاصة اذا كان الوفود أو النزوح غير مخطط الحجم أو الاتجاه أم كان مجهول الهوية وصاحبة صعوبة فى الحصر والتسجيل والاحصاءات (٢) •

الهجرة كظاهرة جغرافية متعددة ،يتميزكل صنو بخصائصديموغرافية، وتعكس فى صورتها المثلى رغبة الانسان فى مغادرة الموطن الى رحاب أراض أيسر سبيلا ، يعيـــش فيها حياة أفضـــل (٣) • قد يكون الانتقال مؤقتا ، أو منتظما فى صوره تردد يومى ، وفى بعض الاحيان موسميا ويتم سنويا (٤) • والهجرة قد تبدو نزوحا اختيارا ، فاذا عاد الى الوطن بعد غياب طال مداه أو قصر ، سميت هجرة العودة أو الاياب • وقد تعمد السلطات الى صد الوافدين أو ترحيل المهاجرين وهو ماتسميه «بالاعادة» وحجم الوفود والنزوح متفاوت ، فهو يتأرجـــح بين « الهجرة الفردية » وما نطلق عليه « الهجرة الجماعية » وقد تتواصل الافواج فى موجـــات

(١) — Clarke, J.I., «Population Geography», London, 1970 PP. 124-125.

(٢) — Bogue, D.J., «Internal Migration «in : The Study of Population (edits) by : Hauser, D. Chicago, 1959. PP. 488-489.

(٣) فتحى ابو عيانـــه / جغرافية السكان واســـسها الديموغرافية العامة / الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٥٥ .

(٤) — Hance, W., Population, Migration and Urbanization Africa», Columbia Univesity Pross, N.Y. 1970 PP. 143-144.

من تيارات الوفود أو النزوح ، حيث نسميها « هجرة الجماهير » أما الجلاء ، فهو نمط من الانسياح البشرى ، اتقاء الشرور أو توقعا لكوارث (١) وفى بعض الاحيان تتوافد تيارات الهجرة نزوحا ومغادرة مدفوعة بعوامل طرد ، تاركين الوطن دون هدف للذهاب الى مكان مأمون ، ويدخل فى اطار هذا النمط ما ننعته « بالاخلاء » ، وقد تمت فى شكل اجبار خشية متغيرات طارئة ستحل بهم • « اللاجئون » هم جماعات ارتحلوا الى بلد أو اقليم اختاروه بأنفسهم ، أما « المنقول » فهو من فرضت عليهم اقامة جديدة محل موطنه •

تأثير الموقع وأثر الموضع فى الحرفة والايواء :

وجهت البيئة الجغرافية شكل مناشط السكان وطبيعة الحياة فيها ، حيث يحترف معظمهم الرعى ، ومن ثم الحركة والانتقال ، عبر الحدود الادارية ، وفى الأغلب الاعم مخترقين التخوم والفواصل الدولية • ويطلق على البدو الرحل بجماعاتهم وتياراتهم الموقوته ، ما يمكن أن نسميه « المهاجرين المحليين » • واذا كان الصومال ينقسم جغرافيا بين شمالى وجنوبى فان كلاهما يتأثر بدوره فصيلة واحدة ، حيث يسقط المطر ابان فصلين من مارس حتى يونيه وكذا سبتمبر الى ديسمبر ، وبينهما فصلان جافان (٢) • ويصلح للرعى حوالى ٤٣ ٪ من جملة مساحة الدولة ، كما أن هناك ٣٩٪ من التراب الصومالى قف لا يصلح للزراعة أو الرعى ، أو بعنى آخر أن عوامل الطرد متعددة ، جعلت نصيبا كبيرا من مساحة الدولة غير مضياف ، وقد زادت عوامل التربة ومصادر الماء مع تقلبات عناصر المناخ ، ما يمكن أن تجعلهم محصلة مع نقص الموارد والخامات ، دوافع ضغط على السكان وهى فى اجمالها طبيعية وفى فروعها تأثيرات بشرية • حددت مسارات القبائل والعشائر فى اتجاهات متعددة بين أجزاء الدولة •

---

(١) محمد الشرنوبى/جغرافية السكان/القاهرة ١٩٧٣ • ص.ص. ١٣١ — ١٣٤ •

(٢) محمد عبد الغنى سعودى / افريقيا ، دراسة فى شخصية الاقاليم/القاهرة ١٩٧٦ • ص.ص. ٢٨٢ — ٢٨٨ •

وقد أدى تباين مطالب حيوانات الرعي من الابل والضأن والماعز • خاصة في موسم الجفاف — الى توزيعها منفصلة ، بينما يلتئم الشمل في فصل الرطوبة • وقد تحددت تحركات للقبائل في الصومال الجنوبي أيضا ، وان كانت أقل شأنا منها في الشمال ، وتتوزع في اتجاه جنوبي غربي من آبار المنطقة الساحلية الى الداخل ، وتحل مراعي « الدوى » في جاذبيتها هنا محل مراعي « الهود » في الصومال الشمالي ، وقد يكون الانتقال ثانويا عندما تشتد الحاجة الى الملح أو الحشائش المالحة اتقاءا لشرور أمراض الحيوان ، وكذلك تجنب أقاليم موبؤة ، وكذا التي تلتهب سعيرا بدرجات حرارة مرتفعة وشيوع أكبر للجفاف •

وقد انعكست قسوة الموقع وتأثير الموضع وظروف ومتغيرات الطبيعة على الاخص نقص الموارد ، وشح الماء ، وانخفاض نصيب الدولة من الثروة المعدنية ، أن أصبح ٦٥٪ — من السكان في المتوسط رعاة بدو ، ويرتفع رصيد الرحل في الشمال الصومالي حتى يصل الى ٨٥٪ من مجموع سكان المديريات الشمالية • ووضح من السطور السابقة أن الموقع والموضع قد أثر في توزيع السكان ، ومسالك الهجرات قديمها وحديثها ، وكذلك في التوزيع العرقي والنمط القبلي (*) • واتسمت حركات قبائل الشمال بعبورها الحدود الدولية الى اقليم «هود » في أثيوبيا واجزاء من «جيبوتي » ، وواصلت القبائل الصومالية الرعوية الأخرى مسارتها الى « الاوجادين » ، وتواصلت في دروبها الى « الاقليم الشمالي الكيني » ، بل ان توزيع العشائر والبطون متصلة ، ولم تقف الحدود السياسية أمام صلة الرحم واللقاء ، وان كانت المتغيرات الطبيعية والعوامل السياسية وتأثير الجوار الملتهب أحيانا، فقد أثمر في النهاية توترا ومشكلات، صاحبها وفود ونزوح اجباري أو قهري ، وكانت على القبائل ان تتراحم وتستقبل اللاجئين والهاربين ، وكذا المتضررين من عنت الطبيعة وظروف البيئة القاسية ، باعتبار أن الوطن الصومالي الأم ممزق ، وعلى الدولة

(*) قارن •

(١) محمد عبد المنعم يونس / الصومال / القاهرة ١٩٦٢ • ص•ص• ١٠١ — ١٠٤ •

(٢) — Lewis, H.S., The Origin of Galla and Somalia, in : Journal African History, Vol. 7 : 1. 1966.

التى تضم « الجل » أن تفتح ذراعيها ، فظهـرت « مشـكلة الايواء » لتيارات هجرات المحليين ، وانتقالات الرعاة التى تفاقمت مشكلاتها ، كما أثر على نموها الاقتصادى ، واستمرار الايواء ، ليس بالظاهرة الحديثة فهو متلازم قبل التحرير والاستقلال بصورة أقل ، وازدادت بعد رسم الحدود غير المخططة ، مما غير من طبيعية تحركات الكبائل والمجموعات العرقية ، وتبدل من هجرة فردية وجماعية اختيارية ، وانتقال لتيارات فى ضوء دورات فصلية معروفة غير عشوائية تتفاوت فى المسافات والمسارات حتى تحولت الى هجرة اجبارية فى اطار متغيرات طبيعية وبشرية وتمثـل نقاط جديدة أثرت فى الايواء وتفاهم مشكلة اللاجئين .

متغيرات المناخواثرها على نوبات الجفاف والايواء :

تعدى المناخ اهتمام علماء الجغرافيا والارصاد الى علماء السياسة[١]، وما حدث فى أعوام ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦، ٧٧ ، ١٩٧٩ ، وكذا ١٩٨١ وأيضـا ١٩٨٢ من تغيرات مناخية قد أصبح له صداه ، وبعد انخفاض درجات الحرارة بطريقة غير معتادة ، وكذا ظاهرة الجفاف التى صاحبتها فى أفريقيا جنوب الصحراء والهند وجنوب آسيا ، وقد أثر تكرار هذه النـوبات فى النصف الثانى منالقرن العشرين الاسئلة والتكهنات عن المستقبل (*). ولقد كانت الصومال من الجفاف والتى بدأت سلسلتها التكرارية بدءا من عام ١٩٧٠ [٤] ، وان تباينت الاتجاهات حول تفسيرها ، وان كانت أكثرها

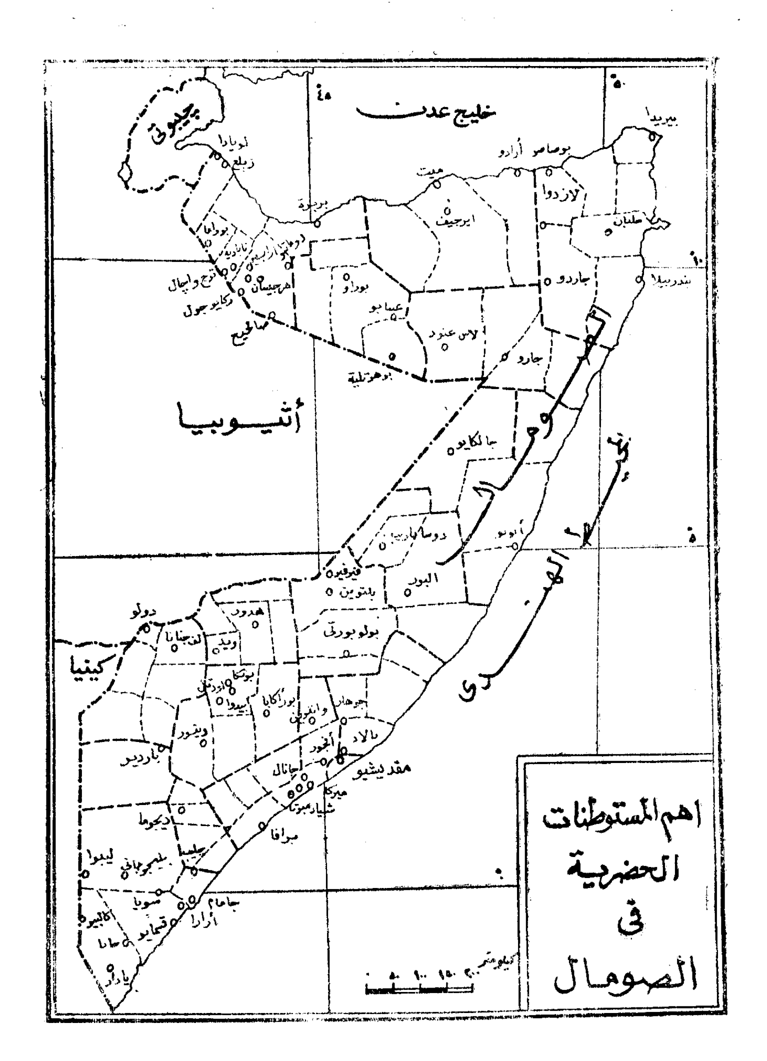
---

(١) محمد عبد الغنى سعودى / هل نحن مقبلون على عصر جليدى / مقال فى « مجلة العربى » ، العدد ٢٨٠ مارس ١٩٨٢ ص ٢٦ ب ٣ .
(*) قارن .

(٢) — Tickell, C., «Climatic Change and World affiair «Harvard Studies of International Affairs, No. 37, 1973.

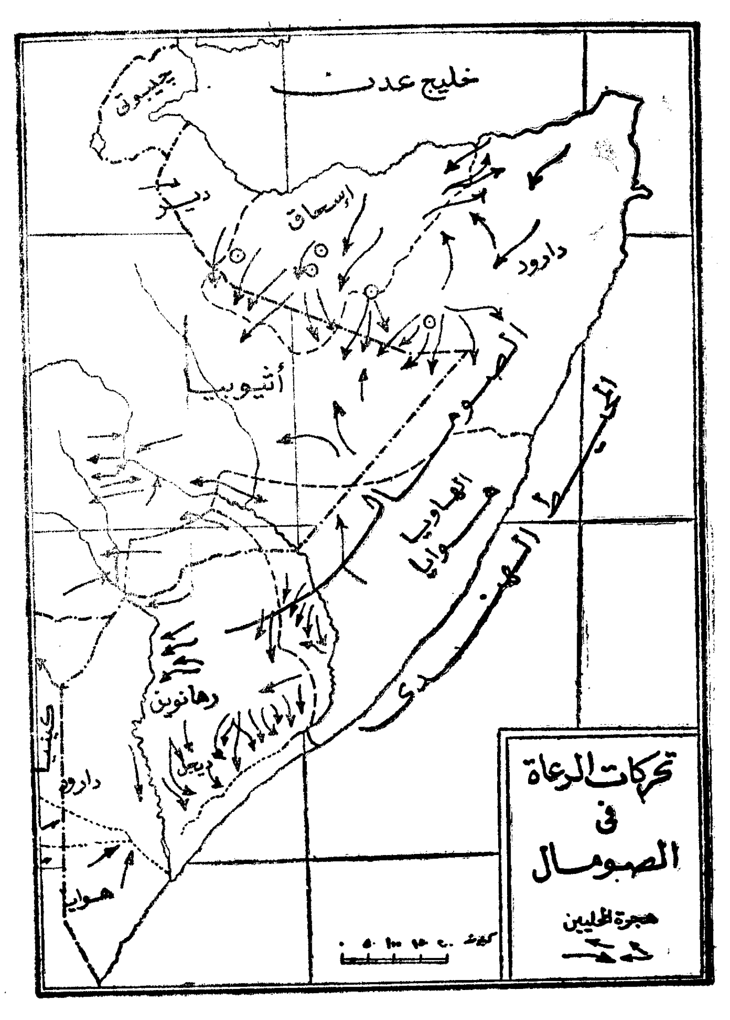
(٣) — Bryson, R.A., «The lessons of Climatic History, Enviro-mental Conservation, Vol. 2 No. 3, 1975.

(٤) — O'conner, A.M., «The Geography of Tropical African Development», London, 1973, P. 24.


اهم المستوطنات
الحضرية
في
الصومال
خليج عدن
أثيوبيا
كينيا
جيبوتي
المحيط الهندي
مقديشو
بربرة
هرجيسا
بوصاصو
علولا
جالكعيو
بلدوين
بولو بورتي
كسمايو
مركة
براوة
بيدوا
جوهر
لاس عانود
ايرجيجو
بورما
زيلع
لويادا
دولو
لوق
هدور
براوة

شكل (٢)

مساسا للحقيقة ، القول بأنه تراجع الرياح الموسمية تأثرا بتغيرات مناخية فى الغلاف الغازى ، والتى تركت بصماتها على مناخ اليابسة . وزاد الطينة بلة موقع الصومال فى القرن الافريقى ، واطلالاته على البحر والمحيط أى صورة توزيع اليابس والماء ، واتسام ظروف المناخ بسيادة الجفاف فى الاحوال العادية ، كما أصبحت الرطوبة والهطول تعتمدان على حركة جبهة التقاء الرياح الموسمية والرياح الشمالية الجافة صاحبة الفضل فى تميز الفصول فى الصومال . وكانت الدولة بمتغيراتها المناخية ، بالاضافة الى موازاة الرياح الجنوبية الغربية لسواحلها ، وامتداد تأثير الرياح لشمالية لجافة ، وكذا تراجع الرياح الموسمية ، كلها ضوابط لها الاثر البين فى نوبات الجفاف ، وزيادة طغيان نسبة التصحر وكانت أقصى غائلة للجفاف فى عام ١٩٧٣ أيضا ١٩٧٤ وكذا ١٩٧٥ وشملت جل مساحة البلاد ، أما أقصاها امتدادا فهى الموجة العارمة من الجفاف خلال عامى ١٩٧٩ — ١٩٨٠ ، والتى غطت معظم مساحة البلاد . انتشرت هذه النوبات من القحط فى كل مديريات الشمال والشرق ، وأجزاء كبيرة من الوسط ، متمثلة فى « جليد الغربية ، سناج ، توجدير بارى ، نوجال ، مدق وكذا جالجادود وأيضا هيران ، ولم يترك الجفاف فىمراحله الاولى سوى باكوول — باى — البنادر — شبيلى السفلى . واذا كان غطاء الجفاف قد اتسع وأقتسم المديريات عددا ، الا أنه فى الحقيقة قد غطى ثلثى الدولة امتداد ورقعة وعلى طول سواحل خليج عدن والمحيط الهندى ، ومحتضنا بغدره « اقليم هود » وأيضا « الاوجادين » ، ويغطى بجفائه وجفافه المراعى ، وكذلك مساحات من الاراضى المزروعة أو الصالحة للاستزراع . بل داهم أجزاء من مصادر المياه الدئمة ، لتتأثر المجارى العليا وأجزاء من الوسطى لانهار وروافد ومسيلات شبيلى وجوبا ، ليصبح توغل الجفاف شرسا . وقد ازدادت شراهته عندما أكل بطغيانه فى نوبة ١٩٧٩/١٩٨٠ معظم المديريات التى سلمت منه سلفا ، وتفاقمت المشكلة عندما استشرى التصحر والجفاف فى مساحات كبيرة فى أراضى خارجة ومتاخمة للحدود الدولية ، وتشمل فى انسياحها الوطن الصومالى الكبير فى جيبوتى وأثيوبيا وكينيا ، مما زاد من تدفق « هجرة الجماهير » ، « وحركة الرعاة » المتمثلة فى هجرة المحليين وماتابعة من آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية ، كما



خليج عدن
جيبوتى
اسحاق
دارود
أثيوبيا
الصومال
الهاويا
هوايا
المحيط الهندى
رهانوين
دارود
هوايا
تحركات الرعاة فى الصومال
هجرة الحليين

شكل (٣)

تأثرت الحواضر والمستوطنات البشرية ، وكان أكثرها معاناة « هرجيسة — مجاديشيو — ميركا وكذا زيلع » ، علاوة على المدن الصغيرة وعواصم الوحدات الادارية ومن نماذجها « لويادا — يوراما — تابادبه — كــوج واجال — جاركايوجول — أزابيسو — صالحيح — بربرة — دورتو — يوراو — عينابو — بوهوتلية لاسى عنود — ايرجيف — ميت — أدادو —
يوراو — عينابو — بوهوتلية — لاسى عنود ايرجيف — ميت — أدادو —
آوير — البور — دوسامارب — بلتوين وأيضا فيرفــير . « أما أهم المجموعات والقبائل التى تعرضت أراضيها للجفاف — فى داخل الدولة أو بالجوار مع أبناء العم والبطون والفروع والاقرباء فى الوطن الصومالى الكبير — فهى قبائل وبطون « الدارود » وفرعيها الرئيسيين « المريمان » وكذا بنى عيسى فى الصومال وأوجادين ومجموعة قبائل « اسحــاق » وكذلك الدر سواء فى جيبوتى أو مديرات « جايبيد الغربية » وتوجــدهير وجزء من سناج ، ولعل عشائر « هاويا » هى التى حددت نهاية الانتشار البشرى الذى تأثر جذريا بنوبات الجفاف .

والنتيجة الحتمية نفوق ملايين الحيوانات وتشريد آلاف السكان ، ثم بصمات لاعادة فى التوزيع السكانى غــير مخططة — ومع مشــكلة اللاجئين ، وبالتالى تفاقم وتعاظم مآسى الايواء لهذه الاعداد ، فى ظــل ظروف اقتصادية قاسية .

تخطيط الحدود ومشكلة التخوم واثر الحروب على الايواء : —

ان عواقب الاخلاء والاجلاء السكانى جمة ، حيث يجبر الانســان تحت وابل من المتغيرات الى النزوح من الموطن ، وهو فى الوطن الجديد تتنازعه صــورة التأثر والتأثير بالمحيط النفسى والاجتماعى فى مجتمــع الوفود ، تتجاذبه المأثورات والعادات والتقاليــد ، تتقاذفه درجات من الانسجام أو الاختصاص والتمثل والانطباع بين جيران المهجر ، وعليــه أن يتشكل فى تيار الحياة باعتبار أن عوامل طرده وقهره تجعله أقرب الى الاستسلام كلاجىء لاحول له ولا قوة . واذا كان للوفــود والنزوح والهجرات بأنواعها تمثل مراحل شيقة من تاريخ البشرية فان تيارات الانتقال الاجبارية هى وعيد ووعد للمهاجر ، وهى ما اصطلت به القارة متمثلة فى مجموعة من الاقطار ، سواء قبل الاستقلال ، أو بعــد التحرير ، بعــد أن قطع

الاستعمار بين أوصال الارحام ، وقسم القبائل والبطون والعشائر بحدود هندسية ، يفرق فيها بين القوميات ويهدم بآثار حساسيتها وتوترها الكيانات الجديدة المستغلة (1) . واذا وضعنا الصومال أمام بؤرة البحث حول تأثرها بتخطيط الحدود ومشكلة التخوم ، وما أودت به من حساسيات وصلت الى الالتحام المسلح ، فان ملمس البداية انما يعود الى موقف الشعب الصومالى قبل الاستقلال وبعد التحرير ، فقد قسم الوطن والسكان بين عدة وحدات سياسية (*) وان الدولة النواة لا تضم الا ثلثى مساحة الوطن الصومالى ، بينما تعيش البقية « اقليات انفصالية الرحم » وقد لعبت الدول التى استعمرت القرن الافريقى الدور الكبير فى هذا التبعثر والازدوجية ، ورسم « حدود المشكلات » ، وكان احساسنا فى السطور السابقة أن الصومال أحد دول أفريقيا التى يشعر سكانها بالحرص على الانتماء لامة واحدة ، ويقوم ذلك على دعائم وتأصيل فى الحضارة والثقافة ، ووحدة المنشاط البشرية مع جذور لغة التخاطب الموحدة ، يربطهم الدين الاسلامى ويغلب عليهم « المذهب السنى » مما ميزهم عن جيرانهم فى اثيوبيا وكينيا . وعندما توحد الصومال مستقلا من بريطانيا وايطاليا عام ١٩٦٠ ، أصبح راسخا أن هناك أجزاءا من التراب القومى ومجموعات من الفروع والبطون والعشائر خارج الحدود وبدأت المساعى لضم الشتات ، فكان الاختلاف والتنازع بين الصومال والجيران، لتحقيق الهدف بدرجات وطرق مختلفة ، خاصة بعد أن فصلت الحدود بين تخوم وأراضى القبيلة الواحدة وقطعت طرق الوصل بين « المراعى الشتوية والصيفية » ، مما يهدد كيان ومقومات الاقتصاد الرعوى حرفة السواد الاعظم . وقد التهب الصراع خاصة بين الصومال وأثيوبيا ،

---

(1) — Shamugrarira, N., «Political Refuges in Africa, «Institute of Race Relation, News letter, May, 1967, P. 150.

(*) قارن :

(٢) محمد عبد الفتاح / جغرافية الصومال / القاهرة ١٩٦٢ .

(٣) حمدى السيد سالم /الصومال قديما وحديثا/ مقديشيو ١٩٦٥ .

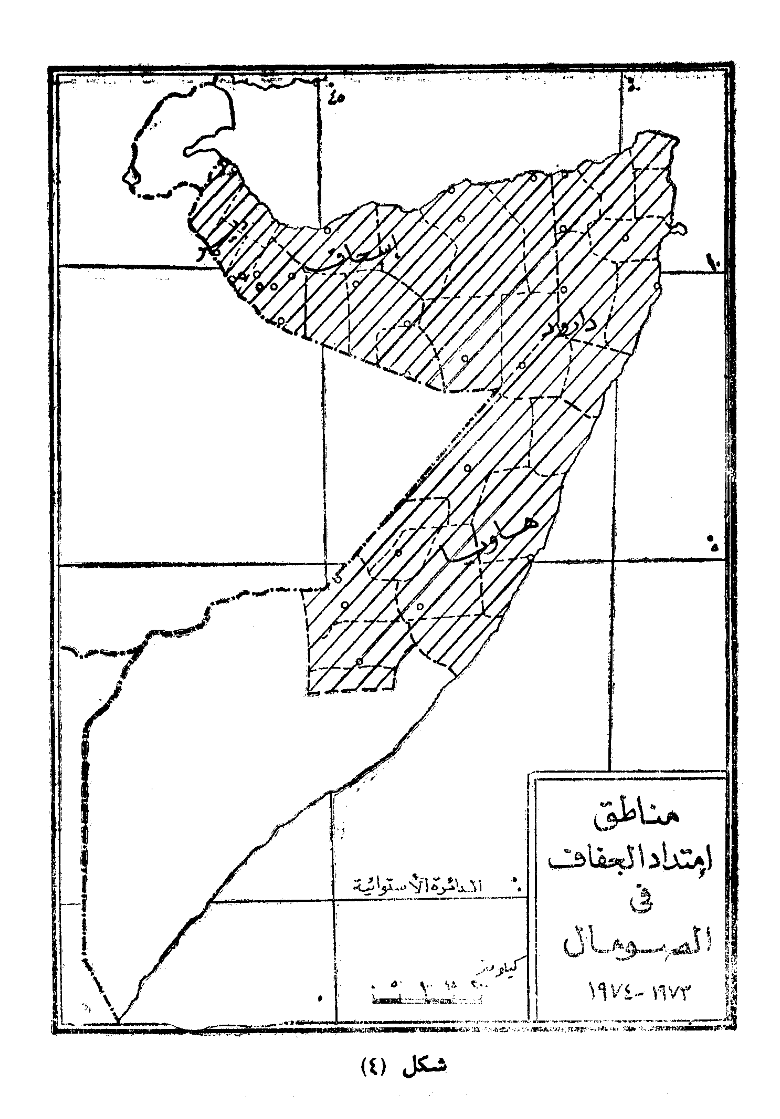
(٤) Touval, S., «Somali Nationalism», Cambridge, Harvard., U. P., 1963.

(٥) Kebed, F., «The legal Aspects of Ethiopean Somali Dispute», Horn of Africa, Vol. (1), 1978.

(٦) Lewis, I., M., The Modern Aistory of Somaliland, London 1966.

(٧) Legum, C., Africa contemporary Record, London, 1977, 1978

عندمـا تقارعا بالحجة حول عدم أحقية الحي في اقليم « هود » ، ممـا أدى الى توتر مستمر بداية من الستينيات ،وكان لا بد من التعبئـة ، وزيادة النفقات العسكرية التي بدأت تلتهم خمس ميزانيـة الدولة • وينسحب القول على مديرية كينيا الشمالية حيث يعيش « الصوماليون » في « شرقها » والبورون في غربها وهم أقرب لاهل الصومال ، ويرتبطون بهم حضاريا وثقافيا ، وتفاقمت المشكلة عند تخطيط الحدود بين الصومال وكينيا ، حيث فصلت بين مراعي الصيف والشتاء أيضا ، ممـا يعرقـل التكامل والتحرك ، ويهدد نشاط السكان ، ويجعـل التوتر وعـدم الاستقرار خاصة مع ظروف الجدب ونوبات الجفاف وسوء الاحـوال الاقتصادية ما يزكي النيران في الهشيم • والوجه الثالث لمنشور التخوم والحدود والحساسية والصراع القومي لصومالي بعد أثيوبيا وكينيا ، هو « جيبوتي » ، حيث تستقر القبائل ذات الطابع الصومالي على نحـو نصف مساحة الدولة ، ولهم الصلات والاقارب يفصلهم « حد سياسي » يمثل « مدية » تقطع وأسفين يدمي لان الارض منذ الاجداد بلا فاصل ، والتزاور والرعي مستمر ، وهناك الشجعيع والافكار في الصومال بعدم الارتياح من الجيران ، وتهاوت ردود ــ الفعل حول تحركات الرعاة عبر الحدود ، حتى وصلت التحرشات الى الالتحام ، والتدخل السافر بداية من ربيع ١٩٧٧ ، والتي انتهت بحرب « الاوجادين » التي استشرت وزاد لهيبها واستمرت خلال سنة ١٩٧٨ ، وأصبح معها القرن الافريقي مسرحا للصراع بين « القوى الاعظم » وعندما زاد الكر والفر ، كان ذلك عـلى حساب القاطنين في مسرح العمليات ، وتلاحقت الافواج هائمين بلا هدف أو زاد ففقدت الوفود الـكيان والارض ، ومصـدر الرزق ، وتركوا الممتلكات المحدودة ، ونفقت حيواناتهم في الحرب أو أثناء الرحيـل ، أو بمعنى آخر يطلبون المأوى والملجأ في ظل عوامل ومتغـيرات بيئيـة قاسية ، وظروف مناخية صعبة ، وموجات جفاف أكلت الاخضر ، وظهرت موجات من اللاجئين بأعداد أخذت في الزيادة ، ومعها خيم شبح الايواء ، لينسج مع طبيعة نشاط السكان الرعوي ، ثم ظروف الجفاف وأثر الحرب عوامل أضجعت مواقع الألم ، وزادت الاعباء على اقتصاد يئن ، فأصبح أكثر ترنحا ، غائبا عن وعي التخطيط أو ملاحقة الكوارث •



مناطق
إمتداد الجفاف
في
الصومال
١٩٧٣-١٩٧٤
الدائرة الأستوائية

شكل (٤)

نستشف من كلمات سطور سابقة أن اكتياح الجفاف أراضى الصومال أكثر من مرة قد أدى الى هلاك ودمار وتشريد ، وكان اكتساح تيارات « هجرة الجماهير » وتحرك « الرعاة المحليون » درءا لاخطار وويلات الجدب وندرة الماء ، متجهين دون مسار ذا هدف أو طريق نهايته بريق أمل ، وكانت اجبارية التحرك على حساب المستوطنات الحضرية القريبة من مواطن الوافدين ، والتى تشرف على الحدود والتخوم ، فأصابتها بتخمة سكانية ، خنقت مواردها المحدودة بطريقة فجائية (١) • وقد واجهة أجهزة الدولة تيارات الهجرة الاجبارية باقامة « عشرين » معسكرا كبيرا « لايواء » اللاجئين وامدادهم بمتطلبات الحياة الضرورية ، وبعض التسهيلات والخدمات الصحية والاجتماعية وقد قرر عدد من أتو تحت ضغط عوامل الطرد ما يزيد على ٢٧٠ ألف نسمة (٢) • وقد أصبغت المتغيرات الطبيعية بعض التحسن فى العوامل المناخية ، عندما سقطت الامطار فى الشمال والجنوب الصومالى ، مما شجع على قيام « رحلات أياب » و « هجرات مرتدة » بداية من عام ١٩٧٥ • وسار على درب العودة الى الموطن حوالى ١٥٠ ألف من القبائل والعشائر والبطون ، حيث رجعوا الى حوذة الاجداد حيث الرعى التقليدى • أما الذين أثروا البقاء ويقدر أعدادهم بما يقرب من ١٢٠ ألف نسمة ، فقد ارتضوا تخطيطا موجها لاعادة توزيعهم وتأهيل مهاراتهم من خلال برنامج استيطانى بمساعدة الهيئات الدولية والمنح الحكومية والقروض • وكانت الاتجاه لتوظيف استعدادتهم نحو حرف جديدة ،

(١) — Stamp, L.D. and Morgan, W.I., «Africa ; Study in Tropical Development» N.Y., 1974. PP. 300-301.

(٢) — U.N.O. IF.A.O. I, Interim Evaluation Report, «Somalia; Resettlement of Nomads as farmers and Fishermen», 19 May 6 June, 1980.

أما فلح الارض فى مستوطنات بشرية جديدة ، حيث يساهمون فى زراعة واستصلاح مساحات صالحة • تضافرت الجهود للايواء فى تعاون أخاذ للاستفادة من موارد الثروة المائية وتنسيتها بتوجيه مجموعات من الوافدين واللاجئين الى مستوطنات حديثة على ساحل المحيط الهندى تأويهم وتسد رمقهم وتقلل من الاعباء العامة على أجهزة وموارد الدولة وقد ساهم « الاتحاد السوفيتى » ـ خلال الفترة من يونيو ١٩٧٥ الى أغسطس من نفس العام ـ بنصيب وافر فى المساعدة على توطين ما يقرب من ١٠٥ ألف نسمة ، حيث وضع امكاناته فى تسهيل تحرك اللاجئين وتخطيط انتشارهم، ورسم صورة مشرقة لمستقبلهم • وكان اتجاه التيارات البشرية وحركة السكان المخططة والاختيارية نسبيا الى مجموعة من المستوطنات البشرية التى أعدت « للايواء » ، أبرزها ذات المشروعية المستقبلية فى كل من : « كورتون وارى » • وكذا « سابلال » وأيضا « ديجيوما » ، كما تقدمت بعض منظمات الأمم المتحدة ، وهيئات حكومية وأهلية بالمسارعة على تقديم مزيد من المساعدات ، وكان أبرزها برنامج الغذاء العالمى • اذا كان قبل الايواء قد اتجه فى حركته الأكبر صوب المستوطنات الزراعية، فان المسيرة التالية لتوطين المتضررين من الجفاف ـ كانت صوب مراكز استقرار الصيد حيث خططت لاستيعاب الاعداد الاخرى والتى قاربت على ١٥ ألف نسمة ، وكان جل تراكزهم فى كل من « برفا » ومجموعة أخرى استقرت فى « ايل » ووجهت الثالثة الى « عدال » ، وكانت الأخيرة صوب « الأحمد » •

ولعل من أبرز مخططات الايواء ، ذلك المشروع الذى يحمل رقم « ٢٢٩٤ » ، والذى يقوم على دعم خارجى مذبذب فى الكم المادى ، توليه الاهتمام بالمساعدة المادية كل من برنامج الغذاء العالمى ، والبنك الدولى ، والهيئة العليا لغوث اللاجئين • وقد برزت صور ناجحة لايواء واعادة التوزيع السكانى تخفف العبء الملقى على كاهل مؤسسات الدولة ، وقد توضح الارقام التالية تطور الايواء وتوقيته وتوجيهه •

جدول (١)

مستوطنات الايواء البشرية لمشروع « ٢٢٩٤ »

السنة	الشهر	المستوطنات الزراعية	مستوطنات الصيد	الصيد جملة المستوطنين
١٩٧٦	يونيه	١٠٢,٦٠٨	١٥,٠٠٠	١١٧,٦٠٨
	ديسمبر	٥٩,١٤٥	١٥,٠٠٠	١١٠,١٤٥
١٩٧٧	يونيه	٨٧,٦٥٨	١٥,٦٥٨	١٠٢,٦٥٨
	ديسمبر	٨١,٤٤٧	١٥,٦٤٧	٩٦,٤٤٧
١٩٧٨	يونيه	٧٨,٥٩٦	١٣,٩٩٦	٩٢,٥٩٢
	ديسمبر	٧٤,٩٨٣	١٤,٠٤٨	٨٩,٠٣١
١٩٧٩	يونيه	٦٠,٣٩١	١٤,٣٤٩	٧٤,٧٤٠
	ديسمبر	٦٠,٠٧٧	١٤,٣٤٩	٧٤,٤٥٦
١٩٨٠	أبريل	٦٠,١٩٠	١٤,٤٠٨	٧٤,٤٥٨

وقد لحقت أعداد جديدة ، أضيفت بعد موجة جفاف أخرى . نتجت عن شح وندرة الامطار أبان فصل « جــو » خاصة عام ١٩٨٠ ، وأمكن ايواء ٢١٧ نسمة فى مستوطنة « ايل »ولعل فى الصورة الظاهرة لتحليل تجمعات الايواء ، مــا قــد يبدو أن الاعداد تتناقص فى الموطن الام ، ولكن نوبات جفاف ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، والتى لم تسعفنا أرقامها التى لم تظهر تسجيلاتها ، مــا جعلنا لا نتتبع صــورة الايواء ، وخاصــة أن اتجاهات جديدة وتيارات وافدة من خارج الدولة ، قلبت كل التوقعات ، وأضافت متغيرات جديدة أمام الايواء.

داهم القطر الصــومالى فى خضم تفاقم مشــكلة الجفاف المذكورة مأساة جديدة تمثلت فى الحرب وويلاتها والنفقات الباهظة التى تكبدتها . فى التعبئة والتسليح زادت التدهور وفجرت الخطر . ان البيانات الرسمية توضح أنه خلال المسيرة الزمنية من نوفمبر ١٩٧٤ الى نهاية يونيه ١٩٧٥ أتت غياهب الجفاف على « مليون » رأس من الماشية ، وكذا ٥ر٧ مليون رأس من الضأن وأيضا ٥٢٠ ألف من الابل ، وتراكم عليهــا خســائر بشرية وقد أدى الجدب والفقر والجفاف ونقص الموارد ونفق الحيوان

الى ضعف قدرة الانسان على الاستمرار والحياة ، وقد وصل ضـحايا البشر الى ما يزيد على « ٢٠ » ألف نسمة جلهم من المسنين غير القادرين والأطفال ، مع خسائر مادية تقترب من ٣٢٠ مليون جنيه استرليني (١) .
تضافرت فى ظل هـذه الاحوال ظهور بارقة أمل فى تحسن الظروف ، وعنـدما اجتمعت السـواعد والمسـاعدات الاهلية والدولية للايـواء .
ظهر شبح جديد عارم ، تيارات وافدة « غالبة » هائمة ، فقدت هى الأخرى « الوطن » ثم المورد ، وأيضا الاهل والصحبة تبحث عن مسرح لحياتهـا فى بيئة فقر ضعيفة الامكانات ، تئن تحت كاهل اقتصاد متخلف وأدنى مستوى معيشة على سطح المعمورة . وازداد القلق مع انهمار « الهجرة الاجبارية » واللاجئين الجدد من « الاوجادين » ، والتى بدأت فى صورة تقاطرات منذ بداية الستينات ، ثم فورة كاسحة خلال عامى ١٩٧٨ـ١٩٧٩ .
بلغ أعداد الوافدين حوالى « ٧٠٠ » ألف نسمة ، يهلون على مجموعة من مراكز الاستقبال ، وأخرى مواقع للتوزيع والترحيل على طول الحدود الاثيوبية والصومالية ، وهى على بداية التخوم والمسالك والطريق التى كانت مفتاح الانتقال والترحال فى رحلات الرعى وتبادل الزيارات بـين الأهل وفروع القبائل وبطونها ، ولعل « جـل » المراكز قد تركزت فى المديريات الوسطى والجنوبية ، وفى توزيعها سنجد تجمعا واضحا لاكثر من ستة مراكز ايواء وتوطين فى « جاييد الغربية » ، وكذا تجمع كبير للاستقبال والتوزيع ، وكذا الحال فى « هيران » والتى تضم خمسة مراكز للايواء ، وأيضا « باكول » التى يقع فى أقصى شمالها الشرقى فى تمـاس مع الحـدود ، ومركز استقبال وتوزيع كبـير يعتـبر أقرب موقع من « الاوجادين » ، مع مركز آخر للايواء ، أما أكبر تجمع للاستقبال والتوزيع فهو ذلك الذى تضمه « مديرية جيدو » ، تليها مباشرة «شبيلى السفلى »، وكذلك شبيلى الوسطى ، مع مواقع الايواء الساحلية فى « نوجال » ، وان كانت المديريات الاخيرة تخلوا من مراكز التوزيع والاستقبال لبعـدهم عن مواقع التجمع التى تكاد تنتشر على طول الحدود الاثيوبية الصومالية، والصومالية الكينية وأيضا الصومالية الجيبوتية .

لقد أعدت مستوطنات للايواء من الجفاف ، بعد أن وصل عـدد من اللاجئين الى ما يقرب من ٢٧٠ ألف صومالى ، تم استقرار ما يزيدا على

(١) وزارة الاعلام والارشاد الصومالى / صـوماليا اليوم ، حقائق ومعلومات/مقديشيو ١٩٧٥ . ص.ص. : ١٦٧ ـ ١٦٩ .

١٢٠ ألف فى مواقع التوطن الزراعية وتنمية الثروة المائيــة • أما الذين وفدوا ابان الحرب منذ منتصف عام ١٩٧٨ ، فقد قدرت أعدادهم بحوالى « ٥٠٠ » ألف نازح ، يعيش منهم ما يقرب من « ٨٥ » ألف فى « ٢١ » معسكرا للايواء ، وبتوزيع الباقى على الحواضر والمزارع ، أو ضيــوف على الاقارب والاصهار وتوالت تيارات الوفود باستمرار فى غضون اثنتا عشر شهرا ، ومتى انتصف عام ١٩٧٩ اقتربت الارقام من « ٢٢٠ » ألف نسمة ، كما قدرت الاضافات خلال أكتوبر من نفس العام بحوالى «١٣٠» ألف وافد • انما تعنى هذه الارقام أن الاعداد الاجمالية لتيارات هجرة الوفود الاجبارية المسجلة فى المعسكرات ومراكز الاستقبال والتوزيع قد وصلت حوالى « ٣٥٠ » ألف نسمة ، مع التأكيد على أن هناك ما يربوا على « ٦٥٠ » ألف لاجىء ينتشرون فى البلاد طولا وعرضا فى البوادى والحواضر والمناطق الزراعية والسواحل (١) • ويوضح الجدول صورة عن كم الوفود خلال شهور عام ١٩٧٩ لتصورا الحجم وأبعاد مشــكلة الايواء •

جدول (٢)

تطور اعداد الوافدين الى مركز الايواء خلال شهور عام ١٩٧٩

الشهر	حجم الهجره	دتصاعديا بالألف	الشهر	حجم الهجره	الجملة تصاعدياً
يناير	—	١٠٠	يوليه	٤٠	٢٧٠
فبراير	١٤	١١٤	أغسطس	٤٠	٣١٠
مارس	١٢	١٢٦	سبتمبر	٢١	٣٣١
أبريل	٤٤	١٧٠	أكتوبر	٢١	٣٥٢
مايــــو	٢٥	١٩٥	نوفمبر	٣٩	٣٩١
يونيــه	٣٥	٢٣٠	ديسمبر	٨٤	٤٧٥

ولم يتوقف هذا المتوسط الشهرى للاعداد والتى تم تسجيلهم ، فقد ارتفعت بصورة واضحة وابلغ مثال أن التدفق اليومى للاجئين قد بــدأ

(١) — Somali Democratic Repulic, «Arequest for Assistance from the Goverment to S.D.R. for the Refugees, Magadishu, 1979. P. 1.

من ١٠٠ وافد يوميا عام ١٩٧٨ ليزيد بمعدل يفوق التوقعات ليقترب من ٤٠٠٠ قادم اليها يوميا فى نهاية عام ١٩٧٩ (١) كما توضح بعض التقارير الرسمية ودراسات وأبحاث مع استقصاءات دولية ، على أن هناك ما يزيد على « ٨٠٠ » ألف من الرعاة غير المسجلين ، والقادمين من دول الجـوار « جيبوتى وأثيوبيا وكينيا » ، يعيشون فى مجموعات المستوطنات الحضرية الكبيرة نسبيا ، أو يقيمون ضيوفا مع الاقارب وفروع قبائلهم (٢) • وفى تبيان تطور أعداد الوافدين للتسجيـل بحثا عن الايواء فان فى الارقام التالية ما يمكن معه أن نتابع التراكم السابق •

جدول (٣)

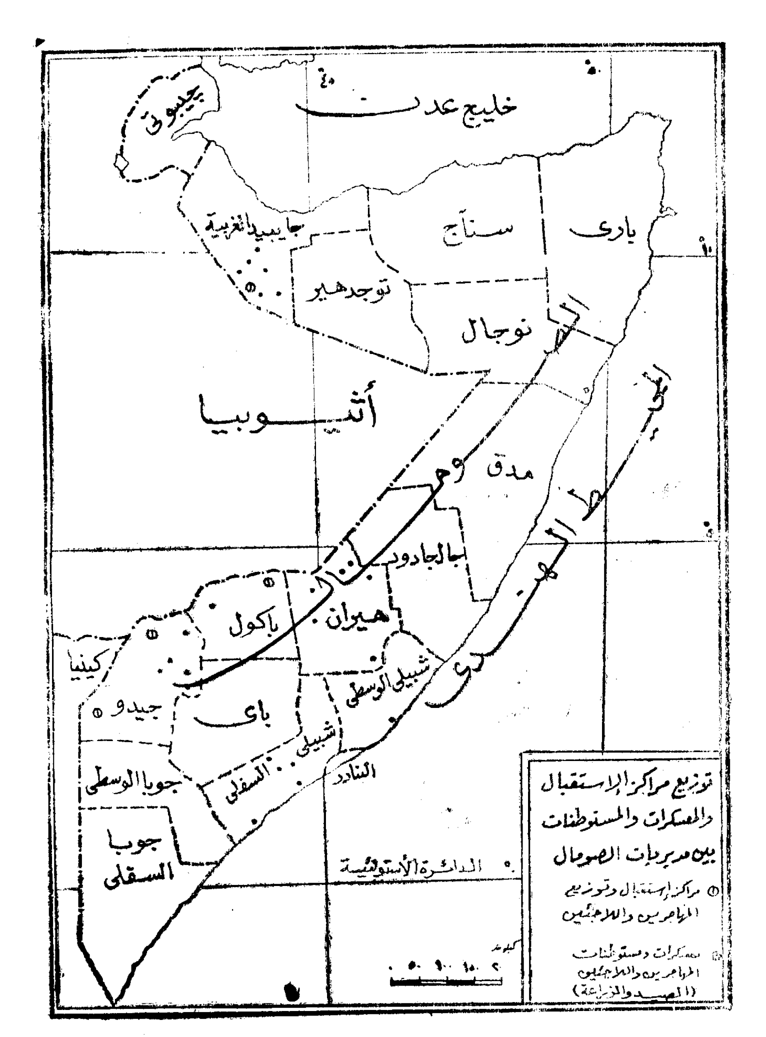
تطور اجمالى الزيادة فى عدد الوافدين للايواء ١٩٨٠ — ١٩٨١

التـــــاريخ	عدد المهاجرين	الزيادة اليومية
٣١ ديسمبر ١٩٧٩	٤٧٤٢٨٦	
٣١ ينـــاير ١٩٨٠	٥٥٩٠٠٠	٢٧٣٢
٣١ أغسطس ١٩٨٠	٧٧٩٠٠٠	١١٢٦
أول يناير ١٩٨١	١,٢٠٣,٩٨٤	٣٣١٩

وقد زيدت أعداد معسكرات الاستقبال والتوزيع والايواء لتقترب من الثلاثين خلال عام ١٩٨٠ ونهاية ١٩٨١ علاوة على التوسع فى المراكز القديمة على الحدود السياسية وازدادت من أربعة الى سبعة • ويوضح أرقام الجدول التالى صوره اعادة التوطين ومحاولة ايجـاد التـواءم فى حلول آجلة وعاجلة لمشكلة الايواء •

(١) — U.N.O., «Inter - Agency Mission to Somali», Report of the Mission to Somalia 10-16 December 1979 - P. 13.

(٢) — U.N.O. General Assemply Report of the Economic and Social Council, Assistance to Refugees in Somalia, 1981.


خليج عدن
جيبوتى
جابيد الغربية
سناج
يارى
توجدهير
نوجال
أثيوبيا
مدق
جالجادود
باكول
هيران
كينيا
جيدو
باى
شبيلى الوسطى
شبيلى السفلى
النادر
جوبا الوسطى
جوبا السفلى
الدائرة الاستوائية
توزيع مراكز الإستقبال والمعسكرات والمستوطنات بين مديريات الصومال
مراكز استقبال وتوزيع المهاجرين واللاجئين
معسكرات ومستوطنات المهاجرين واللاجئين (الصيد والزراعة)

شكل (٥)

جدول (٤)

صورة حجم ومواقع الايواء بين مديريات الصومال حتى نهاية ١٩٨١

الأقليم	المعسكر	عدد اللاجئين	النسبة إلى جملة اللاجئين فى المديرية	الموقع بالنسبة لمدينة (لوغ)
جيـــــدو				
	على ماتان	٣٩٨١٨	٩.٠٩٪	٩ كم جنوباً
	يولوهاوا	—	—	٨٥ كم جنوبى غربى
	دوربنلى	٣٧٠٦٩	٨,٤٦	١٠ كم جنوباً
	جلبار (١)	٣٨٤٩٠	٨,٧٨	١٥ كم شمالا
	جلبار (٢)	٣٩٠٤٨	٨.٩١	١٥ كم شمالا
	هودور	—	—	٢٣٠ كم شمالا شرقى
	هورسيد	٤٠٠٣٧	٩.١٤	٢ كم غرباً
	ماجابى	٣٨٣٦٠	٨,٧٥	١٢ كم جنوبى غربى
	الجملة	٢٧٢١٥٣		
جيدو				جارياهار
	يوردهبو	٤٢٣٤٠	٩,٦٦	٤٨ كم جنوبى شرقى
	الواج —	—	—	٩٥ كم جنوبى غربى
	هيلامارنر	٣٨٦٤	٨,٨٢	٥٧ كم شرقاً
	مالكاهيداى	٤٢٧٨٩	٩,٧٦	٦٣ كم شرقاً
	سوريــــا	٤٢٣٤٧	٩,٦٦	٦٠ كم شرقاً

وهذا يعنى أن معسكرات « جيدو » قد أسهمت فى إيواء ما يقرب من « ٤٣٨٢٧٠ » نسمة . الأقليم الشمالى الغربى .

(*) زحف ما يقرب من ١٧ الف لاجىء من معسكر « الواج » ، وتحركوا الى معسكرات الايواء فى جارياهار الرئيسية .

المعسكر	عدد الوافدين	النسبة إلى جملة اللاجئين في الأقليم	الموقع بالنسبة لمدينة « هرجيسة »
أدرى أدريس	٣٥٨٩٢	١٠,١٤٪	٨٠ كم شمالى شرق
أجابار	٤٥٨٩٢	١٢.٩٦	٥٣ كم شمالا
بادى	—	—	١٠٧ كم جنوبى عر
أرابسيو	٢٧٣٠	.٧٧	٤٠ كم غرباً
بوراما	—	—	١٢٠ كم شمالى شرقاً
دام	٤٧٧٠٤	١٣,٤٨	٩ كم شرقاً
دارايا	٧٧٦٨٠	٢١,٩٤	٤٣ كم شمالا
ساباد	٦٠٦٣٧٣	١٨,٧٥	٣٥ كم شمالى شرق
سالاليح	—	—	٦٠ كم جنوباً
توج واجال	٤٤١٢	١,٢	٨٠ كم غرباً

وبذا يصبح عدد الوافدين وتم ايوائهم ، فى مراكز توطين مهاجرى الحرب فى الاقليم الشمالى الغربى ما يقرب من ٣٥٣٩٩٤ . وكذا تستحوذ مديريات الشمال الغربى واقليم « مديرية جيدو » معا على حوالى « ٨٠٠ »ألف لاجىء .

المديرية	المعسكر	عدد اللاجئين	النسبة	الموقع بالنسبة لمدينة «بيليت أيون »
هيران	أمالو	١٨٥٣٠	٥,٣٩٪	٢٠ كم جنوباً
	كراش	٧٢٣٠	٢,٢١	١٥ كم شمالا
	كوكان	٣٤٥١٣	١٠,٠٤	١٨ كم شمالا
	جلالاكسى (١)	٣٥٣٣٠	١٠,٢٨	١٨٨ كم جنوباً
	« (٢)	٥٣٧٠٧	١٥,٦٣	« «
	« (٣)	٤٢٤٢٩	١٢,٣٤	« «
	« (٤)	٤٠٥١٩	١١,٧٩	« «
	« (٤)	٤٠٥١٩	١١,٧٩	« «
(جملة معسكرات جلالاكسى		(١٧١٩٨٥)	(٥٠,٠٤٪)	
	لوفجيلو	٥٠٣٠٧	١٤,٦٤	٢٥ كم جنوباً
	سيجالو	٢١١٥٥	٦,١٥	٢ كم شمالا
	بـــــو	٤٠٠٠٠	١١,٦٤	

وتبين مما سبق أن « مديرية هيران » التى تمتد فى الجزء الاوسط الجنوبى من الصومال فى حدود مشتركة مع منطقة المعارك وزحزحة السكان ، فقد أثر موقعها وطرق مسالكها ودروبها ، مع صلة الرحم التى نربط قبائها مع أبناء العم فى الاوجادين ، كلها عوامل جعلتها تستأثر بما يقرب من « ٣٤٣٧٢٠ » وافد ، آوتهم فى أبعاد متفاوتة من العاصمة « بيليتون » ، وان تفوقت مجموعة معسكرات ايواء « جلالاكسى » والتى تبعد عن المدينة بما يزيد على ١٨٨ كم جنوبا — بما يقرب من نصف اجمالى اللاجئين الى الاقليم .

المديرية	المعسكر	عدد اللاجئين	النسبة	الموقع
شبيلى الادنى				
	كوربولى (١)	٠٠٠ر٦٨	(تقريبا)	٧كم جنوبى غربى كوريولى
	(٢)			
	(٣)			

وفى اطار تحديد الكم الذى سجل فى مراكز الاستقبال ومواقع التوزيع ، ومعسكرات الاستيطان والإيواء ، فان هذه الارقام تقترب فى عام ١٩٨١ من ٩٨٤ر٢٣ر١ لاجىء ، أى ما يربو على ٢٥٪ من عدد سكان جمهورية الصومال ، وتتوزع هذه الاعداد على مجموعة مديريات الدولة وان كانت تستحوذ « جيدو » على ٤ر٣٦٪ من جملة الايواء تليها مديريات الشمال الغربى ٤ر٢٩٪ وكذا «هيران » ٥٥ر٢٨٪ وأخيرا شبيلى الأدنى ٦ر٥ ٪ تقريبا .

وهى صورة لتيار غالب اجبارى يحمل فى طياته كل أمارات لاطاقة للصومال على تحملها .

أوضحت السطور السابقة أن طبيعة تحركات السكان فى اطار عملهم الرئيسى ألا وهو الرعى جعل الاعتماد عليه بمثابة القوام الرئيسى للاقتصاد على مستوى الشعب أو دخل الدولة ، وتدل الاحصاءات على أن ٦٥ ٪ من اجمالى السكان (ما يقرب من ٣ مليون نسمة) يعملــون فى الرعى وشبه الرعى ، بيما تستحوذ الزراعة على ١٥٪ من السكان ، ويعمل فى مجال الثروة المائية حوالى ١٪ ، ويسكن المستوطنات الحضرية ١٩ ٪ من السكان ، فاذا تتبعنا نوبات الجفاف التى استمرت على فترات زمنية متباينة ، فقد أمكن حصر سبع وعشرين حالة خلال الفترة ١٨٨٤ الى ١٩٦١، وكان أبرزها ١٨١٧ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٥ ، ١٩١١ ، ١٩٢٩ : ١٩٥٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦٩ ، وكان أقساها فى عامى ١٩٧٤ ــ ٩١٧٥ وأقصاها انتشارا وامتداد ما حدث فى عامى ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ ، وهذا يعنى أن القحط هــو تدمير وترحيل واجلاء وجلاء ، ثم طوفان من تيارات التهجير والهجــرة ، عبر الحدود الداخلية وكذا التخوم والحدود السياسية الدولية ، وقــد أوضحت الارقام المسجلة تتاجا للجفاف خلال عامى ٧٤/١٩٧٥ ، أن عدد اللاجئين قد وصل الى ٢٧٠ ألف استقبلتهم معسكرات ومراكز الايواء ، وهؤلاء هم الذين بدأت السلطات المحلية والمنظمات والهيئات والحكومات الاجنبية تقديم المساهمات لاعادة توزيعهم وايجاد ايواء مخطط لمستقبلهم ، وفى ظل بدايات الطريق ، واهم انطلاقة للايواء المخطط ، موجات « هجرة الجماهير » ، والتى تدفقت قبل واثناء حرب الاوجادين ، والتى أوصــلت أعداد الوافدين الى ما يقرب من ١٫٣ مليون نسمة ١٩٨١ ، وهو ما يزيد عن ٣٠٪ اجمال عدد السكان ، وقد اقتصرت المساعدات لهم على مجــرد التجميع فى مراكز استقبال يبلغ عددها ثلاثين مركزا ، فى مجمــوعة من مديريات الشمال والوسط ، وأوضحنا فى سطور تجمعاتهم وأعدادهم ،

أما عن الايواء المخطط فقد اقتصر على الذين داهمهم الجفــاف من أهل الصومال ، وذلك فى أعقاب سنوات ١٩٧٤/١٩٧٥ ، حيث أوضحت السطور أنه قد تم تسجيل ما يربو على ٢٧٠ ألف من قبــائل بطــون وعشائر الاقاليم ذات الاقتصاد الرعوى ، وابان تنفيــذ تخطيط اعادة التوزيع السكانى ، بدأت المتغيرات المناخية فى ابراز عطية وهبة عن طريق

هطول لابأس بكمياته ، شجع معه مجموعة من اللاجئين على « هجـرة مرتدة » ، وقد قدرت أعدادهم بما يقرب من ١٥٠ ألف نسمة وأصبـح على المؤسسات والمنظمات مديد المساعدة للمجموعة التى بقيت وعددهم ١٢٠ ألف نسمة . وكان الاتجاه لتأهيلهم فى الزراعة ونسبة محدودة فى « مستوطنات بشرية للصيد » وتنمية الثروة المائية . وقد سارعت الدول والمنظمات الدولية على تسهيل الانتقال وتنفيذ مخطط الايواء ، وكان على رأسها الاتحاد السوفيتى ، وخاصة الفترة من يونيـه الى أغسطس ١٩٧٥ . وكان نصيب مستوطنات الصيد خمسة عشر ألف من البشر ، والمستوطنات الزراعية باقى الاعداد وهى ١٠٥ ألف نسمة وذلك على النحو الذى يوضحه جدول رقم (١) .

وقد لحقت أعدادا جديدة بعد موجة جفاف أخرى عقب شح الامطار فى فصل « جو » عام ١٩٨٠ ، ولكن لم يتيسر التسجيل والحصر فى خضم مشكلة الذين أتوا هائمين من كل صوب عقب حرب الاوجادين ، واستقر بهم المقام فى مراكز استقبال ومخيمات ، ومع الاقارب وفروع القبائل ، وعلى حدود المدن والحواضر ، وكذا عواصم المديريات .

لعل من الطيب أن نلقى بالبصر صوب « انتقائية الوفود » ، وتوصيق السكان حسب السن والنوع فى مستوطنات الايواء المخطط ، وماله من تأثير على « نسبة الاعالة » ونسبة النوع ، والقوة العاملة ، ومدى الضغط على الخدمات ، وصورة مستقبل التوطن واعادة التوزيع السكانى .

جدول (٥)

توصيل سكان مستوطنات الايواء الزراعية حسب السن والنوع

فئات السن	مستوطنية «دجيوما»		مستوطنة «كورتون وارى»		مستوطنةسابلال	
	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ
أقل من ٦ سنوات	١٣٩٥	١٤٣٠	١٢٨٠	١٢١٤	١١٧٥	١٢٢٣
٦ سنوات	٧١٤٠	٤٩٥٦	٣٧٠٧	٣٠٣٣	٤٢٥٣	٣١٥٥
١٥ سنة	٢٤٣٨	٢٦٣١	٢٢٦٣	٣٣٢٣	١٩٩٨	١٨١٣
٣٠ سنة	٨٤٧	٢٥٩٤	٨١٩	١٩١٧	٧١٥	١٤١٠
٤٥ سنة	٥٢٩	٤٩٣	٣٨١	٤٤٤	٢٩٢	٣٠٣
٦٠ سنة فأكثر	٢٩١	٢٨٧	٧٨	٧٨	١٤٦	١٤٩
الجملة	١٢٦٤٠	١٢٣٩١	٨٥٢٨	١٠٠٠٩	٨٥٧٩	٨٠٤٣
	٢٥٠٢١		١٨٥٣٧		١٦٦٢٢	

عدد الاطفال

أقل من ٧ سنوات　　　من ٧ سنوات الى أقل من ١٥ سنة

١٩٣٨١ طفل　　　١٦٩٨٤

٢ر٣٧٪ من جملة سكان المستوطنة　　　٣٢٪ من السكان

عدد البالغين

الذكور　　الاناث

٣٣٩٢　　١٢٢١٢　　جملة سكان مستوطنة كوريولى

٦ر٥٪ من جملة السكان ٥ر٢٣٪　　　٥١٦٨٩ نسمة

٣٠٪ من جملة السكان

جدول (٦)

توصيف سكان الايواء المخطط فى مستوطنات الصيد

فئات السن	رافا		عدال		أيسل		الأحمد	
	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ
أقل من ٦ سنوات	٣١٣	٢٨٣	٣٠٩	٢٩٥	٢٠٩	١٧٦	١٢	١٦
٦ سنوات	١٢٥٩	٩٠٣	١٠٨٧	٨١٩	١٠٥٥	٧٦٨	٤٣	٦٩
١٥ سنة	٩٤٤	١٢٢٠	١٤٧٤	١٢٦٣	٤٥٨	٥٩٤	١٣١	١٧٧
٥٠ سنة فأكثر	١٣٥	١٦٠	٣٢	٢٧	٩٦	٧١	٨	٦
الجملة	٥٢١٧		٥٣٠٦		٣٤٢٧		٤٥٨	

ويمكن أن نستخلص من الارقام السابقة صورة نسبة النوع من فئات السن المختلفة فى مجموعة من مستوطنات الايواء المخطط ، وذلك على النحو الآتى :

مستوطنة « كورتون وارى » والتى تقع حلتها على نهر « شبيلى » ، فى اتجاه جنوبى غربى « مقديشيو » حيث تبعد حوالى ١٥٠ كم ، وعلى

مرمى الطريق الرئيسى الى مدينتى « برافا » وكذا « قسمايو » وتعتبر مدينة « ميركا » أقرب الحواضر اليها التى تقع على بعد ٥٠ كم . يبلغ عدد سكانها حوالى ١٨٥٣٧ نسمة ، يحترف السكان الزراعة على مساحة ٢٠٠٠هكتار،يعتمد نصفها على الرى والمتبقى المطر مصدر له بالنسبة لتوصيف السكان فى المستوطنة ، فاننا نلاحظ أن نسبة الاناث تقرب من ٥٣٫٩٩٪ ويحتفظ الذكور بحوالى ٤٦٫٠١٪ ، بمعنى تفوق الاناث على الذكور وهو الى حد كبير لا يماثل المتوقع فى « انتقائية الهجرة » ، حيث تكون فى الاغلب الاعم من الشباب الذكور ، ولكن ظروف الايواء وأسباب الهجرة ، وخلفيات الجفاف جعل الانتقال له ظروفه ، كما أن الهجرات المرتدة جعلت صورة التوزيع على هذا الشكل .

جدول (٧)

توصف سكان مستوطنة »كورتون وادى »

الفئة العمرية	نسبة الذكور	نسبة الإناث	نسبة الفئة إلى جملة السكان
أقل من ٦ سنوات	٪١٥,٠١	٪١٢,١٣	٪١٣,٤٥
٦ سنوات	٪٤٣,٤٨	٪٣٠,٣٠	٪٣٦,٣٦
جملة الأطفال	٥٨,٤٩	٤٢,٤٣	٤٦,٨١
١٥ سنة	٪٢٦,٥٤	٪٣٣,٢٠	٪٣٠,١٣
٣٠ سنة	٪٩,٦٠	١٩,١٥	١٤,٧٦
٤٥ سنة	٤,٤٧	٤,٤٤	٤,٤٥
قوة العمل	٤٠,٦١	٥٦,٧٩	٤٩,٣٤
٦٠ سنة فأكثر	٪,٩١	٪,٧٨	,٨٤
الجملة	٤٦,٠١	٥٣,٩٩	

ويلاحظ للوهلة الاولى عند تحديد خصائص السكان وتركيبهم حسب النوع والسن ، وبالتالى انتقائية الوفود ، ومن ثم قوة العمل والنشاط ، يبين ارتفاع نسبة الاطفال حيث تبلغ ٥٨٫٤٩٪ من جملة سكان المستوطنة الزراعية من الذكور ، وتتفوق الاناث من الاطفال الى

أن تصل ٥٢٫٤٣٪ وجملة الفئة ٤٩٫٨١٪ ، وهو يختلف عن الوضع الملاحظ فى نسبة النوع عند الميلاد بين الاطفال • وتظهر النسب ارتفاع نصيب الاناث فى فئة الشباب حتى نهاية سن العمل ، لان « التيارات المرتدة » « وهجرة الاياب » بعد تحسن ظروف المناخ نسبيا ، كانت معظمها من الشباب بعد اطمئنان قلوبهم على استقرار « الاطفال والاناث » فى مستوطنة الايواء المخططة ، كما تتساوى نسبة الاطفال مع اجمالى نسبة فئات سن العمل للنوعين ، وماله من تأثير على نسب الاعالة فى الحاضر والمستقبل •

أما مستوطنة « سابلال » والتى تبعد ٢٣٠ كم جنوبى غربى « مقديشيو » فى اتجاه مجرى « شبيلى » ، فان مدينة « برافا » أقرب الحواضر اليها بمسافة ٣٠ كم ولعل أبرز مشكلاتها صعوبة النقل والمواصلات ، يتجمع سكان « الحلة » والبالغ عددهم ١٦٦٢٢ نسمة فى نواة مركزية ذات سكن مؤقت ، وهناك تخطيط لتجميع الانتشار بمركز سكن قروى وثلاثة توابع ، ويتم انشاء مشروع نموذج لبناء ٤٠٠ وحدة سكنية ، بمساعدات خارجية ، خاصة هولندا • أما عن توزيع السكان حسب النوع والسن ، فاننا نلاحظ أن نصيب الذكور ٥١٫٦١ ، والاناث ٤٨٫٣٩٪ كما أن قاعدة الهرم السكانى عريضة ، حيث تستحوذ فئات الاطفال على ٦٣٫٢٨٪ ذكور ٥٤٫٤٤ اناث •

جدول (٨)

تصنيف سكان مستوطناة سابلال حسب السن والنوع

فئات السن	ذكور	إناث	نسبة جملة الفئة العمرية
أقل من ٦ سنوات	٪١٣,٧٠	١٥,٢١	١٤,٤٣
٦ سنوات	٤٩,٥٨	٣٩,٢٣	٤٤,٤٧
جملة الأطفال	٪٦٣,٢٨	٪٤٥,٤٤	٥٨,٩٠
١٥ سنة	٪٢٣,٢٩	٪٢٢,٤٢	٢٢,٣٣
٣٠ سنة	٨,٣٣	١٧,٥٣	١٢,٧٨
٤٥ سنة	٣,٤٠	٣,٧٧	٣.٥٨
قوة العمل	٣٦,٠٢	٤٣,٧٢	٣٨,٦٩
٦٠ سنة فأكثر	١,٧٠	١.٨٥	١.٥٣
الجملة	٥١,٦١	٤٨,٣٩	

« ديجبوما » مستوطنة زراعية تقع جنوبى غربى « سابلال » علـى نهر جوبا ، تبعد حوالى ٢٢٤ كم عن قسمايو ، وما يقرب من ١١٣ كم عن « جليب » ، وأبرز مشكلاتها بعدها وانقطاع صلتها عن المستـوطنات الحضرية عند هطول الامطار • يعيش السكان الذين يبلغ عددهم ٢٥٠٣١ نسبة فى تجمع سكنى كبير فى امتدادات طولية متوازية يبلغ عددها تسعة عشر خطا ، ثم بؤرة عنقودية على بعد كيلو متر واحد •

ويبين الجدول التالى صورة نسب توزيع فئات السن والنوع فيها :

جدول (١٠)

توزيع سكان « ديجيوما »

فئات السن	ذكور	إناث	الجملة
أقل من ٦ سنوات	١١,٠٤٪	١١,٥٤٪	١١,٢٩
٦ سنوات	٥٦,٤٩	٤٠,ـــ	٤٨,٣٢
جملة الأطفال	٦٧,٥٣٪	٥١,٥٤٪	٥٩,٦١٪
١٥ سنة	١٩,٢٩٪	٢١,٢٣٪	٢٠,٢٥
٣٠ سنة	٦,٧٠	٢٠,٩٣	١٣,٧٥
٤٥ سنة	٤,٢٠	٣,٩٨	٤,١٠
قوة العمل	٣٠,١٧	٤٦,١٤	٤٨,١٠
٦٠ سنة فأكثر	٢,٣٠	٢,٣٢	٢,٣٠
الجملة	٥٠,٥٠	٤٩,٥٠	

ومن نماذج « مستوطنات الصيد المخطط » لتنمية الثـورة المائية ــ « عدال » والتى تبعد ١٦٠ كم شمالى شرقى (مقديشيو) ويبلغ عـدد سكانها ٥٣٠٦ نسمة فى تجمع حلقى مقسم الى ثلاثة أحياء • يمثل الذكور ٤٥,٢٣٪ من جملة المستوطنة ، وبتوزيع السكان فى الفئـات العمـرية على النحو التالى :

جدول (١١)

سكان مستوطنة الصيد « عدال »

فئات السن	ذكور	إناث	نسبة جملة الفئة
أقل من ٦ سنوات	٪١٠,٦٥	٪١٢,٢٧	٪١١,٢٧
٦ سنوات	٣٧,٤٦	٣٤,٠٧	٣٥,٩٢
جملة الأطفال	٪٤٨,١١	٪٤٦,٣٤	٤٧,١٩
١٥ سنة	٪٥٠,٧٩	٪٥٢,٥٤	٪٥١,٥٨
قوة العمل			
٥٠ سنة فأكثر	١,١٠	١,١٢	١,١١
الجملة	٥٤,٦٩	٤٥,٣٣	

مستوطنة « برافا » على ساحل المحيط الهندى ، قريبة من ميناء « برافا » وعلى بعد ٤٥٨,٣ كم من « مقديشيو » بتوزيع سكان المحلة المخططة على تجمعات سكنية ثلاثة ، تضم ١٩٦ وحدة سكنية ، يعيش فيها ٥٢١٧ نسمة ، ومن المتوقع التوسع فيها بمساعدة من الصين ، ويمكن تصنيف السكان على الصورة التالية :

جدول (١٢)

تركيب السكان فى مستوطنة « برافا » للصيد

فئات السن	ذكور	إناث	نسبة جملة الفئة العمرية
أقل من ٦ سنوات	٪١١,٨١	٪١١.٠٣	٪١١,٤٢
٦ سنوات	٤٧,٤٩	٣٥,١٩	٤١,٤٤
جملة الأطفال	٪٥٩,٣٠	٪٤٦,٢٢	٪٥٢,٨٦
١٥ سنة	٪٣٥,٦١	٪٤٧.٥٤	٤١.٤٨
قوة العمل			
٥٠ سنة فأكثر	٪٥,١	٪٦,٢٤	٥.٦٥ ٠٠
الجملة	٥٠,٨١	٤٩,١٩	

« الاحمد » أصغر مستوطنات الايواء وأحدثها على ساحل المحيط الهندى ، يبلغ عدد سكانها ٤٥٨ نسمة ، وتتفوق نسبة الاناث لتصل الى حوالى ٥٧ر٦٤ ٪ من جملة الوافدين ، وهى تبعد حوالى ٢٢ كم عن أقرب الحواجز وهى « ميركا » **وان كانت تعانى العزلة ابان موسم** الامطار . ولعل أبرز ما يميزها أنها تستحوذ على أعلى نسبة فى فئات سن الشباب ، وهى بذلك نموذج مثالى « لانتقائية الهجرة » ، وتدل الارقام التالية على صدق ذلك .

جدول (١٣)

توصيف سكان « الاحمد »

فئات السن	ذكور	إناث	نسبة جملة فئة العمر
أقل من٦سنوات	٦,١٩٪	٤.٥٥٪	٥,٢٤٪
٦ سنوات	٥٨,٠٣	٤٧,٧	٥٣,٢٠
جملة الأطفال	٦٩,٥٣	٥٨,٦٧	٦٤,٤٣
١٥ سنة	٢٥,١٩	٣٦,٩٢	٣٠,٧٠(قوة العمل)
٥٠ سنةفأكثر	٥,٢٨	٤,٤١	٤,٨٧
الجملة	٥٣,٠٥	٤٦,٩٥	—

ان التيارات التى تدفقت على القطر الصومالى ، بموقعه وموضعه الضعيف البنيان ، المتأثر اقتصاديا ، الفقير فى الموارد ، قد كلفه أعباءا ، اثقلت كاهله ، وعلى ذلك لن يستطيع تقديم الواجبات التى تمثل الحد الادنى للحياة بينهم • ولعل الملاحظات التالية ، خير دليل على الموقف •

ـ يقدر أعداد من شملهم الايواء العام بما يزيد على ٢ر١ **مليون** نسمة سنة ١٩٨٠ ، تركزوا فى ثلاثين مركزا وسبع تجمعات للاستقبال والتوزيع ، وقد زادت الاعداد الى ٣ر١ مليون ، أقرب الارقام الى الواقع هو حوالى ٧ر١ مليون ٨٢/١٩٨٣ • وهناك تقديرات للحكومة توضح أن هناك « ٨٠٠ ألف » لاجىء يعيشون فى المدن وضواحيها ، ومع الاقارب والقبائل •

ـ **اذا كان مكان الوصول فقر وجدب ، فان موطن الاصل والوفود** أكثر جفافا وفقرا ، أو بمعنى آخر ، انه فى تدفق التيارات البشرية لا تحمل معها سوى سمات اقليم الموطن الاقتصادية •

ـ **وقد واكب الوفود نمو سريع للسكان يقرب من٧ر٧٪ سنويا ، واصبح** تجمع الايواء من البشر يناهز ١/٤ سكان البلاد •

ـ **تكوين السكان وتصنيفهم ، يمثل الآخر مأساة حرجة ، حيث أن** ٦٠٪ من الوافدين أطفالا ، مع ٣٠٪ من الاناث ثم ١٠٪ من الرجال فى أوج العجز والمرض ومعاقين •

ـ هذا يعنى مزيد من الاعباء الاقتصادية ، وكذا ارتفاع نسبة الاعالة بدرجة خطرة •

ـ وتضافرت العوامل السابقة فى استنزاف موارد الدولة ، وأزدياد

مساحة الرعى الجائر المدمر ، مع الاضافات الخاصة بأثار الجفاف وزيادة مساحة التصحر ، ونفق ملايين الحيوانات ، والتى قدرت فى بعض السنوات بحوالى ١/٣ ثروة البلاد •

ـ لم يعد الامر طبيعيا فى بلاد ظروف توزيع السكان فيها بدون نواة ديموغرافى الا فى الجزء الجنوبى الغربى ، وأدت تيارات الهجرة الى اعادة للتوزيع والكثافة السكانية بصورة غير طبيعية ولم يساهم

التخطيط فى مسارها أو محاولة التأثير فيها الا فى عدد محدود جدا (١٢،٠ ألف فقط ، فى اقاليم الايواء المخطط) •

ـ مشكلة تعانيها الصومال ، هى تضخم غير طبيعى للمستوطنات الحضرية دون اعداد أو تجهيز فى الخدمات والايواء وما يترتب على ذلك من تأثيرات اقتصادية واجتماعية •

ـ أما من المشكلات الاجتماعية فان مداها كبير ، تتمثل فى وضع اللاجىء ، وظروف المهاجر النفسية ، وحاجته المالية ، ثم اختلال « نسبة النوع » ومالها من تأثير على الحالة الزوجية ، والفرص المتاحة أمام الشباب فى خضم المشكلات الاقتصادية •

ـ أوضحت الدراسات والابحاث أن عجز « معسكرات الايواء » مستمر وخطير فى كل المجالات الاقتصادية والصحية والاجتماعية والتعليمية ••• الخ ونضرب لذلك أمثلة ونماذج من احتياجات الحد الادنى لبعض متطلبات « الايواء » على النحو الآتى :

الاحتياجات	المطلوب	المتاح	العجز
البرغم ـ الذرة ـ الأرز	١٤٢ ألف طن	٨٥ ألف طن	٥٧ ألف طن
الدقيق	٤٧ » »	١٦ » »	٣١ » » »
زيت الطعام	١٩ » »	٨ » »	١١ » »
اللبن الجاف	٢٣ » »	٧ » »	١٦ » »
البقـــول			١٦ » »
السكر			١٥ » »
اللحوم	٤٧٠٠ » »	٧٧٤ » »	٣٩٤ » »
الملح والفواكه	٤٧٠٠ » »		٤٧٠٠ » »
		جملـــة العجز	١٦٠ ألف طن

وتوضح الصورة أكثر اذا تعرفنا على عجز أحد قطاعات الدوله نفسها ليزداد الطين بله :

الإحتياجات	المتطلبات	المنتج	المستور	العجز
السرغم-الأرز	٣٧٥،٠٠٠طن	١٥٠،٠٠٠طن	١٥،٠٠٠ طن	٢١٠،٠٠٠طن
الأرز	٩٠،٠٠٠ «	١،٠٠٠ «	٢٤،٠٠٠ «	٦٥،٠٠٠ «
الدقيق	٤٥،٠٠٠ «		٢٥،٠٠٠ «	٢٠،٠٠٠ «
الزيوت	٤٥،٠٠٠ «	١٥،٠٠٠ «	١٥،٠٠٠ «	١٥،٠٠٠ «
السكر	١٢٠،٠٠٠ «	٥٠،٠٠٠	٥،٠٠٠ «	٦٥،٠٠٠ «
جملة العجز				٣٧٥ ألف طن

ـ هذا يعنى أن التوازن بين السكان والموارد أصبح فى صورة مزعجة، كما أن شكل الواردات مع الصادرات تحكى مأساة أخرى ، وأثر ذلك على العجز المالى المستمر ، وزادة ظلمه أن ١/٥ الميزانية تضاف كأعباء جديدة للمجهود العسكرى .

ـ من المعروف أن جفاف ١٩٧٥/٧٤ قد اتى على الكثير ، بل ملايين الحيوانات ، ثم داهم جفاف ١٩٨٠/٧٩ كل البلاد وترك بصماته داكنة على النبات والحيوان والانسان والاقتصاد والدولة والحاضر والمستقبل .

ـ الحالة الصحية فى مراكز الايواء سيئة ، معدلات الوفيات مرتفعة (٠٣٠٪ فى الألف وقد تصل الى ٠٤٠٪ فى الألف) ووفيات الاطفال الرضع تفوق الحد المرتفع (٣٠٠٪ فى الألف ، ٤٠٠٪ فى الألف) .

ـ تتفشى الامراض الصدرية والمتوطنة والجلدية والسمة العامة « أمراض سوء التغذية » كما تقل الخدمات الصحية والرعاية والادوية بصورة مخيفة .

ـ التعليم محدود ، وهناك خطط لزيادة الاستيعاب ، ولا يتعدى من شملهم الالزام فى مراكز الايواء عن ١٤٠ ألف من٣٩٠ ألف مجسل، وهناك نقص فى المعلمين .

ــ المطلوب بصورة عاجلة حد أدنى من المساهمــة الفورية ، والدولة عاجزة عن التدبير ويتمثل ذلك فى البنود التالية :

البند	المبلغ	الوحدة
الغـــــــــذاء	١٧٤٫٥	مليون دولار أمريكى
الصحة	١١٫٨٢	» »
المصادر المـــائية	٦٫٠٢٨	» »
التخزين والتبريد	٥٫٠٠٠	» »
النقل والمواصلات	١٢٫٠٠٠	» »
الملابس ــ البطاطين	٥٫٠٠٠	» »
مستلزمات الإيواء	٦٫٧٠٠	» »
التعليم مساهمات فى برامج	٥٫٢٣٠	» »
تخطيط الإيواء	٧٫٨٤٠	» »
الجملة	٢٣٤٫٦	مليون دولار

ــ مصادر الطاقة فى مراكز الايواء هى بمثابة الشىء النادر ، وليس من المستغرب أن تكون الارض فى جفاء وندرة خضرية على مســاحة نصف قطر مداه ١٠ كيلو متر ، وزاد الامر ســواءا ضعف وتوقف معمل التكرير « الصومالى العراقى » ، مما استلزم ضرورة استيراد ٣٥٠ ألف طن من البترول ومشتقاته ، وهو شرخ غائر فى الاقتصــاد القومى .

ــ المواصلات الى مراكز الايواء صعبة ، بل مستحيلة ، وقد تنقطــع لشهور عدة .

ــ أعباء النقل صعبة ، والموانىء غير قادرة للاستيعاب الاستيراد ، أو توزيع المساحات وكذا المساهمة فى الاغاثة .

- شح الامطار شبح داهم الصومال فى دورات فاقت التصور والتحمل، ولكن شاء الامر مزيد من القلق ، انخفاض منسوب المـاء وجفاف « بعض أجزاء » مصادر الماء الدائمة فى شبيلى وجوبا ، ممـا زاد الاعباء وأضاف المزيد من الهموم فى الايواء .

- أن الاستفادة من الوافدين لتأهيلهم ، قد واجهة طريق مسدود ، لعل أبرزها طبيعة تركيب السكان فى مراكز الايواء ، حيث أن النسبـة الغالبة من الاطفال والنساء ، وهذا يزيد من تعقيد مشكلة الايـواء فى المستقبل أيضا .

- فى دراسة توقعات « هجرة الاياب والعودة » سنجد أن الامر يشوبه الكثير من الغموض ، ويرجع ذلك الى استمرار التهاب الحدود ، وتدخل القوى الاعظم ، ثم تدمير معظم « قرى وممتلكات » موطن الاجلاء والجلاء ، ولذا فقد المهاجر الوطن والثروة وأين المفر .

- الايواء ومشكلة اللاجئين تثير مزيدا من الحساسيات السياسيـة ، وبركان قابل للثورة ، وبالتالى للحرب ، وازدادت الامور تعقيدا بـ تفاقم مشكلة اللاجئين والمجاعة والجفاف فى اثيوبيا أخيرا .

« المراجع »

١ ــ المركز الديموغرافى لشمال افريقيا بالقاهرة / القاموس الثلاثى للمصطلحات الاحصائية والديمرغافية / القاهرة ١٩٦٧ .

٢ ــ ت. لين سميث / اساسيات علم السكان / مترجم / القاهرة ١٩٧١ .

٣ ــ جمال حمدان / أفريقيا الجديدة ، دراسة فى الجغرافيا السياسية / القاهرة ١٩٦٦ .

٤ ــ حسن الخولى وآخرون / مشكلة جيبوتى / معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة ١٩٧٦ .
(غير منشور) .

٥ ــ حسن حسين الخولى / سكان جيبوتى / مجلة الدراسات الافريقية / القاهرة ١٩٨١ .

٦ ــ حسن حسين الخولى / انماط تحركات السكان فى الصومال / نشرة البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ــ العدد الأول / القاهرة ١٩٨٤ .

٧ ــ حسن حسين الخولى / جمهورية جزر القمر الاتحادية الاسلامية / جدة ١٩٨١ .

٨ ــ حمدى السيد سالم / الصومال قديما وحديثا / مجديشيو ١٩٦٥.

٩ ــ دولت صادق ، محمد الشرنوبى / الأسس الديموغرافية لجغرافية السكان / القاهرة ١٩٦٩ .

١٠ ــ فتحى ابو عيانه / جغرافية السكان واسسها الديموغرافية العامة / الاسكندرية ١٩٦٩ .

١١ ــ محمد السيد غلاب / تطور الجنس البشرى / القاهرة ١٩٧٠ .

١٢ ــ محمد السيد غلاب ، محمد صبحى عبد الحكيم / السكان ديموغرافيا وجغرافيا / القاهرة ١٩٧٤ .

١٣ ــ محمد الشرنوبى / جغرافية السكان / القاهرة ١٩٧٣ .

١٤ ــ محمد رياض ، كوثر عبد الرسول / أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة / بيروت ١٩٧٣ .

١٥ ــ محمد صفى الدين ابو العز / أفريقيا بين الدول الأوربية / القاهرة ١٩٥٩ .

١٦ — محمد عبد الغنى سعودى / الصومال : عضو جديد بالجامعة العربية / مجلة البحوث والدراسات العربية / العدد الخامس / يونية ١٩٧٤ .

١٧ — محمد عبد الغنى سعودى / هجرة العمالة فى شرق افريقيا / المجلة الجغرافية العربية / السنة الخامسة العدد الخامس / القاهرة ١٩٧٢ .

١٨ — محمد عبد الغنى سعودى / افريقيا : دراسة فى الأقاليم / القاهرة ١٩٨٤ .

١٩ — محمد عبد الغنى سعودى / هل نحن مقبلون على عصر جليدى/ مجلة العربى / العدد ٢٨٠ / مارس ١٩٨٢ .

٢٠ — محمد عبد الفتاح / جغرافية الصومال / القاهرة ١٩٦٥ . القاهرة ١٩٥٦ .

٢١ — محمد عبد المنعم يونس/الصومال/القاهرة ١٩٦٢ .

٢٢ — ن.س. سليجمات/السلالات البشرية فى أفريقيا/مترجم/ القاهرة ١٩٥٦ .

٢٣ — وارين تومسون / مشكلات السكان / مترجم / القاهرة ١٩٦٩ .

٢٤ — يسرى الجوهرى / مبادىء جغرافية السكان / بيروت ١٩٦٩ .

٢٥ — Africa Yearbook and Who's who, African Journal Limited, London 1973.

٢٦ — Beaver, S., & Stamp, L.D., «Aegional Geography» art (2) ; Africa, London 1969.

٢٧ — Bogue, D.J., Internal Migration ; in : The study of Population» (edited) by : Hauser & Duncan, Chicago 1959.

٢٨ — Box, T.W., Nomadism and Landuse in Somalia, Economic and Cultural Change, January, 1977.

٢٩ — Brintley T., «International Migration», in : «The study of population, (edited) by : Hauser & Duncan, Chicago 1959.

٣٠ — Bryson, R.A., « The lessons of Climatic History, «Enviromental Conservation, Vol. 2, No. 3, 1975.

٣١ — Caldwell, J.C., & Okaonjo, C., (edited), The population of Tropical Africa» London 1969.

٣٢ — Church, H., «Africa and the Islands,» London, 1967.

٣٣ — Clarke, J.I., population Geography, London 1970.

٣٤ — Colson, E., «Migration in Africa ; Trends and possibilties», in : population of Africa, (editied) by : Lorimer, F. & Kare. M., Boston University Press, 1960.

٣٥ — Coon, C.S., Races of Europe, London, 1939.

٣٦ — Drysidale, J., The Somali Dispute, London, 1964.

٣٧ — Farer, L., Dilemas on the Horn «Africa Report». 1977.

Goran, M., «Refugees in Somalia», Scandinvian Institute of African Stu- African Studies, Research Report, No. 56. Uppsale, 1980.

٣٩ — Gregory, K. & Williams, R., «Physical Geography from New- spaper», Geography, Vol. 66. No. 290, 1981.

٤٠ — Hance, W., «Population, Migration and Urbanization in Africa», Columbia University Press. N.Y., 1970.

٤١ — Hance, W., « The Geography of Modern Africa», N.Y. 1975.

٤٢ — Jarret, H., «Africa», London, 1974.

٤٣ — Kebede, F., The Legal Aspect of Ethiobian Somali Dispute», Horn of Africa, Vol. (1), 1978.

٤٤ — Lewis, I. M., Modern History of Somali Land London 1966.

٤٥ — Lewis, H., The Origin of Galla and Somali, in : Journal of African History, Vol. 7. : 1, 1966.

٤٦ —

٤٧ — Melander, N., International Legal Instrument's on Refugees in Africa, Recommendation, 4. (For Text.).

٤٨ — O'Conner, A., M., The Geography of Tropical African Deve- lopment N.Y., 1974.

٤٩ — Perthero, R.M., «North East Africa ; A pattern of Conflict, in : A geography of Africa ; Regional Essays on Fundemental chara- cterstics sssues and problems», (edited) by : Perthero, R., London 1973.

٥٠ — Regine Van Chi-Bonnardel, Atlas of Africa, Jeune Afrique. Paris, 1973.

٥١ — Shamugarira, N., «Political Refugees in Africa, «Institute of Race Relation, Newsletter, May, 1967.

٥٢ — Somali Democratic Republic, A Request for Assistance from the Goversment of Som. Dem. R., for the Refugees, Mogadishu, October 1979.

٥٣ — Stamp, L. & Morgan, W., Africa ; «Study in Tropical Development», N.Y. 1974.

٥٤ — Tickell, C., «Climatic Change and World Affairs», **Harvard Studies of International Affairs,** No. 37, 1973.

٥٥ —

٥٦ — U.N. Department of Econmic and Social Affairs, «Methods of Masuring Internal Migration, Population Studies, No. 47, New York, 1970.

٥٧ — U.N., F.A.O., Interim Evalution Report, Somalia Resettlement of Nomads as Farmers and Fishermen, 19 May 6 Jane, 1980.

٥٨ — U.N. General Assembly, Assistance to Drought - Stricken Areas in Somalia, 10 November, 1981.

٥٩ — U.N., Inter Agency Mission to Somalia, Report of the Mission to Somalia, 10-16 December, 1979.

٦٠ — U.N., Report of Mission sent by : Secertary General to Somalia is September, 1980.

٦١ — U.N., General Assemply, Report of the Economic and Social Council, Assistance to Refugees in Somalia & Report of the Review Mission to Somalia, (11 Jan. - 18 June), 1981.

٦٢ — U.N., Doc., A/AC/96, 364, 1980.

٦٣ — U.N., Doc., A/36/136., March, 1981.

٦٤ — U.N., Demographic Hand Book of Africa, N.Y. 1972.

٦٥ — U.N., Demographic Year Book, N.Y. Various Years.

٦٦ — World Bank, Somalia Agricultural Review, Report No. 288, June 29, 1981.

صلاح الدين صميده عوض
معهد البحوث والدراسات الافريقية

التصحر ــ أسبابه ــ مظاهــره

تمهيــــد :

تعد البيئة ــ بعناصرها المتعددة ومدى التوازن بين هذه العناصر ــ مجالا خصبا للدراسة ، ويتطلب الاهتمام بها جهودا مكثفة ــ ليس فقط على المستوى المحلى أو الاقليمى ــ ولكن على مستوى العالم ، فنحن ــ كبشر ــ نعيش عالما واحدا ، ونظمنا البيئية كلها تتــكامل فى حلقــات متوازنة ، اذا اختلت احداها تداعت سائر الحلقــات بالتدهور وفقدان التوازن ، وخلف كل هذا دمارا على الانسان .

فلكل نظام بيئى طاقة أو حمولة اذا ما زاد الضغط عليها انهارت ، وذلك بالاستخدام الجائر أو غير المتعقل كالضغط على المرعى ، والضغط على الارض الزراعية ، وتلويث الماء والهواء بالنفايات والمواد الكيماوية .

وتعد الذبذبات المناخية ظاهرة قديمة الحدوث ، بطيئــة التــأثير ، ولكن الانسان زاد من حدتها وتسارعها خلال العقود الأخيرة من قرننا هذا بما خلف ظاهرات أخرى مرتبطة بهــا مثــل ظاهرة التصحر ، التى ارتبطت أساسا بالذبذبة المناخية ، بالاضافة الى الاستخدام السىء من قبل السكان لموارد نظام بيئى محدود العطاء كنظــام (الســاحل ، بغرب أفريقيا ، والذى تعرض لآثار قاسية لظاهرة التصحر بما يمكن تسميته تجاوزا « بكارثة التصحر » وقد يكون لما حدث نصيب من هذا الاسم حيث تشرد آلاف البشر ، ومات العديد منهم (عدة آلاف أيضا) ونفق ملايين الماشية والأغنــام .

وكما هو الحال فى كافة المناطق الحدية أو « هوامش المعمور » فان التوازن البيئى Eco-Equilibrium ينبع أساسا من الانشطة

(*) انظر ملحق الخرائط .

التى يمارسها الانسان ، وأنساط استخدامه للأرض وكافة الموارد الطبيعية لسد احتياجاته ، وقد ظهرت المرحلة الحرجة فى هذا التوازن بازدياد هذا الاستغلال عن طاقة وحمولة الموارد البيئية المتاحة ، كما كان التوسع العمرانى ، وتطور استخدام الآلات بصورة أوسع فى كافة مشروعات استخدام الأرض ، وما صاحب كل هذا من ازدياد السكان ، وبالتالى ازدياد ضغطهم على الموارد (١) أثره فى احداث التدهور البيئى • اذن ما هو التصحر ، وما هى أسبابه ومظاهره ؟ حاول الكثير من العلماء وضع تعريف محدد لمفهوم التصحر يمكن أن نخلص منها جميعا الى أنه ــ أى التصحر ــ يعنى « احداث تغير فى خصائص البيئة مما ينتج معه ظروفا جافة ، أو أكثر صحراوية » ، ويذكر بأن التصحر يعنى « تدهورا للنظام البيئى » ، بينما يذكر البعض بأنه « زحف للصحراء فى اتجاه المناطق الرطبة ، وهو ذو أثر غير مقيد بمكان بمعنى أنه يتقدم ويتقهقر يزيد ويقل تبعا لحدة الذبذبة المناخية ، وماهية استخدام الأرض » (٢) •

ولكى تعرف على وجه الدقة ما يحدث عند وقوع التصحر ، يجب أن نضع فى الاعتبار تلك الطبقة الرقيقة من التربة ــ والتى تواجه مباشرة الغلاف الجوى ــ وهى موطن النبات ينمو فوقها ، ويتغذى من خلالها ، تستقبل المياه الواردة اليها من أى مصدر ، سواء باطنى « الخاصة الشعرية » أو سطحى « مطر أو رى مباشر » ، وخلال هذه الطبقة تمتزج المكونات الغذائية اللازمة للنبات • واذا ما طبقنا هذه النظرة على التربة فى نطاق (الساحل) سنجد أنه عندما تسقط الامطار ــ فان النبات يمتص منها مباشرة جزءا يكثر أو يقل تبعا لأمور كثيرة منها ما يدخل فى طبيعة النبات ذاته ، ومنها ما يتعلق بظروف المناخ •• الخ • ثم يتسرب جزء آخر من مياه الأمطار الى باطن الأرض وقد يبقى مختزنا فيها ، أما ما يتبقى بعد ذلك فانه اما أن يتبخر أو ينساب على السطح ، ثم يحدث بعد ذلك أن يعيد النبات بعضا مما امتصه الى الغلاف الجوى عن طريق النتح Transpiration ثم ينمو النبات وتأتى حيوانات المرعى فتأكله • وهنا قد يحدث أحد أمرين :

---

(١) Barth. H.K., in «Applied Scienece & Develop., Vol. 10, 1977.

(٢) زين الدين عبد المقصود ، « مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى »، نشرة قسم الجغرافيا جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد ٢١ ، سبتمبر ١٩٨٠ ، ص ٥ ــ ٧ .

الأول : أن هذه الحيوانات ستضيف بمخلفاتها خصوبة للتربة تقل هذه الخصوبة بالتعمق ، وهذا هو الوجه الامثل للتوازن بين مكونات البيئة •

الثانى : متعلق بأكثر من جانب ولنبدأ بطبيعة الحيوان الذى يعيش فى المنطقة والذى نجده يتكون أساسا من الماشية (الأبقار بخاصة) والأغنام (الماعز بخاصة) ولكل نوع منها ــ فى هذه البيئة ــ محاذير معينة ــ بعضها يتعلق بتركيب القطيع ذاته ، وعدده ، والبعض الآخر بحركته فى المرعى تبعا لتحركات الرعاة •

هذا عن الحيوان ــ أما الانسان فمن المعروف أن الظروف الطبيعية فى الأراضى شبه الجافة تعمل على ايجاد توازن مثالى متبادل بين مكوناتها من مياه ــ تربة ــ نبات ــ حيوان ••• الخ ولها فى ذلك وسائلها المختلفة لكن قد يأتى الانسان فى مقدمة العوامل التى تخل بهذا التوازن وتهدمه بوعى أو بدون وعى ، وقد برز هذا العامل خلال العقد بين ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥ فى نطاق (الساحل) فقد حدث أن ازداد تدهور الكساء الخضرى ــ الهزيل أصلا ــ وذلك لسؤ استخدام الانسان لهذا المورد الحى ، حيث زاد قطعانه ، وأخل بها تركيبها ، خاضعا لمغريات الكسب المادى السريع الناتج عن بيعها الى سكان الجنوب فى غرب القارة ، وكانت النتيجة المتوقعة هى تدمير تلك الطبقة الرقيقة من التربة ، ثم ، لازمها جفاف نتج عن ظروف مناخية هى من سمات هذه المنطقة الانتقالية ، وحدث ما حدث من تعرية وتصحر (١) •

ومما زاد من تفاقم المشكلة أنه عندما بدأت الامطار تهطل بعد توقف ، حدث أن جرفت مفتتات التربة ، وأولها تلك الطبقة الرقيقة الهشة ذات التركيب الافضل للنبات ، والتى تحوى عناصر غذائه ، وقد ساعد على هذا سرعة جريان الماء السطحى والذى يعود بدوره الى ذلك التجفيف الشديد بفعل حرارة الجو لسطح التربة بعد المطر ، وبالتالى تكوين طبقة صلصالية ذات نفاذية ضئيلة تمنع تسرب الماء الى ما تحت التربة ، وتكون نتيجة ذلك :

---

(١) مجلة رسالة اليونسكو ، العدد ١٦٧ ، يونيو ١٩٧٥ .

١ ـ زيادة كمية الجريان السطحى وبالتالى جرفه للتربة والقاؤها بعيدا حيث يصعب استغلالها من جديد الا بعد فترة زمنية قد تطول •

٢ ـ انخفاض مستوى الماء الباطنى فى الآبار ويؤثر هذا على الزراعة ، كما يقلل من درجة رطوبة التربة فى الطبقة القريبة من السطح •

وينتج من خلال هذه التراكمات نوع من التغير البيئى حيث ينمو نبات أقل جودة كمرعى ، وأقل مكوثا فى الارض ، وبالتالى فهو لا ينفع الناس ولا الحيوان ، ويختل التوازن البيئى بعامة ويدور النطاق فى عجلة التصحر التى تنتهى به الى العقم الانتاجى •

وتأتى الزراعة التى يمارسها السكان ، دونما تعقل ، ودونما ارتباط بدورة زراعية ـ هى نتاج تجارب طويلة للتعامل مع ظروف البيئة ـ كعامل آخر فى تكثيف الظاهرة ، والزراعة فى نطاق الساحل ـ اما بعلية أو قائمة على الرى من الآبار وهى ان مورست فى حدود ما تسمح به ظروف البيئة ـ لا تحدث خللا بيئيا ، ولكن ما حدث بالفعل شىء آخر ، وهو تكثيف النشاط الزراعى لدرجة الزراعة الجائرة Over agriculturing حيث استخدام المزارعون فى المنطقة أساليب تكنولوجية حديثة فى الزراعة ، فبدلا من استخراج المياه من الآبار بواسطة الحيوان كما جرت العادة قديما ـ استخدام الزراع الطلمبات التى أعطت فى بادىء الأمر نتائج طيبة من حيث الكم المستخرج من مياه البئر وبالتالى زيادة الرقعة المزروعة رأسيا وأفقيا ـ ثم تلى أو صاحب ذلك ـ شق قنوات للرى !! ، وأدخلت محاصيل نقدية « للانتاج الكبير » كالقطن ، والأرز ، والفول السودانى ، فى مناطق لم تكن تزرعها بالفعل ، وزحفت هذه المزارع على أراضى المراعى ، كما تم التحكم فى الأوبئة التى كانت تصيب الانسان والحيوان فزاد عددهما وزاد الدخل الفردى نتيجة لكل ذلك فى بادىء الأمر ، ونتيجة هذا الاستخدام الجائر ـ اختل التوازن البيئى فى (الساحل) بعد أول سنوات جفاف (١٩٦٨ ـ ١٩٧٣) فزحفت القطعان الى الموارد المائية الثابتة كالآبار التى هبط مستوى الماء الباطنى فيها ، ولم تعد تكف هذه الاعداد الهائلة من القطعان ، فنفق خلال تلك السنوات الخمس ـ أكثر من ثلث الماشية جوعا وعطشا وليس بطريق انتشار الأوبئة (١) •

(١) مجلة رسالة اليونسكو ، العدد ١٩٤ سبتمبر ١٩٧٧ .

كما كان لازالة الشجيرات والأشجار التى تنمو طبيعيا فى النطـاق بغرض الاستخدام اليومى فى التدفئة أو الطهو وخلافه ـ عاملا كبيرا فى ازالة هذه « المظلة التقليدية » Tradiontal Umbrella لبيئة يمثل « الظل » فيها عاملا حيويا فى تشكيل التوازن البيئى ، وكان لهذا الأمر أثر لاينكر فى تعميق (البعد المأسوى) لظاهرة التصحر .

وفى نطاق كهذا يضم عددا من الدول الأقل نموا من السنغال غربا وحتى أثيوبيا والصومال شرقا ، تبرز خطورة هذه الظاهرة حيث تجىء فى وقت كافح فيه العالم النامى بعامة من أجل مزيد من انتـاج الغـذاء لمواجهة النمو السكانى السريع ، وتجىء الأنباء كل يـوم تقريبـا بمدى معاناة (هذا العالم) ، أو ما اصطلح عليه مؤخرا (بالجنوب) ، هـذه المعاناة البالغة من أجل أمنه الغذائى ، وبالتالى أمنه السياسى .

ونحن نسعى الى محاولة تفسير وتحليل وتقييم هذه الظـاهرة من حيث أسبابها ونتائجها وكيفية مواجهة هـذه النتائج عن طريق التخطيط الدقيق الذى يعى ظروف هذه البيئة الحدية ، كما نهـدف كذلك الى محاولة الاشارة الى تنمية (وعى بيئى) يدرك خطورة التصحر كظاهرة تهدد مساحة كبيرة من عالمنا (أكثر من ٥٠ مليون كم٢) ، فى الجزء المتقدم منه . والجزء النامى ، وقد تختلف المظاهر عن تلك فى نطاق الساحل وان كانت النتائج واحدة . ولعلنا ـ فى مصر ـ نعى كيف نحافظ على التوازن البيئى فى بلادنا عن طريق الاستخدام المتعقل للموارد الطبيعية فى أراضينا ، ويأتى ماء الرى ، والتربة على رأس هذه الموارد ، وقد شكلا ـ فى الماضى حضارة المصرى عبر قرون الزمان ، ويتعرضان الآن لاستخدام جائر وغير متعقل ، والمأمول أن يركز الاهتمام بهما من خـلال خطط هادفة الى الحفاظ على التوازن البيئى ، بصيانة كافة العناصر البيئية .

وتعد الدراسات البيئية مجالا خصبا لتعاون كافة المهتمين بها ، ويأتى الجغرافى كحلقة هامة من حلقات هذا التعاون ، فمجال رؤيته أوسع ، وهو لهذا يستطيع الربط بين الظواهر ، ويستطيع تحليلها وتقييمها ، ويأتى دوره مواكبا لكل الاهتمامات البيئيـة على مستوى عالمنـا الواحـد ، والذى يعد وحدة مترابطة اذا اختل التوازن فى طرف قصى منه ، تداعت له سائر الأطراف بالتدهور .

اذن فدراسة الظواهر البيئية المؤثرة ، أمر لا يخص تخصصا علميا بذاته بل — لعله ليس من المبالغة فى شيء — أن يكون هذا أقرب للجغرافى من غيره وألصق به ، وقد تناول ظاهرة التصحر — عدد من الهيئات العلمية والعلماء — بالدراسة والتحليل ، منهم علماء المناخ ، والزراعة والمياه والسكان والاجتماع ... بل والسياسة وكان دور الجغرافى أن يتناول كل هذه الدراسات بالربط والتحليل والتقييم وصولا الى فهم كنه العلاقات بين الانسان وبيئته ، ومدى تعامله — من خلال أنماط استخدام الأرض التى يمارسها مع مكونات بيئته الطبيعية .

اسباب التصحر

فيما يلى محاولة لبحث الأسباب الكامنة وراء ظاهرة التصحر فى منطقة (الساحل) .

وكتمهيد عام نقول بأن الأمطار كأهم عنصر مناخى فى الساحل لا يكفى لانتاج محاصيل غذائية فوق رقاع متصلة من الأرض ، وان كانت تكفى لنمو الحشائش القصيرة وبعض الشجيرات الشوكية من فصيلة السنط المتناثرة هنا وهناك ، وقد صنفها كل من ثورنثويت وميز Meigs ضمن المناطق الجافة القاحلة [1] .

ويمكن القول كذلك بأن فاعلية الأمطار المحدودة (٢٢ بوصة) تبدو قليلة الأثر ازاء ارتفاع معدلات التبخر التى قد تصل الى أربعة أضعاف كمية الامطار الساقطة ، يضاف الى ذلك أن هذه الكمية الهزيلة من الامطار تتذبذب بين سنة وأخرى كما وموعدا ، وقد تم حساب هذه الذبذبة أو الانحراف فى الكمية ما بين ٣٠٪ ، ٩٠٪ ، ونستطيع أن نتتبع حالة المناخ بعامة — من خلال فترات زمنية معينة — لنتبين أثر هذه الذبذبة فى تأكيد ظاهرة التصحر حيث نجد أن المطر قد يتوقف عن الهطول لعدة سنوات وقد يتناقص من سنة لأخرى ، بما يؤثر تأثيرا كبيرا فى حالة الغطاء النباتى وبخاصة عندما يقترن ذلك بزيادة عدد القطعان وزيادة السكان أيضا [2] .

---

(1) Berry, L., in : Unesco, MAB, «The Sahel» : Ecological approaches to land use, Paris, 1975, P. 9.

(2) Hare, K., in : Geog. Mag., August, 1977. P. 708.

ومن خلال هذا التتبع تتبين أن « الســاحل » تعرض ويتعرض لفترات جفاف تكاد تكون دورية وذلك بين السنوات ١٩١٢ ــ ١٥ ، ١٩٢٣ ــ ٢٧ ، ١٩٣٩ ــ ٥٥ ، ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ (*) .

ولعل فترات ما بين انحباس الأمطــار كانت المشجع للســكان بأن يزيدوا من قطعانهم ويزيدون هم أنفسهم بالهجرة الى المراعى الغنية فى الساحل ، أو من خلال الزيادة الطبيعية ، ثم هم ــ يكثفون تبعا لذلك ــ أنماط استخدامهم للأرض من رعى ، الى زراعة ، حتى اذا انحبس المطر ، وحل الجفاف والقحولة ، اذا هم أمام كارثة حقيقية ، وهــذا ما حدث بالفعل ابان فترة الرخاء بين ١٩٥٥ ــ ١٩٦٨ وقبل جفــاف ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ (١) ، ويمكن ملاحظة هــذه الذبذبة من الجــدول (١) والذى يوضح معدل المطر السنوى ١مم ــ بوصة ، لأربع محطات هى أغادس (أجادى) بالنيجر ، وأبيشة بتشاد ، ونيامى بالنيجر ، وسيكاسوبمالى ، وذلك خلال السنوات ١٩٥٤ الى ١٩٧٣ مقسمة الى فترتين احداهما بين ٥٤ ــ ١٩٦٣ ، والأخرى بين ٦٤ ــ ١٩٧٣ ومن خلال هذين العقدين يمكن ملاحظة ذلك التناقص المستمر فى التساقط ، كما نلاحظ ذلك أيضا من دراسة مناخية تتضمن تحليلا رقميا لعدد ٧٥ محطة فى الساحل يشتمل على كم التساقط فى شهور الفصل المطير محسوبا بالنسبة لمعــدل التبخر الكلى (معدلات بنمان) ، وكذلك المتوسط السنوى للامطار ، بالاضافة الى معدل التبخر الكلى (P E T) ومتوسط الحرارة السنوى بالدرجات المئوية ، ومن خلال هذه الدراسة يبدو ذلك الارتباط القوى بين معدلات التساقط ومعدلات التبخر الكلى فى الساحل ومنه يمكن التعرف على مدى فاعلية الامطار وذلك خلال الخمسين سنة مدة الرصد .

ويمكن تفسير مناخ الساحل ككل ، من خلال تلك الفروق الدقيقة والهامة التى تحدث من وقت لآخر ، والناتجة أساســا من خضوعها ــ كمنطقة انتقالية ــ الى سيادة المناخات الى الشمال والى الجنوب منها ، والتى تخضع بدورها لتحرك الكتل الهوائيــة شمالا وجنــوبا . وتشير

(*) « يتعرض الساحل الآن لفترة جفاف مماثلة بدات منذ موسم امطار ١٩٨٢ وحتى كتابة هذا البحث » .

(1) Horest, M., & Fouad, I., in : «Applied Science & Develop. Mag. » P., 9.

الفروق الواضحة بين كاولاك (السنغال) ، وأبيشه (تشاد) الى مدى التباين المناخى فى الساحل كله ، كما قد تلعب التضاريس دورها المعروف فى التعديل المناخى (الهضبة الاثيوبية) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه الفروق المناخية تحدث فى الساحل ــ ليس فقط ــ بفعل العوامل المؤثرة فى المناخ ــ بل أيضا ــ بفعل تغيرات فصلية ليس لها صفة الدوام والاستمرارية (١) .

ولا تزال قضية التغيرات المناخية الدورية تثير كثيرا من التساؤلات وستظل فهى أمر لم يعد مجهولا أو يستند على الحدس والتخمين ، فقد درس العلماء أسبابه ومداه وتعمقوا فى هذا الأمر وصولا الى دراسة المناخ فى الماضى الجيولوجى حيث نشأ علم يسمى علم المناخ القديم أو « الباليوكليماتولوجى » ثم قسمت التغيرات المناخية من خلال هذه الدراسة الى تغيرات من الدرجة الأولى وتمتد الى حوالى ٢٠٠ ــ ٢٥٠ مليون سنة ، وأشار هولمز (١٩٢٧) الى هذا وقال بدورة مناخية بمقياس ٢٠٠ مليون سنة ، ثم تغيرات الدرجة الثانية من ٤٠ ــ ٦٠ مليون سنة ، ومن الدرجة الثالثة وتستمر من عشرات الآلاف الى مئات الآلاف من السنين ، ثم أخيرا من الدرجة الرابعة وهى تنقسم الى تغيرات من ٢٠٠٠ ــ ١٨٠٠ سنة ، ٦٠٠ ــ ٤٠٠ سنة ، ٩٠ ــ ٦٠ سنة ، ١٢ ــ ١١ سنة ، ٦ ــ ٥ سنوات ، هذا ــ ومنذ النصف الثانى للقرن ١٩ ــ قلت نسبة الرطوبة وهبط مستوى البحيرات وزحفت الظروف الصحراوية على مناطق الغابات (٢) .

وهنا يثور تساؤل هل هذا التغير ــ فيما بعد ظهور الانسان فى تجمعات ــ هل هو مناخى بحت أم بشرى ، وهنا يصح أن نطلق عليه « التغير البيئى » ، وعلى الرغم من الاهتمام البالغ الذى نالته الدراسات الخاصة بالتغير المناخى لما بعد لعصر لجليدى أى منذ حوالى ١٠٫٠٠٠ الى ١٢٫٠٠٠ سنة الا أنها لم تفسر أو توضح تماما أسباب هذا التغير ، وتزداد هذه الصعوبة بخاصة فى دراسة مناخ الأراضى الجافة وشبه الجافة والذى أرجعها البعض الى ثلاثة عومل أو مصاعب رئيسية هى :

---

(١) UNESCO, «The Sahel» op. Cit., p. 11.

(٢) عبد الرحمن حامد ، « تغيرات المناخ الدورية خلال الاحقاب الجيولوجية والزمن الحاضر » ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ص ٩ ــ ٧٠ .

(أ) ضآلة الآثار التى خلفها عصر فيرم بالمقارنة بما خلفتـه الفترة الجليدية السابقة له والتى ميزت مناخ البليوستدسين طوال مليون سنة تقريبا بعكس الهولوسين الذى كان التغير المناخى فيه أمرا ثانويا يكاد يكون على المستوى الاقليمى المحدود ، ويحتاج الكشف عنه الى دراسة تغيرات حرارية لا يصل مداها الى أكثر من ١ ـ ٢ درجة مئوية خلال عـدة قرون •

(ب) ان التغير المناخى الذى حدث فى الآلاف القليلة من السـنوات الماضية أمر قد يرجع الى ذبذبة ما فى الحرارة أو الأمطار أو كلتاهما معا ، وبالتالى فهو أمر غير منتظم الحدوث ـ كما أشرنا ـ أو يرجع الى منشأ واحد فى كل العالم (دراسة حلقات الأشجار فى الأراضى الجافة كأثر مطرى) ، (نمو ثلاجات نيوزيلند كأثر حرارى) •

(جـ) صعوبة تسجيل حالة التغير المناخى فى الهولوسين الا من خلال آثاره أى من خلال التغير البيئى كله الذى لا يلعب التغير المناخى فيـه سوى دور صغير • وبعامة يمكن القول بأن الانسـان من خـلال ثورته الزراعية والتى توجها بزراعة الحاصلات واستغلال المراعى ، ثم أخيرا تطويره نظاما تقنيا بدأ باستخراج المعادن ـ والتى تحتاج الى كم هائل من الوقود ـ قد غير بقصد ـ أو بدون قصد بيئته ، ولكن ما يعنينا هـو متى بدأ هذا التغير ؟ يقول البعض أنه بدأ منذ الألف السادسة ق•م• حين قامت حضارات الشرق القديم ، وبدأ تأثيره يتضح منذ ٥٠٠٠ سنة مضت ليشمل مناطق من السند شرقا وحتى الاطلسى غربا ومن سكاندنياوه شمالا وحتى « الساحل » جنـوبا (١) اذن لابد من (وضع حسـاب) لتاريخ استخدام الأرض ، فمنذ ظهور الانسـان على الأرض حـدثت تغيرات بيئية لابد أن يكون الانسان مسئولا عنها بدرجة أو بأخرى فهى أوضح فى المناطق الجافة وشبه الجـافة ، وذلك لادخـاله حـرفة رعى الحيوان وعمليات الحـريق ، وحرث وتقليب التربة • ولقـد اعتمـد الاستدلال على التغير المناخى على نتيجـة دراسـة علمـاء المنـاخ ، والجيولوجيون ، وعلماء النبات ، والآثار ، والتربة والجغرافيون ، تلك الدراسة التى تناولت منسوب البحيرات والماء الباطنى ، ودورات الارساب

(١) Spooner, B., & Mann, H., « (Eds.), » Desertification & Development » Lond., 1982, P. 50-51.

والنحت ، والمظاهر التضاريسية ، والتربات القديمة (١) ، وقد قام العلماء بتأريخ هذه الأدلة بمختلف الوسائل ، ولقـد أصبح مؤكدا أن التغير المناخى كان طفيفا للغاية فى المناطق الجافة وشبه الجافة خـلال الألفى سنة الأخيرة الأمر الذى ركز الاهتمام على النشاط البشرى وأثره فى احداث التغير البيئى ، فالثابت أن الساحل لم يتعرض (لتغير مناخى) بقدر ما تعرض (لتغير بيئى) •

وما يعنينا بدية هو فهم (تصحر الساحل) وهل هو نتيجة للنشاطات البشرية Desertification أو لعوامل طبيعية Desertization وما ثبت مما سبق أن تصحر الساحل راجع الى استخدام الارض السيء من قبل الانسان مع عدم اغفال العامل المناخى ولو من قبيـل لعرض المجرد وصولا الى صيغة ايكولوجية لتفسير الظاهرة (٢) • ولكى نفسر ذلك لابد لنا من التعرف على جانبين هامين لشرح ظاهرة التصحر فى الساحل وهمـا :

١ ــ مناخات الساحل فى الماضى ، والتى تعرضنا فيما سبق للحديث عنها بشكل عام فى العالم ككل ، والتى يمكن الوصـول منهـا الى أن الساحل يعد منطقة تذبذب مناخى فى البليستوسين والحديث بشكل يكاد يكون منتظما ومستمرا ، ويستدل على ذلك من تلك الآثار التى تخلفت عن هذه الذبذبة المناخية « الـكثبان الرملية المتحفرة » والتى تحركت خلال فترات الجفاف جنوب مواقعها الحالية ، ثم تم تثبيتها بفعل ما نما فوقها من أعشاب خلال الفترات الرطبة ، ويعد هذا مظهرا عاما فى الساحل كما تعد هذه الكثبان « بيئة » معرضة للتعرية الهوائية فى فترات الجفاف أو بفعل الانسان عند استغلالها كمراعى أو كمزارع •

يضاف الى ما سبق دليل آخر على الذبذبة المناخية فى الساحل وهو تلك الارسابات البحيرية المنتشرة فى المنطقة وبخاصة الصلصـال ، وهى ارسابات تكونت فى البليستوسين ، وهى أيضا دليل على أنها تكونت فى فترات أكثر رطوبة وأغزر أمطارا فقد كانت الأنهار أكثر تصرفا ، وكانت

---

(١) والتـون ، ك. ، « الاراضى الجـافة » مرجـع سـابق ، ص ٧٦ ــ ٧٩ •

(٢) «Desertification & Development», op. Cit., P. 52 UNESCO. «The Sahel», op. Cit., PP. 13-14.

البحيرات أكثر اتساعا ، ويعطى تداخل هذه الارسابات مع الرمل فيما عثر عليه من حفريات وآثار المنطقة — دليلا على تذبذب المناخ فى الماضى (١) ، ونحن لا نعرض فى هذا المجال لتتابع المناخ ابان العصور الجيولوجية فهذا أمر قد ثبت فعلا ، وليس بحاجة الى اثباته ، الا فى الحدود المحلية أو الاقليمية لمجرد تتبع ظاهرة أو ظاهرات طبيعية أو بشرية ، فمن المعروف والثابت أنه كان هناك عصر جليدى فى شمال أوربا وحتى حدود فرنسا ، يقابله عصر مطير فى شمال افريقية وغرب آسيا ، وهى المناطق التى تغطيها الآن الصحارى (٢) ، ومعروف أيضا أن العصر الجليدى والمطير يشتملان فترات ينصهر فيها الجليد ويقل المطر (٣) ، لكن ما يهمنا هو أن التغيرات التى تعرض لها المناخ فى العصور الجليدية يحدث مثلها الآن من خلال دورات أقصر كما ذكرنا من قبل ، قد يصل مداها الى أقل من عشر سنوات أو يمتد ليصل الى بضعة قرون ، وبالطبع فهذه الدورات ما هى الا نوع من الذبذبة والتى تترك أثرا مباشرا على الحياة النباتية والحيوانية ، وينسحب أثرها على الحياة الاقتصادية من خلال الانسان ، ويثبت التاريخ أن حضارات وممالك قد قامت أو انهارت بسبب انتظام أو انقطاع الأمطار ، كما أن مدنا قامت وأندثرت لسبب مناخى بحت ، والساحل بتاريخه الحالى يختزل كل هذا فيما حدث ابان الفترة من ٦٨ — ١٩٧٣ عندما حدث تدمير سريع للغطاء النباتى ، وتناقص حجم احتياطى المياه ، وعجزت البيئة عن توفير المياه للأراضى الزراعية واعالة الثروة الحيوانية فهلك معظمها وانتشرت المجاعة بين أعداد كبيرة من السكان ، وحكمت على الآلاف منهم بالموت جوعا (٤) ، هذه السنوات العجاف المتتالية والتى تحدث من وقت لآخر حقيقة قائمة وسمة مميزة لمناخ المناطق الجافة تسهم فى صنع التصحر ، ذلك الى جانب سوء استخدام الناس لهذه الموارد المحدودة فى بيئتهم . وقد كان فقدان الغطاء النباتى عاملا مساعدا على ازدياد قسوة الظروف

---

(١) UNESCO, «The Sahel», op. Cit., P. 9.

(٢) طريح ، عبد العزيز ، « الجغرافيا المناخية والنباتية » مرجع سابق ، ص ١٣ — ١٤ .

(٣) محمد السيد غلاب ، يسرى الجوهرى ، « الجغرافيا التاريخية » ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٧ — ٩٨ .

(٤) « مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى » مرجع سابق ص ١٥ .

المناخية ، ويزداد هذا الأثر وضوحا ـ كلما تفاقم الجفاف ـ اما بفعل حيوانات المرعى التى تجر هـذا النبات ، أولا بأول ، أو باهمـال الأرض الزراعية ، ويزيد هذا وذاك من ارتفاع درجة حرارة لتربة وبالتالى يزداد عكسها للأشعة من على سطحها وتقل قدرتها بالتالى على الاحتفاظ بالماء ، أما اذا سقطت الأمطار بعد ذلك فانها تنساح سريعا وتجرف كافة المفتتات الهامة من التربة مما يعيق فيما بعد محاولات استعادة خصوبتها (١) .

يتبين لنا مما سبق أن « التساقط » يعد عنصرا مناخيا حرجابالنسبة للساحل ككل فعليه ـ من حيث الكم والانتظام وموعد السقوط بل وأين يسقط ، وهل يخضع لنظام العواصف العامة أم المحلية ، والى أى مدى يتأثر بعد سقوطه بنظام التصريف ، والجريان السطحى ، وهل يتجمع فى مجرى رئيسى من خلال روافد معينة ، أم ينتشر فوق الأرض المنبسطة ، ثم الى أى مدى يتسرب خلال التربة السطحية والى أى عمق ... الخ على كل ما سبق تتوقف كافة العناصر الاخرى للبيئة فى الساحل .

ويمكن فهم كل ما سبق من خلال مدى فاعلية التساقط Precipitation Effectiveness وذلك مـن خـلال عـدة عمليات مختلفة ، نلاحظ منها تناقص معدل الرطوبة من الجنوب الى الشـمال ، والتى حـددها ثورنثويت تبعا للمدة أى بقاء التربة رطبة مدة معينة والتى تتناقض بدورها من الجنوب الى الشمال ، ومنها يمكن التعرف على الذبذبة المناخية فى المنطقة .

وقد أوضحت أيضا تلك الدراسات التى أجراها سميث سنة ١٩٥٠ على النبات الطبيعى فى وسط السودان مدى أهمية الجريان السطحى ـ من حيث الدرجة على نمو نباتات معينة ، وأن هذه الاهمية تعادل الى حد كبير الاثر الذى يتركه استخدام الارض فى الساحل بظروفه الطبيعية البحتة ، وبعد أن استخدمت اظمة الرى الحديثة بكثافة عالية ، ويوضع كل هذه الاعتبـارات فى الذهن يمكن التعرف على « الاطار العـام » لظاهرة التصحر ، ولكن ليست «القاعدة الأساسية لها » (٢) .

---

(١) « مجلة رسالة اليونسكو » العدد ١٩٤ ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) Ibid., P. 12.

أما عن أسباب الجفاف فى الفترة بين ٦٨ ــ ١٩٧٣ ، والتى نستطيع أن ندلل عليها من خلال أرصاد التساقط فى محطة أغادس لمدة خمسين سنة (٢٣ ــ ١٩٧٣) والتى بلغت متوسطا يصل الى ١٦٠ مم ، والذى نجده خلال السنوات الخمس الأخيرة منها كالتالى :

١٩٦٩	٨٠ر٧ م
١٩٧٠	٣٩ر٧ م
١٩٧١	٩٢ر٦ م
١٩٧٢	٧٣ر٩ م
١٩٧٣	٧٦ر٣ م

مما يؤكد حقيقتين هامتين هما :

(أ) الذبذبة الواضحة فى هذه السنوات الخمس ٠

(ب) الاتجاه بعامة نحو التناقص عن المتوسط العام (١٦٠مم) اذن تكون النتيجة هى حدوث الجفاف ، مما ألجأ الكثير من العلماء والهيئات المتخصصة لدراسة ما هية الجفاف الحالى وهل هو خاضع لمجرد نمط من تغير المناخ لمرحلة دورية جديدة ، أم هو مؤشر لبداية انحدار طويل الأمد لكم التساقط فى الساحل (٢) ؟

ولتفسير هذه الظروف قامت وجهات نظر عدة للتعليل والتفسير من أبرزها وجهة نظر برايسون Bryson (١٩٧٣) ، بأن هناك انتفاع للمنحى الحرارى من خط الاستواء الى القطب وذلك فى الاتجاه الرأسى Vertical temperature gradient مما قد يسبب تغيرا فى الدورة المناخية العامة والذى قد يفسر حدوث الجفاف الحالى فى الساحل وغيره من العالم ، كما علل ارتفاع الحرارة الى زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الغــلاف الجوى (١) ، وبعامة فلم يعط Bryson تفسيرا « لفجائية » حدوث الظاهرة خلال السنوات القليلة الماضـــية ، بينما أشـــار Landsberg وآخـــرون (١٩٧٣) (٣) أن جفافا مشابها قد حدث من قبل فى الفترة بين ١٩١٣ ، ١٩٤٠ وأن ذلك كله يعود لدوره ذبذبة مناخية تنتاب الساحل من آن الى آخــر ٠

(١) Flohn, H., in : Applied S. & Develop. " op. Cit., P. 44.

(٢) Landsberg, H., «An analysis of the annual rainfall at Dakar» 1887-1972, U.S.A., 1973, PP. 3-14.

(٣) Oliver, «Climatology». op. Cit., P 176

ITF (Intertropical front).

ITC (Intertropical convergence).

ITD (Intertropical Discontinuity).

وقد قام كل من تريوارثا Trewartha (١٩٦١) ووالتر Walter بتوضيح نمط التساقط ، ومن خلاله يمكن تبين الأثر الحاسم لجبهة الهواء المدارى الدفىء والرطب ، ومدى تحركها شمالا أو جنوبا على كم وموعد التساقط فى الساحل وتتخذ هذه الجبهة تسميات عدة منها (ITF) ، (ITC) ، (ITD) وستكون التسميــة الأخيرة هى ما سنستخدمه فى بحثنا هذا وبالرجوع الى الشكل (١) تتبين أنه فى الحالة (أ) تخضع منطقة الساحل لسيطرة هواء (ITD) حيث تكون الشمس فى أقصى حالات أشعاعها للطاقة بالنسبة للنصف الشــمالى من الكــرة الأرضية وذلك فى النصف الشمالى ، وبالتالى تتحرك أنظمة الضغط الى أقصى مواقعها شمالية ، ويحدث العكس شتاءا كما فى الحالة (ب) حيث تخضع المنطقة للهواء الصحراوى الشديد الجفاف (٣) ، أما أسباب تحرك الهواء الرطب من خط الاستواء ليندفع فوق « الساحل » فهى مازالت غير معروفة بالتأكيد ، ولكن أصبح شيئا مسلما به ان الحرارة الشديدة الارتفاع فوق المناطق الصحراوية شمال الساحل والناتجة عن التسخين الشديد بفعل الاشعاع الشمسى مع نهاية فصل الربيع هى المتسببة فى وجود نطاق من الضغط المنخفض (ذوا المنشأ الحرارى) وهو الذى قد يكون سببا لجذب الهواء المدارى الرطب حيث تكون الصحارى الافريقية أشبه شىء بالمدخنة الحرارية .

وقد يبدو أن هذه الافتراضات ــ والتى تتفق وقوانين الطبيعة ، فانها لا تتفق مع ما يلاحظ ويقاس فبين سنتى ٥٤ ــ ١٩٦٤ وخلال أحد عشرة سنة لم يحدث أن تلقى الساحل أمطارا أقل من المعدل العام والطبيعى ولكن ظهر أن المعدلات الحــرارية لشــهور مارس وابريل ومايو ــ وعلى غير المتوقع ــ كانت تتجه نحو الانخفاض ، وفى المقابل فقد لوحظ أنه منذ ١٩٦٥ وعندما بدأت الامطار فى التناقص فان هذه النهايات العظمىللحرارة سواء فى بلما Bilma أو لارجو Larjeau ••• الخ قد ارتفعت ، وبدأت مدخنة الصحراء تنفث حرارتها ، وقد ظن علماء المناخ ساعتها أن هذا يرجع الى انتقال حركة الموسميات تبعا لتغير موقع أضداد الاعاصير فوق سانت هيلانة والتى تقوم بدفع الهواء المدارى الرطب أثناء هبوبها ، والتى تشكل موقعا متوازنا مع أضداد أعاصير الازور وذلك حول النطاق الاستوائى

---

(١) UNESCO., «The Sahel». op. Cit., P. 13.

كله ، ومما سبق يجدر بنا أن نستند الى برهان واحد لتعليل أسباب الجفاف بين ٦٨ ، ١٩٧٣ فيبدو أن الذبذبة الحالية فى مناخ الساحل — رغم كونها ذات أجل محدود — (بدأت الامطار تهطل من صيف ١٩٧٤ — ١٩٨٣) فانه من الحكمة أيضا أن تدخل فى الحسبان أنها قد تكون طويلة الأجل [1] .

وكجغرافيين علينا أن نحاول القاء الضوء على أسباب وابعاد الجفاف كلها ، وان تلتقف النتائج المبنية على وجهات نظر كافة المتخصصين والعلماء حتى نستطيع استخلاص الحقائق ، وأن نقدم صياغة شبه متكاملة لكل ما من شأنه أن يعالج آثار هذه الظاهرة أو يمنع حدوثها مستقبلا ، وأن تتيح لانسان الساحل فرصا أفضل للانتفاع بموارد بيئته المتاحة وفى حدود الاستخدام المتعقل لهذه الموارد .

وباستطلاع كل ما سبق فاننا نجد أنه لا يفسر كافة ما طرحناه من تساؤلات حول أسباب الجفاف الحالى ، أومدى ارتباطه بنظم المطر فى غرب أفريقية بعامة ، الا أنه قد يعطى صورة واضحة الى حد ما لتفسير تعرض الساحل لحالات الذبذبة فى كم وموعد التساقط ، فان آثار تحرك جبهة ITD تبدو من قوة التأثير بمكان اذا ما عرفنا بأن تحركها لدرجة عرضية واحدة أقل أو أكثر من حركتها فى السنوات العادية ، تعرض منطقة الساحل الى حالة من الذبذبة المناخية يكون أثرها كبيرا على كم التساقط وموعده كما ذكرنا .

وقياسا على ذلك يفسر علماء المناخ أن جفاف الساحل فى السنوات ٦٨ — ١٩٧٣ انما تعود الى مثل هذا التحرك الذى أشرنا اليه ، وذلك بصورة تبدو أكثر مما كانت عليه من قبل لدرجة تجعلنا نقول معهم بأن الصحراء الكبرى قد تحركت بدورها الى مناطق أكثر جنوبية مما مضى وكأنها تتتبع جبهة (ITD) الى الجنوب أيضا .

وقد أثار تحرك هذه الجبهة — ومازال يثير — حيرة الكثيرين من علماء الميتورولجيا والمناخ ، لمحاولة وضع تفسير لها يستندون من خلاله الى تعليل دقيق للجفاف ، وقد انقسم العلماء نتيجة لهذه الحيرة الى قسمين

(1) Ibid., P. 13.

كل منهما يحاول التفسير والتعليل : ــ فالبعض يقول ، بأنها ظاهرة عادية الحدوث فقد حدثت فى مناخات الماضى ، وستحدث مستقبلا ، وأن اختلفت المدة بين كل تغير مناخى وآخر (الدورات المناخية) ــ ويقول القسم الآخر ، بأن المنطقة تتعرض للجفاف بسرعة ، وان الجفاف الحالى ما هو الا « فصل » فى مأساة تصحر الساحل بعامة ، ويستند الجانب الاول الى « سند تاريخى » من خلال تتبع حالات الذبذبة المناخية لسبع محطات فى الساحل هى : « كانو ــ سكوتو ــ ميدوجرى ــ زندر ــ سيجو ــ ما رادى ــ نجامينا » ، وأيضا على دراسة منسوب مياه بحيرة تشاد ــ ، والذى أعتبره البعض منهم أنه يفسر مناخ المنطقة ككل حيث اتضح أنه منذ سنة ١٩٠٠ مثلا وحتى سنة ١٩٧١ حدثت ثلاث فترات دوات أمطار أعلا من المعدل العام للساحل تقابلها ثلاث أدنى (١) ، مما يجعلنا نقول بأن تبادل سنوات الرخاء والجدب أمر يدخل فى النسيج المناخى للساحل كله ، ولعله « حلم فرعون » » يتكرر « سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات (٢) وكأن الساحل فى حاجة ماسة ليعى تفسير يوسف عليه السلام . وعموما فهذه السنوات برخائها وجدبها سمة قائمة ومميزة لمناخ الساحل ، تسهم فى صنع التصحر وتكثيفه ما لم توضع الضوابط والخطط التى تكفلمواجهة هذه الثنائية التقليدية فى المناطق شبه الجافة بعامة ، والساحل منها بخاصة (٣) .

لكن تبقى المحاولة التى بدأناها لتفسير تحرك جبهة (ITD) . فى هذا يقول برايسون Bryson أن أى خلل يصيب ــ ولو جزء بسيط من الغلاف الغازى تنتقل آثاره الى بقية الأجزاء ، ويضيف برايسون أيضا أن هذا الخلل فى الغلاف الغازى يعد سببا كامنا وراء تحرك جبهة الهواء المدارى الرطب (ITD) والذى يعد بدوره نتيجة لتغير فى الدورة الهوائية العامة ؛ فحيث يهيمن نظام هادلى Hadly على الأراضى الواقعة بين درجتى العرض ٣٠ شمالا وجنوبا ، يهيمن نظام روسبى Rosby على الأراضى الواقعة الى الشمال والجنوب من ٣٠ شمالا وجنوبا ،وتتحرك الرياح بانتظام يكاد يكون دقيقا من خلال هذين النظامين مكونة الدورة الهوائية العامة بكافة

(١) Oliver, «Climatology», op. Cit., P. 176.

(٢) جزء من الآيةالكريمة (٤٦) من سورة يوسف .

(٣) « مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى » مرجع سابق . ص ١٥ .

اتجاهاتها ، يحدث أن يتأثر النظامان لحدوث « خلل ما » فى تركيب الغلاف الغازى ، ويظهر هذا الأثر واضحا فى نظام روسبى بخاصة حيث يسوده طوفان من الهواء الغربى المصدر المليء بالمتغيرات (درجة الحرارة — التوازن الغازى — الرطوبة النسبية للهواء .. الخ ..) هذا الطوفان اصطلح على تسميته « بموجات روسبى » Rosby waves وهى تؤثر بعمق فى ما يسود سطح الأرض من مناخات .

ولتطبيق ما سبق على الساحل نقول بأن نصف الكرة الشمالى حيث المساحة الأكبر لليابس ، وحيث النشاط البشرى المكثف ، وحيث الساحل — تكون أقصى الحدود الجنوبية لنظام روسبى ذات « خلايا » من الضغط المرتفع نتيجة لتضاغط الهواء الهابط من نظام هادلى ، ونتيجة لاختلاف درجة الحرارة بين أهوية النظامين يحدث أن يتأثر موقع الالتقاء بينهما كما يلى :

فى الصيف يكون التدرج الحرارى من خط الاستواء الى القطب أكثر تجانسا وانتظاما ، بمعنى أن الحرارة لاتتناقص بحدة كلما اتجهنا للقطب كما هى الحال شتاءا ، وعندئذ « يهاجر الهواء فى نظام روسبى تجاه القطب ، ويسيطر الهواء المدارى على مساحة كبيرة من نصف الكرة الشمالى ، وبالتالى تهاجر خلايا الضغط المرتفع — والتى تتكون فى منطقة الالتقاء بين أهوية النظامين — الى الشمال أيضا ، ويحدث العكس فى فصل لشتاء ، ويتأثر بالتالى موقع جبهة ITD (١) وهى جبهة هوائية حساسة لأدنى تغير فى أنظمة الضغط الجوى ، وعلى ضوء تحركها يمكن فهم — ليس فقط مناخ الساحل — بل مناخ كل اقليم غرب أفريقية ، وهذا التحرك يبلغ أقصى مداه شمالية فى يوليو أو أغسطس ، وأقصى مداه جنوبية فى يناير وهى رغم كل ما أعطيت من تسميات فهى تعنى جبهة الالتقاء بين الكتلتين المداريتين القارية (CT) والبحرية (MT) والاولى ذات منشأ شمالى والثانية ذات منشأ جنوبى (٢) ، وهى تحمل كافة أنظمة التساقط فى غرب أفريقيا بعامة ، ولا يعد مبالغة اذا قلنا أن أن أى تغير فى موقع خلايا الضغط المرتفع التى أشرنا اليها — ينعكس أثرا مضاعفا — على امتداد وتأثير جبهة (ITD) ولكى ندرك ذلك فان تغيرا مداه ثلث درجة عرضية (حوالى

(١) Oliver, «Slimatology», op. Cit., P. 178.

(٢) Ojo, O., «The Climates of West Africa», Lond., 1977. P. 63.

٣٥ كم) فى موقع الضغط المرتفع فوق الاطلس ينعكس أثره على موقع جبهة(ITD)على مدى درجة عرضية كاملة وهى مساحة كبيرة على امتداد الساحل •

وقد أضاف سماجورنسكى Smagorinsky سبا آخر لتفسير تحرك جبهة (ITD)) يرتبط بالحرارة الرأسية علىمدى المسافة بين خط الاستواء والقطب قائلا بأن التغير الذى يحدث فى موقع الضغط المرتفع فوق الاطلس وما يخلفه من أثر على تحرك جبهة (ITD) يمكن أن يحدث شىء مثله بتغير فى درجة الحرارة الرأسية مقداره ٦٠ر٠ درجة مئوية لكل ١٠٠٠ متر ولأى سبب (١) • (معروف أن سمك الغلاف الجوى يصل الى مابين ٣٠٠ ــ ٥٠٠ كم ، وأن ٥٠٪ من وزن الغازات الموجودة به يوجد فى حدود ٦كم الملامسة لسطح الارض ، ٢٥٪ منها فى ٥ر٦ كم التالية ، والغلاف الجوى ينقسم الى أربع طبقات رئيسية يهمنا منها طبقة التروبوسفير Troposphere وارتفاعها يصل الى ١٨ كم فى المناطق المدارية وتتناقص بالاتجاه نحو القطبين فتصل الى ٨ كم ، ويقدر وزنها بحوالى أربع أخماس وزن الغلاف الجوى كله ، ويطلق اسم التروبوبوز Tropopause على القسم الأعلى منها ، ويتميز بأن درجة حرارته تصل الى ــ ٥٥ درجة مئوية) (٢) •

ويؤكد برايسون Bryson رأى سماجورنسكى حيث أضاف عاملا مفسرا للتغيير فى درجة الحرارة الرأسية (Vertical temperature) وهو زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون (Carbon Dioxide) فى طبقات الغلاف الجوى نتيجة الغاز فى طبقات الجو العليا قد عمل على خفض درجة حرارة الهواء فى هذه الطبقات فوق العروض الوسطى بينما أسهم فى رفع درجة حرارة الهواء الملامس لسطح الارض فى نفس العروض(٣) ، وقد أوضح Flohn هذا الامر أيضا وأكده كأثر مباشر لحدوث الذبذبة المناخية، وسنعرض لذلك بالتفصيل عندما تعرض للنشاط البشرى وأثره فى احداث ظاهرة التصحر ، ويؤثر هذا التغير فى درجة الحرارة على الدورةالهوائية

---

(١) Oliver, Climatology" op. Cit. P., 179-180.

(٢) طريح ، « الجغرافيا المناخية والنباتية » مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٣) Garcia, V.R. (Ed.) «Drought & Man» Vol. 1 ; Lond. 1981, PP. 265-95.

العامة ، وبخاصة فى هذه العروض وبالتالى فى غيرها بدرجات متفاوتة ، مما ينعكس أثره على اختلاف مواقع نطاقات الضغط ، يضاف الى هذا ذلك التلوث الذى يتركه هذا الغاز وغيره من ملوثات الهواء (١) على تغير درجة الحرارة السطحية من خلال انتشار الجزئيات الدقيقة والعالقة بالهواء والتى تقلل من كثافة الاشعاع الشمسى القادم الى الأرض .

وقد أثبتت البحوث تزايد هذه الجزئيات فى العروض العليا وبالتالى انخفاض حرارة هذه العروض وقد بدأ ذلك واضحا منذ ١٩٤٥ وقد وصل معدل التغيير فى درجة الحرارة الى ٥٪ خلال القرن الأخير ، ويقول برايسون بأن ذلك يعد « تعكيرا » للغلاف الجوى من المتوقع أن تزيد نسبته خلال العقود القليلة القادمة .

سواء أكانت هذه الأسباب أو غيرها وراء جفاف الساحل بين ٦٨ ، ٧٣ فان أفكار كل من سماجورنسكى وبرايسون تدعو للتأمل حول تفسير ظاهرة تصحر الساحل ، والتى يجزم عالم المناخ الكندى كينيث هير (*) بأن المناخ وحده هو الذى يقف وراء تصحر الساحل بخاصة .

« مظاهر التصحر »

أشرت فى المقدمة الى ظاهرة التصحر كما عرفها بعض العلماء ، وسأحاول فى هذا الفصل أن أعرض للمظاهر العامة لهذه الظاهرة ، والتى نستطيع أن نجملها فيما يلى :

١ ــ يحدث نتيجة لتدمير الغطاء النباتى بفعل الرعى الجائر أن تتفتت الطبقة الرقيقة السطحية من التربة ، واذا صحب هذا حدوث الجفاف الناجم عن انحباس الامطار كانت لنتيجة المباشرة هى نشاط عمل التعرية الهوائية ، وبالتالى نقل هذه المكونات الأساسية الى أماكن أبعد ، وتتفاقم حدة هذه

---

(١) مجلة رسالة اليونسكو ، العدد ١٤٠ ، فبراير ١٩٧٣ ص ٢٧ .

(*) « عالم مناخ كندى ومدير معهد أبحاث البيئة بجامعة تورنتو ، ومدير موارد المستقبل بواشنطن ومؤلف تقرير المناخ والتحول الصحراوى الذى أعد لمؤتمر الامم المتحدة المعنى بالتصحر سنة ١٩٧٩ » .

العملية اذا كانت التربة هى مصدر الغذاء الرئيسى للنبات حيث تتشرب وتحتفظ بالماء ، ويؤدى تدهورها الى ما يسمى بالجفاف الفريولوجى Physiological drought ومعناه فقدان التربة لأهميتها الزراعية وتحولها الى أراض متصحرة (١) •

وتعد التعرية الهوائية والمائية من أبرز الملامح فى الساحل ، فطبقة الطمى التى تكون قد ترسبت على ضفاف وفى دالات الأودية ابان الفترات الممطرة يحولها الجفاف الشديد الى مادة قابلة لأن تذورها الرياح ، وتبدأ هذه العملية بتحرك جزئيات التربة الخشنة فى جزء من الحقل بسبب سؤ استخدام من قبل المزارعين ، ثم يزداد هذا التحرك بفعل الريح ، وتتحطم الحبيبات الأدق وتندفع الى أعلى فى الجو حيث تحملها الرياح الى مسافات أبعد على شكل أتربة وغبار ويؤخذ ذلك كمؤشر دال على حدوث التصحر ، اما الذرات الأكبر فانها تنجرف وتصطدم ببعض الحشائش فتتجمع على هيئة كثبان أو آكام صغيرة •

ـ ويزوال المواد الدقيقة الموجودة فى الطبقة السطحية من التربة ،تضيع أهم مكوناتها من الناحية الانتاجية كمصدر غذائى رئيسى للنبات كما ذكرنا من قبل •(٢) ولا يقف الأمر عند حد انتشار الغبار كمظهر أو كمؤشر على حدوث التصحر ، بل أن هذا الغبار نفسه يحمل الكثير من الامراض التى تصيب الانسان والحيوان معا ، وتتلف الآلات وخاصة الدقيقة منها كما تقلل مدى الرؤية •

٢ ـ من المظاهر الأخرى الدالة على حدوث التصحر عـودة نشـاط الكثبان الرملية ، فحيث تقل نسبة رطوبة التربة نتيجة للجفاف الشديد ، لا تمسك الأرض رمالهـا فتتحرك بفعل الرياح مهـاجرة الى الأراضى المنتجة ، وتصبح مقاومة تحرك هذه الكثبان تجاه الأرض الزراعية بخاصة ـ أمرا هاما بل وحيويا وقد لا يقل الأثر اذا كان تحركها فى اتجاه المراعى ، ولقد تعرضت المنطقة لغزو الكثبان الرملية ، ولعل زحفهـا واحاطتهـا بنواكشوط يشير الى هذا المظهر المدمر من مظاهر التصحر •

(١) « مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى » المرجع السابق ، ص ٩ .

وقد تضاعف أثر هذا المظهر بفعل تجريد الكثبان الثابتة من غطائها النباتى نتيجة الاستخدام غير المتعقل لهذا الغطاء الذى يعمل ــ رغم فقره ــ على تثبيت هذه الكثبان ، وكلما زاد هذا الاستخدام الجائر أثناء فترات القحط كلما تعرض نطاق الساحل الى أن تكون أقل صمودا ويصبح التصحر « ذاتى التسارع » ، وعندما تقضى الرمال المتحركة على الكساء الخضرى تزيد المساحات المكشوفة الممتدة ، وتزحف الكثبان الرمليـة لتبتلع المواقع التى مازالت بها بقية حياة ، وتلعب رياح الهرمتان دورا غاية فى السؤ بالنسبة للساحل كله ، وهى رياح تتميز بارتفاع درجة حرارتها وشدة جفافها ، وهى تهب من اليابس صوب البحر ، وتعرف فى ساحل غانة « بالطبيب » فهى رغم ما تحمله من كميات هائلة من الغبار الذى تنتزعه من نطاق الساحل الا أنها تخفف من ارتفاع الرطوبة التى تميز مناخ ساحل غرب أفريقيا (١) .

وحيث أن التسارع الذاتى للتصحر يمكن أن يحدث بفعل عدة عوامل، فكثيرا ما يمضى التصحر فى طريقه بلا هوادة مالم تتخذ تدابير وقائية ، وكلما زاد هذا التسارع كلما كانت سبل اصلاح آثاره أشد صعوبة ، وأكبر تكلفة ، والا فان التربة تتحول تماما الى « أرض ميتة » ينعدم الأمل فى امكانية اعادة اصلاحها .

وقد يظن من يرى نشاط الكثبان الرملية المدمر على تربة الساحل ، ينظـر بعين اللوم الى « الصحراء » المجاورة كمصدر لهذه الرمال ، ولهذا وغيره نقول بأن الصحارى ليست هى السبب فى عمليات التصحر ،فباستثناء الرياح الحارة الجافة التى تأتى عبرها ــ لاتساهم فى عملية التصـحر ذاتهـا ، فظاهرة التصحر « محلية » بشـدة أو هى « بنت النطـاق » نتيجة الجفاف وسؤ الاستخدام ، وقد شبهها البعض بأنها كالمرض الجلدى الذى يبدأ على هيئة « بقعة واحدة » سرعان ما تتمدد وتنتشر حتى تغطى اللاندسكيب كله .

كما أنه يعد من الخطأ أن ننظر الى ظاهرة التصحر على أنها زحف الصحراء على الأرض ، فالواقع أن زحف الكثبان الرملية يشكل حـالة موضوعية ، ولذلك يمكن القول بأن التصحر هو عملية تدمير للقـدرة

(١) والتون ، ك. ، « الاراضى الجـافة » ص ٦٣ ، ترجمـة د. على شاهين ، الاسكندرية .

الانتاجية للأرض سواء كانت مراعى أو مزارع قد تكون بعيدة جدا عن الصحارى الحقيقية ، ولذلك فهى ــ أى ظاهرة التصحر ــ أشد ضررا من زحف الرمال ذاته •

٣ ــ أما ثالث مظاهر التصحر فهو تدهور الغطاء النباتى كما ونوعا (١) ومن أهم مظاهر هذا التدهور اختفاء الاشجار والشجيرات من مناطق السفانا والاستبس بالدرجة الأولى ثم يلى ذلك اختفاء الأعشاب وعدم نموها بعد ذلك حتى لو سقطت الأمطار (٢) وان عاد المظهر النباتى من جديد فانه يعود فى صورة أفقر ، ونوعية أردأ غير مستساغة من جانب الحيوان ، وبالتالى تفقد المراعى قيمتها رغم ما قد يبدو من عودة حالة الانبات فيها ، وأحيانا ازدهار هذه النوعية الرديئة ، فقد حلت نباتات مثل العدار وحراب الهوسا غير المحببة للحيوان محل نبات الحسكنيت المفضل والمفيد لكافة حيوانات المرعى •

٤ ــ كما تبدو مظاهر التصحر جليلة فى الأراضى المروية حيث تزداد درجة ملوحتها وقلويتها ، مما يقلل من خصوبتها الانتاجية ، وترجع زيادة الملوحة والقلوية فى التربة نتيجة سوء استخدام مياه الرى الى الحد الذى جعل هذه المشكلة من أخطر ما يواجه المهتمين بمعالجة مشكلات التصحر فى نطاق الساحل بعامة •

وعادة ما يحدث تملح التربة وتشبعها بالمياه فى وقت واحد ، فعندما تغمر التربة بالمياه ، فان حركة المياه الجوفية المالحة من أسفل الى أعلى ترسب الأملاح على السطح حيث تتبخر المياه ، كذلك يمكن أن يحدث التملح فى التربة غير المشبعة بالماء وذلك عندما تتحرك المياه التى تحوى الأملاح القابلة للذوبان من قنوات الرى الى ما يعلوها من أراض ، كما يمكن أن يؤدى عدم كفاية الرى للأراضى الضعيفة النفاذية الى التملح وبخاصة عندما يكون ماء الرى مالحا (٣) وهذه هى السمة الغالبة للأراضى الزراعية فى الساحل •

---

(١) « مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى » المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) فؤاد ابراهيم : « مشكلة التصحر فى السودان » فى مجلة الجمعية الجغرافية السورية ، دمشق ، مايو ١٩٨٣ ، ص ٥٥ .

(٣) « تقرير مؤتمر الامم المتحدة المعنى بالتصحر » ، المرجع السابق ، ص ٨ .

٥ — ما سبق هو بعض مظاهر التصحر بالنسبة للاندسكيب الطبيعى فى نطاق الساحل من حيث تدمير الغطاء النباتى وزحف الكثبان الرملية مما يعيد تشكيل المظهر الطبوغرافى بالنسبة لهذين المظهرين بخاصة ، ثم أضفنا أنها تصيب الأراضى الزراعية بدرجة من زيادة نسبة الأملاح والمواد القلوية فيها ، وتتيجة لذلك وغيره تتحور الأشكال النباتية التى تنمو بعد ذلك الى شكل نباتى آخر يختلف كما وكيفا عما كانت عليه الحال قبل حدوث الظاهرة وقد أوضحنا ذلك عند الكلام عن مظاهر التصحر بعامة •

أما بالنسبة للمظاهر البشرية للظاهرة ، وبخاصة فى منطقة الساحل فقد كانت — وما زالت — كارثة بشرية بكافة المقاييس ، فمن المعروف أن للبيئة التى يعيش فيها الانسان مظاهر بيولوجية معينة كالحالة الصحية ويمكن ملاحظة ذلك ظاهريا بمجرد الرؤية العادية ، أيضا — تبدو هذه المظاهر واضحة فى معدلات المواليد والوفيات ، وبخاصة الوفيات من حيث كونها وفيات عامة أو نتيجة أمراض معينة ، يضاف الى ذلك ما يمكن أن نلمسه من مظاهر اقتصادية تتشكل من خلال الحرف وأنماط العيش التى يحياها انسان هذه البيئة ، وما يصاحب ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية بل وسياسية (١) •

وأبرز نتائج هذه الظاهرة على السكان فى نطاق الساحل كانت ذلك « الجوع » الناجم عن سوء التغذية ، وتمتد آثار هذا الجوع الى أبعد من « الكيان الذاتى » للانسان فى هذا النطاق الى كيان الدولة كلها فتهددها بالانهيار •

وفى هذه المنطقة الهامشية لابد أن يتعايش الزراع والرعاة من خلال مستوى دقيق من التوازن الايكولوجى ، ولابد أيضا أن ينسحب هذا التوازن على حيوان المنطقة ، وقد كان هذا الأمر الحيوى والهام وراء استمرارية الحياة فى المنطقة بصورة عادية طوال العديد من القرون — رغم حدوث الجفاف — ولكن ما أن اختل هذا التوازن بفعل الرى الجائر

---

(١) فاروق شويقة : « نطاق الجوع فى غرب افريقية » ، فى : مجلة الدراسات الخاصة ، معهد البحوث والدراسات العربية العدد الاول ، ١٩٧٦ ، ص (٣٩٤ — ٣٩٥) •

والكثيف ، والزراعة غير المتعقلة حتى انعكس الاثر المدمر على البشر فى المنطقة كما ذكرنا سلفا .

وتتضاعف نكبة البشر فى الساحل اذا ما اقترنت بفقدان معظم حيواناتهم ، فعلى سبيل المثال فقدت موريتانيا وحدها ٨٠٪ من ماشيتها البالغ عددها ١ر٦ مليون رأس ، ٥٠٪ من ابلها البالغ عددها ٤٢٠ ألف وأن ستا من دول المنطقة فقدت ٦٠٪ من قطعانها وذلك كله فى بداية عام ١٩٧٣ ، ومعنى ذلك أن المنطقة قد فقدت فى الفترة ٦٨ ــ ١٩٧٣ حوالى سبعة ملايين رأس ماشية ، وملايين أخرى من أغنامها وماعزها ، وأن مئات الآلاف من الرعايا قد فقدت مقومات الحياة لديهم .

ومما يخيف الادارات الحاكمة حاليا هو أن الجفاف ــ كأمر طبيعى ، قد يحدث عاجلا أم آجلا ــ وقد كان ــ وبالتالى تكون آثاره مدمرة على الحرث والنسل كما حدث ، الأمر الذى استطاعت دول مثل أسبانيا وايطاليا أن تتغلب عليه بفعل التفوق التكنولوجى ، والدراسة المتأنية الواعية لمشكلات البيئة والذى تفتقر اليه القارة بعامة ومنطقة الساحل بخاصة ، ويمكن على الأقل تطبيق « استراتيجية هيدرولوجية » بعيدة المدى كما حدث فى مناطق مشابهة فى استراليا والولايات المتحدة الأمريكية ، والأهم من هذا وذاك استيعاب السكان لتلك الأساليب الحديثة والمتطورة ، من خلال نظرة « محلية » عميقة لهؤلاء السكان .

ولا يدلل على نتائج هذه الظاهرة سوى ما تمخض عنه المؤتمر العالمى الذى عقدته الأمم المتحدة فى نيروبى عام ١٩٧٧ ، وحيث أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة خطة عمل وقرارات لمكافحة هذه المشكلة والقضاء عليها حتى عام ٢٠٠٠ .

وقد أظهرت التقارير التى صدرت عن الأمم المتحدة أن زهاء ٦٣٠ مليونا من البشر القاطنين فى الأقاليم الجافة بتهددهم التصحر ، كما أظهرت البحوث التى أجريت أن الصحراء تتسع مساحتها فى العالم آلافا من الكيلومترات المربعة سنويا ، أما نطاق الساحل فقد شهد خلال الخمسين سنة الأخيرة (٢٥ ــ ١٩٧٥) تحول نحو ٦٥٠ ألفا من الكيلو مترات

المربعة من الأراضى المنتجة الى صحراء جرداء ، وأن آلافا من البشر ماتوا أو تشردوا ، وملايين من الماشية والأغنام قد هلكت (١) .

وأن بحيرة تشاد قد تقلصت الى ثلث حجمها الطبيعى (فى الظروف العادية) ، ولم يحدث أن فاض نهرا السنغال والنيجر فيما بين ١٩٦٨ — ١٩٧٣ ، مما أدى الى جفاف جزء كبير من أجود الأراضى الزراعية فى الساحل ، وأصيبت الآبار الضحلة بانخفاض مستوى مياهها الى درجة خطيرة ، واختفى العشب الأخضر بفعل الحيوان الجائع ، والمندفع من الشمال الجاف ، وهجر السكان مواطنهم وقراهم ومرابعهم بأعداد كبيرة جدا فيما يشبه الزحف ، الى الشمال حيث هوامش المتوسط والى الجنوب حيث النطاق السودانى من لساحل والذى كان وجهة الجزء الأكبر من هذه الجموع الزاحفة من أجل الماء والكلأ .

---

(١) « مجلة الجمعية الجغرافية السورية » المرجع السابق ، ص ٥٣ .

خاتمـــة :

كل ما سبق هو محاولة تفسير لظاهرة التصحر ، تلك الظاهرة القديمة الحدوث الواسعة التأثير ، فهى تحدث منذ قرون عدة كحالة جفاف ناجم عن ذبذبة مناخية ، عللها البعض بتحركات جبهة ITD شمالا أو جنوبا . وعللها البعض الآخر بزيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجـوى . أو ارتفاع معدلات الألبيدو فى المناطق الجافة والشبه الجافة ، وما يرتبط بذلك من ثبات حالة الجو فى الطبقات العليا من الغلاف الغازى ، وبالتالى عدم حدوث الاضطرابات التى تحدث التساقط فى بيئة تزيد فيها معدلات (التبخر الكلى) عن معدلات الأمطار .

لكن ما ثبت بالفعل من خلال استقراء حالات الجفاف فى المنـاطق الجافة وشبه الجافة ، والتى ينسب اليها حدوث حالات التصحر ــ أنها حالات ترتبط بذبذبات منـاخية معروفة فى هـذه المنـاطق الهامشـية أو الحدية ، أما التصحر فهو ظاهرة بشرية الى حد كبير ، ولا يعد الجفاف مسئولا عنها الا كملمح طبيعى هو بالضرورة سمة مميزة لهذه المناطق ، حدث فى الماضى ويحـدث حاليـا وسيحدث فى المستقبل حسب دورات مناخيه ــ لم يعد هناك أدنى شك فى تتابع حدوثها .

لكن ما حدث فى الفترة بين ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ كان مؤشرا قويا لتوجيه الأبصار والعقـول الى أنمـاط استخدام الأرض كسبب وراء التصحر ، بمعنى الضغط ــ بقصد أو بدون قصد ــ على نظام بيئى محدود العطاء ، يستنزف غطاءه النباتى عن طريق الرعى الجائر ، ويدمر التربة عن طريق الزراعة الجائرة وقطع الأشجار ، تزيد فيـه القطعان ، ولا تتبع الدورة الزراعية المتوارثة منذ القدم ، كما أنه يتكاثر فيه البشر الى حد التكالب هم وقطعـانهم على الآبار وحولهـا ، ويزحفون الى المـدن أو المراكز الحضرية ، وهم بكل هذا يدمرون نظامهم البيئى ويعرضونه للتدهور .

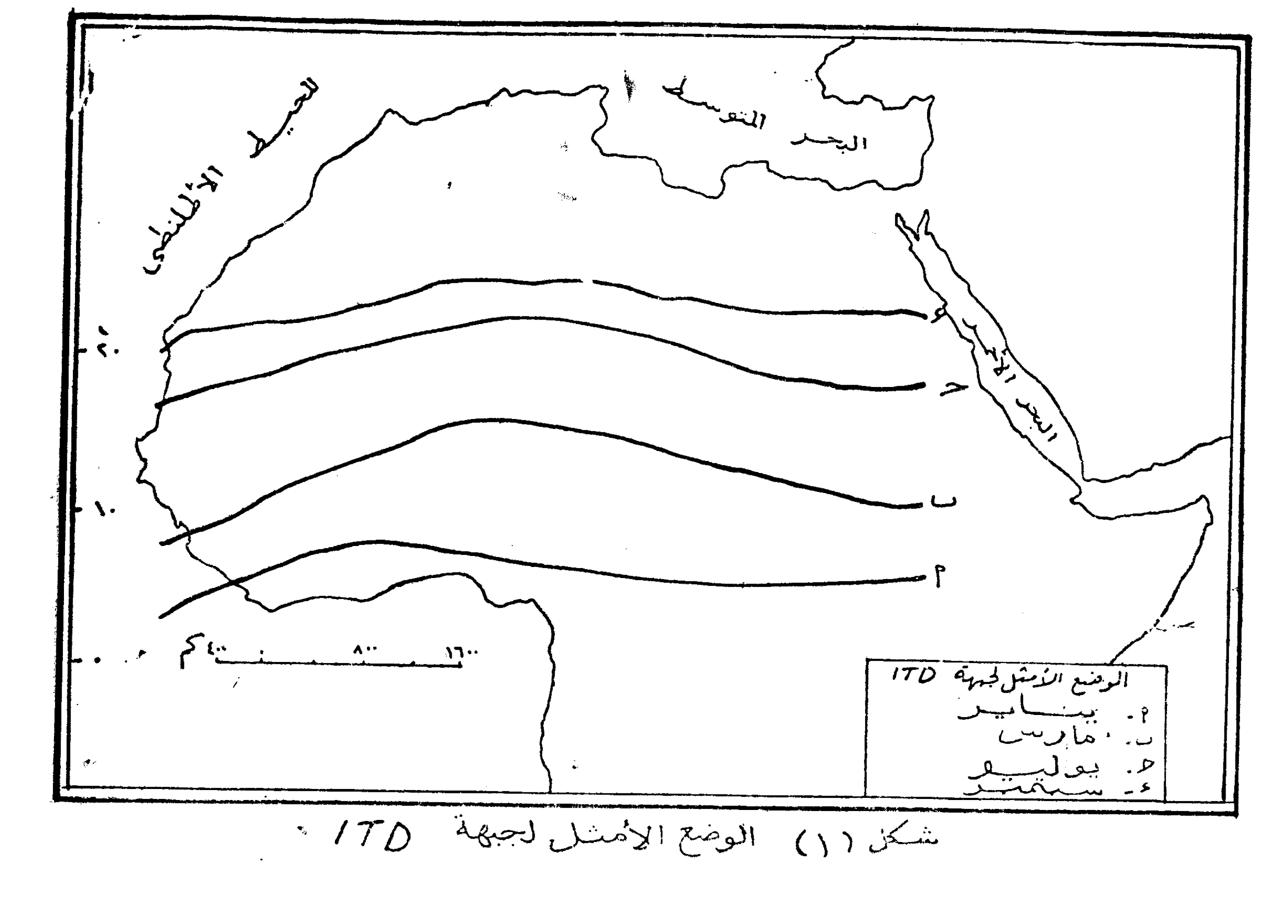
جدول (١) لمقارنة معدل المطر السنوى (— مم) لأربع محطات فى منطقة الساحل

للسنوات من ٥٤ — ١٩٧٣

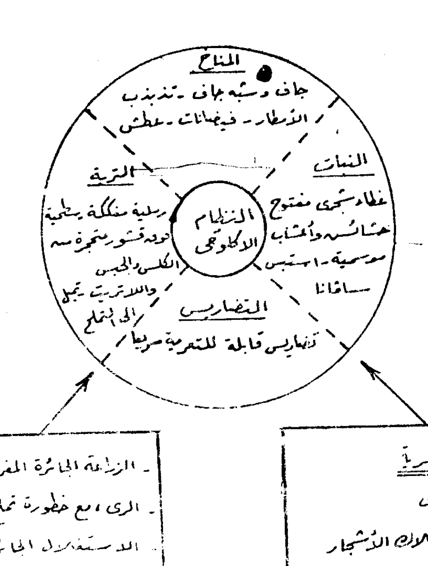
السنة	أفادس (النيجر)		أبيشة (تشاد)		نيامى (النيجر)		سيكاسو (مالى)	
	٥٩	١٦	٥٠	١٤	٧٠	١٣	٢١	١١
	بوصة	مم	بوصة	مم	بوصة	مم	بوصة	مم
١٩٥٤	٩.٢	٢٣٠.٢	٢٢.٠	٥٥٩,٢	١٨.٦	٤٦٥	٥٧,٥	١٤٣٩
١٩٥٥	٦.٣	١٥٨,٠	١٦.٤	٤٠٩.٦	٢٢.٤	٥٦١	٥٦.٣	١٤٠٨
١٩٥٦	٦.٥	١٦٢,٢	١٧.٤	٤٣٦.٢	١٦.٦	٤١٦	٤٧,٤	١١٨٥
١٩٥٧	٤.٧	١١٨,٠	٢١.٢	٥٢٨.٦	٢٤.٣	٦٠٨	٥٢.٤	١١١٠
١٩٥٨	١١,٥	٢٨٨.٣	١٧,٢	٤٢٩,٦	٢٤,٩	٦٢٢	٥٨,٠	١٤٥٠
١٩٥٩	٩,٤	٢٣٤,٣	٢٤.٢	٦٠٥,٤	٢٦.١	٦٥٣	٥٠,٨	١٢٦٩
١٩٦٠	٥.٩	١٤٧	١٦.٠	٤٠١.١	٢٥.١	٦٢٨	٤٩,٢	١٢٣٠
١٩٦١	٨,٦	٢١٦	٢١.٥	٥٣٧.٣	٢٨.٠	٦٩٩	٤٥,٦	١١٤١
١٩٦٢	٦,٠	١٥٠,٩	٢٠.٢	٥٠٤.٨	٢٦.٥	٦٦٢	٤٩.٨	١٢٤٤
١٩٦٣	٧,٠	١٧٥	١٦.٥	٤١١.٨	٢٢.٣	٥٨٨	٤٩.٩	١٢٤٨
المتوسط	٧,٥	١٨٨	١٩,٣	٤٨١,٥	٢٣.٥	٥٨٧,٢	٥١,٧	١٢٩٢,٤

تابع جدول (١)

السنة	أفادس (النيجر) ٥٩ ١٦		أبيشة (تشاد) ٥٠ ١٤		نيامى (النيجر) ٣٠ ١٣		سيكاسو (مالى) ٢١ ١١	
	بوصة	مم	بوصة	مم	بوصة	مم	بوصة	مم
١٩٦٤	٥.١	١٢٨.[illegible]	٢٥.٩	٦٤٦.٩	٢٨.٢	٧٠٥	٤٩.٦	١٢٣٩.٩
١٩٦٥	٦.٠	١٤٩.٧	١٤.١	٣٥٤.٠	٢٦.٥	٦٦٢	٣٩.١	٩٧٩.٣
١٩٦٦	٤.١	١٠٤	١٦.٢	٤٠٦.٠	٢٢.٦	٥٦٦	٤٩.١	١٢٢٩
١٩٦٧	٦.٢	١٥٥.٣	١٣.٦	٣٣٩.٠	٣٢.٥	٨١٣	٥١.١	١٢٧٩.٤
١٩٦٨	٦.٥	١٦٣.٢	١٣.٠	٣٢١.٠	١٨.٠	٤٤٧	٥٩.٠	١٤٧٥.٩
١٩٦٩	٣.٢	٨٠.٧	١١.٦	٢٩٠.٠	٢٦.٠	٦٤٧	٤٩.٢	١٢٣١.٤
١٩٧٠	١.٦	٣٩.٧	١٢.٣	٣٠٧.٢	٢١.٦	٥٤١	٥٣.٠	١٣٢٥.٥
١٩٧١	٣.٧	٩٢.٦	١٥.٨	٣٩٥.٤	٢٢.٨	٥٧٠	٣٥.٥	٨٨٨.٤
١٩٧٢	٣.٠	٧٣.٩	٨.٨	٢١٩.٨	١٦.٥	٤٢١	٤٠.٧	١٠١٦.٨
١٩٧٣	٣.٠	٧٦.٣	٧.٥	١٨٧.٦	١٥.٠	٣٧٠.٧	٣٢.٠	٧٩٤.٦
المتوسط	٤.٢٠	١٠٦.٤	١٣.٩	٣٤٦.٧	٢٢.٩	٥٧٣.٣	٤٥.٨	١١٤٦



شكل (١) الوضع الأمثل لجبهة ITD



تدخلات بشرية

- الافراط الرعوي
- ،، في استهلاك الأشجار
- حرائق السافانا
- تدخلات حديثة جائرة مثل التصنيع وانتشار المدن والمرافق السياحية، والطرق دون صيانة البيئة
- الحروب وخاصة المدمرة للبيئة

- الزراعة الجائرة المفرطة
- الري، مع خطورة تملح التربة
- الاستغلال الجائر، وغير المتعقل للمياه الجوفية

عواقب اقتصادية واجتماعية

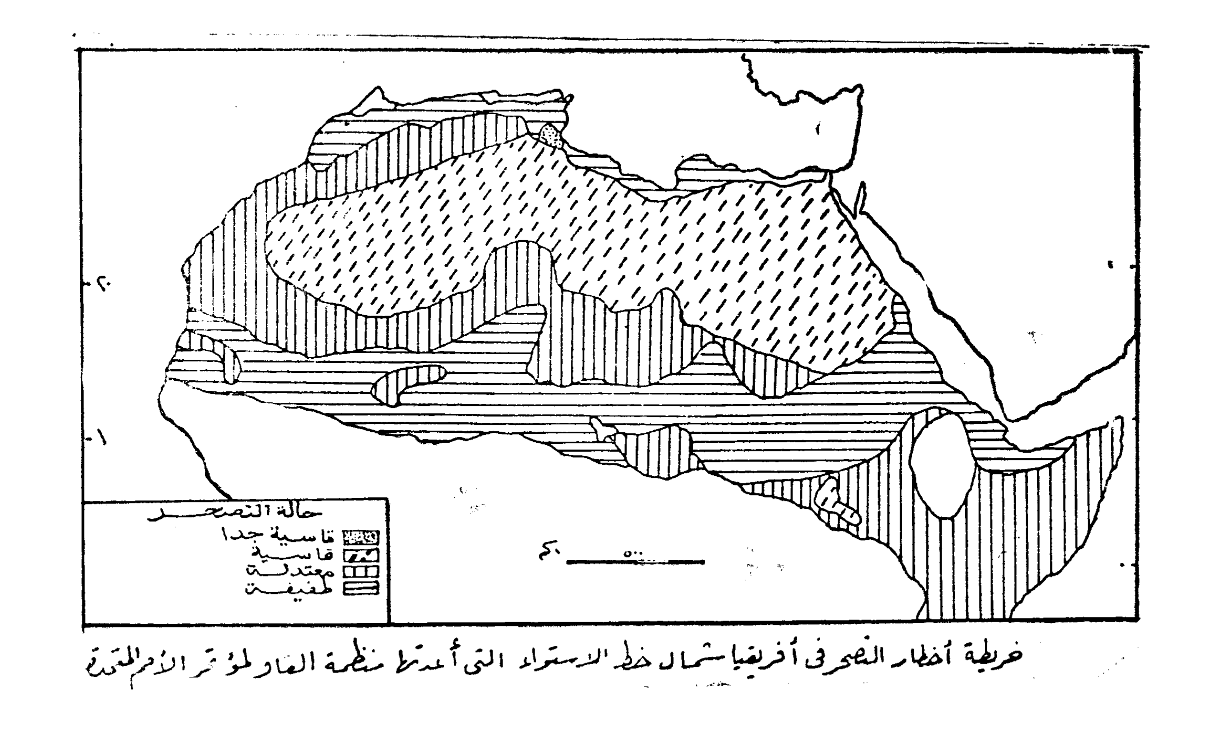
- المجاعات، وكوارث الجفاف
- الفيضانات
- تدهور المستوى الصحي
- الهجرات الى المدن، وازدحام السكان فيها، وبالتالي زيادة مشكلاتها
- الصراعات القبلية
- الاضطرابات السياسية.

عواقب ايكولوجية

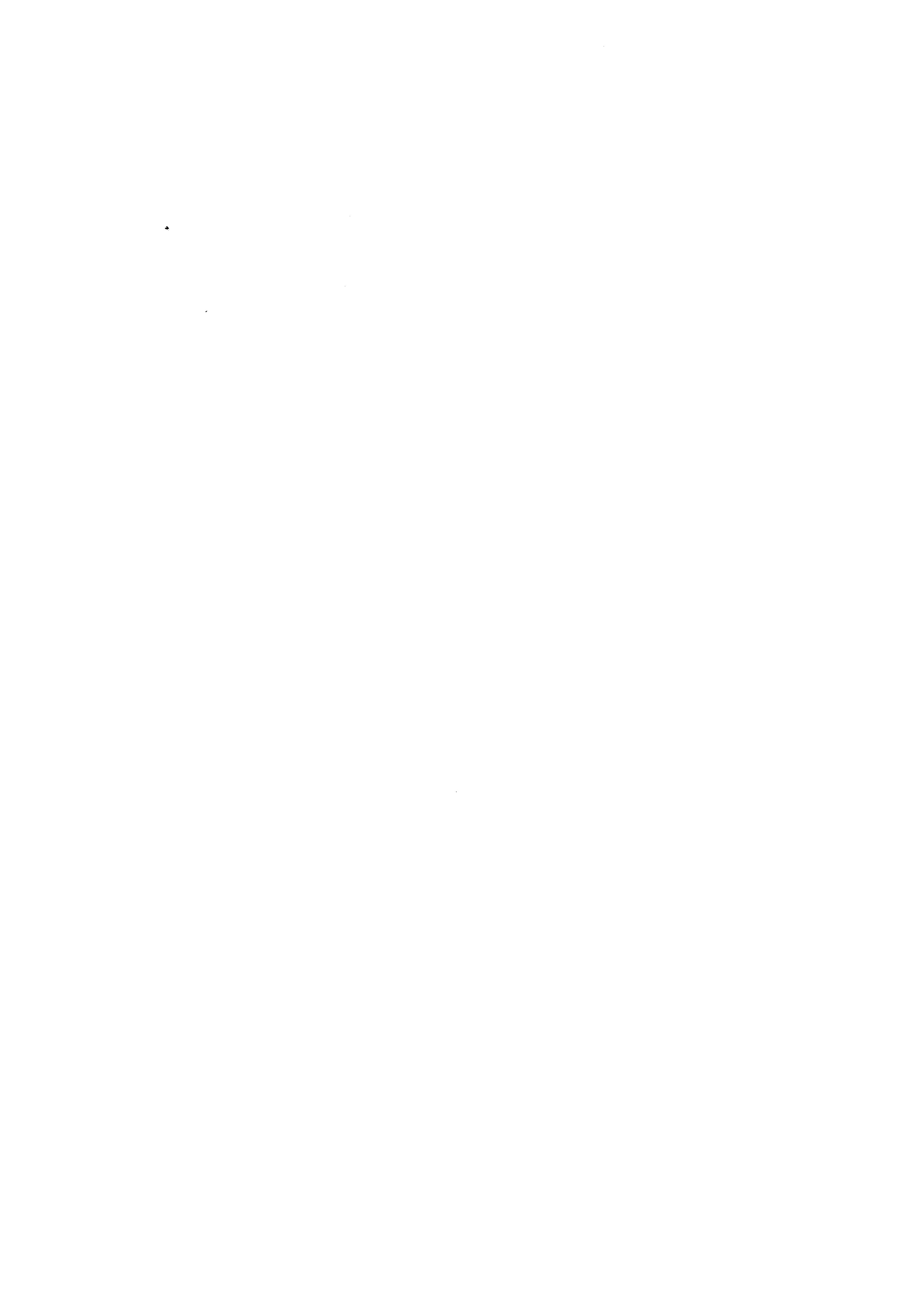
- القضاء على الغابات، والاعشاب
- جرف التربة، وتدهور انتاجها
- تملح التربة
- زحف الكثبان الرملية

نموذج مبسط لما يمكن أن يحدث للنظام الايكولوجي نتيجة للتصحر

المصدر: المجلة الجغرافية السورية، ص ٥٤.



خريطة أخطار التصحر فى أفريقيا شمال خط الاستواء التى أعدتها منظمة الفاو لمؤتمر الأمم المتحدة



مستوى التغـذية عنـد سـكان القـرن الافـريقى ، وبعض العوامل المؤثرة فيـه

الدكتور كايد عثمان أبوصبحة
قسم الجغرافيا / كلية الآداب
الجامعة الأردنية
عمـان / الأردن

مقـدمة : ـ

يبدو أن العالم حتى الآن لم يشهد عصرا أتيح فيه لكل فرد مايكفى لاطعامه ، ففى كل العصور كان على الشعوب أن تكافح وتناضل بكافة الوسائل والطرق لتأمين امداداتها الغذائية ، مما يضمن بقاءها ثم يضمن الاحتفاظ بقدر يكفيها للاطمئنان على غدها » (١) وكما هو الحال دوما فهناك شعوب تشكو الحاجة والفاقة فى حين تعانى شعوب أخرى من التخمة والاشباع نتيجة الافراط فى تناول الغذاء .

وفى الحاضر ، فان الجـوع يهدد مئـات الملايين من البشر ، كمـا أن حوالى ثلثى سكان العالم يتناولون غذاءا ناقصا أو غير متوازن ، وفى افريقيا يموت كل عام عشرات الألوف من الناس جوعا . والجوع حالة قديمة مستترة تشتد وتطفو على السطح عند حدوث مشكلات حادة كالذى حدث فى كثير من مناطق العالم وبشكل خاص فى قارة افريقيا ، وذلك عندما تعرضت مناطق عديدة منها لموجات شديدة متلاحقة من الجفـاف فى بداية السبعينات ، ولا زالت تعانى مناطق كثيرة من الجفاف فى الوقت الحاضر . وكان من أوضح أثار الجفاف تلك المجاعات التى سادت حوالى ثلاثة عشرة مقاطعة من افريقيا خلال عام ١٩٨٤ ، والصيحات التى أطلقها حكام اثيوبيا فى شهر تشرين الأول من العام نفسه لتقديم المسـاعدات الغذائية لانقاذ حياة حوالى ٦ ملايين نسمة مهددين بالموت جوعا ، كما أفادت بعض التقارير الصحفية أن حوالى سبعة عشر ألفا يموتون من الجوع فى أثيوبيا كل أسبوع .

وبشكل عام فان مما يزيد المشكلة تعقيدا أن الجوع فى العالم لا حول

(١) منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة ، **معركة الأمن الغذائى** ، روما ، ١٩٧٩ ، ص ٦

لهم ولا قوة ، كما أن لا وزن لهم فى المحافل السياسية ، وأن أثرهم على الحكومات أو الشركات العالمية معدوم أيضا •

هذا وقد تنبه العالم الحديث الى مشكلة الجوع الذى يهدد أكثر من ٥٠٠ مليون انسان بالموت ، فقد أسست العديد من الهيئات والمؤسسات الدولية لمعالجة مشكلة الأمن الغذائى للسكان وزيادة انتاجية الأراضى الزراعية كما عقد العديد من المؤتمرات الدولية التى خصصت لمعالجة مشكلات التغذية فى العالم ، وتم وضع الكثير من البرامج والسياسات على مستوى عالمى واقليمى فى محاولات لزيادة كميات المواد الغذائية وتحسين وسائل الزراعة وغير ذلك من الأمور الأخرى •

ونظرا لارتباط القرن الافريقى بالجفاف والجوع ، فقد هدفت هذه المقالة الى القاء بعض الضوء على مشكلة الغذاء عند سكان هذا الاقليم ، والى تحليل العلاقة بين الجوع وبعض الأسباب كالجفاف والنظم الزراعية المختلفة والبنية الاقتصادية لأقطار ذلك الاقليم ، اذ يبدو أن معظم ما نشر وما أذيع أو كتب فى الصحف يعزو الجوع وسوء التغذية لدى سكان القرن الافريقى الى عامل الجفاف ، علما أن هناك اتجاها آخر يتزعمه عدد من الباحثين والمفكرين يعزو الجوع فى العالم بشكل عام الى أسباب أخرى غير الجفاف أهمها النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى يسود هذه الأقطار والتفاوت فى السيطرة على موارد البلاد الانتاجية مما يعيق أخرى غير الجفاف أهمها النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى يسود امكاناتها الغذائية (١) • وسوف تحتوى هذه المقالة على العناصر التالية :ـ الوضع الغذائى لسكان القرن الافريقى الجوع والتركيب العمرى ، نبذة عن التركيب الاقتصادى وتشمل الانتاج والاستهلاك والاستيراد والتصدير والثروة الزراعية (مع اشارة خاصة الى الصومال) وكذلك العوامل المؤثرة فى سوء التغذية أو الجوع مع التركيز على الظروف المناخية لهذا الاقليم •

الوضع الغذائى لسكان القرن الافريقى :

ان التغذية المناسبة لا تنحصر فقط فى تناول كميات كافية من الطعام ، وانما يجب أن يكون هذا الطعام متوازنا ، وهذا التوازن فى الطعام

---

(١) فرانسيس مورلابيه ، جوزيف كولنز ، ترجمة احمد حسان ، صناعة الجوع (خرافة الندوة) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٣ .

يفتقر اليه سكان القرن الافريقى كما يفتقر اليه معظم سكان العالم ٠ يحتوى الغذاء المتوازن على مقادير من الكربوهيدرات التى تستخرج من النشويات كالأرز والذرة والقمح والبطاطا ، وعلى كميات من البروتينات المستخرجة من اللحوم والدواجن والأسماك والبيض ومنتجات الألبان بالاضافة الى كميات من الفيتامينات المستخرجة من الفواكة والخضروات تماما كما تستخرج من مصادر أخرى ، وكميات أخرى من الدهن والمعادن، هذا وتعتبر البروتينات عنصرا مهما فى الغذاء ، بل تعتبر عنصرا حديا ، على الرغم من امكانية استخراج بعض البروتينات من بعض النباتات مثل السويا والبقوليات والفستق والقمح (1) ٠

ويمكن قياس مقادير الغذاء التى يستهلكها الانسان على شكل سعرات حرارية ، هذه السعرات التى تعتبر وحدة لتوليد الطاقة فى جسم الانسان ٠ وتتباين حاجة جسم الانسان الى السعرات الحرارية من حيث النوع والشباب والشيخوخة أو حجم الجسم ومن حيث الوظيفة أو العمل الذى يمارسه الانسان ، فعلى سبيل المثال يستهلك الموظفون المكتبيون أقل مما يستهلكه العمال اليدويون ، كما ويحتاج الشباب الى مقادير أكثر مما يحتاج اليه الشيوخ والأطفال ، والرجال يحتاجون الى كميات أكبر مما تحتاجة النساء وكذلك فان ضخام الأجسام يحتاجون الى كميات أكثر مما يحتاج اليه صغار الأجسام ٠

وقد وضعت منظمة الأغذية والزراعة الدولية حد أدنى لحاجة جسم الانسان من السعرات الحرارية يوميا هو ٢٣٦٠ كالورى ٠ وقد قدر معدل استهلاك الفرد من السعرات الحرارية فى أثيوبيا بأقل من ٢٠٠٠ كالورى وفى لصومال بحوالى ٢١٢٩ كالورى وقد صنفت دول القرن الافريقى فى مجموعة الدول ذات الغذاء المنخفض جدا (٢) ٠

ومما يزيد المشكلة حدة هو أن الشعوب التى تحصل على مقادير أقل من المواد الغذائية فانها تنقصها أيضا المواد البروتينية ٠ وقد أثبتت الدراسة أهمية الغذاء المتوازن والذى يحتوى على كميات من البروتينات وبخاصة للأطفال الصغار ، اذا عرفنا أن ٨٠٪ من حجم دماغ الانسان

(١) De Blij Harm. Human Geography, Culture, Society space, John wily, 1983.

(٢) المصدر نفسه . ص ٥٦ .

الراشد ينمو فى السنوات الثلاث الأولى من العمر ، وأى نقص فى الغذاء خلال هذه الفترة الزمنية يؤدى الى تلف الدماغ والجسم الذى قد يستمر طيلة الحياة ، ومن الملاحظ أيضا أن الأطعمة التى تحتوى على البروتين كاللحوم والأسماك والدواجن ومنتجات الألبان تنقص وتنخفض حيث يعتبر السكان فى أمس الحاجة اليها .

هذا ويستهلك العالم حوالى ٥٣٪ من الحبوب كالقمح والأرز وغيرها استهلاكا مباشرا ، ويستهلك النسبة المتبقية ومقدارها ٤٧٪ على شكل غير مباشر لاطعام الحيوانات ، فمثلا معدل الاستهلاك السنوى للشخص الواحد فى الولايات المتحدة يقدر بحوالى ٢٫٠٠٠ باوند من الحبوب ، يستهلك منها بشكل مباشر حوالى ١٥٠ باوند فقط والباقى يستهلك على شكل غير مباشر كمنتجات لحوم أو ألبان أو غير ذلك ، وبالنسبة للأقطار الفقيرة فان مجموع ما يخصص للشخص الواحد حوالى ٤٠٠ باوند فقط ، أى أقل من ٥/١ مما هو مخصص لأمريكى ويستهلك معظمه بشكل مباشر (١) . (ولعل هذا يظهر التفاوت فى مستوى التغذية لدى السكان فى الدول الفقيرة والتى تعتبر أقطار القرن الافريقى من بينها ، وبين مستوى التغذية للسكان فى الدول المتقدمة) . وبصورة أخرى فان مقدار ما يستهلك من تربة ومياه ومخصبات لتكفى شخصا واحدا فى الولايات المتحدة تعادل خمسة أضعاف ما يستنفذ من هذه المصادر لحاجة الشخص الواحد فى افريقيا مثلا ، ونستطيع القول أنه كلما زاد غنى وثروة الدولة كلما زادت حاجتها للغذاء (٢) .

أما بالنسبة لمعدل استهلاك الفرد اليومى من السعرات الحرارية فى الصومال فقد قدر لعام ١٩٨٠ بحوالى ٢٠١٦ كالورى منها حوالى ١٦٢٢ من أصل نباتى وحوالى ٣٩٤ كالورى من أصل حيوانى ، ويتوقع أن يصل هذا المعدل فى سنة ٢٠٠٠ الى ٢٤٣٢ كالورى منها حوالى ١٩٩٩ من أصل نباتى و ٤٣٣ من أصل حيوانى .

وفى جيبوتى فقد قدر معدل الاستهلاك الفردى من السعرات الحرارية عام ١٩٨٠ بحوالى ١٨٥٩ كالورى منها ١٥٢٨ من أصل نباتى و٣٣١ من أصل حيوانى . كما يقدر بأن هـذا المعدل سيرتفع فى عام ٢٠٠٠ ليصل

---

(١) De Blij Harm. Op. Cit., PP. 62-63, 1983.

(٢) De Blij Harm. Ibid. PP. 57.

الى ٢٢١٠ كالورى منها ١٨٣٥ من أصل نباتى و ٣٧٥ من أصل حيوانى(١) ولازالت هذه المعدلات تحت خط الفقر أو أقل من الحد الأدنى الذى وضعته منظمة الأغذية والزراعة الدولية •

هذا وتساهم الحبوب كالقمح والذرة والأرز بحوالى ٥ر٥٩٪ من متوسط نصيب الفرد اليومى من السعرات الحرارية فى الصومال وحوالى ٥ر٦٤٪ فى جيبوتى لعام ١٩٨٠ • وجدول رقم (١) يبين متوسط نصيب الفرد اليوم من السعرات الحرارية من المجموعات الغذائية النباتية لعام ١٩٨٠ (٢) •

جدول رقم (١)

الدولة	حبوب	درنات	سكر	خضروات	فاكهة	بقول	زيوت	المجموع
الصومال	١١٩٩	١٩	١٩٦	٩	١٩	٥٢	١٢٨	١٦٢٢
جيبوتى	١١٩٩	١٩	١٦٦	١٢	٢٦	٤٨	٥٨	١٥٢٨

ويتضح من جدول رقم (٢) متوسط نصيب الفرد من السعرات الحرارية من المنتجات الحيوانية ونسبتها الى مجموع السعرات الحرارية من السلع الغذئية عام ١٩٨٠ •

جدول رقم (٢)

الدولة	السعرات الحرارية الحيوانية	نسبتها المئوية
الصومال	٣٩٤	٥ر١٩
جيبوتى	٣٣١	٨ر١٧

(١) المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، اقتصاديات العالم العربى . مستقبل اقتصاديات الغذاء فى لدول العربية •

(٢) المنظمة العربية للتنمية الزراعية . مستقبل اقتصاديات الغذاء فى الدول العربية ، جـ ٤ ، الخرطوم ، ١٩٧٩ .

*على الرغم من أن الصومال تملك سواحل طويلة الا أن الاعتماد على الأسماك كمصدر غذائى يعتبر قليلا جدا ، وذلك لأن السكان لا يقبلون على تناول الأسماك فى طعامهم لأسباب اجتماعية .

وتتوزع هذا الكمية القليلة من السعرات الحرارية من أصل حيوانى على الشكل التالى : لعام ١٩٨٠ •

جدول رقم (٣)

الدولة	لحوم حمراء	لحوم بيضاء	لبن	بيض	سمك*	المجموع
الصومال	١٧٥	٤	٢٠٨	٤	٣	٣٩٤
جيبوتى	١٦٣	٤	١٥٧	٤	٣	٣٣١

ويبين الجدول رقم (٤) متوسط نصيب الفرد اليومى من البووتين بالغرام من المواد التالية عامى ١٩٨٠ و ٢٠٠٠ (١) •

جــدول رقم ٤

الدولة	السنة	لحوم حمراء	لحوم بيضاء	لبن	بيض	أسماك	المجموع
الصومال	١٩٨٠	١١ر٤٤	٠ر٣٣	١١ر١٩	٣ ر٠	٠ر٥٧	٢٣ر٨٣
	٢٠٠٠	١٣ر٧٣	٠ر٤٩	١١ر١٩	٠ر٤٢	٠ر٥٧	٢٦ر٤٦
جيبوتى	١٩٨٠	١٠ر٦٧	٠ر٣٣	٨ر٤٤	٠ر٣٣	٠ر٥٠	٢٠ر٢٧
	٢٠٠٠	١٣ر٣٣	٠ر٤٩	٨ر٤٩	ر٣٩	٠ر٥٠	٢٣ر٢٠

هذا وقد قدرت مساهمة البروتين الحيوانى فى ما يتناوله الفرد يوميا فى الصومال ١٩٨ بحوالى ٣٩ر٠١٪ فقط ، والنسبة الباقية ومقـدارها حوالى ٦٠ر٩٩٪ فهى من البروتين النباتى • وكذلك فقد قدرت مساهمة البروتين الحيوانى فى ما يتناوله الفرد يوميا فى جيبوتى وللعام نفســه بحوالى ٣٦ر٣٩٪ والنسبة الباقية ومقدارها ٦٦ر٦٠ ٪ فهى أيضا من البروتين النباتى • فيبدو أن كمية البروتين التى يتناولها الفرد فى كل من الصومال وأثيوبيا هى منخفضة ، وكذلك فان معظم هذه الكمية هى من أصل نباتى وليست من أصل حيوانى ، وبطبيعة الحال فان البروتين من أصل نباتى أقل قيمة من الناحية الغذائية منها من البروتين الحيوانى •

وتشارك أثيوبيا كلا من الصومال وجيبوتى فى نقص المواد الغذائية بشكل عام وانخفاض مساهمة البروتين الحيوانى فى غذاء الســكان ، حيث يقدر معدل استهلاك الفرد الأثيوبى من السعرات الحرارية حوالى

(١) المصدر نفسه •

٢٠٠٠ كالورى وهى أقل من الحد الأدنى الذى وضعته منظمة الأغذية والزراعة الدولية .

وقد تنبه العالم الى مشكلة الغذاء فى المناطق الداخلية من قارة افريقيا ومنطقة الساحل التى أصبحت مرادفة للجفاف والكوارث ، وبشكل خاص فى المناطق التى تقع على أطراف هذا الاقليم الذى يشمل أقطار القرن الافريقى ، وقد مات حوالى ثلاثين ألفا من الناس فى منتصف السبعينات بسبب الجوع ؛ كما أفاد تقرير لمنظمة الأغذية والزراعة الدولية أن حوالى نصف سكان القارة الافريقية يقعون فريسة لنقص الأغذية وسوئها ، هذه جميع أقطار القرن الافريقى .

وقد زاد المشكلة حدة لجوء حوالى ٥ر١ مليون خلال الحرب التى وقعت بين الصومال وأثيوبيا التى أضافت زيادة فى الحاجة الى المواد الغذائية . كما تعرض حوالى ٣/١ سكان أوغادين البالغ عددهم حوالى ٣ ملايين نسمة للجوع فى منتصف عام ١٩٨٠ ، مما زاد الكوارث بشكل أكثر مما كان عليه الوضع فى منتصف السبعينات عندما مات حوالى ٢٠٠ ألف شخص فى اقليم (Wollo) وحده .

ويزيد المشكلة تعقيدا عدم وجود نظام مواصلات يسهل عملية توزيع المواد الغذائية على المحتاجين ، فقد أستخدمت الطائرات لاسقاط كميات من المواد التموينية فى مناطق بعيدة عن طرق المواصلات حيث كان الضياع كبيرا ، حتى أن كثيرا من الجوعى لم يروا المواد الغذائية التى كانت تسقط من الطائرات .

وذا افترضنا توافر الآلات لنقل المواد الغذائية فان معدل الفشل فى ايصال المواد الغذائية مرتفع جدا ، وذلك نتيجة فقدان كميات من المواد الغذائية بسبب التحسيل والتفريغ واستخدام وسائل النقل المختلفة من قطارات الى سيارات شحن الى سفن وغير ذلك بالاضافة الى تعرض كميات من المواد الغذائية هذه للتلف نتيجة تخزينها فى أماكن غير مناسبة وتعرضها للقوارض .

الجوع والتركيب العمرى للسكان فى اقطار القرن الافريقى :ـ

الأطفال هم ضحايا الفقر وسوء التغذية بشكل خاص ، وقد سبقت الاشارة الى ضرورة حصول الطفل على غذاء متوازن فى السنوات الأولى

من عمره ، حيث أن ٨٠٪ من دماغ الانسان تتكون خلال السنوات الثلاثة الأولى ، وأن أى نقص فى المواد الغذائية خلال هذه السنوات يعرض الطفل الى اعاقة فى نموه العقلى والجسمى على السواء ، كما ويعرضه الى اعاقة يحملها طيلة حياته ولا يمكن علاجها فى المستقبل • وبشكل عام فان الأطفال الذين يولدون فى أقطار الحرمان والفاقة يواجهون اعاقة طيلة حياتهم • وبطبيعة الحال فان توافر كميات مناسبة من البروتينات فى الطعام هى المتطلب الوحيد لحياة صحية جيدة ، كما أن النقص فى عناصر أخرى كالنقص فى فيتامين أ (A) يؤدى الى نتائج ذات آثار مدمرة على الأطفال ، ومعروف أن هذا الفيتامين يوجد فى البيض ومشتقات الألبان وكبد الحيوان وفى الفواكة ، والخضروات • ان هذه العناصر الغذائية تعتبر من الكماليات فى غذاء الشعوب الفقيرة ومن بينها شعوب القرن الافريقى • ان النقص فى هذه الفيتامينات يؤدى الى أمراض جلدية والى حدوث مرض العمى والى ضعف مقاومة الجسم لبعض الأمراض • فاذا أخذنا بعين الاعتبار مستويات الخصوبة المرتفعة لسكان القرن الافريقى فاننا نستطيع الوقوف على حجم وخطورة هذه المشكلة • (معدل المواليد الخام فى جيبوتى ٤٩ فى الألف وفى أثيوبيا ٤٨ فى الألف وفى الصومال ٤٦ فى الألف) (١) ، وبذلك فان نسبة السكان دون الخمسةعشر عاما تبلغ حوالى ٤٣٪ فى أثيوبيا وحوالى ٤٤٪ فى الصومال (٢) • هذا ويظهر حجم الفئات العمرية الصغرى أو الأطفال فى أثيوبيا من الهرم السكانى كما هو واضح فى شكل (١) (٣) • بالاضافة الى فئات الاطفال فان أكثر الفئات السكانية تعرضا للنقص فى المواد الغذائية أو لسوء التغذية هى الاناث والشيوخ • ويظهر حجم هاتين الفئتين أيضا من خلال الهرم السكانى سابقة الذكر * •

---

(١) The Poulation Refernce Bureau, 1983 World Population Data sheet Washington Dc., 1983.

(٢) المصدر نفسه

(٣) لقد تم بناء الهرم السكانى من كتاب الديموغرافى السنوى : —
U.N. Demographic Yearbook, 1980.

* لم يستطع الباحث الحصول على معلومات حول التوزيع العمرى والنوعى للسكان فى الصومال .

وقبل مناقشة أسباب المجاعات أو النقص فى مستوى الغذاء لدى سكان القرن الافريقى ، فلعله من المناسب تقديم نبذة بسيطة عن دول هذا الاقليم تظهر مساحة هذه الأقطار وانتاجها وبعض السياسات الاقتصادية والزراعية فيها •

أثيوبيا :

يقدر عدد سكان أثيوبيا عام ١٩٨٣ بحوالى ٣ر٣١ مليون نسمة ومساحتها بحوالى ٠٠٠ر٣٩٧ ميل مربع ومعدل النمو السكانى فيها بحوالى ٥ر٢٪ وكثافة السكان تتراوح بين ١٠ — ٢٠ نسمة /كم٢ ، فهى متخلخلة السكان • ويبلغ معدل الناتج الفردى (GNP) حوالى ١٤٢ دولار أمريكى لعام ١٩٨١ (١) • الرعى أو الزراعة هما الحرفتان الرئيسيتان فى ثروة أثيوبيا ، واستغلال هذه الثروة يحتاج الى استخدام وسائل حديثة فى الزراعة وتربية المواشى ، وبناء شبكة جديدة للمواصلات وايقاف عملية تعرية التربة وتشجيع الزراعة • والمحاصيل الزراعية عديدة : — أهمها القمح والشعير ،والتف والبقوليات التى تنمو عند ارتفاع يتراوح بين ٥ — ٩ الآف قدم والذرة والعدس التى تنمو عند ارتفاع أقل من ذلك وكذلك يزرع البن وقصب السكر وبذور الزيوت ، ويعتبر البن المحصول الرئيسى أما الفواكة فتزرع فى المنحدرات الأقل انحدارا وبشكل خاص الموز والحمضيات والعنب • كما تسود تربية الأبقار مع الزراعة فى الهضاب ، ويقدر فى أثيوبيا حوالى ٢٤ مليون رأس من الأبقار وحوالى ٢٤ مليونا من الماشية والأغنام والماعز) وكذلك فان تربية الدواجن تعتبر متطورة •

وأما بالنسبة للصناعة فان أكبر استثمار للحكومة فى بناء السكك الحديدية ، السكر ، الاسمنت ، القطن ، مطاحن الزيت ، تعليب اللحوم ، الورق ، والاطارات ، الكيماويات والمنسوجات (٢) •

— 1983 World Population data sheet

— The International Yearbook and State man's, 1981.

(٢) المصدر السابق .

وفيما يتعلق بالتجارة فانه يظهر من الجدول رقم (٥) حجم الواردات والصادرات بشكل عام ، وحجم الواردات والصادرات لبعض العناصر(١).

جدول رقم (٥)

يبين حجم الواردات والصادرات بالالف دولار فى أثيوبيا لعام ١٩٨٠ (٢) .

الــــواردات	الصـــــادرات	السلعة أو المادة
٧٢٢٠٠٠	٢٤٥٠٠٠	المجمـــوع
١١٢٧٣٧	٤٢٥٠٠٠	أولا : مجموع المنتوجات الزراعية :
٨٧٢٦٥	٣٨٠٣١٩	أ) طعام وحيوانات
	٣٠٠٩٦٦	١ ــ حيوانات حية
٧٥٦	٥٠٦٢	٢ ــ لحوم ومشتقاتها
٢٩	٢٥٠٣	٣ ــ منتجات ألبان + بيض
٩٧٧٣	٠٢٠٧	٤ ــ حبوب ومشتقاتها
٦٨٦٣٤	٥٥٢	٥ ــ فواكة + خضار
٦١٦	٩٦٩٥	٦ ــ سكر + عسل
٢٧٣	٣٩٦٦	٧ ــ بن + شاى + كاكاو
٢٥٤٦	٢٧٣٨٨٩	٨ ــ أعـــلاف
٠٠١١	٠٠٠٠٠٠	٩ ــ انواع أخرى من الاطعمة
٤٦٢٧	٠٠٠٠٠٥	ب) مشروبات روحية وسجاير
٧٤٠١		ج) مواد خام : كالجلود وزيوت
٧٥٤٢	٧٧٣٢٣	بذور ومطاط واشياء أخرى
١٠٥٢٩	٢٠٢٥	د) زيوت نباتية وحيوانية
٧٦	٢٩	ثانيا : أسماك ومنتجاتها
٥١٤٠	ـــ	ثالثا : أخشاب ومنتجاتها
٧٣٩٠٢	ـــ	رابعا : لوازم زراعية كالاسمدة

(١) لقد تم بناء هذا الجدول من

— Trade Yearbook, Vol. 35, 1981, P. 310.

* ان مجموع اولا وثانيا وثالثا ورابعا لا يساوى المجموع ، لأنه يبدو ان هناك عناصر اخرى تدخل فى الصادرات والواردات ولا يتضمنها هذا الجدول . وقد نقل هذا الجدول نقلا دقيقا من الأصل فى المصدر السابق .

ويبدو من جدول آخر (٦) أن الواردات الرئيسية لعام ١٩٧٢ كانت السيارات وقطع الغيار والمكائن والملابس والاطارات . كما أن أهم الصادرات كانت البن وجلود الحيوانات وزيت البذور والخضروات والفاكهة الطازجة والمجمدة . وتظهر أرقام الصادرات والواردات فى الجدول رقم (٦) بالألف دولار .

ويتوزع استعمال الأراضى فى أثيوبيا على الشكل التالى :ـ ١٣٠٫٠٠٠ هكتار فى الأراضى الزراعية و١٫٧٠٠٫٠٠٠ هكتار فى الغابات و ٧٧١٫٠٠٠ فى استعمالات أخرى وذلك حسب تقديرات منظمة الأغذية والزراعة الدولية . Production Yearbook 1980.

(١) The International Yearbook and State man's 1981.

جدول رقم (٦)

يبين حجم الصادرات والواردات لبعض السلع فى اثيوبيا لعام ١٩٧٢
(بالألف دولار)

الصادرات	الواردات	السلعة (المادة)
١٦ر٢٧٩		القهوة
١١ر٨٣٥		جلود الحيوانات
٤٨ر٨٠٧		زيت البذور
٣٤ر٩٧٥		خضروات وفواكة طازجة ومجمدة
١١١ر٧٩٧	٧ر٤٣٣	الملابس
	٦٢ر٨٧٥	سيارات وقطع غيار
	٣٥ر٧٣٤	البترول ومشتقاته
	١٣ر٥٢٦	مكائن لصناعات خاصة
	١٦ر٤٣١	قطع مطاطية
	١٣٥ر٩٩٩	

الصـــومال :

تبلغ مساحة الصومال حوالى ٦٣٠ كم٢ ويقدر عدد السكان بحوالى ٣ر٥ مليون نسمة ومعدل الناتج القومى GNP حوالى ٢٨٢ دولار أمريكيا (١) ، كما تبلغ الكثافة السكانية حوالى ٥ر٥ نسمة/كم٢ (حسب تقدير عام ١٩٧٨)•ويعتمد السكان بشكل رئيسى على تربية المواشى أو على الرعاية ، اذ يعتمد على الرعى حوالى ٨٠٪ من السكان ، وتوجد المساحات المزروعة بشـــكل رئيسى فى الصـــومال الجنـــوبى وعلى امتـــداد نهرى جوبا وشبيلى وتقدر مســـاحة الأراضى الزراعيـــة حـــوالى ٩٠٠ر٠٠٠ هكتار • وأهم المزروعات قصب الســـكر والمـــوز والذرة والكاســـافا وبذور الزيت •

أما بالنسبة للثروة الحيوانية فتقدر أعداد الحيوانات كما يلى : — حوالى ١٦ر٣ مليون ماعز ٩ر٩ مليون رأس أغنام وحوالى ٤ر٥ مليون رأس جمل •

---

(١) مصدر سابق .

— 1983 World Population Data Sheet.

أفقر الدول فى العالم ، وتوفر الزراعة فرص عمل لحوالى ٧٥٪ من قوة
وقد عانت لصومال كثيرا بسبب حروب القرن الافريقى ، وتعتبر من
العمل فى القطر ، وتساهم بأكثر من ٦٧٪ من حجم الصادرات • وبخاصة
الموز ومنتجات الالبان •

وبالنسبة لقطاع الصناعة فيعتبر غير مهم فى الصومال ، كما أن الميزان التجارى يعانى من عجز مستمر ويعتقد بأن تطور نهوض الصومال يعتمد بشكل كبير على نجاح عدد من البرامج والاستقرار السياسى فى القرن الافريقى ، وقوة العلاقات مع الدول العربية •

تقدر مساحة الارض المستغلة فى الزراعة بحوالى ١٠ر٧٪ من أصل حوالى ٠٠٠ر٧٠٠ هكتار ، ويؤمل أن يحول حوالى ٧ر٤٣ مليون هكتار لأغراض الزراعة باستعمال الرى المكثف • ان حوالى ١/٨ من مساحة الصومال صالحة للزراعة ، كما وتبلغ المساحة المستغلة حوالى ٥٪ فقط من هذه المساحة ، والجدول التالى يوضح المساحات والنسب المئوية حسب استغلال الاراضى [1] •

جدول رقم (٧)

يبين نوع الاستغلال ومساحته بالهكتار والنسبة المئوية لهذا الاستغلال

نوع الاستغلال	المساحة	النسب المئوية
المساحة الصالحة للزراعة	٨ مليون هكتار	١٢ر٥
المساحة الصالحة للرعى	٣٥ مليون هكتار	٥٤ر٩
الغابات	٨ر٨ مليون هكتار	١٣ر٨
أخرى	١٢ مليون هكتار	١٨ر٨

أما فيما يتعلق بالميزان التجارى ، فيتضح من الجدول رقم (٨) حجم الواردات والصادرات بشكل عام ولكل من السلع والمواد الغذائية •

---

(1) The International Yearbook, 1981.

جـدول رقم (٨)

يبين حجم الواردات والصادرات بالألف دولار فى الصومال (١)

	الواردات	الصادرات
المجمـوع	٢٤٠ر٠٠٠	١٤١ر٠٠٠
١ ـ منتوجات زراعية		
ا) طعام وحيوانات	١٥٧ر٩٠١	١٣٦ر١٧٧
١ ـ حيوانات حية	١١١ر٦٦١	١٢٦ر٢٧٧
٢ ـ لحوم ومشتقاتها	١٠٠٠	١١٧ر٧٠٠
٣ ـ منتجات البان وبيض	١١٥٠٠	٧٧٠
٤ ـ حبوب ومشتقاتها	٨٢٣١٦	
٥ ـ خضروات وفواكة	١٤٠٠	٧٨٠٧
٦ ـ سكر وعسل	٩٢٣٥	
٧ ـ قهوة ، شاى ، كاكاو	٥٢١٠	
٨ ـ اعـــلاف	—	
٩ ـ اخـــرى		
ب) مشروبات روحية وسجاير	١٢٥٤٠	—
ج) مواد خام	١١٨٠٠	٩٩٠٠
د) زيوت نباتية وحيوانية	٢١٩٠٠	—
٢ ـ اسماك ومنتجاتها	—	٤١٠
٣ ـ اخشاب	٣٩٩١	—
٤ ـ لوازم زراعية	٣٢٤٥	—

ويبدو العجز الكبير فى الميزان التجارى حيث تستورد من المنتوجات الزراعية ما يزيد على ما تصدره مع العلم بأن الثروة الحيوانية ربما هى المورد الرئيمى للصومال •

وبالنسبة لانتاجية الصومال ، فيقدر انتاجها من الحبوب فى عـام ١٩٨٠ بحوالى ٢٩٣ر٢ ألف طن ، وسوف ترتفع هـذه الانتـاجية الى

(١) لقد تم بناء هذا الجدول من : ـ

Trade Yearbook, Vol. 35, 1981, P. 318.

* ان مجموع (١ + ٢ + ٣ + ٤) لا يساوى المجموع العام ، لانه يبدو ان هناك عناصر اخرى تدخل فى الصادرات والوردات ولا يتضمنهـا هذا الجدول . وقد نقل هذا الجدول نقلا دقيقا من المصدر السابق .

٣٢ر٦٦٥ ألف طن في عام ٢٠٠٠ ، ويتوقع أن يصل متوسط نصيب الفرد بالكيلو غرام سنة ٢٠٠٠ حوالى ٦ر١٦١ ، كما يتوقع أن يسد الانتاج المحلي حوالى ٦ر٦١٪ من الاكتفاء الذاتي في العام نفسه • ويتضح من جدول رقم (٩) الانتاج والاستهلاك والاحتياجات الكلية ونسبة الاكتفاء الذاتي لبعض المحاصيل كما قدرت عام ١٩٨٠ [١] •

جدول رقم (٩)

يوضح الانتاج والاستهلاك والاحتياجات ونسبة الاكتفاء الذاتي لبعض المحاصيل والمنتجات والمساحة في الصومال ، كما قدرت عام ١٩٨٠

المحصول	المساحة المزروعة بالألف هكتار	الإنتاج بالألف طن	الاستهلاك البشرى الكلى بالألف طن	نسبة الاكتفاء الذاتى
القمح	٤,٥	١,٦٠	٣٩,٦٧	٤٪
زيوت نباتية	١٠٣,٨	١٩,٧٤	١٦,٠٠	٩٣٪
خضروات	٥,٨	٦٣,٠٠	٥٤,٠٩	٥,٥٪
ذرة	١٢١,٤	١٣٩,٠٠	١٥١,٥٠	٧٨,١٪
أرز	١٠,٥	٣٣,٠٠	٤٨,٠٠	٦٥,١٪
ذرة رفيعة	٢٧٤,٦	١١٩,٠٠	٢٣٢,٢٠	٤٨,٨٪
درنات	٣,٨	٣٧,٢٤	٣٥,٠٠	٩٦,٢٪
سكر	٩,٦	٧٣,٥٦	٧٣,٥٦	١٠٠٪
فواكه	٢٤,٥	٢٢٠,٥٠	٧٩,٠٠	٥١,٥٪
لحوم		١٤٩,٥٠	١٠٢,٤٠	١٤٦,٤٪
ألبان	—	٤٢٨,٢٠	٤٢٠,٨٢	٩٧,٨٪
بيض	—	٣,٣٢	٣,٠٨	١٠٠٪
أسماك	—	١٠,٢٠	٦,٤٩	١٤١,٧٪

ويظهر هذا الجدول أن انتاج الصومال من كل من الاسماك والبيض والالبان واللحوم والفواكه والسكر والدرنات والخضروات اما يزيد عن الاكتفاء الذاتي أو يسد حاجة السكان من هذه المواد •

---

(١) جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، مستقبل اقتصاديات الغذاء في الدول العربية ، ١٩٧٥ — ٢٠٠٠ ، ج ٤ ، لخرطوم، ١٩٧٩ ، ص ٢٩ — ٣٤ .

اسباب الجوع او سوء التغذية ونقصها لدى سكان القرن الافريقى :

ان موضوع الجوع أو نقص الغذاء أو سوء التغذية لدى السكان فى العديد من الدول النامية بشكل عام ولدى السكان فى قارة أفريقيا والقرن الافريقى بشكل خاص ، من أكثر المواضيع الملحة والمطروحة على الساحة الدولية والساحة الاقليمية أو القطرية ، بحيث أصبح هذا الموضوع مشكلة خطيرة تهدد مئـات الملايين من البشر بالموت جوعا ، وما المجـاعات التى يتعرض اليها السكان فى كثير من أقطار الساحل فى أفريقيا وفى أثيوبيا بشكل خاص الا مظهرا واضحا لهذه المشكلة • فقد هدد الجوع فى نهاية عام ١٩٨٤ حياة حوالى ستة ملايين من سكان أثيوبيا نظرا للجفاف الذى أصاب ثلاث عشرة مقاطعة فيها • ولاظهار مستوى الجفـاف فى هـذا الاقليم فانه يجدر توضيح الظروف المناخية والسمات العامة لمناخ اقليم القرن الافريقى • وبطبيعة الحال هناك أسباب أخرى غير الجفـاف وقد ذكرها وناقشها الكثير من الدارسين والباحثين تتعلق بالوضع الاقتصادى والاجتماعى وعدم الاستقرار وغير ذلك من الاسباب التى ستناقش أيضا فى مكان لاحق من هذا البحث •

الظروف المناخية فى القرن الافريقى (بشكل عام) : —

ان الامتداد العظيم لهذا الاقليم من الشمال الى الجنوب والذى يصل الى حوالى ٢٥٠٠ كم وحولى ١٥٠٠ كم من الشرق الى الغرب يؤدى الى وجود حالة تتباين فيها الاحوال الجوية ، ويمتد هذا الاقليم بين درجـة أو ثلاث درجات جنوب خط الاستواء ، الى حوالى عشر درجات شمال خط الاستواء ، وتزيد مسـاحته على المليون كم^2 ، وقد صنف هـذا الاقليم حسب تصنيف ثورنثويت عام ١٩٤٨ بأنه مناخ جاف باستثناء بعض المناطق المرتفعة من الهضبة الاثيوبية ، كما أن معظم هذا الاقليم يتكون من صحراء حقيقية على الرغم من وقوع بعض المناطق منه فى منطقة يسود فيها المناخ الاستوائى الرطب ، كما أن هناك بعض المناطق تتميز بالجفاف على الرغم من أن لها واجهات تقع على المحيط (1) •

— Glen Trewartha. The Earths Problem Climates, The Univ. «1» of Wisconsin Press, Madison, 1970, PP. 129-135.

مجموع الامطار فى هذا الاقليم وبخاصة فى المناطق المنخفضة أقل من ٢٠ بوصة ، كما أن هناك مناطق شاسعة أخرى يقل فيها مجموع المطر عن ١٠ بوصات وربما البعض الآخر ينخفض فيها مجموع المطر السنوى عن ٥ بوصات • وبالمقابل فان المناطق المرتفعة أكثر رطوبة ويتراوح معدل الامطار السنوى فى المرتفعات الاثيوبية بين ٣٠ ــ ٦٠ بوصة سنويا (١) • وكذلك فان عدد المحطات المناخية قليل ومتباعد وتتأثر بشكل كبير بالظروف المحلية • ان النمط السائد هو وجود قمتان للمطر تفصل بينهما فترة تتراوح بين ٤ ــ ٥ شهور ، وهو النمط الذى يسود فى المناطق الاستوائية ، الا أن هذا النمط هو القاعدة حتى شمال ١٠° شمالا • ويسود الجفاف خلال الفترة من حزيران الى ما بعد أيلول ، الفترة التى يفترض أن تصل فيها الامطار الاستوائية أعلاها •

خلال فصل الشتاء يسود الجفاف الاقليم شمال خط الاستواء ومن غير الطبيعى أن يصل امتداد الجفاف السواحل الشرقية كما هو الحال فى الصومال • ان خطوط المطر المتساوية تعبر قارة افريقيا من الشرق الى الغرب الا أنها تنحرف جنوبا لتصل الى ٥° جنوب خط الاستواء عند خط طول ٣٥ شرقا • ويظهر ذلك من شكل رقم (٢) •

وكذلك فان شدة الجفاف تعود بشكل رئيسى الى حقيقة أن الرياح السائدة خلال معظم شهور السنة تكون شمالية شرقية أو جنوبية غربية ، مما يجعل أمر تكوين كتل هوائية رطبة على سطح اليابس استثناء أكثر من كونه قاعدة •

وبشكل عام فانه يمكن تحديد أربعة فصول رئيسية هى : الموسمية الشمالية الشرقية ، الموسمية الجنوبية الشرقية ، وفترتان انتقاليتان •

فى شهر كانون ثانى يتركز الضغط المرتفع فوق الجزيرة العربية ويتركز الضغط المنخفض فوق افريقيا الوسطى مما يؤدى الى وجود رياح فى مكان من الاقليم تكون موازية أو محاذية للساحل باستثناء الزاوية الشمالية التى تمتد من بورت سودان الى مصوع حيث التقاء الكتل الهوائية المختلفة ، فتلتقى الرياح الجنوبية الشرقية الهابة من فوق المحيط

(١) — Ibid., P. 130.

الهندى مع الرياح الغربية القادمة من الاطلس (الشمالية الغربية) مما يؤدى الى وجود تهطال فى شهر نيسان وتسقط بعض الامطار الحملية المصاحبة لوجود الـ Trough الممتد فوق البحر المتوسط الى البحر الاحمر • وفى شهر تموز تسود عملية انتشار أو طرد Divergence للرياح ، والامطار الوحيدة تهطل على الهضبة الاثيوبية أو حافة البحر الأحمر (١) •

أما بالنسبة لدرجات الحرارة فقد سجلت فى هذا الاقليم أعلى درجة حرارة فى العالم فى Dallol فى شمال شرق أثيوبيا • وفى جنوب الصومال فان أشد الشهور حرارة فى آذار ونيسان وفى شمال الصومال فان أعلى درجة حرارة تكون فى شهر ايار وحزيران وتموز •

---

(١) World Survey of Climatology Vol. 10, Climates of Africa, edited by D.F. Griffith, Elsevier Publishing Company, Amsterdam, 1982, PP. 133-135.

هذا ويمكن ملاحظة خمس مناطق مناخيـة فى هـذا الاقليـم هى : (تظهر فى شكل رقم ٣) .

١ ــ النطاق الساحلى الشمالى : ويتميز بأمطار شتوية وصيف جاف تماما ورطوبة عالية خلال السنة ، وتتأثر درجات الحرارة الى حد كبير بنسيم البحر .

٢ ــ الزاوية الشمالية الغربية من الاقليم : ويتميز بقمة وحيـدة للأمطار فى فصل الصيف . غير ملائم للاستقرار ، درجات الحرارة مرتفعة ، كميات قليلة من الامطار .

٣ ــ الجزء الاوسط من الاقليم : ويتميز بقمتين للمطر ، تتفـاوت كميات الامطار بين ٢٠ ملم الى ٥٠٠ ملم ، والصفة العـامة أن فصـل الشتاء يكون فى شهرى كانون الاول وكانون الثانى حيث تسجل فيهما أخفض درجة حرارة .

٤ ــ تتميز هذه المنطقة بوجود قمتين للمطر ، وتتراوح كميات المطر بين ١٥٠ ــ ٥٠٠ ملم ، وأخفض درجات الحرارة سجلت فى (تموز وآب).

٥ ــ منطقة صغيرة تمتد على طول الساحل الجنوبى من هذا الاقليم تتأثر بحركة الرياح الموسمية على المحيط الهنـدى ، قد تسقط كميات كبيرة من المطر ، الا أن أثرها ينعدم على بعد عشرات الكيلو مترات من السـاحل .

وبالنسبة للصومال فان جميع المناطق فيه اما جافة أو شـبه جـافة أو صحراوية باستثناء منطقة صغيرة فى الصومال الجنوبى تتميز بأنها رطبة أو شبه رطبة ، وتقتصر هذه المنطقة على مناطق قنبـو ، واليسـاندرا ، كيسيمايو ، براما ، مقديشو ، وايسا بايضاوا ــ الشكل رقم(٤) [1] .

يتضح مما تقدم أن المناخ فى معظم اقليم القرن الافريقى يتميز امـا بالجفاف أو شبه الجفاف ، وهذه الحالة هى نتيجة للظروف المناخية التى تسود هذا الاقليم كالضغط الجوى وحركة الرياح . الا أن هناك عوامل أخرى يمكن أن تخفف من حدة الجفاف ويجب الاحاطة بها ودراستها ،

---

(١) المنظمة العربية للتنمية الزراعية . المناخ الزراعى فى الوطن العربى ــ الخرطوم . ١٩٧٧ . ص ٣٠ ــ ٣١ .

ومن هذه العوامل وجود مجار مائية كالانهار التى قد تساعد فى عمليات الرى التى ستخفف من حدة الجفاف ، وكذلك المعرفة بأخطار التعرية والتصحر التى يتعرض لها الاقليم ، وامكانية تحويل بعض المناطق المغطاة بالغابات الى أراضى زراعية • ان المعرفة بالعوامل سابقة الذكر ضرورية من أجل قياس شدة الجفاف ، الا أن مثل هذه العوامل تحتاج الى دراسات تفصيلية دقيقة ومعلومات مفصلة غير متوافرة لدى الباحث فى الوقت الحاضر •

وبشكل عام فان طعام الانسان يتحدد ربما بالتربة والمناخ والظروف والاحوال الاقتصادية وعادات وتقاليد السكان • ومن تحليل للظروف المناخية والاقتصادية واستعمالات الاراضى وانتاجية بعض دول هذا الاقليم والتى سبق ذكرها ، يبدو أنه ليس الجفاف وحده هو سبب الجوع أو سوء التغذية لدى السكان ، فالجفاف مثلا واحد من العوامل وكذلك الظروف الجوية غير المتوقعة التى تؤثر على المحاصيل الزراعية بالاضافة الى زيادة الامطار ونقصانها ، أو ارتفاع درجة الحرارة غير الفصلى أو البرودة غير الفصلية •

ان معظم مساحة الصومال وأثيوبيا تتميز بحالة من أخطار التصحر يمكن وصفها بأنها معتدلة ، كما توصف جيبوتى وشمال شرق أثيوبيا بحالة قاسية من التصحر حسب خريطة أخطار التصحر فى افريقيا شمال خط الاستواء التى أصدرتها منظمة الاغذية والزراعة الدولية •

ومن العوامل الاخرى التى تؤثر فى مستوى التغذية أساليب الزراعة ومساحة الاراضى الزراعية فمثلا حوالى $\frac{1}{8}$ من مساحة أرضى الصومال صالحة للزراعة ، كما وتبلغ المستغلة حوالى ٥٪ فقط من هذه المساحة ، أى أن الاراضى الصالحة للزراعة وعلى قلة مساحتها ، فان نسبة ضئيلة فقط مستغلة فى الزراعة وهناك حوالى ٩٥٪ من مساحة الاراضى الصالحة للزراعة غير مستغلة • بالاضافة الى وجود مساحات من الاراضى تقدر بحوالى ٥٥٪ من المساحة الكلية تصلح للرعى ، كما أن هناك حوالى ١٣٫٨ من المساحة الكلية توجد فيها غابات يمكن تحويل جزء كبير منها لانتاج المواد الغذائية ، آخذين بعين الاعتبار المساحات التى تهددها أخطار التصحر •

كما ويمكن اضافة عامل آخر يتعلق بالسياسة الاقتصادية أو التجارية حيث يتضح من الجداول التى سبق ذكرها أن كلا من أثيوبيا والصومال تقوم بتصدير بعض المواد أو السلع الغذائية التى يكون سكانها بأمس الحاجة اليها ، صحيح أن ذلك ربما يكون نتيجة حاجة هذه الدول الى بعض العملات ، الا أن الواردات تظهر أنها تنفق الكثير نسبيا على استيراد بعض الكماليات فمثلا فى احدى السنوات بلغت واردات أثيوبيا من السيارات وقطع الغيار حوالى نصف الواردت ، كما بلغت صادراتها من الفواكه والخضروات للعام ذاته أكثر من ١/٣ مجموع الواردات • (جدول رقم ٦) •

ويبدو ذلك واضحا فى السياسة التجارية للصومال من خلال جدول رقم (٨) حيث بلغ مجموع الواردات بحوالى ٢٤٠ مليون دولار والصادرات بحوالى ١٤١ مليون دولار • فعلى الرغم من أن الصادرات الرئيسية من الصومال هى اللحوم وبعض المحاصيل الزراعية ، فالفرد الصومالى بأمس الحاجة لمثل هذه المواد أولا ، كما أن الصومال استوردت للعام ذاته بقيمة ١٥٨ مليونا من الدولارات من المنتوجات الزراعية المختلفة ، يبدو أن هناك خلل ما فى ذلك ، ولربما الظروف الاقتصادية وحاجة البلد الى أموال لشراء مواد أخرى أو أسلحة يدفعها الى تصدير المواد الغذائية •

وقد ظهر من جدول رقم (٩) أن انتاج الصومال من كل من الاسماك والبيض والالبان واللحوم والفواكه والسكر والدرنات والخضروات يصل الى حد الاكتفاء الذاتى أو يزيد عنه • ان هذه العناصر ضرورية ومهمة فى التركيب الغذائى • فعلى الرغم من زيادة الانتاج من هذه العناصر الا أننا نرى سوء التغذية لدى سكان الصومال • ويمكن تفسير ذلك اما للاعتبارات الاجتماعية التى لا تشجع على تناول الاسماك أو للسياسات الاقتصادية التى يتبعها البلد أو الحاجة الى العملة الصعبة • الا أن ذلك كله لا يبرر أن يجوع الانسان •

وهناك عوامل أخرى يمكن اضافتها كتنظيم الاسرة والوضع الاجتماعى للمرأة والتعاون العالمى ، وتناقص معدل نمو السكان ، تخفيض أسعار الطاقة والقروض الرخيصة وخفض نفقات التسلح وزيادة مخصصات انتاج الغذاء والاسراع وتحسين نظام توزيع المواد الغذائية

وشبكة المواصلات والاصلاح الزراعي والعدالة في توزيع الاراضي والثروات والموارد واتاحة الفرص أمام المزارعين لادخال أساليب لزراعة الحديثة والمحافظة على التربة وغيرها من الامور المهمة في في زيادة لانتاجية ، وزيادة كميات المواد الغذائية ٠

ويبقى عامل مهم وهو عدم الاستقرار السياسى وكثرة الحروب فى هذه المنطقة مما أدى الى لجوء أعداد كبيرة من السكان الى مناطق أخرى مما يزيد الحاجة للمواد الغذائية ولأن أعداد كبيرة من السكان تهجر الارض وتغادرها ولا تعود لزراعتها أو فلاحتها ٠

ويشير تقرير الغذاء العالمى الصادر عن منظمة الاغذية والزراعة الدولية لعام ١٩٨٤ الى أن من أهم أحداث عام ١٩٨٣ هو زيادة حدة مشكلة الغذاء فى قارة افريقيا بشكل عام (١) ٠ ويضيف التقرير الى أننا لا نستطيع فهم المشكلات الغذائية جيدا ٠ اذا نظرنا اليها من خلال قطاع الانتاج فقط ، بل هناك عوامل أخرى يجب أن تؤخذ بالاعتبار ومن أهمها :

١ ــ المشكلات الفنية فى انتاج الغذاء ٠

٢ ــ معدل النمو السكانى السريع المتسارع ٠

٣ ــ النقص فى اعداد السكان المدربين ٠

٤ ــ الضعف الشديد فى البنية التحتية للمواصلات ٠

٥ ــ الاستقلال الحديث ٠

٦ ــ الانتاج الغذائى المحلى لا يوضع فى مقدمة سلم الاولويات أو الفشل فى تطوير نموذج التنمية الاقتصادية بشكل يسمح بالزراعة الناجحة ٠

٧ ــ التدهور الحديث فى التجارة : الصادرات الزراعية والواردات غير الزراعية ٠

— Food and Agricultural Drganization of the U.N.
World Food Report, 1984, Rome, 1984.

٨ ـ المشكلات السياسية والحروب مما دفع بموجات المهاجرين بالاضافة الى مشكلات أخرى كعدم المساواة والاستقرار •

وقد سبق مناقشة بعض هذه الاسباب ، وبطبيعة الحال أن هذه المشكلات جميعها تنطبق على أقطار القرن الافريقى •

الخلاصة :

تؤكد هذه المقالة عددا من الحقائق أهمها :

أولا : أن مستوى التغذية لدى سكان القرن الافريقى يتصف بالانخفاض الشديد أو بالجوع وسوء التغذية ، وما المجاعات التى تهدد سكان أثيوبيا فى الوقت الحاضر وتهدد سكان الصومال وجيبوتى فى الوقت الحاضر والمستقبل الا مظهرا من مظاهر الفقر والجوع وسوء التغذية • ويبدو أن هذه الحالة أصبحت مزمنة ومقترنة بسكان القرن الافريقى بشكل خاص وسكان قارة افريقيا بشكل عام •

ثانيا : ان الجهود العالمية تكاد تتركز على المساعدات والاغاثة الطارئة فقط ، بينما تستدعى الحاجة الى ضرورة محاولة الاقطار نفسها مساعدة نفسها من أجل زيادة المساحات المزروعة واعتماد الوسائل العلمية الحديثة لزيادة الانتاجية والاستفادة من مياه الانهار فى عمليات الرى التى تتناسب وظروف هذه المناطق ، ومحاربة تعرية التربة والسماح للمزارعين بالاستفادة من التقدم العلمى فى الوسائل الزراعية وطرق الزراعة •

ثالثا : الجفاف هو حالة تكاد تكون ملازمة لاقليم القرن الافريقى لأن الظروف المناخية هى التى أوجدت هذا الواقع •

رابعا : هناك أسباب أخرى تزيد من حدة الجوع وسوء التغذية بالاضافة الى عامل الجفاف منها العوامل الاقتصادية والميزان التجارى واستغلال الاراضى أو السياسات الاقتصادية والزراعية التى تتبعها دول هذا الاقليم ، اذ يبدو أن هذه الدول تصدر أحيانا المواد الغذائية التى

يكون السكان فى أمس الحاجة ، وتقوم باستيراد السيارات والكماليات وما غير ذلك .

خامسا : الاصلاح الزراعى وظام الملكية ربما يعيق التنمية الزراعية .

سادسا : هناك عامل آخر يرتبط بالحروب التى عصفت بالقرن الافريقى ولا زالت ، أو عدم الاستقرار ، والتزايد فى اعداد المهاجرين الذين يتركون الارض ولا يزرعونها ، أو الهجرة من اقليم الى آخر نتيجة هذه الظروف وربما هجرة السكان من الريف الى المدن .

المراجع باللغة العربية

- فرانسيس مورلابيه ، جوزيف كولنيز ، ترجمة أحمد حسان ، صناعة الجوع (خرافة الندرة) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٣ .
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية . اقتصاديات الغذاء فى الدول العربية ، جـ ٤ ، الخرطوم ١٩٧٩ .
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية . المناخ الزراعى فى الوطن العربى ، الصومال – الخرطوم – ١٩٧٧ .
- منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة ، معركة الأمن الغذائى ، روما ، ١٩٧٩ .

المراجع باللغة الانجليزية

- **De** Blij Harm. **Human Geography,** Culture, Space and Society, John **Wiley** and Sons, **1983**.
- **Glen** Trewartha. **The Earths Problem** Climates. The Univ. of **Wisconsin** Press, **Madison**, 1970.
- **The** Population **Refernce** Bureau, **1983** World **Population Dats** sheet, **Washington** D. C **1983**.
- **Food** and Agricultural Organization of the U. N. World **Food Report,** **Rome**, 1984.
- **The** International **Yearbook** and Sales man's, 1981.
- **Trade** Yearbook, **Vol.** 35, 1931.
- **U. N.** Demographic **Yearbook**. 1980.
- **World** Survey **af** Climatiligy. Vol. 10, Eimates of Africa, edited by **J. F.** Griffith **Elsevier Publishing** Company, Amsterdam. 1982.

محتـــويات

الجــزء الأول

ولقد قررنا فى اقامة هذه الندوة ، لهذا القسم من أفريقية بعيدا عن السياسة كحرفة ومناورات الى السياسة والاقتصاد والتاريخ والجغرافية والبيئة والثقافة تتناولها بمنهج علمى رشيد ، نستوضح الأمور ، لا نمثل حكومات ولا مذاهب ولا قبائل . وليس هذا المنبر أعلاميا أو دعائيا لفريق أو لآخر وانما نمثل الفكر الافريقى الخاص لصالحنا جميعا .

ومن ثم أيها السادة كانت دعوتنا لهذه النخبة من العلماء والمهتمين بالشئون الأفريقية للرأى السديد والطريق القويم الذى يجنبنا الكثير .

أيها الأخوة أرجو لتعاونكم كل التوفيق ، كما أرجو لكم طيب الاقامة فى وطنكم الثانى مصر .